الفصول المختارة

من كتب أبي عثمان

عمرو بن بحر الجاحظ

لحمزة بن الحسن الأصفهاني

ويتضمن نصوصاً للجاحظ تنشر لأول مرة

دراسة وتحقيق

ديانا موسى رحيل



الفصول المختارة

من كتب أبي عثمان

عمرو بن بحر الجاحظ

لحمزة بن الحسن الأصفهاني

ويتضمن نصوصًا للجاحظ تنشر لأول مرة

دراسة وتحقيق
ديانا موسى رحيل



للدراسات والنشر

□ الفصول المختارة
من كتب أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
لحمزة بن الحسن الأصفهاني
دراسة وتحقيق : ديانا موسى رحيل
الطبعة الأولى : ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

قياس القطع : ١٧ × ٢٤
الرقم المعياري الدولي : ISBN : ٩٧٨٩٩٥٧٥٦٦٠٦٧
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (١٧٥٦/ ٥/ ٢٠١٢)

أروقة للدراسات والنشر
هاتف وفاكس : ٤٦٤٦١٦٣ (٠٠٩٦٢٦)
ص.ب : ١٩١٦٣ عمّان ١١١٩٦ الأردن
البريد الإلكتروني : info@arwiqa.net
الموقع الإلكتروني : www.arwiqa.net

إهـداء

إلىٰ مَن أسبغا عليَّ نعمةَ الرِّضا...

ولَم يُقصِّرا في التَّضحيةِ والدُّعاء..

إلىٰ والديَّ..

أُهدي هذه الثَّمرة..

عِرفانًا..

وامتنانًا..

ابنتكم ديانا

كلمة

«رحم الله امرأً أهدىٰ إلينا مساوئنا»

عمر بن الخطّاب

«هذه الكتب عقول قوم وراءها... فلا ينبغي أنْ يقضىٰ علىٰ كتاب حتّىٰ يبين عمّا فيه»

الخليفة المأمون

القِسمُ الأوَّل
مُقَدِّمَةُ التَّحقيق

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام علىٰ سيّدنا محمّد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد،

فممّـا هو غنيٌّ عن التّعريف أنّ رسائل الـجاحظ إحدىٰ أُصول الأدب التي يتوارثها الخلف عن السّلف.

وعندما اخترتُ أنْ أُحقّق مخطوطة «فصول مختارة من كتب أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ» سعدتُ بذلك؛ لأنّ موضوع رسائل الجاحظ من الموضوعات المهمّة في اللّغة العربيّة، وشرعت في تنفيذها، مع شعوري بالرّهبة من الخوض في مجال تحقيق رسائل للجاحظ، ولا سيّما عندما أذكر رسائل الجاحظ أجد أمامي أسماء محقّقين كبار، ممّا جعلني أشعر بالرّهبة في بادئ الأمر.

وثمّة الكثير من كتب رسائل الجاحظ المحقّقة، لعددٍ من كبار المحقّقين، مثل: عبد السّلام هارون في تحقيقه لرسائل الجاحظ، وعبيد الله بن حسّان في اختياره لفصول مختارة من كتب الجاحظ، وحسن السّندوبي في تحقيقه لرسائل الجاحظ. وقد عدتُ إلىٰ هذه الكتب وقرأتها بدقّةٍ غير مرّة، حتّىٰ استطعتُ أنْ أحصي فصول المخطوطة التي ذُكرت في هذه الكتب.

وفي هذه الكتب انصرفت جهود بعض المحقّقين إلىٰ إثبات النّصّ دون ضبط الألفاظ والمتون، ودون شرح الغامض منها، وأنّ أكثر هذه الرّسائل لم تصرف جُلّ عنايتها لتخريج الآيات القرآنيّة، والأحاديث النّبويّة، والشّواهد الشّعريّة، والأمثال، والأعلام.

أمّا محمّد الدّروبيّ فحقّق مخطوطة للجاحظ اسمها «المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ» كما يظهر من صفحة العنوان، لكنّه غيّر اسمها إلىٰ «فصول مختارة» وقد أسقط منها الفصول التي نشرت في أيٍّ من آثار الجاحظ، إذ اعتمد مبدأ الجدّة، فما كان جديدًا لم يُنشر أثبته، وما كان منشورًا أسقطه، وقد فات الدّروبيَّ أنّ الفصول التي أسقطها قد تختلف في بعض عباراتها وألفاظها وترتيبها عن الفصول المنشورة، ممّا قد يُفَوِّتُ علىٰ القارئ هذا الأمر. وقد حقّقها الدّروبيُّ عن نسخة يتيمة، ولم يترك صاحب هذه الاختيارات ما يدلّ علىٰ اسمه.

قد جرت العادة أنْ يترجم المحقّق لمؤلف الكتاب الذي يحقّقه ترجمة وافية من كتب التّراجم، لكنَّ صاحب هذه الفصول وهو الجاحظ غنيٌّ عن التّعريف، إذ كلّ مَن حقّق له سواء أكان كتبًا أم رسائل، أورد له ترجمةً وافية. إضافة إلىٰ صدور عشرات الكتب التي تناولت حياة الجاحظ، مفصّلين كلَّ جوانب حياته، ولم يتركوا شيئًا، وكما يُقال «لم يترك الأوّل للآخر شيئًا».

لذا لم أرغب في الحديث عن حياة الجاحظ؛ لأنّني لن آتي بجديد، بل سيكون تكرارًا لما سبق، ممّا سيشعر قارئ هذه الدّراسةِ بالملل، ولا مسوّغ لها، لأنّها تُعرِّفُ عالمًا معروفًا ذا شهرةٍ كبيرة.

لكنّني سأقف عند مسألة مهمَّة في هذه الفصول الّتي اختارها حمزة بن الحسن

الأصفهانيّ، وهي قدح الجاحظ في رجالاتِ الدّولةِ الأمويّة، وبعض الصّحابة والتّابعين، واتّهامهم بالكفر، بإثبات روايات مزوّرة كما فعل عندما تحدّث عن الحجّاج وكيف وصف نفسه، والرّسالة المزوّرة علىٰ لسان عبد الملك إلىٰ الحجّاج في أمر الصّحابي أنس ابن مالك، رضي الله عنه، إلىٰ غير ذلك من روايات لا تثبت أمام النّقد العلمي.

فقد حاول الجاحظ تشويه صورة قيس بن عاصم المنقري، الذي وصفه بالغدر والكذب، والاعتداء علىٰ ابنته وهو سكران، وأنّه وزّع الصّدقات علىٰ بني منقر[١]، وأورد كلامًا في ثنايا المخطوط يطعن فيه، مع أنّ الرّسول ﷺ قال فيه: «هذا سيّد أهل الوبر»[٢]، وكتب الصّحابة توردُ أخبارًا تؤكّد حسن سيرته وإسلامه، ولا نعرف كيف أنَّ الجاحظ يطعن فيه.

في المقابل نرىٰ الجاحظ يمدحُ شخصًا لدرجة كبيرة، ويبالغ في مدحه وتكريمه، وكتب التّراجم والأخبار تؤكّد خيانته وغدره وهو ابن الأشعث الذي غدر بالحجّاج، قال عنه: «غلب علىٰ النّصر، فغلب علىٰ الصّبر، خرج كريمًا، وقتل كريمًا»[٣]، وجاء في الكتب: «أنّه ممّن شُهِر بالكذب محمّد بن الأشعث»[٤].

ولا نعرف مغزىٰ الجاحظ أو هدفه من هذا العمل، يطعن في صحابي، ويتعصّب لخائن، ولا نعرف الذي يدور في ذهن الجاحظ حينها، كيف يستطيع كاتب محنّك كالجاحظ من القيام بهذا العمل؟ وهل للجانب الاعتزالي دورٌ في هذا العمل؟ أم أنَّ الجاحظ يتّبع سنَّة القوم الذي يجالسهم؟ يمدح مَن يمدحون ويطعنُ فيمن يطعنون؟

---

(١) انظر هذا الكتاب ص٢٣٤ – ٢٣٧.

(٢) انظر هذا الكتاب ص٢٣٨.

(٣) انظر هذا الكتاب ص٢٣٠.

(٤) انظر: الأعلاق النّفيسة: ص٢٢٩، ولطائف المعارف: ص٦٩-٧٠.

ماذا لو بحثنا في كتابات الجاحظ في الإمامة والرّدّ علىٰ النّصارىٰ، وخلق القرآن وغيرها؟ نلاحظ أنّه كتب في الرّافضة رسالته (في وجوب الإمامة)، و(الزّيديّة والرّافضة)، و(حقيقة الإمامة)، وأعلىٰ من شأنهم. وكتب في الرّدّ علىٰ النّصارىٰ، وتحدّث عن السّنّة. وفي الفرس كتب (رسالة المعلمين)، وفي الشّعوبيّة كتب (مفاخرة الجواري والغلمان).

إنّ كتابة الجاحظ في الفارسيّة والشّعوبيّة والرّافضة وخلق القرآن والرّدّ علىٰ النّصارىٰ، تحتاج منّا وِقفة لفهم عقل الرّجل، هل يعتقد الشّعوبيّة أم الفارسيّة أم الرّافضيّة؟ أم هل هو سنّيٌّ أم شيعيٌّ أم معتزليّ؟ مَن هو؟

كتب الجاحظ في كلّ هذه القضايا وأبدع، فعندما نقرأ رسالته في (الزّيديّة والرّافضة) نخرج بقولنا: الجاحظ رافضي العقيدة والهوىٰ، وحين نقرأ رسالته (في خلق القرآن) نقول: هو معتزليّ ورئيسُ فرقة معتزليّة[1].

هل هذا الرّجل لديه أكثر من وجه؟ أم أنّه يحاول إرضاء جميع الأطراف؟ أم أنّه يجسّد موقف الخليفة من هذه القضايا، ويعمل علىٰ موافقته في رأيه وموقفه لسبب في نفسه.

---

(١) الجاحظ رئيس فرقة معتزليّة تسمّىٰ الفرقة الجاحظيّة، إلا أنّه لم يعمل علىٰ خدمة مذهبه وجماعته كما عمل باقي رؤوس المعتزله كالنّظّام والعلاف وغيرهم، هؤلاء الذين أصّلوا لمذاهب فرقتهم، وعملوا علىٰ إرساء قواعدها، ونشر أفكارها، وقد أفنوا أعمارهم من أجل الوصول إلىٰ غاياتهم، وكرّسوا إنتاجهم لخدمة جماعتهم، أمّا الجاحظ فقد اقتصر علىٰ كتاب يتيم هو (خلق القرآن) ورغم أنّه كاتب مبدع ومحنّك إلا أنّه لم يهب إبداعه لخدمة فرقته، فلو كان معتزليًّا حقًّا ووهب أدبه لخدمة فكره المعتزلي، لكان في مقدوره أنْ ينهض بفرقته إلىٰ أعالي السّماء، ويجتذب أكبر قدر من الأتباع، بل لاستطاع أنْ يقنع النّاس بصدق ما يدعو إليه.

لعلّ هذا الأمر يجعلنا نشكّ في اعتزاليّة الجاحظ، هل كان معتزليًّا حقًّا؟ أم أنّه طابع قصر الخلافة في وقت ما؟ فإذا كان الخليفة يدعم الاعتزال وينتصر له، يرضيه الجاحظ في كتاباته في الاعتزال والإعلاء من شأنه، ودعم أفكاره، كما كان في خلافة المأمون والمعتصم والواثق بالله. وإذا كان الخليفةُ يناهض الاعتزالَ ويحيي مذهب أهل السّنَّة والجماعة، تحوَّل في كتاباته إلىٰ إحياء المذهب السّنّي والحثِّ عليه، كما حدث في خلافة المتوكِّل.

وعلىٰ الجملة مَن يقرأ رسائل الجاحظ يجد تلوّنًا في موقفه؛ فمرّة نُحِسّه شيعيًّا، وأخرىٰ معتزليًّا، وثالثة عثمانيًّا، ورابعة شعوبيًّا، وخامسة مدافعًا عن العرب؛ ممّا يلقي ظلالاً من الشّك علىٰ مذهبه الاعتزالي، وأنّه كان يتخذه ستارًا ليقدّم آراءه الّتي يريد بثّها.

اسم المخطوطة: «الفصول المختارة من كتب أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ» لحمزة بن الحسن الأصفهاني، ولم يرد اسم المخطوطة في أيٍّ من مؤلّفات حمزة بن الحسن الأصفهاني، ولم يُشر أيٌّ من المؤرّخين إلىٰ نسبة هذه المخطوطة لحمزة بن الحسن الأصفهاني.

شكر وتقدير

أتقدم بالشّكر والتّقدير للأستاذ الدّكتور: جاسر أبو صفيّة علىٰ جهوده المميّزة بالإشراف علىٰ هذه الرّسالة، حيث إنّه لم يبخل عليّ بجهده ووقته ونصحه وإرشاده المتواصل، وأشكره علىٰ رفع همّتي ومعنويّاتي في تحقيق المخطوطة، فجزاه الله كلّ خير وجعل ذلك في ميزان حسناته يوم القيامة.

كما أتقدّم بالشّكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ الدّكتور عفيف محمّد عبد الرّحمن.

الأستاذ الدّكتور أنور عليّان أبو سويلم.

الأستاذ الدّكتور ياسين عايش.

كما أتقّدم بالشّكر الجزيل لكل من وقف بجانبي وساعدني.

* * *

ترجمة المؤلّف[(١)]

اسمه وكنيته:

حمزة بن الحسن الأصفهاني[(٢)]، المؤدّب[(٣)]، الفقيه[(٤)]، أبو عبد الله[(٥)]، وقيل أبو الحسن[(٦)]، وأبو عبد الرّحمن[(٧)]، وأبو الفرج[(٨)].

---

(١) حمزة بن الحسن الأصفهاني ليس المؤلّف لهذه المخطوطة بالمعنىٰ الحقيقي، بل مجازًا، هو مَن اختارها من كتب الجاحظ ورسائله وكلامه.

(٢) انظر ترجمته في: السّمعانيّ، أبو سعد عبد الكريم بن محمّد (٥٦٢هـ)، الأنساب، ط٢، (تحقيق عبد الرّحمن بن يحيىٰ اليماني)، نشر محمّد أمين دمج، بيروت، ١٩٨٠م: ١/ ٢٨٩، والأصبهانيّ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، تاريخ أصبهان، (تحقيق سفن ديدريخ)، ليدن، ١٩٣١م: ص٣٠٠، والنّديم، أبو الفرج محمّد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف الورّاق، الفهرست، (تحقيق رضا تجدّد): ص١٥٤، وحاجّي خليفة، كشف الظّنون، دار الفكر للطباعة والنّشر، بيروت، ١٩٨٢م: ٥/ ٣٣٦، والبستاني، فؤاد أفرام، دائرة المعارف الإسلاميّة، بيروت، ١٩٨٣م: ١٤/ ٣١٣، والزركلي، خير الدّين، الأعلام، ط١٠، دار العلم لملايين، بيروت، ١٩٩٢م: ٢/ ٢٧٧.

(٣) انظر: السّمعاني، الأنساب: ١/ ٢٨٩، والنّديم، الفهرست: ص١٥٤.

(٤) انظر: الخزرجي، علي بن الحسن، العقود اللّؤلؤيّة: ١/ ٢٠.

(٥) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٣/ ٦٠، والأصفهاني، حمزة بن الحسن (٢٨٠هـ)، التّنبيه علىٰ حدوث التّصحيف، تحقيق محمّد أسعد طلس، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م: ص٧.

(٦) انظر: المرجع نفسه: ١/ ٢٠.

(٧) انظر: الصّفدي، الغيث المسجم في شرح لاميّة العجم: ٢/ ١٤٦.

(٨) انظر: حاجّي خليفة، كشف الظّنون: ٥/ ٣٣٦.

سيرته: ولد حمزة بمدينة أصفهان، قبل (٢٧٠هـ)، وقيل سنة (٢٨٠هـ)[١]، وهو من أهل أصبهان[٢]. كان أبوه مؤدّبًا، وقد تلقّىٰ في مسقط رأسه الأوّل دروسًا في الحديث الشّريف[٣].

كان أديبًا[٤]، مؤرِّخا[٥]، مصنِّفًا[٦]، واطّلع علىٰ الفلسفة، وتعرَّفَ أنواع العلوم والفنون[٧]، وطلب العلم في العراق وفارس، حتّىٰ لُقِّبَ بالمؤدّب[٨].

زار بغداد سنة (٣٢٦هـ) من أجل تدوين شعر أبي نواس[٩]، ومكث هناك مدّة تعمّق في دراسة مخطوطات شعر أبي نواس لكي يعدَّ له ديوانًا[١٠]، وتعرَّف كلّ مَن كان علىٰ اتّصال وثيق بالشّاعر في زمنه، والذين أهداهم أبو نواس الكثير من قصائده الشّعريّة[١١]، واتّصل بمهلهل بن يمّوت بن المزرِّع ابن ابن أخت الجاحظ وروىٰ عنه،

---

(١) انظر: الزركلي، الأعلام: ٢/ ٢٧٧، ورودلف زلهايم، الأمثال العربيّة القديمة، ط١، (ترجمة رمضان عبد التّوّاب)، دار الأمانة ومؤسّسة الرّسالة، بيروت، ١٩٧١م: ١٨٤، وعمر رضا كحّالة، معجم المؤلّفين، المكتبة العربيّة، دمشق:٣/ ٧٨.

(٢) انظر: الزركلي، الأعلام: ٢/ ٢٧٧.

(٣) انظر: رودلف زلهايم، الأمثال العربيّة القديمة: ١٨٤.

(٤) انظر: النّديم، الفهرست: ص١٥٤.

(٥) انظر: البستاني، دائرة المعارف الإسلاميّة: ١٤/ ٣١٣.

(٦) انظر: النّديم، الفهرست: ص١٥٤، والقفطي، إنباه الرّواة: ١/ ٣٣٥.

(٧) انظر: عمر رضا كحّالة، معجم المؤلّفين: ٣/ ٧٨.

(٨) انظر: السّمعانيّ، الأنساب: ١/ ٢٨٩، والنّديم، الفهرست: ص١٥٤، والزّركلي، الأعلام: ٢/ ٢٧٧.

(٩) انظر: حسين علي محفوظ، حمزة بن الحسن، مجلّة سومر، ع ١٩، بغداد، ١٩٦٣م: ص٦٨.

(١٠) انظر: رودلف زلهايم، الأمثال العربيّة القديمة: ١٨٤.

(١١) انظر: المرجع السّابق: ١٨٥.

وقد ألّف مهلهل بن يمّوت كتابًا بعنوان «سرقات أبي نواس» وبيّن فيه الأبيّات التي استعارها أبو نواس من الشّعراء السّابقين[١].

اهتمّ حمزة بتتبّع الأخبار والتّصنيف، فقد التقىٰ العديد من الأئمّة والعلماء، وترحّل في البلدان، وحرص في كتابه «تاريخ سني ملوك الأرض» أنْ يأخذ تواريخ الأحداث من أهل البلاد، فأخذ تواريخ الإسرائيليين من رجل يهوديّ يدعىٰ صدقيا اليهوديّ[٢]، وأخذ تواريخ الرّوم عن رجل روميّ[٣].

لُقِّب «بائع الهذيان» لكثرة تصانيفه وخوضه في كلّ نوع من أنواع العلم[٤].

فكره ومذهبه:

كان حمزة بن الحسن الأصفهاني شعوبيًّا، فخورًا بنسبه، وقد ذكر العلماء والمؤرّخون اعتزازه بالفارسيّة وتعصّبه لها، فقد وصفه القفطي «أنّه كان يُنسب للشّعوبيّة، وأنّه يتعصّب علىٰ الأمّة العربيّة»[٥]، وقال زيدان: «كان يتعصّب لغير العرب، وعوّل فيما كتبه علىٰ المصادر الفارسيّة»[٦].

وقال محقّق كتاب التّنبيه علىٰ حدوث التّصحيف: «كان حمزة شديد الحبِّ

---

(١) انظر: مهلهل بن يمّوت بن المزرّع، سرقات أبي نواس، (تحقيق محمد مصطفىٰ الهدّارة)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٧م: ص٣١.

(٢) انظر: الأصفهاني، حمزة بن الحسن (٣٦٠هـ/ ٩٨٢م)، تاريخ سني ملوك الأرض، ط٣، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م: ص٧٦.

(٣) انظر: حسين علي محفوظ، حمزة بن الحسن، مجلّة سومر، ع ١٩، بغداد، ١٩٦٣م: ص٦٩.

(٤) القفطي، إنباه الرّواة: ١/ ٣٣٦.

(٥) المرجع نفسه: ١/ ٣٣٦.

(٦) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة: ٢/ ٣٦٥.

لأرضه، شغوفًا ببلدته، يذكر أصبهان معتزًا بها، مشفقًا عليها بقوله مدينتي»[١]، فهو وإن عاش بين العرب وتعلّم العربيّة إلاّ أنّه لم يترك خياله الفارسيّ، ولم ينسَ فكره ما لقومه من شعر ومثل وحكمة، لذلك صنّف كتابه «الموازنة بين العربيّ والعجميّ»، وقال عنه أيضًا: «كما كان محبًّا أرضه كان محبًّا قومه، مغرمًا بلغته[٢] متبحّرًا فيها، متعصّبًا لها، دائم المقارنة لها مع سواها مفردات وكتابة»[٣].

أمّا بروكلمان فقال عنه: «كان فارسيًّا يفخر بنسبه العجمي، ولكنّه برغم ذلك لم يعاد العرب بل أنصفهم وأعلىٰ ذكرهم، فلا يجوز أنْ يُعدّ من الشّعوبيّة»[٤]، ربّما لم يُظهِر عداءَه للعرب، بل أضمره، لأنّ فخره بنسبه العجميّ تجعله يرىٰ أنّ الفرس يتميّزون عن غيرهم من سائر الأمم.

شيوخه:

روىٰ حمزة الأصفهاني الأدب واللّغة والشّعر والأخبار والتّاريخ عن فئة من أفاضل الأشياخ منهم:

١ـ الطّبري المؤرّخ[٥].

٢ـ ابن دُريد[٦].

---

(١) انظر: حمزة بن الحسن الأصفهاني، التّنبيه علىٰ حدوث التّصحيف: ص٧.

(٢) لغته هي اللّغة الفارسيّة.

(٣) انظر: حمزة بن الحسن الأصفهاني، التّنبيه علىٰ حدوث التّصحيف: ص٨.

(٤) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٣/ ٦٠.

(٥) انظر: رودلف زلهايم، الأمثال العربيّة القديمة: ١٨٤.

(٦) انظر: المرجع السّابق: ١٨٤.

٣ـ ابن الأنباري[١].

٤ـ أبو السّري، سهل بن الحكم[٢].

٥ـ الصّولي[٣].

٦ـ عبد الله بن قحطبه[٤].

٧ـ علي بن سليمان الأخفش[٥].

٨ـ محمّد بن صالح بن ذراع[٦].

٩ـ محمود بن محمّد الواسطي[٧].

١٠ـ عبدان بن أحمد الجواليقي[٨].

١١ـ محمّد بن نصير[٩].

١٢ـ مهلهل بن يمّوت[١٠]، وقد أهدىٰ مهلهل كتابه «سرقات أبي نواس» لحمزة[١١] وقال له فيها: «أمّا بعد؛ أدام الله في أرغد العيش، وأتمّ السّرور، وأجلّ القدر

---

(١) انظر: المرجع السّابق: ١٨٤.

(٢) حسين علي محفوظ، حمزة بن الحسن، مجلّة سومر، ع ١٩، بغداد، ١٩٦٣م:: ص٧٠.

(٣) انظر: رودلف زلهايم، الأمثال العربيّة القديمة: ١٨٤.

(٤) انظر: السّمعانيّ، الأنساب: ١/ ٢٩٠.

(٥) انظر: رودلف زلهايم، الأمثال العربيّة القديمة: ١٨٤.

(٦) انظر: الأصبهانيّ، تاريخ أصبهان: ص٣٠٠.

(٧) انظر: المرجع السّابق: ص٣٠٠.

(٨) انظر: المرجع السّابق: ص٣٠٠، والسّمعانيّ، الأنساب: ١/ ٢٩٠.

(٩) انظر: الأصبهانيّ، تاريخ أصبهان: ص٣٠٠.

(١٠) انظر: حسين علي محفوظ، حمزة بن الحسن، مجلّة سومر، ع ١٩، بغداد، ١٩٦٣م: ص٧٠.

(١١) انظر: رودلف زلهايم، الأمثال العربيّة القديمة: ١٨٥.

عزّك، وجدّ الزّمان ببقائك، ووهب للآداب دوام سلامتك، وتطاول أمرك، فإنّي لمّا رأيتك حريصًا علىٰ شعر أبي نواس، حتّىٰ أربيتَ علىٰ أكثر النّاس في تعظيمه وتقديمه، وإن كُنت خارجاً عن طبقـةِ مَن يغلو في أمره بلا تحديد، ويميل عن الحُجّة فيه إلىٰ التّقليد...»[١].

تلامذته:

ذكر السّمعانيّ في الأنساب أنَّ من تلامذته أبو بكر بن مردويه الحافظ[٢].

وفاته:

توفيّ حمزة بن الحسن الأصفهاني قبل (٣٦٠هـ)[٣]، وقيل سنة (٣٥٠هـ)[٤]، وأيضًا سنة (٤٢٨هـ)[٥]، وهذا التّاريخ مستبعد لأنّ ولادته كانت سنة (٢٧٠هـ أو ٢٨٠هـ)، ودفن في موطنه الأصلي أصبهان[٦].

آراء بعض العلماء فيه:

قال عنه النّديم: «كان أديبًا مصنّفًا»[٧]. ووصفه أبو نعيم الأصبهاني بـ «المؤدّب الأديب، صاحب كتاب أصبهان»[٨].

---

(١) انظر: مهلهل بن يمّوت بن المزرّع، سرقات أبي نواس: ٣١.

(٢) انظر: السّمعانيّ، الأنساب: ١/ ٢٩٠.

(٣) انظر: السّمعانيّ الأنساب: ١/ ٢٩٠، وفؤاد أفرام البستانيّ، دائرة المعارف: ١٤/ ٣١٣، وعمر رضا كحّالة، معجم المؤلّفين: ٣/ ٧٨.

(٤) انظر: رودلف زلهايم، الأمثال العربيّة القديمة: ١٨٥.

(٥) انظر: حاجّي خليفة، كشف الظّنون: ٥/ ٣٣٦.

(٦) انظر: رودلف زلهايم، الأمثال العربيّة القديمة: ١٨٥.

(٧) انظر: النّديم، الفهرست: ص١٥٤.

(٨) انظر: الأصبهانيّ، تاريخ أصبهان: ص٣٠٠.

وعدّه الثّعالبي «من ظُرَفاءِ الأدباء الذين جمعوا فصاحة العرب البُلغاء إلىٰ إتقان العلماء، ووعورة اللّغة إلىٰ سهولة البلاغة»[١].

وقال عنه السّمعانيّ: «كان من فضلاء الأدباء، وكان صاحب التّاريخ الكبير لأصبهان، وله مصنّفات في اللّغة والأخبار»[٢]. ووصفه ياقوت الحموي أنّه «صاحب لغة ومعنيٌّ بها»[٣].

أمّا القفطيٌّ فقد أطال في وصفه ومدحه وقال عنه: «المؤدّب الفاضل، الكامل، المصنّف المطّلع، الكثير الرّوايات، كان عالمًا في كلّ فن، وتصانيفه في الأدب جميلة، وفوائده الغامضة جمّة، وله كتاب الموازنة، وهو كتاب جليل، دلّ علىٰ إطّلاعه علىٰ اللّغة وأصولها، لم يأتِ أحدٌ بمثله، وله كتاب تأريخ أصبهان، وهو من الكتب المفيدة العجيبة الوضع، الكثيرة الغرائب،... سمّاه جهلة أصبهان» بائع الهذيان «والأمر كما قالوا؛ من جهل شيئًا عاداه»[٤].

مصنّفاته:

كان حمزة بن الحسن الأصفهانيُّ من المصنّفين المكثرين، ومصنّفاته بلغت أربعة وعشرين مصنّفًا، منها المنشور والمخطوط والمفقود:

---

(١) انظر: الثّعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمّد (٤٣٠هـ/ ١٠٥٢م)، فقه اللّغة، ط١، (تحقيق عمر الطّبّاع)، دار الأرقم ابن أبي الأرقم، بيروت، ١٩٩٩م: ص٢٦٦.

(٢) انظر: السّمعانيّ، الأنساب: ١/ ٢٨٩.

(٣) انظر: ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرّومي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م: مادة الإقليم.

(٤) انظر: القفطي، إنباه الرّواة: ١/ ٣٣٥ - ٣٣٦.

١ـ كتاب أصفهان وأخبارها ← قال عنه القفطي «إنّه من الكتب المفيدة العجيبة الوضع الكثيرة الغرائب»[١].

٢ـ كتاب أعياد الفرس[٢].

٣ـ كتاب الأمثال علىٰ أفعل ← يُدخل فيه الأمثال الشّعرية والأمثال النثرية، وقد أفاد منه الميداني في مجمع الأمثال[٣].

٤ـ كتاب الأمثال الصّادرة عن بيوت الشّعر ← وهو كتاب مرتّب علىٰ الحروف[٤].

---

(١) انظر: النّديم، الفهرست: ص١٥٤، والقفطي، إنباه الرّواة: ١/ ٣٣٦ وسمّاه التاريخ الكبير لأصبهان، والسّمعانيّ، الأنساب: ١/ ٢٩٠، ومهلهل بن يموّت بن المزرّع، سرقات أبي نواس: ٣١، وبطرس البستاني، دائرة المعارف الإسلاميّة: ١٤/ ٣١٣، وحاجّي خليفة، كشف الظّنون: ٥/ ٣٣٦، وسمّاه «كتاب تاريخ أصفهان»، وورودلف زلهايم، الأمثال العربيّة القديمة: ١٨٥، والزّركلي، الأعلام: ٢/ ٢٧٧، وسمّاه «تاريخ أصبهان»، وعمر رضا كحّالة، معجم المؤلّفين: ٣/ ٧٨.

(٢) انظر: حسين علي محفوظ، حمزة بن الحسن، مجلّة سومر، ع ١٩، بغداد، ١٩٦٣م: ص٧٦، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٣/ ٦٢.

(٣) انظر: الثّعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٥٢م)،، خاصّ الخاص، (تحقيق حسن الأمين)، منشورات دار ومكتبة الحياة، بيروت: ص٣٨، وسمّاه «كتاب أفعل من كذا»، والنّديم، الفهرست: ص١٥٤، وسمّاه «كتاب الأمثال علىٰ أفعل ويدخل فيه الشّعريّة والنّثريّة»، والميداني، مجمع الأمثال: ١/ ٨، ٨٥، وورودلف زلهايم، الأمثال العربيّة القديمة: ١٨٥، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٣/ ٦١، وسمّاه «الدّرّة الفاخرة»، وحاجّي خليفة، كشف الظّنون: ٥/ ٣٣٦، والزّركلي، الأعلام: ٢/ ٢٧٧، وسمّاه كتاب «الأمثال علىٰ أفعل من كذا».

(٤) انظر: النّديم، الفهرست: ص١٥٤، وسمّاه «كتاب الأمثال الصّادرة عن ثبوت الشّعر»، =

٥ـ كتاب أنواع الدّعاء[١].

٦ـ كتاب الأوصاف[٢].

٧ـ كتاب التّشبيهات[٣].

٨ ـ كتاب التّماثيل في تباشير السّرور[٤].

٩ـ التّنبيه علىٰ حروف التّصحيف[٥].

١٠ـ تواريخ سني ملوك الأرض والأنبياء أولي الأمر← رتّبه علىٰ عشرة أبواب وصل فيه إلىٰ سنة ٣٥٠هـ[٦].

= وورودلف زلهايم، الأمثال العربيّة القديمة: ١٨٦، وحاجّي خليفة، كشف الظّنون: ٥/ ٣٣٦، والزّركلي، الأعلام: ٢/ ٢٧٧، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٣/ ٦١، وعمر رضا كحّالة، معجم المؤلّفين: ٣/ ٧٨، وسمّاه «الأمثال الصّادرة عن ثبوت الشّعر».

(١) انظر: النّديم، الفهرست: ص١٥٤، وعمر رضا كحّالة، معجم المؤلّفين: ٣/ ٧٨.

(٢) انظر: حاجّي خليفة، كشف الظّنون: ٥/ ٣٣٦، ومجلة سومر: ص٨٢.

(٣) انظر: النّديم، الفهرست: ص١٥٤، وحاجّي خليفة، كشف الظّنون: ٥/ ٣٣٦، وعمر رضا كحّالة، معجم المؤلّفين: ٣/ ٧٨.

(٤) انظر: النّديم، الفهرست: ص١٥٤، ومهلهل بن يمّوت بن المزرّع، سرقات أبي نواس: ص٣١، وسمّاه «كتاب في تباشير السّرور»، وحاجّي خليفة، كشف الظّنون: ٥/ ٣٣٦، وسمّاه «كتاب التّماثيل».

(٥) انظر: النّديم، الفهرست: ص١٥٤، وسمّاه «كتاب التّنبيه علىٰ حروف المصحّف»، والصّفدي، الغيث المسجم: ٢/١٤٦، ومهلهل بن يمّوت بن المزرّع، سرقات أبي نواس: ص٣١، وورودلف زلهايم، الأمثال العربيّة القديمة: ١٨٥، وحاجّي خليفة، كشف الظّنون: ٥/ ٣٣٦، وسمّاه «كتاب التّنبيه علىٰ حروف المصحّف»، والزّركلي، الأعلام: ٢/ ٢٧٧، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٣/ ٦١، وعمر رضا كحّالة، معجم المؤلّفين: ٣/ ٧٨.

(٦) انظر: بطرس البستاني، دائرة المعارف الإسلاميّة: ١٤/ ٣١٣، والزّركلي، الأعلام: ٢/ ٢٧٧، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٣/ ٦٠.

١١ـ كتاب الخصائص والموازنة بين العربيّة والفارسيّة(١).

١٢ـ كتاب رسائل(٢).

١٣ـ كتاب مضاحك الأشعار(٣).

١٤ـ شعر أبي نواس أو مختارات من شعر أبي نواس(٤).

١٥ـ شعر أبي تمام(٥).

١٦ـ شعر ابن المعتز(٦).

١٧ـ كتاب شعراء أصبهان(٧).

---

(١) انظر: القفطي، إنباه الرّواة: ١/ ٣٣٥، والثّعالبيّ، فقة اللّغة: ص٢٦٦، ورودلف زلهايم، الأمثال العربيّة القديمة: ١٨٥، وحاجّي خليفة، كشف الظّنون: ٥/ ٣٣٦، وسمّاه «كتاب الموازنة»، والزّركلي، الأعلام: ٢/ ٢٧٧، وقال أنّه صنّفه لعضد الدّولة بن بويه وفيه تعصّب للفارسيّة، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٣/ ٦١.

(٢) انظر: النّديم، الفهرست: ص١٥٤.

(٣) انظر: الثّعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل (٤٣٠هـ/ ١٠٥٢م)، ثمار القلوب، (تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م: ص٣٦٧، وأسماه «كتاب مضاحك الأشعار علىٰ حروف الهجاء».

(٤) انظر: رودلف زلهايم، الأمثال العربيّة القديمة: ١٨٥،، والزّركلي، الأعلام: ٢/ ٢٧٧، وقال أنّه مخطوط في المتحف الآسيوي بالمدينة الرّوسيّة، لينيغراد أوّلها «كتب حمزة بن الحسن الأصفهاني إلىٰ بعض رؤساء بلده: سألت أطال الله عمرك، أنْ أصرف لك عنايتي إلىٰ عمل مجموع من شعر أبي نواس...»، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٣/ ٦١.

(٥) انظر: حسين علي محفوظ، مجلّة سومر: ص٩١.

(٦) انظر: المرجع نفسه: ص٩١.

(٧) انظر: المرجع نفسه: ص٩٢.

١٨ـ رسالة في النّيروز[١].

١٩ـ رسالة في الأشعار السّائرة في النّيروز والمهرجان[٢].

٢٠ـ كتاب ردود لغدة علىٰ علماء اللّغة وعلىٰ رواة الشّعر والشّعراء[٣].

٢١ـ كتاب في الشّعوبيّة[٤].

٢٢ـ كتاب الأفعال[٥].

٢٣ـ كتاب تاريخ كبار البشر أو كتاب تواريخ كبار الأمم من مضىٰ منهم ومن غبر[٦].

٢٤ـ تاريخ العرب قبل الإسلام ← حُقّق ونشر مع ترجمة لاتينيّة سنة ١٨١٧[٧].

نرىٰ أنَّ آثار حمزة بن الحسن الأصفهاني تمتاز بأنّها تعبّر عن آرائه الشّخصيّة، وأنّ ملاحظاته وحججه تفسّر تعصّبه لأصله الفارسي، واهتمامه بكل ما هو فارسيّ.

وعلىٰ كلّ حال فقد قدّم حمزة بن الحسن جهودًا عظيمة في ميادين الثقافة والعلم، فقد كان نتاجه غزيرًا، خصبًا، لذلك كثر الوشاة والحسّاد حوله.

---

(١) انظر: المرجع نفسه: ص٩٠، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٣/ ٦٢.

(٢) انظر: حسين علي محفوظ، مجلّة سومر: ص٩٠. وقد أفاض حمزة بن الأصفهاني في الحديث عن أعياد النّيروز في كتابه تاريخ سني ملوك الأرض، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٣/ ٦٢.

(٣) انظر: المرجع نفسه: ص٩٠.

(٤) انظر: النّديم، الفهرست: ص١٥٤. وهذا الكتاب لم يذكره حسين علىٰ محفوظ في مجلّة سومر.

(٥) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٣/ ٦١.

(٦) انظر: حاجّي خليفة، كشف الظّنون: ٥/ ٣٣٦، وهذا الكتاب لم يذكره حسين علي محفوظ في مجلّة سومر.

(٧) انظر: مقدّمة التّنبيه علىٰ حدوث التّصحيف: ص١٤.

الكتاب

الفصول المختارة

تنوّعت المواضيع التي تضمّنتها فصول المخطوطة ما بين المدح والذّمّ والحكمة والأمثال والدّعاء والوصف وغيرها ومضمون الفصول كالتّالي:

١ـ **الفصلان الأوّل والثّاني**: يمدح فيه شخصًا ويبالغ في مدحه، ويقابل بينه وبين ممدوحه، ويبيّن صفات الممدوح مثل قوله: «إنّا نسيء وتعفو، ونذنب وتستر، ونتعوّج وتقوّم».

٢ـ **الفصل الثّالث**: يتابع وصف الممدوح، ثمّ ينتقل للحديث عن المعتصم؛ صفاته وفتوحه، وقتله لبابك ومازيّار والأفشين.

٣ـ **الفصل الرّابع**: وهو من الفصول الطويلة، ومادتها وافرة، تحدّث فيه عن صفات مجموعة من الوزراء والقضاة وأعلام الدّولة العبّاسية، وهم يحيىٰ بن خالد بن برمك، وأحمد بن أبي دؤاد، ومحمّد بن عبد الملك، وإبراهيم بن السّندي وإبراهيم بن سيّار، والحجّاج، والحسن بن أبي الحسن، والمهلّب بن أبي صفرة، وقيس بن عاصم المنقري، والأحنف بن قيس.

٤ـ **الفصلان الخامس والسّادس**: يتابع فيهما وصف ممدوحه، وأورد قول عيينة ابن حصن لعثمان بن عفّان.

٥ـ الفصول السّابع والثّامن والتّاسع: تتحدّث الفصول عن ذمّ لشخص لم يذكره، مثل قوله: «نسيج وحده في اللؤم، وواحد عصره في البغض»، ويصف رفيقه وصديقه وجاره وجليسه وما يلحقهم من ذلّ وإهانة.

٦ـ الفصل العاشر: يصف في هذا الفصل شخصًا ويذكر غلامه، ويبيّن وضع هذا الشّخص عند أهله وجيرانه.

٧ـ الفصل الحادي عشر: تحدّث فيه عن المربوع، وعن الطّول والعرض، ويورد أدلّة علىٰ فضل العرض علىٰ الطّول.

٨ـ الفصول الثّاني عشر والثّالث عشر والرّابع عشر: يخبر عن رجل يتّصف باللّؤم والسّخف والدّناءة والغدر، ويورد آراء بعض النّاس فيه، ثمّ يصفه بالنّقص والعيّ والخمول، ويقول فيه: «لو أحببته لاستوحشت من الوحدة، ولجئت في الإسلام ببدعة».

٩ـ الفصل الخامس عشر: تحدّث فيه عن دولة بني العبّاس ودولة بني مروان.

١٠ـ من الفصل السّادس عشر والتاسع عشر: انتقل فيه للحديث عن المدح، والمبالغة فيه، ثمّ يضرب الأمثال في وصفه ومدحه.

١١ـ الفصل العشرون: يستخدم فيه أسلوب الذّمّ.

١٢ـ الفصل الحادي والعشرون: يورد بعض النّصائح حتّىٰ يبلغ الشّخص درجة الكمال.

١٣ـ الفصل الثاني العشرون: انتقل فيه إلىٰ وصف الممدوح وهو أحمد بن أبي دؤاد ووصفه بالكمال مثل قوله «انفرد بالكرم في دهر اللّؤم، وتوحّد بالجود في زمان

الإمساك» ويسهب في المدح، ويبيّن صفاته، ويقول إنَّ النّاس تتظلّم إليه من إنصافه، ثمّ ينتقل لوصف مجلس أحمد بن أبي دؤاد، ويقارن بينه وبين رجال من مرتبته، وأنّه يسير علىٰ نهج شيخه.

١٤ـ الفصل الثالث والعشرون: تحدّث في هذا الفصل عن كتاب ممدوحه إليه، ثمّ ينتقل ليصف طريقة موت رجل، وحال ابنته وابنه ووالديه وزوجاته وأصدقائه، ثمّ تحدّث عن الصّلاة عليه في مسجد الوصيّ ودفنه.

١٥ـ من الفصل الرابع والعشرين إلىٰ الثامن والعشرين: يعود إلىٰ المدح مرّة أخرىٰ، ويقول: إنّ اسم الممدوح يجلب الفأل الحسن وينفي طيرة السّوء. يقول أنْ خير المدح ما وافق حال الممدوح، ومتىٰ خالف هذه الصّفة ضرّ الممدوح. ويثبت أنَّ للممدوح شأنًا في الكتابة.

١٦ـ الفصل التاسع والعشرون: يورد عبارات تقال لمن يحدث له حادث مثل: «الباغي يا واجد، والمريض يا سالم».

١٧ـ الفصل الثلاثون: يعود للمدح في هذا الفصل، ويعمل علىٰ الإعلاء من شأن الممدوح مثل قوله: «لا يطمع فاضل أنْ يفوقك».

١٨ـ الفصل الحادي والثلاثون: يجري هنا مقارنة بين الممدوح ونظرائه، حيث إنّ نظراءه انغمسوا في اللّهو والمهالك، إلاّ أنّ ممدوحه خرج نسيج وحده ولم ينقد للهوىٰ، وهذا دلالة علىٰ رجاحة عقله، وتغليب قوىٰ الفعل علىٰ قوىٰ الهوىٰ.

١٩ـ الفصل الثاني الثّلاثون: في هذا الفصل يصف شخصًا بأجمل الصّفات، لدرجة كأنّه وصل إلىٰ مراتب الكمال في الجمال والعلم.

٢٠ـ الفصلان الثالث والثّلاثون والرابع والثّلاثون: يصف ممدوحه بصفاتٍ في حكمٍ وأمثال، وأنّه لا يندم علىٰ ما يقول.

٢١ـ الفصل الخامس والثّلاثون: يمدح والد الممدوح ويبالغ في وصفه بالتّقىٰ والوقار والجود والكرم، وأنّه أحاط بكلّ جوانب العلم والمروءة.

٢٢ـ الفصل السادس والثّلاثون: يبدأه بالحديث عن المدح، ويجب أنْ يكون صادقًا حتّىٰ يكون نافعًا، وبالتّالي يكون مقبولا، إضافة إلىٰ أنّه يجب أنْ يوافق الممدوح حتّىٰ يليق به، وتحدّث عن البيوتات في الإسلام، ثمّ تحدّث عن قيس بن عاصم المنقري، وحادثة سكره ووصفه بالغدر والكذب ووأده لابنته وارتداده عن الإسلام، ثمّ تحدّث عن الأحنف بن قيس.

٢٣ـ الفصل السابع والثّلاثون: في هذا الفصل ينتقل للحديث عمّن يتّهمه بسرقة الألفاظ وانتحال الكلام ويدافع عن نفسه ويقول: «أنا ابن البلاغة، وأنا جهبذ الكلام». ثمّ ينتقل ويسخر من خصمه ويقارن بينه وبين خصمه بقول: «أنا السّم السّاري، والأسد الضّاري، والموت الغادي،... وأنا عالم وأنت جاهل، وأنا أقول بالسّنّة وأنت تقول بالشّبهة». وهنا ذمٌّ واضحٌ للشّخص الذي يتّهمه، وهو يوغل في ذمّه ويتوعّده، ويقسم بأنه سيقتصّ منه، ويلحق به أشدّ العقاب، ويقول «لآخذنّك أخذ اللّيث للثّعلب، ولأدمغنّ رأسك كما تدفع رأس الحيّة»، ويخبره أنّه لا شيء ينجيه من عقابه، لا سهل ولا جبل ولا بحر ولا مغار.

٢٤ـ الفصل الثامن والثّلاثون: يصف كتاب أحدهم الذي قرأه وقال عنه أنّه «حانوت بزّاز، وتابوت لآل، وأنّه الأصل وسائر العلوم الفرع». ووصف صاحب الكتاب هنا بسعة العلم بقوله: «كأنّك تغرف من بحر، أو وقعت علىٰ مطمورة»،

ويصف علمه أنّه لم يأتِ أحدٌ بمثله؛ لا صخر صاحب سليمان، ولا سحرة بابل، ولا مسيلمة الكذّاب. نلاحظ أنّ الجاحظ في هذا الفصل أخذ يكرر أفكاره وألفاظه السّابقة ورسائله.

٢٥ـ الفصل التاسع والثّلاثون: هذا الفصل فيه عتاب لمحمّد بن عبد الملك، حيث قال: «رأيتك أبقاك الله قد كرهت قربي وهوّنت بعدي، واستثقلت روحي ونفسي واستطلت عمري وأيّام مقامي»، وتحدّث عن الحزن أنّه داءٌ قاتل، وداء الغيظ سفيهٌ طائش، وعباراته جاءت علىٰ شكل حكم، ثمّ ينتقل لتوجيه النّصح بتجنّب عداوة العقلاء وحفّاظ المثالب. وبعدها يتحدّث بأسلوب المدح المبطّن بالذّمّ مثل قوله: «أنت شاعر وأنا راوية، وأنت ركين وأنا عجول».

٢٦ـ الفصل الأربعون: ورد فيه صورة ساخرة لأحد أدعياء العلم الذين ينتحلون مذهب المتكلمين، ويصف فيه شخصًا بالضّخامة والفَدم وغلظ اللّسان، وأنّه لا يحكّم عقله بل يعتمد علىٰ ظنّه، ثمّ يتحدّث عن مضمون كتاب وقع بين يديه بعنوان «هذه مسائل من فقر الحكمة ومكنون علم الفلسفة»، وهي أسئلة شائكة يستعمل فيها المصطلحات الكلامية والفلسفية، وعمل الجاحظ علىٰ ردّ هذه الرسالة إلىٰ السّائل حتّىٰ يثبت جهله.

٢٧ـ الفصل الحادي والأربعون: وهي رسالة عتاب بين الجاحظ وأحد أصدقائه، بدأه بالدّعاء بالتّوفيق في طلب المنافع والفوائد والنّجاح، ودعاه إلىٰ طرح كلّ ما لا فائدة منه، ثمّ انتقل للمدح.

٢٨ـ الفصل الثاني الأربعون: دعاء للممدوح بالعلم الذي يُبقي أثرًا في الدّين والدّنيا، ويرشد الضّال، ويكون مثل باب الخير الذي يفتحه، ويدعو له أيضًا أنْ

يعصمه الله من التّلوّن والاستبداد والفضول، ثمّ يتحدّث عن علمه وسعة اطّلاعه، وأنّه ينطلق من الأصل إلىٰ القاعدة؛ دلالة علىٰ رجاحة عقله وصدقه، وفي نهاية الفصل حذّره من التّهافت إلىٰ الشّرّ، ويدعو له بالسّلامة من البلوىٰ.

٢٩ـ الفصل الثالث والأربعون: يتضرّع فيه إلىٰ الله بالاستعاذة من الشّيطان الرّجيم والهداية إلىٰ الصّراط المستقيم، ويعوذ بالله من إدخال الباطل في الحقّ وستر القبيحة بالتّأليف المونق.

٣٠ـ الفصل الرابع والأربعون: يتعوّذ بالله من فتنة العلم والإسهاب، ويورد حقيقة وهي ورود بعض الأمور الخاطئة في الكتب تكون من خطأ النّاسخ أو من سوء الحفظ، أو من سقطات الوهم ولكن لو نظرنا إليها بعقلٍ ورويّة نكشف هذا الخطأ بسهولة ويسر.

٣١ـ الفصل الخامس والأربعون: في هذا الفصل يورد مقابلة بين اثنين من كلّ مذهبٍ أو شعرٍ أو نحو، وغيره،ويقول في بداية الفصل إنّه ليس في تفضيل أحدهما علىٰ الآخر، وفي نهاية الفصل يؤكّد أنّ لكلّ من هؤلاء الرّجال أنصارًا وجندًا.

٣٢ـ الفصل السادس والأربعون: يعود إلىٰ أسلوب الدّعاء ثمّ ينتقل ليبدي إعجابه بالممدوح لشغفه بالعلم والإنصاف، ثمّ يبيّن أنّ ممدوحه كان له كالمعلم الرفيق والمعالج الشّفيق، وأنّ الممدوح كان يسدي إليه النّصائح مثل: «قلتَ: ابدأ بالأخفّ فالأخفّ، وبكلّ ما آنق في السّمع، وأحلىٰ في الصّدر».

٣٣ـ الفصل السابع والأربعون: بدأه بالدّعاء بالتّوفيق لطاعة الله، والعصمة من الشّبهة، ثمّ يحذّر من اعتزام الغضبان وتهوّر الأغمار، ويؤكّد أنّ جميع الخير يرجع إلىٰ سعة الصّدر، والإنعام لا بدّ له من الشّكر، والشّكر لا ينال إلاّ بالصّبر، والصّبر لا يتمّ إلاّ مع سعة الصّبر.

٣٤ـ الفصل الثامن والأربعون: يؤكّد فيه أنّ العلم طوع يدك، ومستملىٰ من بديهتك، ومحصّل من رؤيتك، لكن يحتاج إلىٰ عمق في النّظر، وتدبّر للأمر، وفي نهاية الفصل يقول إنّ الله لا يوفّق التّارك لدينه وربّه وما وصّىٰ به نبيّه.

٣٥ـ الفصل التاسع والأربعون: يتحدّث عن أراذل النّاس، وعن نصيحة الممدوح بقمع هؤلاء الحشوة منذ البداية، ويغفل الأشفاق، ويبتعد عن اللّئام والسّفلة، ويتكلّم الجاحظ عن تحوّل كل الأمور من صالح المعتزلة إلىٰ صالح أهل السّنة.

٣٦ـ الفصل الخمسون: جاء هذا الفصل في صورة حكم، مثل «إنّ العيب إذا وافق قلّة الاكتراث بطلت المزاجر وماتت الخواطر، ومتىٰ تفاقم الدّاء، تفاوت العلاج»، وفي نهاية الفصل قال: «إنّ للكِبر باب لا يُعدّ احتماله حِلمًا، ولا الصّبر علىٰ أهله حزمًا».

٣٧ـ الفصل الحادي والخمسون: موضوع هذا الفصل هو مدح قريش وعدّ صفاتها، تحدّث فيه عن كرم قريش، وسياستها وتدبيرها، وسماحة أخلاقها، وأنّهم وصلوا فعلهم بقولهم، وبيّن مكانة قريش وهاشم، حيث قال «إنّ العرب كالبدن وقريش روحها، وهاشم سرّها» وعمل موازنة بين قريش وهاشم مبرزًا صفات كلّ منهما.

٣٨ـ من الفصل الثاني الخمسين إلىٰ الفصل الحادي والسّبعين: تتميّز هذه الفصول بالقصر والإيجاز، موضوع هذه الفصول جميعها هو الدّعاء، وقد اعتمد الجاحظ هذا النّمط في استهلال رسائله، وفيها يدعو الجاحظ للممدوح بالعزّ والفخر، وسموّ الذّكر وعلوّ القدر، وأن يجنّبه الله الشّبهة ويعصمه من الحيرة، ويزيّن في عينه الأنصاف والتّقوىٰ والحقّ، وأيضًا يدعو له بالسّلامة والسّعادة والعلم والتّوفيق، وأن يكون من جهابذة المعاني وأشياخ العلوم، ويدعو الله أنْ يشرح صدره ويجنّبه البذاء، ويبعد عنه الفتن والبدع، وأن يعيذه الله من الغشّ والحسد والطّمع والبطر، ويعيذه أيضًا من

التّكلّف والسّلاطة والهذر والعيّ والحصر، ويتوكّل علىٰ الله ويوفّقه لما يحبه ويرضاه، ويعينه علىٰ جهاد الأعداء والرّدّ علىٰ السّفهاء.

٣٩ـ الفصل الثاني والسّبعون: يودع في هذا الفصل شكوىٰ مريرة من الزمان، ويسأل الله النّجاة من الـمهالك والعون والتوفيق، يشكو فيه إلىٰ الله أنّه قد عظمت البلوىٰ وكثرت الدّعوىٰ، وقلّ الأنصار، وذلك كلّه بسبب حسد الأعداء وابتعادهم عن التّسليم لأمر الله والرّضا بقضائه.

٤٠ـ الفصل الثالث والسّبعون: يتحدّث في هذا الفصل عن الـرّاح (الخمر) ومحاسنه ويصفه بأنّه «كريم الجوهر وشريف النّفس»، وتحدّث عمّا يُحدثه في شاربه، ويصفه حين يمشي في العظام أنّه يسدّ أبواب الهمّ، ويحجب طوارق الغمّ، ويورد آراءَ لبعض الفتيان في خصائص الأشربة ومدحها وذمّها، وانتهىٰ بوصف الماء.

٤١ـ الفصل الرابع والسّبعون: أكّد فيه أنّ الاختلاف سبب للإئتلاف، وأنّ الله خلق النّاس مختلفين في الطّول والقصر، والجمال والقبح، والغنىٰ والفقر، والذّكاء والغباء، ويذكر أنّ النّاس تختلف طبائعهم وأذواقهم، وأنّ الإنسان مسخّرٌ في أمر ومخيّرٌ في أمر آخر.

٤٢ـ الفصل الخامس والسّبعون: هو أطول الفصول، وجاء في أغلبه أمثالاً وحكمًا وأقوالاً قصيرة، ولا يتّسم بالتّرابط؛ لأنّ كلّ جملة أو فقرة جاءت لتتحدث في موضوع يختلف عمّا يليها. ولكن السّمة الغالبة علىٰ هذا الفصل الذي أسماه فصولاً قصار هي الأمثال.

*** منهج الأصفهاني في الاختيار:** يبدو أنّ حمزة بن الحسن الأصفهاني قد وقف علىٰ طائفة واسعة من كتب الجاحظ ورسائله، ويُلاحظ أنّ جامع هذه الفصول لم يذكر

الطّريقة أو المنهج الذي اعتمده في جمع فصول المخطوطة، فقد كان اختياره للفصول عشوائيًّا لا يخضع لقاعدة، فقد انتقىٰ من كتب الجاحظ ما يُرضي ذوقه، يأخذ من هذه الرّسالة فقرة، ومن تلك الرّسالة فقرتين، ويورد فصولاً جديدة لم ترد في رسائل الجاحظ المطبوعة، ولا يلتزم ترتيبًا معيّنًا في اختيار الفقر من فصول الرّسالة الواحدة.

ولم يعتنِ صاحب هذه الاختيارات بتسمية ما اختاره، واكتفىٰ بكلمة «فصل». وممّا يدلّ علىٰ هذه العشوائيّة في الاختيار التّفاوت في طول الفصول، فبعض الفصول تجاوز الثّلاثين صفحة في الـمخطوطة، وبعضها لم يتجاوز السّطرين؟ وكان يعتمد الأصفهاني علىٰ عزو الأشعار والأقوال إلىٰ قائليها في كثير من الأحيان.

عمل جامع هذه الفصول علىٰ تكرار بعض الفِقَر غير مرّة، وفي غير موضع في المخطوطة، مثل: «لَو كُنتُ قُلتُ كَذا وكَذا، لَـكانَ أربَح، ولَو لَم أكُن قُلت: كَذا وكَذا، لكانَ أسلَم»، وأيضًا قوله: «كَيفَ يَقَعُ الاستِثقالُ ممَّن هو أرَقُّ من النَّسيم، وأخَفُّ من الهَواء، وأدَقُّ مَسلَكًا من النّار». وثمّة فصل تكرّر في الأصل.

* **مصادره التي اعتمد عليها في المخطوطة:** بعد دراسة المخطوطة وجدتُ أنّ حمزة بن الحسن الأصفهاني اعتمد علىٰ كثير من رسائل الجاحظ وكان من الأفضل أنْ يسمّي الكتاب الفصول المختارة من رسائل الجاحظ، وليس الفصول المختارة من كتب الجاحظ، وفيما يلي رسائل الجاحظ والفصول التي انتقاها منها:

١ـ رسالة التّربيع والتّدوير ← ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ١١، ١٣، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٣٢.

٢ـ رسالة في استنجاز الوعد ← ٧، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩.

٣ـ رسالة في الرّثاء والتّأبين ← ١٢، ٢٣.

٤ـ رسالة في مدح النّبيذ ← ٢١[1]، ٧٣.

٥ـ رسالة في نفي التّشبيه ← ٢٢.

٦ـ رسالة في كتمان السّرّ وحفظ اللّسان ← ٣٠.

٧ـ رسالة في المعاش والمعاد ← ٣١.

٨ـ رسالة البرصان والعرجان ← ٣٦، ٤٢.

٩ـ رسالة في الجدّ والهزل ← ٣٩.

١٠ـ رسالة في خلق القرآن ← ٤٦.

١١ـ رسالة في الوكلاء ← ٤٧، ٤٨.

١٢ـ رسالة في النّبل والتّنبّل ← ٥٠.

١٣ـ رسالة المعلمين ← ٦١.

١٤ـ رسالة الأوطان والبلدان ← ٦١.

١٥ـ رسالة في حجج النّبوّة ← ٧٤.

وهذه الرّسائل وردت في كتب الجاحظ ورسائله المطبوعة مثل:

١ـ رسائل الجاحظ، جمع وتحقيق عبد السّلام هارون، ونشر مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة (١٩٦٤م) في مجلّدين بأربعة أجزاء، وقدّم له بمقدّمة وافية، مفصّلاً فيها النّسخ التي اعتمدها في التّحقيق.

٢ـ الفصول المختارة من كتب الجاحظ: اختيار عبيد الله بن حسّان، وتحقيق محمّد باسل العيون السّود، نشر دار الكتب العلميّة، ببيروت سنة (٢٠٠٠م).

---

(١) سوف تتكرّر بعض الفصول في أكثر من رسالة، وهذا لأن حمزة بن الحسن انتقى الفصل من رسالتين أو أكثر.

٣ـ مجموع رسائل الجاحظ: جمع وتحقيق محمّد طه الحاجري، ونشر دار النّهضة العربيّة، ببيروت سنة (١٩٨٢م) وقد بدأه بمقدّمة عن سبب اختياره لتحقيق رسائل الجاحظ، وكان يقدّم لكل رسالة بمقدّمة وافية لها يبيّن فيها النّسخ التي اعتمدها في التّحقيق وصفاتها، وكان يثبت صحّة نسبة الرّسالة للجاحظ.

٤ـ رسائل الجاحظ، جمع وتـحقيق حسن السّندوبيّ، ونشر المطبعة الرّحمانيّـة، بالقاهرة سنة (١٩٣٣م).

٥ـ رسالة التّربيع والتّدوير، تحقيق شارل بيلاّ، نشر المعهد الفرنسي، بدمشق سنة (١٩٥٥م).

٦ـ كتاب المعلّمين وكتاب الرّد علىٰ المشبّهة: تحقيق إبراهيم خليل جريس، نشر مكتبة السّروجي بعكّا، سنة (١٩٨٠م) وقد قدّم لكل رسالة بمقدمة خاصّة لها.

٧ـ فصول مختارة[1]، تحقيق محمّد الدّروبي، نشر دار البشير، بعمّان سنة (٢٠٠٢م).

* **مكان وجود المخطوطة:** المخطوطة نسخة يتيمة موجودة في المكتبة الآصفيّة حيدر آباد، تحت رقم (٣١٦٢)، وأوّلها «اعلم أنّي وإيّاك متىٰ تحاكمنا إلىٰ كرمك قُضي لي عليك...»، وآخرها «... الأمور المشكلات تجاربه ليست الصّناعة والخطابة، إنْ قصّر خُصِم، وإن أغرق أثم».

* **نوع الخطّ:** كتبت المخطوطة بخطّ نسخي.

* **عدد الصّفحات:** مئتان وستّ صفحات، في مئة وثلاث ورقات.

---

(١) اسم المخطوط الذي حقّقه د. محمّد الدّروبيّ هو «المختار من ألفاظ أبي عثمان الجاحظ» كما يظهر من الصّفحة الأولىٰ من المخطوط، وليس كما أسماه «فصول مختارة».

* **عدد الأسطر**: عدد الأسطر في صفحة سبعة عشر سطرًا.

* **عدد الكلمات**: يتراوح عدد الكلمات في صفحة بين ثماني كلمات واثنتي عشرة كلمة.

* **طول الصّفحة**: ٢٠ سم.

* **عرض الصّفحة**: ١٥ سم.

* **صفحة العنوان وصفحة النّهاية**: جاء في بداية صفحة الأولىٰ «كتاب الفصول المختارة من كتب أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ» اختيار الشّيخ حمزة بن الحسن الأصفهاني رضي الله عنه وأرضاه. وفي آخر الصّفحة «صار هذا الكتاب ملكًا للعبد الفقير إلىٰ الله الغنيّ به غفر الله له ولوالديه ولمن استغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين إنّه هو الغفور الرّحيم».

وفي صفحة النّهاية «تمّ الكتاب والحمد لله وحده وصلواته علىٰ سيّدنا محمّد نبيّه وآله وصحبه وسلامه».

* **زمن النسخ**: لم يرد أي في بداية المخطوطة أو في آخرها إشارة إلىٰ التّاريخ الّذي بدأ فيه حمزة بن الحسن الأصفهاني جمع هذا المخطوطة، ولا حتّىٰ التّاريخ الذي انتهىٰ فيه من جمعها، ولكن زمن نسخ هذه المخطوطة هو سنة (٦١٦هـ) أي في القرن السّابع الهجري، كما يظهر من صفحة العنوان.

* **النّاسخ**: لم ترد إشارة في المخطوطة إلىٰ اسم النّاسخ، أو ما يدلّ عليه.

* * *

وصف المخطوطة

١ـ أُسقطت نقطتا التّاء المربوطة في كلّ المواضع في المخطوطة، وقد أثبتهما دون الإشارة إلىٰ ذلك في الحاشية.

٢ـ وضع نقطتين لحرف الجر (علىٰ).

٣ـ إسقاط جميع الهمزات، وأبدلت همزات التّوسّط ياءً، وحذفت الهمزة المنفردة، وهذا ما يعرف في لغة العرب بالتّسهيل؛ ليسهل لفظها حيث تنقلب الهمزة إلىٰ ياء مثل: قائد = قايد، سأل = سال، الهواء = الهوا، ولم أشر إلىٰ ذلك في الحاشية.

٤ـ حذف الألف من وسط الكلمة، كما في (معاوية) و(سليمان)، إذ كُتبت (معويه) و(سليمن)، ولم أذكر ذلك في الحاشية.

٥ـ أكثر النّاسخ من إبدال السّين بالشّين، والغين بالعين، والتّاء بالثّاء.

٦ـ بعض الكلمات كان الخط فيها غير واضح.

رموز المخطوطة:

المخطوطة التي اعتمدت في التّحقيق نسخة يتيمة.

رمز نسخة المخطوط:

الأصل.

رمز النّسخ المطبوعة:

١ـ الحيوان؛ الجاحظ ← الحيوان.

٢ـ البرصان والعرجان والحولان والعميان؛ الجاحظ ← البرصان والعرجان.

٣ـ الفصول المختارة من أدب الجاحظ؛ جمع وتحقيق عبيد الله بن حسان ← عبيد الله.

٤ـ رسائل الجاحظ؛ جمع وتحقيق عبد السلام هارون ← هارون.

٥ـ رسائل الجاحظ؛ جمع وتحقيق حسن السّندوبي ← السّندوبي.

٦ـ مجموع رسائل الجاحظ؛ محمّد طه الحاجري ← الحاجري.

٧ـ رسالة التّربيع والتّدوير؛ تحقيق شارل بيلا ← بيلا.

٨ ـ الكامل في اللّغة والأدب وبهامشه الفصول المختارة من كتب الجاحظ؛ المبرد ← المبرد.

٩ـ ثمار القلوب؛ الثعالبي ← الثعالبي.

١٠ـ زهر الآداب؛ الحصري ← الحصري.

١١ـ فصول مختارة؛ تحقيق محمّد الدروبي ← الدروبي.

١٢ـ الرسائل الكلامية؛ علي أبو ملحم ← أبو ملحم.

١٣ـ آثار الجاحظ؛ عمر أبي النّصر ← أبو النّصر.

١٤ـ مجلّة المورد؛ العدد الخاص بالجاحظ ← المورد.

منهج التّحقيق

سار تحقيق هذه الفصول علىٰ هدي خطواتٍ علميّة، هدفها تقديم النصوص تقديمًا منهجيًّا بقدر ما تأذن به الرّوح العلميّة في التعامل مع النّص التراثي، وإليك أهمّ هذه الخطوات:

١ـ تحقيق النّصوص عن أصل وحيد هو «فصول مختارة من كتب أبي عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ» ولم أجد نسخة أخرىٰ للمقابلة عليها.

٢ـ مقابلة ما في المخطوطة من فصول بكتب الجاحظ ورسائله، ومقابلة ما فيها من أقوال علىٰ كتب اللّغة والأدب والمعجمات.

٣ـ ضبط النّص:

ضبط النّص بالشّكل ضبطًا سليمًا صحيحًا خاليًا من الأخطاء النّحويّة والإملائيّة.

ضبط الحديث النّبوي والشّواهد الشّعريّة، ممّا يزيل اللّبس فيها.

٥ـ تخريج الآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة.

٦ـ تخريج الشّعر من الدّواوين وكتب اللّغة والأدب والمصادر اللّغويّة والأدبيّة والتّاريخيّة المختلفة.

إذا كان الشّاهد شطر بيت، يُشار إلىٰ الشّطر الآخر بنقط، ويُكتب في الحاشية:

وتمامه كذا...

يُعدُّ شطر الرّجز بيتًا مستقلاً، ويُكتب وسط الصّفحة في سطر مفرد.

إذا لم يذكر اسم الشّاعر، يكتفىٰ بكلمة «قال الشّاعر».

٦ـ يُعنىٰ بتخريج الأمثال الواردة في المخطوطة من كتب الأمثال.

٧ـ التّرجمة للأعلام الذين ورد ذكرهم في المخطوط، ومع ذلك بقي عدد قليل منهم لم تجد الباحثة تراجم لهم، فيما بين يديها من كتب الرّجال.

٨ـ تعريف المواضع والبلدان.

٩ـ استعمال الأقواس:

توضع الآيات القرآنيّة بين قوسين مشجّرين ﴿ ﴾.

تُكتب الأحاديث النّبويّة الشّريفة وأقوال العلماء الواردة في المخطوطة بين إشارتي تنصيص « ».

تُكتب الزّيادات التي يقتضيها السّياق من سائر الكتب المطبوعة بين قوسين معقّفين [].

١٠ـ الشّروح اللّغويّة:

شرح المصطلحات اللّغويّة والمذهبيّة وتوثيقها في الحاشية، حسب ما يقتضيه السّياق.

شرح بعض المفردات الصّعبة شرحًا مختصرًا.

١١ـ إثبات ما هو صحيح في المتن والإشارة إلىٰ الخطأ أو الطّمس أو البياض في الحاشية، ولا سيّما الأخطاء الإملائيّة والنّحويّة.

١٢ـ وضع علامات التّرقيم المناسبة.

١٣ـ وضع فهارس شاملة: إتمامًا للفائدة، وتسهيلاً علىٰ قارئ هذه الدّراسة، فقد ألحقت بجملة فهارس:

فهرس الآيات القرآنيّة.

فهرس الأحاديث النّبويّة الشّريفة.

فهرس القوافي.

فهرس أنصاف الأبيات.

فهرس الرّجز.

فهرس الأمثال.

فهرس الأعلام.

مصادر التّحقيق ومراجعه.

لعلّ أمثل ما نقوله في ختام هذا التّصدير؛ تسويغ عدم تردّدنا عن إحياء قديم التّراث الذي يظلّ قادرًا علىٰ مواكبة الحداثة، بما فيه من الإبداع والأصالة، علىٰ ما في هذه الدّراسة من صعاب كلمة العماد الأصفهاني إذ يقول: «رأيت أنّه لا يكتب إنسان كتابًا في يومه إلا قال في غده: لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل علىٰ استيلاء النّقص علىٰ جملة البشر».

إنّ الكمال لله وحده، وحسب المرء أنْ يكون صادقًا فيما يعمل، وفي هذا كلّ الرّضىٰ والعزاء، لأنّ العطاء الحقيقي مشفوعًا بالطّموح إلىٰ الأفضل، أجدىٰ من النّكوص مع التّزمّت، وهذا هو معيار الارتقاء الحقيقي. ولله الحمد.


كتاب الفصول المختارة
من كتب أبي عثمن عمرو بن بحر الجاحظ
رضي الله عنه وأرضاه
صار هذا الكتاب ملكا للعبد الفقير
إلى الله الغني به
له ولوالديه ولمن استغفر له
وبجميع المسلمين انه هو الغفور الرحيم

صورة غلاف الأصل الخطي المعتمد



عليهم الاثامل من الغيظ انما يعرف الكلام في الاديان من قد
صلي به وتجشمه وسلك في مضايقه وكادح الاضداد
ونازع الاكفاء ولم يكن في طباع الجد والشهامة ومن اكرم
عنصر واطيب مغرس ولكن لم يكن تمت اداته ولم تستجمع له
قواه ه لان العقل وان اشتد مغرزه وثبتت اواخيه
فانه لا يبلغ بنفسه درك الغاية دون كثرة السماع والتجربة
من انا الامور المشكلة التي تحاربه ست الصناعة الخطابة
ان قصر خصيم وان اغرق اثم ه تم الكتاب
والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلامه

صورة الصفحة الأولى من الأصل الخطي

يستنفدوا النفقات فيجمعوا وليدبروا فيذهبوا فان اسلموا
عن ذمه فقد اعفوه وان ذموه فقد منعوا الناس منه فخرج
يوما فقاموا اليه فما شتموه وا ذكروا الحرمة وقرظوه فحبتهم
مرة وحاجهم مرة الا ان ذلك بقلب جامع ولسان عضب
فلما راوا ذلك انصرفوا عنه بعد التعريفة والتسلية ه

فصل

وكيف الام على بغضه وعلى ان عاميه ومثنيه وانا لو احببته
لاستوحشت من الوحدة وتجنبت في الاسلام بدعة
وكيف احبه واتولاه وقد قال الله عز وجل ومن يتولهم منكم
فانه منهم ه فاعلم ان من احب في الله ابغض فيه ومن احب
الكرم احب الكرام ومن ابغض اللوم ابغض اللئام ومن احب
ابغض من لا يحبه الله وبعد هذا كله فكيف احبه واقصر
في بغضه واقرعنه وهو يزعم ان اسم الكرم كلمة وضعها
المتاكلون من العرب ولقنها عنهم المولدون وانه لا
يعرف للذمام معنى ولا للحرمة حقيقة وان هذه الاسما
موضوعة والاوصاف الممنوعة انما هي خدعة وحيل
وخلابة ومكر ومخاريق وباطل وان المجد وذم عترة

صورة الصفحة قبل الأخيرة من الأصل الخطي

المديح واستماله حب للذكر وهش للنطق به وفرح بالتقريظ
وزعم أن الثنا عرض والمال جوهر والمال جسم باق والثنا
عرض فان ۝ وقال ألا ترى أن ذا المال يعظم وإن كان غير
ذي جود وللجواد لا يعظم وإن كان غير ذي مال ۝
وزعم أن الثنا أشبه شيء بالسراب المايع وحلم النايم وبالأمس
الذاهب وبأضاليل المنى وزعم أن مدار الأمر في الإخبار عن
النافع والضار وأن الصدق لا يحسن إلا لأنه ينفع والكذب
لا يقبح إلا لأنه يضر فإذا نفع الكذب فقد تحول حكمه
وإذا ضر الصدق فقد تبدل اسمه وليس بين نفس الصدق
والعقول ولاية ولا بينها وبين الكذب عداوة ولكن لما كان
اتفاق النفع في الصدق أكثر صار عند العوام أحمد ولما
كان ما يتفق من المضرة في الكذب أكثر صار عند العوام
أذم فما له لعنه الله ثم ما له لعنه الله كيف نصب للكرم
ونهى عنه وكيف تكفل باللوم ودعا إليه وكيف اعترض على
جميع الثقلين وبلغ كيده جميع المؤمنين ۝

فصل

لا نعلم أحدا بعد الأنبياء صلوات الله عليهم أفضل من الخلفاء

صورة الصفحة الأخيرة من الأصل الخطي

الفصول المختارة

من كتب أبي عثمان

عمرو بن بحر الجاحظ

لحمزة بن الحسن الأصفهاني

ويتضمن نصوصًا للجاحظ تُنشر لأول مرة

دراسة وتحقيق
ديانا موسى رُحيِّل

الفُصُولُ المُخْتَارَة

مِن كُتُبِ أَبِي عُثْمَان

عَمْرو بن بَحْر الجَاحِظ

[١] فصل[1]

اعلم[2] أنّي وإيّاك متىٰ تحاكَمنا إلىٰ كَرَمِك؛ قَضَىٰ لي ربِّي بشَيءٍ مِن رحمَتِه عليك[3]، ومتىٰ ارتَفَعنا إلىٰ عقلك[4]؛ حَسُنَ العَفوُ عَنّي عندَك، وفَصلُ ما بينَنا وبينَك، وفَرقُ ما بينَ أقدارنا وقَدرِك، أنَا نُسيءُ وتَعفو[5]، ونُذنبُ وتَستُر، ونَتَعوَّجُ[6] وتُقَوِّم،

(١) ورد هـذا الفصـل في عبيد الله: ٣/ ٥٦ بعنـوان: رسالـة التـربيع والتـدوير، والسّندوبـيّ: ص٢١٢-٢١٣ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، وهارون: ٣/ ٧٦ –٧٨ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، وبيلا: ص٥٠ – ٥١، والمبرّد: ص٦٢ – ٦٤ بعنوان: التربيع والتدوير.

(٢) في السّندوبيّ ص٢١٢، وهارون ٣/ ٧٦، وبيلا ص٥٠، والمبرّد ص٦٢: واعلم.

(٣) في عبيد الله ٣/ ٥٦، والسّندوبيّ ص٢١٢، وهارون ٣/ ٧٦، وبيلا ص٥٠، والمبرّد ص٦٢: قضىٰ لي عليك.

(٤) في عبيد الله ٣/ ٥٦، وهارون ٣/ ٧٦، والمبرّد ص٦٢: عدلك.

(٥) في عبيد الله ٣/ ٥٦، وهارون ٣/ ٧٧، وبيلا ص٥٠: تغفر.

(٦) في هارون ٣/ ٧٧، وبيلا ص٥٠، والمبرّد ص٦٢: نعوج.

ونَجهَلُ ونَحلُم[١]، وإنَّ[٢] عليكَ الإنعامَ أبدًا[٣]، وعَلينا الشُّكر، ومِن صِفاتِكَ أنْ تَفعَل، ومِن صِفاتِنا أنْ نَصِف.

وإذا[٤] فعَلتَ ما تَقدرُ عَليه من العِقاب؛ كُنتَ كَمَن فَعَـلَ ما يَقدرُ علَيه من التَّعَرُّض، وصِرتَ تَرغَبُ عن الشُّكر، كما رَغِبنا[٥] عن التَّسليم[٦]، وصار التَّعرُّض لعَفوِكَ بالأمنِ باطِلاً، والتَّعرُّض لعِقابِك بالخوفِ حَقًّا[٧]، ورَغِبتَ عن النُّبلِ[٨] والسَّناء[٩]، وعن السُّؤدُدِ[١٠] والبهاءِ[١١] [وصرت كَمَن يَشفي غَيظًا، أو يُداوي حِقدًا، أو يُظهِرُ[١٢] القُدرة، أو يُحبُّ أنْ يُذكَرَ بالصَّولَة[١٣].

---

(١) في عبيد الله ٣/ ٥٦، وهارون ٣/ ٧٧، وبيلا ص٥٠، والمبرّد ص٦٢: تعلم.

(٢) في السّندوبيّ ص٢١٢: أنّ.

(٣) ساقطة من السّندوبيّ وعبيد الله والمبرّد.

(٤) في بيلا ص٥٠: فإذا.

(٥) في الأصل (وغشنا)، وهو تصحيف.

(٦) في عبيد الله ٣/ ٥٦، والسّندوبيّ ص٢١٢، وهارون ٣/ ٧٧، والمبرّد ص٦٢: السّلم.

(٧) في بيلا ص٥٠: والتعرض لعقابك بالخوف حقاً.

(٨) النبل: الذكاء والنجابة والفضل. (ابن منظور، لسان العرب: نبل).

(٩) في عبيد الله ٣/ ٥٦، والسّندوبيّ ص٢١٢، وهارون ٣/ ٧٧، وبيلا ص٥٠، والمبرّد ص٦٢: البهاء.

السناء: المجد والشّرف والرّفعة.(اللّسان: سنا).

(١٠) السّؤدد: الشّرف. (اللّسان: سود).

(١١) في عبيد الله ٣/ ٥٦، والسّندوبيّ ص٢١٢، وهارون ٣/ ٧٧، وبيلا ص٥٠: السناء.

البهاء: المنظر الحسن الرائع المالي للعين، الحسن. (اللّسان: بها).

(١٢) في المبرّد ص٦٢: ويظهر.

(١٣) الصّولة: الوثبة. (اللّسان: صول).

ولم نَجِدهُم[١] أبقاكَ الله يَحمَدونَ القُدرةَ إلا عند استِعمالِها في الحَيذر، ولا[٢] يَذُمّونَ العَجزَ إلا لما يَفوتُ به من إتيانِ الجَميل][٣].

وأنّىٰ لكَ بالعِقابِ وأنتَ خَيرٌ كُلُّك، ومِن أين يَعتَريكَ[٤] المَنعُ وأنتَ إنسانٌ نَهَجتَ[٥] الجودَ لأهلِه[٦]، وهل عِندك[٧] إلا ما في طَبعِك؟ وكَيفَ لك بخِلافِ عادَتِك، ولم[٨] تَستكرِه نَفسَكَ علىٰ المُكافأةِ وطِباعُكَ[٩] الصَّفح، ولَم تُكرِهها[١٠] بالمُناقشَة[١١]، ومَذهَبُها المُسامحَة[١٢]؟

---

(١) في بيلا ص٥٠: تجدهم.

(٢) ساقطة من عبيد الله والمبرّد.

(٣) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص٣/ ٥٧، والسّندوبيّ ص٢١٢، وهارون ٣/ ٧٧، وبيلا ص٥٠، والمبرّد ص٦٣.

(٤) في عبيد الله ٣/ ٥٧، وهارون ٣/ ٧٧، وبيلا ص٥٠، والمبرّد ص٦٣: اعتراك.
يعتريك: يغشاك طالباً معروفه. (اللّسان: عرا).

(٥) في هارون ٣/ ٧٧: أنهجت.
والمبرّد ص٦٣: وأنت أنهجت.

(٦) في السّندوبيّ ص٢١٣: وأنت أبهجت.
وعبيد الله ٣/ ٥٧: وأنت أنهجت الجود لأهله.

(٧) في المبرّد ص٦٣: عنك.

(٨) في المبرّد ص٦٣: فلم.

(٩) في عبيد الله ٣/ ٥٧، وهارون٣/ ٧٧، والمبرّد ص٦٣: وطباعها.

(١٠) في عبيد الله ٣/ ٥٧، والسّندوبيّ ص٢١٣، والمبرّد ص٦٣: تكدّها.

(١١) في السّندوبيّ ص٢١٣، وبيلا ص٥١، والمبرّد ص٦٣: بالمنافسة.

(١٢) في المبرّد ص٦٣: السماحة.

فَسُبحانَ مَن جَعلَ أخلاقَكَ وَفقَ أعراقِك، وفِعلَكَ وَفقَ قولِك[١]. ومَن جَعَلَ ظَنَّكَ أقوىٰ[٢] مِن يَقينِنا، وفِراسَتكَ[٣] أثبَتَ[٤] مِن عيانِنا[٥]، وعَفوَكَ أرجَحَ مِن جُهدِنا[٦]، وبَديهتَكَ[٧] أجوَدَ مِن فِكرِنا[٨]، وفِعلَكَ أرفَعَ مِن وَصفِنا، وغَيبَكَ[٩] أهيَبَ مِن حُضورِ السّادَةِ[١٠]، وعَتَبَكَ[١١] أشدَّ مِن عِقابِ[١٢] الظَّلَمة.

وسُبحانَ مَن جَعلَكَ تَعفو عن الـمُتَعَمِّد، وتتجافىٰ عن [عِقاب][١٣] الـمُصِرّ،

---

(١) في عبيد الله ٣/ ٥٧، والسّندوبيّ ص٢١٣، وهارون ٣/ ٧٨، والمبرّد ص٦٣: وقولك وفق عملك.

(٢) في السّندوبيّ ص٢١٣، وهارون ٣/ ٧٨: أكثر.

(٣) الفراسة: النّظر والتّثبت والتّأمل للشيء. (اللّسان: فرس).

(٤) في عبيد الله ٣/ ٥٧، وهارون ٣/ ٧٨: أثقب.
والمبرّد ص٦٣: أقوىٰ.

(٥) العيان: النظر، ورآه عيانًا أي لم يشك في رؤيته إيّاه. (اللّسان: عين).

(٦) في الأصل (جهنا)، وهو تصحيف.
في عبيد الله ٣/ ٥٧: وبداهتك.

(٧) السّندوبيّ ص٢١٣، وهارون ٣/ ٧٨، وبيلا ص٥١، والمبرّد ص٦٣: وبداهتك.
والبديهة: أول كل شيء وما يفاجأ به، وأيضاً إصابة الرّأي في أول ما يفاجأ به. (اللّسان: بده).

(٨) في عبيد الله ٣/ ٥٧، والسّندوبيّ ص٢١٣، وهارون ٣/ ٧٨، وبيلا ص٥١، والمبرّد ص٦٣: تفكّرنا.

(٩) في عبيد الله ٣/ ٥٧، والسّندوبيّ ص٢١٣، وهارون ٣/ ٧٨، وبيلا ص٥١، والمبرّد ص٦٣: غيبتك.

(١٠) في المبرّد ص٦٣: الشاكة، ولا وجه لها.

(١١) في المبرّد ص٦٣: وعينك.

(١٢) في عبيد الله ٣/ ٥٧: عقابك.

(١٣) ما بين المعقوفين من السّندوبيّ ص٢١٣، وعبيد الله ص٣/ ٥٧، وبيلا ص٥١، وهارون ٣/ ٧٨.
وفي المبرّد ص٦٣: عذاب.

وتغافلُ[١] عن المُبادي[٢]، وتَصفَحُ عن المُتهاون، حتّىٰ إذا صِرتَ إلىٰ مَن ذَنبُه نسيان[٣]، وتَوبَتُه إخلاص، وهَفوَتُه[٤] سَهو[٥]، وشَفيعُه[٦] حُرمَة[٧]، ومَن لا يَعرِفُ الشُّكرَ إلا لك، [ولا][٨] الإنعامَ إلا مِنك، ولا العِلمَ إلا مِن تأديبك، [ولا][٩] الأخلاقَ المَحمودةَ[١٠] إلا مِن تقويمك، ومَن[١١] لم[١٢] يُقصِّر في بعضِ طاعَتك[١٣]، إلا لما رأىٰ مِن احتمالِك،

---

(١) في الأصل (تناقل)، وهو تصحيف.

(٢) في عبيد الله ٣/ ٥٧، وهارون ٣/ ٧٨: المناوي.

والمبرّد ص٦٤: المنادي.

والمبادي: الذي فعل الشيء أوّلا. (اللّسان: بدأ).

(٣) في المبرّد ص٦٤: شيات.

(٤) الهفوة: السّقطة والزّلة. (اللّسان: هفا).

(٥) في السّندوبيّ ص٢١٣: وسهوته بكر.

وفي عبيد الله ٣/ ٥٧، وهارون ٣/ ٧٨، وبيلا ص٥١، والمبرّد ص٦٤: هفوته بكر.

والسّهو: نسيان الشيء والغفلة عنه. (اللّسان: سهو).

(٦) وفي عبيد الله ٣/ ٥٧، وهارون ٣/ ٧٨: شفاعته الحرمة.

والمبرّد ص٦٤: وشفعته.

(٧) في السّندوبيّ ص٢١٣: الحرمة.

(٨) ما بين المعقوفين من السّندوبيّ ص٢١٣، وهارون ٣/ ٧٨، والمبرّد: ص٦٤، ساقطة من بيلا.

(٩) ما بين المعقوفين من السّندوبيّ ص٢١٣، وهارون ٣/ ٧٨، والمبرّد: ص٦٤، وساقطة من بيلا.

(١٠) ساقطة من عبيد الله والسّندوبيّ وهارون والمبرّد.

(١١) ساقطة من عبيد الله والمبرّد.

(١٢) في عبيد الله ٣/ ٥٧، والمبرّد ص٦٤: لا.

(١٣) في الأصل (طباعك) وهو تصحيف.

وما أثبت من عبيد الله ٣/ ٥٧، والسّندوبيّ ص٢١٣.

ولا نسي بعضَ ما يَجُبُلَك، إلا لما داخَله[١] مِن تَعظيمِك، صِرتَ تتوعَّدُه[٢] بالصَّرم[٣]، وهو دَليلٌ علىٰ[٤] كُلِّ بليَّة[٥]، وتستعمِلُ معَه[٦] الإعراض، وهو قائدُ كُلِّ هلَكَة[٧]، ومَن تَركَ كُلَّ التَّفضُّل؛ أحسَنُ حالاً مِمَّن تَرَكَ بَعضَ الواجِب، وكَثيرُ الحَمدِ لا يَقومُ بقَليلِ الذَّمّ.

[٢] فصل[٨]

وقَد عَلِمتَ أنْ عِتابَكَ أشَدُّ من الصَّريمة[٩]، و[١٠] تأنيبَكَ أغلَظُ من العُقوبة، وأنَّ مَنعَكَ إذا مَنَعتَ في وَزنِ إعطائكَ إذا أعطَيت، وأنَّ عِقابَكَ علىٰ حَسَبِ ثَوابِك، وأنَّ جَزَعي مِن حِرمانِكَ في وَزنِ سُروري بفَوائدِك.

---

(١) في الأصل (دخله)، وهو تصحيف.

(٢) في السّندوبيّ ص٢١٣، والمبرّد ص٦٤: تتوعد.

(٣) في المبرّد ص٦٤: بالصدّ.

الصّرم: القطع البائن. (اللّسان: صرم).

(٤) ساقطة من السّندوبيّ وهارون.

(٥) البليّة: الامتحان والاختبار، ويكون في الخير والشّر. (اللّسان: بلا).

(٦) ساقطة من السّندوبيّ وعبيد الله وهارون والمبرّد.

(٧) انتهىٰ ما جاء عبيد الله والسّندوبيّ وهارون وبيلا والمبرّد والباقي غير موجود.

(٨) ورد هذا الفصل في عبيد الله: ٣/ ٥٨ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، والسّندوبيّ: ص٢١٣ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، وهارون: ٣/ ٧٨ – ٧٩ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، وبيلا: ص٥٢، والمبرّد: ص٦٤ – ٦٥ بعنوان: من كتاب التربيع والتدوير.

(٩) الصّريمة: العزيمة علىٰ الشّيء وقطع الأمر. (اللّسان: صرم).

(١٠) في عبيد الله ٣/ ٥٨، والسّندوبيّ ص٢١٣، وهارون ٣/ ٧٨، والمبرّد ص٦٤: وأنّ.

وأنَّ شَينَ[١] غَضَبِكَ كزَينِ[٢] رِضاك، وأنَّ مَوتَ ذِكري بانقِطاعِ سَببي[٣] منك، كحَياةِ ذِكري باتِّصال[٤] سببي[٥] بك.

ومالـيَ [اليوم][٦] عَمَـلٌ أنا إليه[٧] أسكَن، ولا شَفيعٌ أنا به أوثَـقُ مِن شِدَّةِ جَزَعي مِن عَتبِك، وإفراطِ[٨] هَلَعي مِن خَوفِـك. ولَستُ مِـمَّن إذا جادَ بالصَّفح، ومَنَّ[٩] بالعَفو، لَم يَـكُن لِصاحِبِه مِنه إلا السَّلامَة، وإلا[١٠] النَّجاةَ مِن الهَلَكَة. بَل يُشفِعُ[١١] ذلِكَ بالـمَراتِبِ الرَّفيعَة، وبالعَطايا[١٢] الجَزيلَة، وبالعِزِّ[١٣] في العَشيرَة،

---

(١) الشين: العيب. (اللّسان: شين).

(٢) في المبرّد ص٦٤: كذم.

(٣) في الأصل (سبي)، وهو تصحيف.

وسببي: كلّ شيء يتوصّل به إلىٰ غيره، أو يتوسّل به إلىٰ غيره، وأيضًا المودّة والتّواصل في الدنيا. (اللّسان: سبب).

(٤) في عبيد الله ٣/ ٥٨، والسّندوبيّ ص٢١٣: مع اتصال.

(٥) في الأصل (سبي)، وهو تصحيف.

(٦) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص٣/ ٥٨، والسّندوبيّ ص٢١٣، وهارون ٣/ ٧٩، وبيلا ص٥٢، والمبرّد ص٦٥.

(٧) في الأصل (ليه)، وهو تصحيف.

(٨) في الأصل (فراط)، وهو تصحيف.

(٩) في الأصل (من).

(١٠) ساقطة من عبيد الله وهارون والمبرّد.

(١١) في عبيد الله ٣/ ٥٨، وهارون ٣/ ٧٩، وبيلا ص٥٢، والمبرّد ص٦٥: تشفع.

(١٢) في عبيد الله ٣/ ٥٨، والسّندوبيّ ص٢١٣، وهارون٣/ ٧٩، والمبرّد ص٦٥: والعطايا. وفي بيلا ص٥٢: القضايا.

(١٣) في عبيد الله ٣/ ٥٨، والسّندوبيّ ص٢١٣، وهارون ٣/ ٧٩، والمبرّد ص٦٥: والعز.

والهَيبَةِ في الخاصَّةِ والعامَّة، مع طيبِ الذِّكر، وشَرَفِ التَّعقُّب[١]، ومحبَّةِ النّاس.

[٣] فصل[٢]

وليسَ معَ العيانِ[٣] وحشَة[٤]، ولا مع الضَّرورَةِ[٥] وجمَة[٦]، ولا دونَ اليَقينِ وَقفَة.

وهل في تَـمامِكَ رَيبٌ[٧] حتّىٰ تُـعالجَ[٨] بالـحُجَّة؟ وهل رَدَّ[٩] فَضلَـكَ جاحِدٌ[١٠] حتّىٰ يَـثبُتَ بالبَـيِّنة[١١]؟ وهل لكَ خَصمٌ في العِلم، ونِـدٌّ[١٢] في الفَهم، أو

---

(١) في عبيد الله ٣/ ٥٨، والسّندوبيّ ص٢١٣، وهارون ٣/ ٧٩، وبيلا ص٥٢، والمبرّد ص٦٥: العقب.

(٢) وردت أجزاء من هذا الفصل في عبيد الله: ٣/ ٥٩ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، والسّندوبيّ: ص٢١٣ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، وهارون: ٣/ ٨٠ – ٨١ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، وبيلا: ص٥٤، والمبرّد: ص٦٧ –٦٨ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير.

(٣) العيان: الجماعة من النّاس. (اللّسان: عين).

(٤) وحشة: الخلوة والهم. (اللّسان: وحش).

(٥) الضّرورة: صاحب الحاجة. (اللّسان: ضرر).

(٦) الوجمة: الإمساكة والوقفة مع الاستكراه. (اللّسان: وجم).

(٧) في المبرّد ص٦٧: وهل فيك ريب.

(٨) في عبيد الله ٣/ ٥٩، وهارون ٣/ ٨١: يعالج.

(٩) في عبيد الله ٣/ ٥٩، وهارون٣/ ٨١، والمبرّد ص٦٧: يرد.

(١٠) في المبرّد ص٦٧: حاد.

(١١) في الأصل (تثبت البينة).

والمبرّد ص٦٧: بالصيغة.

وما أثبت من عبيد الله ٣/ ٥٩، والسّندوبيّ ص٢١٣.

(١٢) في عبيد الله ٣/ ٥٩، والسّندوبيّ ص٢١٣، هارون٣/ ٨١، وبيلا ص٥٤: أو ندٌّ.

والمبرّد ص٦٧: ويد.

مُجارٍ[١] في الحِم[٢]، وضِدٌّ[٣] في العَزم؟

وهل يَبلُغُكَ[٤] الحَسَد، أو يَضُرُّكَ[٥] العَين[٦]؟ وهل[٧] تَسمو[٨] إليكَ المُنىٰ، ويَطمَعُ[٩] فيكَ طامِع، أو يَتعاطىٰ شاؤُكَ باغٍ[١٠]؟

وهل يَطمَعُ فاضِلٌ أنْ يَفوقَك، أو يأنَفُ شَريفٌ أنْ يَقصُرَ دونَك، أو يَخشَعُ عالِمٌ أنْ يأخُذَ عَنك[١١]؟ وهل غايَةُ الجَميلِ إلا وَصفُك؟ وهل زَينُ البَليغِ إلا مَدحُك[١٢]؟ وهل الذي واكدَ الصَّوابَ[١٣] وإلحاجَ الخَطأ؛ مِثلُ الذّي صادَفَ مِنه كُلُّ ذلكَ يَرجِعُ

---

(١) في الأصل (محار)، وهو تصحيف.
والمبرّد ص٦٧: ومجاز.
وما أثبت من عبيد الله ٣/ ٥٩، والسّندوبيّ ص٢١٣، وهارون ٣/ ٨١.

(٢) في السّندوبيّ ص٢١٣: الحكم.

(٣) في عبيد الله ٣/ ٥٩، والسّندوبيّ ص٢١٣، هارون ٣/ ٨١، وبيلا ص٥٤، والمبرّد ص٦٧: أو ضدٌّ.

(٤) في الأصل (يبغلك)، وهو تصحيف.
وفي بيلا ص٥٤: يتبلّغك.

(٥) في عبيد الله ٣/ ٥٩، هارون٣/ ٨١، وبيلا ص٥٤، والمبرّد ص٦٧: تضرك.

(٦) في الأصل (العين)، وما أثبت من عبيد الله ٣/ ٥٩، والسّندوبيّ ص٢١٣.

(٧) في عبيد الله ٣/ ٥٩، والسّندوبيّ ص٢١٣، وهارون ٣/ ٨١، والمبرّد ص٦٧: أو.

(٨) في الأصل (يسمو)، وهو خَطأ لأن المنىٰ مؤنث، وما أثبت من عبيد الله ٣/ ٥٩.

(٩) في عبيد الله ٣/ ٥٩، والسّندوبيّ ص٢١٣، وهارون٣/ ٨١، والمبرّد ص٦٧: أو يطمع.

(١٠) انتهاء ما ورد في عبيد الله والسّندوبيّ وهارون وبيلا والباقي لم يرد.

(١١) من قوله «وهل يطمع فاضل...» إلىٰ قوله «... أنْ يأخذ عنك» ساقطة من المبرّد.

(١٢) من قوله «وهل الذي واكد الصواب...» إلىٰ نهاية الفصل ساقطة من المبرّد.

(١٣) واكد الصّواب: قصده وأصابه. (اللّسان: وكد).

منصورًا مُظفَّرًا، ثُمَّ لم يَتعقَّب[١] له في جَميعِ ذلكَ رأيٌ إلا ازدادَ علىٰ التَّكشيفِ حُسنًا، وعلىٰ الأيّامِ جِدَّةً وظُهورًا.

فلمّا كانَ الزَّمانُ الّذي وافَقَ سُلطانُه مَخصوصًامن الفَسادِ بغايَته، ومِن خَطأ الرّأيِ بأشيَعه، وكانَ الله بمَنِّه وفَضلِه يُريدُ الاستِفادَةَ لهم علىٰ يَدَيه، وكَشفَ حَيرَتِهم بإرشاده، وتَعَمُّدَ جَرِّهم بِصَفحه، قَدر لطَبائعِهم المخصوصُ بغايَةِ الاستِصلاحِ لهم، كانوا مَخصوصين بغايَةِ الاستِنفادِ بأنفُسِهم فوَهَبَ لهم المُفَصَّلَ بالكَمالِ في الحِلم، والسَّعَةَ في العِلمِ المَعروفِ بإيضاحِ المُشكِلِ وتَسهيلِ المُتوعِّر، قَصَدَ إلىٰ الدّاءِ وقد أعضَل[٢] بأهلِه، وصَبرَ علىٰ مُعالَجَةِ العَسير، بفَضلِ عَزمِه، فكُلَّما ازدادوا علىٰ العِلاجِ نَبوَةً[٣]، ازدادَ عندَ نَبوَتِهم رأفَةً.

فمِن ذلك أنَّهُ بَلَغَ مِن تأتّيه ورفقه وعِلمه، وحُسنِ تَخَلُّصِه، أنْ ألَّفَ[٤] بَينَ الثَّلجِ والنّار، وجَمَعَ بَينَ الضَّبِّ[٥] والنّون[٦]؛ لأنَّ الذي ألَّفَ بَينَ المُعتَزِليّ والنّابِتيّ[٧]، وجَمَعَ

---

(١) في الأصل (ينعقب)، وهو تصحيف.

(٢) أعضل: ضاقت الحيل فيه. (اللّسان: عضل).

(٣) نبوة: جفوة. (اللّسان: نبا).

(٤) ألّف: وصل بعضه ببعض، وألّف بينهم أي جمع بينهم بعد تفرّق.(اللّسان: ألف).

(٥) الضّبّ: حيوان برّي يشبه الورل.(انظر: الدّميري، حياة الحيوان الكبرىٰ: ١/ ٤٢٥).

(٦) النّون: الحوت. (اللّسان: نون). «جمع بين الضّب والنّون» مثل يضرب في الجمع بين أمرين متنافيين، والتأليف بين شيئين متخالفين، لأنّ الضّب حيوان برّي لا يرَ الماء ويلازم الصّحراء، والنّون حيوان بحري لا يفارق الماء أبدًا، لذلك لا يجتمعان.(انظر: اليوسي، زهر الأكم: ٢/ ٤١ – ٤٢).

(٧) في الأصل (والناني)، وهو تصحيف.

النّابتي: هو الّذي ينسب إلىٰ النّابتة، تقول أنْ الله يُرىٰ جسيًا، وجعلت له صورة، وأكفرت من قال بالرّؤية من غير التّجسيم والتّصوير، وللجاحظ رسالة باسم النّابتة.

(انظر: حسن السّندوبيّ، رسائل الجاحظ، ص٢٩٧).

بَين الأزرَقيّ[١] والرّافضيّ[٢]، قد أَلَّفَ بَينَ الثَّلجِ والنّارِ والضَّبِّ والنّون.

وقد رأينا حُذّاقَ الأطِبّاءِ يُداوون الأبدانَ[٣]، ولم نَرَ طَبيبًا يُداوي القَلبَ، ويُعالِجُ الأهواءَ، ويُبرِئُ مِن سَقَمِ سوءِ الاختِيار. ولولا أنْ العيانَ اضطرَّ العُقولَ إلىٰ بَديعِ رأيه، وعَظيمِ حِلمِه، وعَجيبِ عَفوِه، لم نَرَ أنْ طَبعَ البَشَرِ يَحتَمِلُ مِثلَ صَفحِه، ولا يَتَّسِعُ مِثلَ تَحاوُره، ولا يَبلُغُ كُنهَ رأيِه، فنَدَّ[٤] الحُلَماءُ حِلمَه، وغَضَّ عن الأجوادِ جودُه.

وقد كان الـمَثَلُ حَريٌّ بغَيرِهِ في غَيرِ عَصرِه، فَطَلَبَته[٥] الأمثال، وتَنازَعَت إلَيهِ الأقوال، وحَنَّ إليه قَلبُ الزاهد، وتاقَت إليه نَفسُ الرّاغِب، فهو جِماعُ الخَيرِ ومِفتاحُه،

---

(١) الأزرقي: نسبة إلىٰ الأزارقة وهم أتباع نافع بن الأزرق بن قيس الحنفيّ، من آرائـهم: أنهم يسقطون حد الرجم عن الزاني المحصن، وكفّروا جميع المسلمين ما عداهم، وقالوا: إنّه لا يحل لأصحابهم أنْ يلبّوا دعوة غيرهم، ولا أنْ يأكلوا من ذبائحهم، ولا أنْ يتزوجوا منهم، ومن مبادئـهم أيضاً تكفير علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأنه يجوز للأنبياء أنْ يرتكبوا الكبائر والصغائر، ويرون ضرورة امتحان من يريد الانتماء إليهم قبل قبوله وذلك أنْ يجسر علىٰ قتل أسير من مخالفيهم يقدمونه إليه، وأيضاً يستبيحون قتل نساء مخالفيهم وأطفالهم.

(انظر: الشهرستاني، الملل والنحل: ١/ ٥٢، وفخر الدّين الرّازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ص٢١، ونشوان الحميري، الحور العين: ص١٧٧ – ١٧٨).

(٢) الرّافضي: نسبة إلىٰ الرّافضة وهم الرّافضون للدّين، واشتهروا بحب عليّ رضي الله عنه اسم يطلق علىٰ كلّ مّن تبرّأ من أبي بكر وعمر. (انظر: أبو نعيم الأصفهاني، الإماميّة والرّدّ علىٰ الرّافضة: ص٢٢). وهم ملحدون، وكانوا يقولون لعليّ «أنت الخالق الباري»، ومن مبادئها: تشبيه الله بالخلق، وتجويره في حكمه، ومخالفتهم سنن محمّد ﷺ، وطعنهم في القرآن، وإكفارهم المهاجرين والأنصار.

(انظر: فخر الدّين الرّازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ص٣٥).

(٣) في الأصل (الابدن)، وهو تصحيف.

(٤) ندّ: أعرض. (اللّسان: ندد).

(٥) في الأصل (فطله)، وهو تصحيف.

ودِفاعُ الشَّرِّ ومِغلاقُه. فَهَل رأيتُم كَعَقدِ أمانِه، وثَباتِ عَهدِه، ودَوامِ وفائه، علىٰ بُعدِ مَداه، وتَقادُمِ عَصرِه، وثِقَلِ مَؤونَتِه، والصَّبرِ علىٰ مَكروهِه؟

وهَل رأيتُم أفعالاً أشبَهَ بأخلاق[1]، وأخلاقًا أشبَهَ بأعراقٍ مِن أعراقِه بأخلاقِه، وأخلاقِه بأعراقِه، وهَل سَمِعتُم بأعدَلَ مِنه في صُنعِه، ولا أقصَدَ في فِعلِه، ولا أشَدَّ في قَولِه، علىٰ غناءِ طَرفِه، وذَكاءِ عَينِه[2]، ودَوامِ طَريقَتِه، وحِكايَةِ آخِرِ أمرِه لأوّلِه؟ وهل وضَعَ أصلاً لم يُفَرِّعه، ورُكنًا لم يُشَيِّده، وأمرًا فلم يُسَمِّه؟

وأما المُعتصِمُ[3] فلَو شِئنا أنْ نُطيلَ الذِّكر، ونُطيبَ في الوَصف، لَوَجَدنا إلىٰ ذلك أنهَجَ السُّبُل، وأسهَلَ الطُّرُق، وأتمَّ الأسباب، وأكبَرَ الأعوان، وأظهرَ الحُجَج، ولَذَكَرنا المَعروفَ غيرَ المَجهول، والظّاهِرَ دونَ الباطِن. أما جَمالُه وبَهاؤه، وقَوامُه وتَمامُه، ومَركَبُه ونِصابُه[4]، فقد كَشفَه لكم العَيان، واغنَتكمُ المُشاهَدَةُ عن الامتِحان.

وأما عِشرَتُه وإنصافُه، وقُربُه وحِلمُه، وصَبرُه وقِلَّةُ تلَوُّنِه، وتَكَفي الحالاتِ به، وثَباتُ عَقدِه[5]، واستِقامَةُ طريقَتِه، وتَشابُه أفعالِه، وتَناسُبُ أخلاقِه، وكَثرَةُ اعتِقادِه،

---

(١) في الأصل (بخلاق)، وهو تصحيف.

(٢) في الأصل (عنه)، وهو تصحيف.

(٣) المعتصم: أبو إسحاق، محمد بن الرشيد هارون بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، ولد سنة (١٨٠)، وأمه ماردة أم ولد، بويع في الرابع عشر من رجب سنة (٢١٨). توفي المعتصم يوم الخميس لإحدىٰ عشرة ليلةً خلت من ربيع الأول سنة (٢٢٧)، وله سبع وأربعون سنة وسبعة أشهر.

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٩/ ٥٥، والذهبي، العبر، ١/ ٣١٥، وابن عساكر، تهذيب ابن عساكر: ٢٣/ ٣٠٤).

(٤) نصابه: الأصل والمرجع. (اللّسان: نصب).

(٥) ثبات عقده: ثبات عهده. (اللّسان: عقد).

وكَثْرَةُ تَغافُلِه، والعِنايَةُ بأمرِ العَشيرة[١]، والتَّفقُّدُ لِحالِ الصغيرِ والكبير، فقد باشَرتُموهُ بأبصارِكم، وحاكَمَ به مِن تَتابُعِ الأخبار[٢]، وقُربِ الأسانيدِ[٣] ما يُثلِجُ به صُدورَكم، ويَنفي الشُّبَهَ عَن قُلوبِكم.

وأما أيّامُه الغُرُّ[٤] المَشهورة، وفُتوحُه العِظامُ المَذكورَة، الّتي لو أنّ أحَدًا منّا [يتهيّأ][٥] لُملكٍ مُستَضعَف؛ لصارَ بِهِ مَهيبًا، ولِواهي[٦] الرُّكنِ[٧] لصَيَّرَه قَويًّا، ولِمَشنوٍّ[٨] السُّلطانِ لجَعَلَه مُحَبَّبًا، ولِمحدودٍ يَجعَلُه مُظَفَّرًا[٩]، فليسَ الشمسُ بأنوَرَ مِن بُرهانِه، ولا القَمَرُ بأضوىٰ مِن دلائِله، وهي الفُتوحُ التي تُسكِتُ[١٠] الأزرقيّ، وتُخرِسُ الرّافِضيّ، وتَخذُلُ السُّنّي الجَماعي، وتَعُمُّ الأُمَّةَ بالسُّرور، والرَّعيةَ بالمَحَبَّةِ والحُبور[١١].

وهي الفُتوحُ التي خَصَّت وعَمَّت، واستَفاضَت وتَشَعَّبَت، وهي التي تَصغُرُ مَعَها كِبارُ الفُتوح، وتَدِقُّ معَ بَهائها جِسامُ النِّعَم. وما لَها عَيبٌ إلا أنَّها تَضَعُ مِن كُلِّ رَفيع، وتُصَغِّرُ مِن كُلِّ جَسيم. وما ظَنُّكَ بأيّامٍ أطلَقَت ألسِنَةَ

---

(١) في الأصل (العشرة)، وهو تصحيف.

(٢) في الأصل (الاخبان)، وهو تصحيف.

(٣) الأسانيد: جمع سند وهو رفع الحديث إلىٰ فاعله. (اللّسان: سند).

(٤) الغرّ: البيض التي لا تنكر. (اللّسان: غرر).

(٥) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٦) واهي: ضعيف. (اللّسان: وهي).

(٧) الرّكن: القوة والشّدّة. (اللّسان: ركن).

(٨) مشنو: مبغض. (اللّسان: شنا).

(٩) في الأصل (ولمحدود يجعله مظفرًا) والصّواب ما أثبت.
لمحدود: المحروم. (اللّسان: حدد).

(١٠) في الأصل (يسكت).

(١١) الحبور: السّرور. (اللّسان: حبر).

المُفحَمين[١]، وحَوَّلَت الـمُستَعجَمين[٢] في طِباعِ النّاطقين، واستَوىٰ في مَعرِفتِها الجاهِلُ والعالِم، والأقصىٰ والأدنىٰ، وأما جِرمُه[٣] وعَزمُه، فقد عَرَفتُموها بآثارِ التَّدبير، ومَخارِجِ الأُمور، وأما الأيدُ[٤] والبَطش، وشَجاعَةُ القَلب، والبَصَرُ بالحُروب، فقد أُربي فيه علىٰ كُلِّ بَطَل، وغَمَرَ كُلَّ مُدبِر، وهذا شَيءٌ لم يَقبِسهُ من العُلَماء، ولم تَختَلِف فيه الرّواة، فقد شاهَدتُموه كما شَهِدنا[٥]، وعَلَّمتُموهُ كَما عَلِمنا.

وأمّا العِلمُ بالخَراج، وعِمارَةِ البِلاد، وما يُجمَلُ من الوَظائِف[٦]، وأبوابِ المال، ومَصلَحَةِ الثُّغور، فقد عَلِمَ ذلك وُزَراؤه وكُـتّابُه والمُطيفونَ[٧] به، وكُلُّ مَن اتَّصَلَ بالسُّلطان، وعَرَفَ أُمورَ الخُلَفاء. وأما بَرَكَتُه ويُمنُه؛ فقد عَرَفتُموه لِما رأيتُم من النُّجح[٨]، وأبصَرتُم مِن غَرائبِ الظَّفَر.

وأما اجتِهادُه في أمر بَيضَتِكُم[٩]، وضَبطِ أطرافِكُم، وتَقويةِ سُلطانِكُم، فقد رأيتُموهُ كيفَ يَبذُلُ ما لا يُبذَلُ مِثلُه من الأموال، وسَمَحَت نَفسُه بها لا تَجودُ به نُفوسُ الأجواد، وإنَّها لهائلَةٌ في السَّمع، فكيفَ في العمَل؟

ولولا أنّنا عايَنّا لاحتَجنا مِن تَتابُعِ الأخبار، وتَرادُفِ الدَّلائلِ إلىٰ ما لم نَحتَج إليهِ

---

(١) المفحمين: الذين لا يقولون شعراً. (اللّسان: فحم).

(٢) المستعجمين: الذين لا يقدرون علىٰ الكلام. (اللّسان: عجم).

(٣) جرمه: جسده، وقيل ألواح الجسد. (اللّسان: جرم).

(٤) الأيد: القوّة. (اللّسان: أيد).

(٥) في الأصل (شاهدوه كما شاهدونا).

(٦) الوظائف: جمع وظيفة وهو ما يقدّر في اليوم للشّخص من طعام أو رزق. (اللّسان: وظف).

(٧) المطيفون: المحيطون، وأيضاً الخدم. (اللّسان: طوف).

(٨) في الأصل (النحح)، وهو تصحيف.
والنجح: الظفر بالشيء. (اللّسان: نجح).

(٩) بيضتكم: ساحتكم ومجتمعكم. (اللّسان: بيض).

في جَليلِ الاسمِ ولا في صَغيرِه، ولا في العَتاد[١] والعُدَّة[٢]، وما أعدَّ لِعَدوِّكُم مِن رِباطِ الخَيلِ ونُخَبِ الرِّجال؛ فقد رأيتُم خُيولَه وسِلاحَه، علىٰ أنَّه إنْ كانَ قد أعذَرَ ذلك؛ فإنَّ أحَبَّ الأُمورِ إليهِ أنْ تَكونَ عُدَّتُه زاخِرَةً[٣]، وقوَّتُه ناصيةً[٤]، وقاطِعَةً لأسبابِ الطَّمَع، ومانِعَةً مِن خَواطِرِ الشَّيطان. يَرىٰ ذلك أدعىٰ إلىٰ السَّلامَة، وأهنأ للنِّعمَة، وأجمَعَ لِشَملِ الأُمَّة، ألا تَراه كيف يَتَوقَّىٰ الدِّماءَ، وكيف يستَصلِحُ بالرَّغبَةِ دونَ الرَّهبَة، ألا تَراهُ لا يُعاقِبُ حَتّىٰ يَكونَ تَركُ العِقابِ فَسادًا، ويَعودَ التَّغافُلُ عَجزًا.

وهل عَلِمتُم أحَدًا نُصِبَ له في خاصَّةِ نَفسِه حَربًا، وواجَهَ نَحوَهُ جُندًا، وهل نُصِبَ له إلا مَن نَصَبَ للإسلام؟ وهل عاداه إلا مَن عادىٰ القُرآن؟ وهل رأيتُم القَولَ بالحَقِّ في زَمانٍ قَطُّ أقوىٰ، ولا أهلَ الاختِلافِ في دَهرٍ قَطُّ أسكَن، ولا أهلَ السُّنَّةِ والجَماعَةِ فيه أكثَرَ ولا أرفَع، ولا العامَّةَ فيه أهدىٰ، ولا الثُّغورَ فيه أحصَنُ منه في زَمانِه وفي دَولَتِه وفي أيّامِه.

ومِن شأنِ العَوامِّ أنْ تَـمَلَّ[٥] طولَ الوِلايَةِ معَ العَدل، وأن تَسأمَ[٦] السُّلطانَ مع حُسنِ النَّظَر، وإن كانَ ذلك شأنُهم، وعليه طِباعُهم، فلِكُلِّ حَولٍ من الشَّلالَـةِ[٧] نَصيب، ولِكُلِّ شَهرٍ مِن السَّلامَـةِ حَظّ، وعلىٰ حِسابِ ذلك يَكونُ اليَومُ والسّاعَةُ واللَّحظَةُ والطَّرفَة[٨].

---

(١) العتاد: العدّة، وهو الشيء الذي تعده لأمر ما وتهيئه له. (اللّسان: عتد).

(٢) العدّة: ما أعددته لحوادث الدّهر من المال والسلاح. (اللّسان: عدد).

(٣) زاخرة: كثيرة لحرب أو نفير. (اللّسان: زخر).

(٤) قوّته ناصية: مرتفعة. (اللّسان: نصي).

(٥) في الأصل (يمل) وهو خطأ لأن العوام مؤنث.

(٦) في الأصل (يسام)، وهو خطأ لأن العوام مؤنث.

(٧) الشّلالة: التفرقة. (اللّسان: شلل).

(٨) الطرفة: إطباق الجفن علىٰ الجفن، وهو طرف العين. (اللّسان: طرف).

ووجَدنا المُعتَصِمَ بالله علىٰ خِلافِ ذلك وضِدِّه، ووجَدناهُم في كُلِّ حالٍ فيه أرغَب، وعَليه أحدَب، وإليه أميَل، وبه أكلَف، وحُسباني لك دَليلاً، وكَفاكَ به شاهِدًا، وقد كانوا وغايَةُ مُناهُم أنْ يُنفِقَ في مَصالِحِهم مِن بَيتِ مالِ عامَّتِهم، وأن يَرُدَّ علَيهم ما أُخِذَ مِن حَواشي أموالِهِم، فَلَم يَرضَ المُعتَصِمُ بالله مَبلَغَ مُناهُم، ومُنتَهىٰ آمالِهِم، حَتّىٰ وقىٰ بَيتَ مالِهِم بِمالِه، وأنفَقَ علىٰ عَوامِّهم مِن خاصَّةِ مُلكِ يَدِه، ولَم يَمتَحِن إلا صاحِبَ ظِنَّة[١]، ولَم يُوَقِّع إلا بَعدَ زَوالِ الشُّبهَة.

يُوَفي الأشرافَ حُقوقَ أقدارِهِم[٢]، ويَزيدُهُم فَوقَ استِحقاقِهِم، ويُؤَلِّفُ بَينَ قُلوبِ المُختَلِفين، ويَزيدُ في بَصيرَةِ الـمُتَّفِقين. وهذا كُلُّه عَيانٌ يُغني عن الإسناد، وظاهِرٌ يُغنيكَ عن السُّؤال. وقد كانَت للخُلَفاءِ فُتوح، ولكِنَّه لم يُنفَق لأحَدٍ مِثلَ ما أُنفِقَ لِلمأمونِ[٣] وعَبدِ المَلِكِ بنِ مَروانَ[٤] ومُحارَبَتِهما[٥]، إنَّما كانَت لِمَن قَصَدَ إلىٰ مُلكِهِما، فقد بَلَغا لَعَمري في ذلك مَبلَغًا لم يَبلُغه أحَدٌ من مُلوكِ الإسلام.

---

(١) صاحب ظِنّة: صاحب تهمة وفجور. (اللّسان: ظنن).

(٢) في الأصل (اقداهم)، وهو تصحيف.

(٣) المأمون: أبو العباس، عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي، ولد سنة (١٧٠)، وبايع الناس المأمون في أول سنة (١٩٨) ومات في رجب في الثاني عشرة سنة (٢١٨) وله ثمان وأربعون سنة.

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٩/ ٤٤، وابن عساكر، تهذيب ابن عساكر: ١٤/ ٩٢).

(٤) عبد الملك بن مروان: أبو الوليد الأموي، ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية الخليفة الفقيه، ولد سنة (٢٦)، توفي في شوال سنة (٨٦) عن نيف وستين سنة. (انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/ ٢٣٤، والذهبي، العبر ١/ ٧٥).

(٥) في الأصل (ومحاربها)، وهو تصحيف.

وللمُعتَصِمِ باللهِ سِتَّـةُ فُتوحٍ[١] عِظامٍ جَليلَة، لم يُحارِب في واحِدَةٍ مِنهُنَّ إلا مَن قَصَدَ الإسلامَ والمسلِمين، دونَ مُلكِه خاصَّةً، فَمِن ذلك مازيا[٢] مَـلِكِ طَبَرِستانَ[٣] بعدَ أنْ تَغَلَّبَ وقَتَلَ وسَبىٰ، وتَمَكَّنَ مِن تِلكَ القِلاعِ والجِبالِ[٤] والمَضائِقِ المَنيعَة، والسُّبُلِ الوَعِرَة، حَتّىٰ ظَفِرَ به وقَتلَه وصَلبَه[٥].

---

(١) فتح المعتصم ثمـاني فتوح: عمّوريّة، ومدينة بابك، ومدينة الزّط، وقلعة الأجراف، ومصر، وأذربيجان، وديار ربيعة، وأرمينيّـة. (انظر: ابن العماد، شذرات الذّهب: ٢/ ١٧١، والعبر: ١/ ٣١٥).

(٢) في الأصل (مازمار)، وهو تصحيف.

مازيار: هو مازيار بن قارن بن شهريار، آخر الأمراء القارنيين، أسلم إسلامًا، سمّاه المأمون بعد أنْ أسلم محمّدًا، ولقّبه بمولىٰ أمير المؤمنين، وكان مازيار يجبر النّاس أنْ يدينوا له بالولاء بدل الخليفة، وحرّض رقيق الأرض علىٰ الثّورة علىٰ ملاك الأراضي، وقد جُلِد (٤٥٠) جلدة، وشرب علىٰ أثرها ماء فقضىٰ نحبه، وقيل صلبه المعتصم سنة (٢٢٥هـ) وقتله، ذكره أبو تمّام في قصيدة في مدح المعتصم، ومنها قوله:

ولقد شفىٰ الأحشاء من بُرَحائها   إذ صـار بابـك جـار مازيـار

(انظر: الطّبري، تاريخ الأمم والـملوك: ٥/ ٥٣، والمسعودي، التّنبيه والإشراف: ص٣٠٧، والنويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ٢٢/ ٢٥٤ – ٢٥٦، وابن العبري، تاريخ مختصر الدّول: ص٢٤٢).

(٣) طبرستان: من بلاد الرّيّ والدّيلم، وهو بلد عظيم كثير الحصون والأعمال، منيع بالأودية، وأهلها أشراف العجم، وأبناء ملوكهم.

(الجاحظ، البيان والتبيين، ٣/ ٣٠٣، وابن قتيبة، المعارف: ص٥٦٨، والحميري، الرّوض المعطار في خبر الأقطار: ص٣٨٣).

(٤) الجبال هي جبال طبرستان.

(انظر: البلاذري، فتوح البلدان: ص٣٣٤، والدينوري، الأخبار الطوال: ص٥٨٧).

(٥) لّما قبض المعتصم علىٰ المازيار، رغّب مازيار المعتصمَ في أموال كثيرة يحملها إليه أنْ هو منّ عليه =

ومِن ذلك بابك[1]؛ فإنّا لا نَعلَمُ خارِجيًّا[2] في الأرضِ كانَ أشَدَّ عَداوَةً للإسلامِ وأهلِه، ولِلقُرآنِ ومَن قَرأَهُ منه، بَعد أنْ اتسَقَ لهُ العَساكِر، وقَتَلَ القوّاد، وأخرَبَ البِلاد، وبعد ما أودَعَ القُلوبَ من الهَيبَةِ والمَخافَة، وتَجَرَّدَ له حَتّىٰ أخَذَهُ أسيرًا؛ فَقَتله وصَلبَه جَنبَ مازيار[3].

= بالبقاء، ولم يقتله، فأبىٰ المعتصم قبول ذلك وقال:

إنّ الأسـود أسـود الغـاب همّتهـا　　　يوم الكريهة في المسلوب لا السّلب

فالمعتصم لم ينخدع بهذا الإغراء، وتمثل بيت شعر يبين فيها أنْ الأسود هدفها المسلوب وهو القتيل وليس السلب وهو الغنائم، ولم يعفُ عنه بل قتله.

(انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١/ ٢٠٢، والحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٢١٧، والتّنوخي، نشوار المحاضرة: ١/ ١٤٧).

(١) في الأصل (بابل)، وهو تصحيف.

بابك: بابك الخُرّمي، بضم الخاء وفتح الرّاء المشدّدة والميم، يقال إنّه كان ولد زناء، وأمه عوراء تعرف بروميّة العلجة، وكانت فقيرة من قرىٰ أذربيجان، كانت تكتسب له إلىٰ أنْ بلغ، فاستأجره أهل قريته بطعامه وكسوته علىٰ رعي أغنامهم. وهو ثنوي علىٰ دين ماني ومزدك، يقول بتناسخ الأرواح ويستحل البنت وأمها. وقد قطّعت يداه ورجلاه، ثم ذبح وشق بطنه، وبُعث برأسه إلىٰ خراسان، وصلب بدنه بسرّ من رأىٰ. وكان ظهور بابك سنة (٢٠١) بناحية أذربيجان وتبعه خلق عظيم علىٰ رأيه، فأقام عشرين سنة يهزم جيوش المأمون والمعتصم، ويقال إنه قتل (١٥٠) ألف إنسان، وجعل المعتصم لمن أتىٰ به حيًّا ألفي ألف درهم، ولمن جاء برأسه ألف ألف درهم.

(انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات: ١٠/ ٣٨، والنويري، نهاية الأرب: ٢٢/ ٢٤٧، والطبري، تاريخ الأمم والملوك:٥/ ٧، وابن العبري، تاريخ مختصر الدّول: ص٢٤٢، وابن ظافر، أخبار الدولة المنقطعة: ٢/ ٣٥٠ – ٣٥١).

(٢) الخارجيّ: هو الذي يخرج علىٰ الدَّولة.(اللّسان: خرج).

(٣) انظر خبر قتل بابك في التّنبيه والاشراف ص٣٠٥ – ٣٠٦، ونشوار المحاضرة ١/ ١٤٧، والأخبار الطوال: ص٥٨٧ – ٥٩٣.

ومِن ذلك فَتحُ عَمّـورية[1]؛ وهي الثّـانيةُ بعدَ قُسطَنطينيَّـة[2]، ثُـمَّ هَزيمَـةُ الطّـاغيَـة[3]، ثُـمَّ أسـرُ باطِـسَ[4] صاحِبِ الـضَّواحي، بعدَ أنْ كـان لا يَـعُـدُّ

---

(١) عمّوريّة: مدينة كبيرة مشهورة في بلاد الرّوم، لها سور عظيم، وهو علىٰ نهر كبير يصب في الفرات. (الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤١٣) غزاها المعتصم سنة (٢٢٣هـ) وفتحها.

(انظر: ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية: ص٢٢٢).

كان الرّوم قد انتهزوا فرصة اشتغال المسلمين بحروب بابك، فجعلوا يغيرون علىٰ البلاد الإسلاميّة، وقبيل أسر بابك أغار توفيل علىٰ زَبِطرة، وأخربها ثم مثّل بأهلها، وفي هذه الأثناء اتّصل بالمعتصم أنْ إمرأة هاشميّة صرخت وقد هاجها توفيل «وامعتصماه»، فصرخ «لبيّك»، فقاتله المعتصم في عمّوريّة، ومدحه أبو تمّام وقال:

السيفُ أصدق أنباءً من الكتـب ... في حدّه الحدّ بين الجـد واللّعـبِ

(انظر: المسعودي، التّنبيه والاشراف ص٣٠٦، والدينوري، الأخبار الطوال: ص٥٨٨، والنويري، نهاية الأرب: ٢٢/ ٢٥١، ولويس شيخو، المجاني الحديثة: ٤/ ١٨٠).

(٢) قسطنطينيّة: فتحها المسلمون سنة (٩٨هـ) بقيادة مسلمة بن عبد الملك.

(انظر: الدينوري، الأخبار الطوال: ص٥٨٨، واليافعي، مرآة الجنان: ١/ ٢٣٠).

(٣) الطّاغية الذي حاربه المعتصم هو توفيل بن ميخائيل بن جرجس الذي نزل علىٰ زبطرة.

(انظر: ابن العماد، شذرات الذهب: ٢/ ١٥١).

(٤) في الأصل (باطين)، وهو تصحيف.

باطس: وهو بطريق عمّورية، وقد صلبه المعتصم في المكان الذي صلب فيه بابك ومازيار، وقد أنحنىٰ باطس نحوهما لميل خشبته، وقال أبو تمّام:

ولقد شفىٰ الأحشاء من برحائِها ... أنْ صـار بابـك جـار مازيّـار

ثانيـه في كبـد السّـماء ولم يكـن ... لاثنـين ثـانٍ إذ همـا بالغـار

فكـأنّما انحنيـا لكـيما يطويـا ... عن بـاطس خـبراً مـن الأخبـار

(انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٥٢، والمسعودي، التنبيه والاشراف: ص٣٠٨، والحميري، الرّوض المعطار في خبر الأقطار، ص٢١٧، ص٢٨٥، ولويس شيخو، المجاني الحديثة: ٤/ ١٨٥).

العُراة[١] والمُطَوِّعيةَ[٢] شيئًا، فأسَرَه وصَلَبَه إلىٰ جَنبِ بابَكَ ومازيار، ومِن ذلك استِباحَتُه[٣] الزُّطَ[٤] حتّىٰ اجتَثَّ أصلَهُم، وأبادَ خَضراءَهم، بعدَ أنْ مَنَعوا بغدادَ المَسيرَة، وقَتَلوا القوّاد، وأسَروا وغَلَبوا علىٰ البِلاد، واتَّسَقَ لَهم مِن قَتلِ الأجناد، وقوّادِ الأجياد[٥]، وأسرِهِم[٦] ما لم يَتَّسِق لأحَدٍ بَعدَ أنْ رامَهُم خَليفَةٌ بعدَ خَليفَة.

ثُمَّ كانَ مِن شانِ جَعفَرَ الكُرديِّ[٧] وتَغَلُّبِه وإخافَتِه السُّبُل، وقَطعِ سُبُلِ المُسلِمين، وجُرأتِه[٨] علىٰ السُّلطان، ومُحارَبَتِه الأجناد، حَتّىٰ قَتَلَه الله علىٰ يَدِه. ثُمَّ الذي كانَ منه في ضائقَةِ البصرِة، وسوقِ[٩] الهندِ كُلِّه، حَتّىٰ عَدَّه الخَوارِجُ منَ الرُّؤَساء، ومِن أبطالِ

---

(١) العراة: لعلّهم الّذين كانوا يحاربون مع الأمين.

(٢) المطوّعية: الذين يتطوّعون للقتال. (اللّسان: طوع).

(٣) في الأصل (استباحه).

(٤) الزطّ: جيل من الهند، وقيل جنس من السودان والهنود، والواحد زطّيّ، يتميزون بالطول مع النحافة، حاربهم المأمون بعد خروجهم عن طاعته وإحراقهم مدينة البصرة، أحضرهم الحجاج ابن يوسف لتعويض النقص في الأيدي العاملة، وكان عددهم (٢٧.٠٠٠) نسمة، وقد بدأت ثورة الزّط سنة (٢٠١هـ) في عهد المأمون، وكان سببها الفقر، وأخمدت ثورتهم سنة (٢٢٠هـ). (انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٦، والبلاذري، فتوح البلدان: ص٣٦٦–٣٦٩).

(٥) في الأصل (الاحاد)، وهو تصحيف.

(٦) في الأصل (اسهم)، وهو تصحيف.

(٧) جعفر بن حميد الكردي: أحد عمّال الخليفة المهدي، أرسله المهدي بقتال الذين عاثوا فساداً في ناحية حمص، وصفه المسعودي في التّنبيه والاشراف «أنه أخاف السّبيل، وبسط يده في القتل». (انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٦٤٨، ٤١٠، والمسعودي، التّنبيه والاشراف: ص٣٠٨، والدينوري، الأخبار الطوال: ٥٨٨، والأصفهاني، البستان الجامع: ص١٧٨).

(٨) في الأصل (جراءه)، وهو تصحيف.

(٩) في الأصل (سق)، وهو تصحيف.

المُقاتِلَة، ومَن قَـتَلَ الغُزاة، واخرَبَ السَّواحِلَ علىٰ يَدَي عَمرو بن الفَضل الشّيرازيّ[١]، أَحَدِ بَني رَبيعَة بنِ حَنظَلَة[٢]، وهذه كُلُّها إسلاميَّةٌ جماعيَّةٌ لا تَنازُعَ فيها ولا اختِلاف.

وأما الواثِقُ بالله[٣] فهو الذي جَمَعَ بَينَ المَهابَةِ والمَحبَّة، وإيثارِ الحَقّ، وحُسنِ النّية، والشَّغَفِ بالعَدلِ والقَولِ به، وقَمعِ الظّالِم، وقِلَّةِ الرُّخصَة، وأعمالِ اليَقَظة، والمسألَةِ في كُلِّ حال، مع إعطاءِ كُلِّ خَصلَةٍ مِن خِصالِ الخَيرِ نصيبَها من العَمَل، وكُلِّ خَصلَةٍ مِن خِصالِ الشَّرِّ حَقَّها من الاجتِناب، حَتّىٰ تَكامَلَت فيهِ خِلالُ الفَضل، وتَتامَّت عندَهُ خِصالُ المَجد، حَتّىٰ لا تَجِدَ خصلَةً تَرجَحُ علىٰ أُختِها، ولا ساعَةً تَنقُصُ عَن مِثلِها.

ومِن صِفاتِه؛ أصالَةُ الرّأي، وصِحَّةُ العَقل، والحُسنُ اللَّطيف، والفَهمُ العَجيب، ثُمَّ الجودُ بكُلِّ عِلق[٤]، ولُزومُ ذلك في كُلِّ حال، ثُمَّ طيبُ العِشرَة، وحُسنُ المَلَكَة، وتَعَهُّدُ المَولىٰ، وتَفَقُّدُ حالِ العَشيرَة، ثُمَّ إيثارُ[٥] العِلمِ علىٰ كُلِّ لَذَّة، والبَيانُ علىٰ كُلِّ صِناعَة، مع المعرِفةِ بما جَمَعَ شَملَ العَوامّ، وكيف قِسمَةُ النِّعَمِ بينَ الخَواصّ، وما يَليقُ

---

(١) عمرو بن الفضل الشّيرازي: أبو بكر، مطبوع متأدب، طيّب المحاضرة، له شعر مليح، وله عدة كتب، منها: كتاب الشجون والفنون، وكتاب إنشاء الرسائل والكتب.
(انظر: النّديم، الفهرست، ص١٥٣).

(٢) بني ربيعة بن حنظلة: بطن من حنظلة، من تميم، من العدنانيّة، وهم بنو ربيعة بن حنظلة بن مالك، ويعرفون بربيعة الصغرىٰ.
(انظر: عمر رضا كحّالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: ص٤٢١).

(٣) الواثق بالله: أبو جعفر، هارون بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن المهدي، أمّه روميّة اسمها قراطيس، ولد في شعبان سنة (١٩٦هـ)، كان مليح الشعر، أمر بامتحان الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن، وافتك من أسر الروم (٤٦٠٠) شخصاً، كانت خلافته خمس سنين ونصفاً، مات بسرّ من رأىٰ لست بقين من ذي الحجة سنة (٢٣٢) وبايعوا بعده أخاه المتوكل.
(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٩/ ٦٣).

(٤) الجود بكل علق: أي المال الكريم، وأيضًا النّفيس من كل شيء. (اللّسان: مادة علق).

(٥) في الأصل (انار)، وهو تصحيف.

بكُلِّ مَرتَبَة، ويَصلُحُ لِكُلِّ زَمان، مع شِدَّةِ التَّعَقُّب، وجَودَةِ التَّصَفُّح، ومع ذلك حُسنُ الاختيار، وصَوابُ الإيرادِ والإصدار[١].

إذا اعتَزمَ لَمْ يَعجَز عنِ الرُّجوع، ولَم يَتمَلَّك عليه اللَّجاج[٢]، ولَم يَرَ النِّدَّ أعجَزَ إلا عن صَوابٍ، ولا انقادَ العَزمُ لَجاجًا إلا في الخَطأ[٣]، ولا يَرىٰ الصَّوابَ إلا ما وافَقَ الحَقّ، وأحَبُّ الحقوقِ إليهما جانَبَ الهَوىٰ، وأزيَنُها في عَينَيهِ ما زادَ في المُروءَةِ[٤] وآثَرِها عندَه، أمَرُّها عاجِلَة، وأحلاها آجِلَة.

وأبغَضُ الباطِلِ إليهِ ما أشبَهَ السُّخفَ، وناسَبَ الفَواحِش. يَحوطُ الصَّوابَ حياطَةَ مَن قد عَرَفَ [فضله، ويَنصب للخَطأ نَصبَ مَن قد عَرَفَ][٥] ضَرَرَه، وقد ذَلَّلَ السَبيلَ إليهِ حتّىٰ سَهُلَت، وزادَ في أسبابِهِ حتّىٰ اتَّصَلَت، وتَعَرَّفَ ما فيه حتّىٰ استَقصاه، وعَجَمَهُ حتّىٰ أمضاه، وكانَ في طَلَبِه، وحَزَمَ في التَّقَدُّمِ فيه، فَبَدأ بِه قَبلَ حُدوثِ الأشغال، وقَبلَ أنْ تأخُذَ مِنه الأيّام، فنَظَرَ بعَقلٍ سَليمٍ من الأسقام، وبمَعزِلٍ مِن الأهواء، وبذِهنٍ حَديد[٦]، وقوَّةٍ وافِرَة، وهَيئَةٍ جامِعَة، وكغَربٍ[٧] غَيرِ مَفلول[٨]، وعَزمٍ غَيرِ مَهزولٍ[٩] أيامِ اجتِماعِ قوَّتِه، وشَبابِ آلاتِه[١٠]، وحِدَّةِ

(١) الإيراد: الحضور. (اللّسان: ورد).
الإصدار: الرُّجوع. (اللّسان: صدر).
(٢) واللّجاج: الخصومة. (اللّسان: لجج).
(٣) الخطأ: هنا هو ارتكاب الخطأ.
(٤) المروءة: هي كمال الرّجولة، وأن لا تفعل في السّر شيئًا تستحي أنْ تفعله جهرًا. (اللّسان: مرأ).
(٥) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.
(٦) حديد: الحدّة هي الغضب والفهم والسّرعة في الأمور. (اللّسان: حدد).
(٧) الغرب: هو حدّ السيف القاطع. (اللّسان: غرب).
(٨) مفلول: متثلم. (اللّسان: فلل).
(٩) عزم غير مهزول: أي بعزم جادٍ لا هزل فيه. (اللّسان: هزل).
(١٠) شباب آلاته: شدّتها. (اللّسان: شبب).

طَرَفِه، وثُقوبِ[1] حِسِّه، ودِقَّةِ مَدخَلِه، وانفِتاحِ الأبوابِ لقَرعِه، فَطَلَـبَه طَلَبُ مَن يَشتَهيه، ويُبصِرُ جَوهَرَه، ويَعرِفُ عاقِبَتَه وفَضيلَتَه، والتَمَسَهُ بِطَبيعَةٍ مُناسِبَة، وغَريزَةٍ مُشاكِلَة، والأُمورُ لاحِقَةٌ بِعناصِرِها، تابِعَةٌ لِجَواهِرِها، وصادَفَ زَمانًا جَمَّ العَجائب، كَثيرَ الغَرائب، فَعَرَفَ في أيّامٍ يَسيرَةٍ ما لم تَعرِفُه المُلوكُ في السِنين الكَثيرَة، إلا ما خَصَّ الله به آباءَه المُنتَجَبين، ومَنَحَهُ أجدادَه المُكرَمين؛ صَلَواتُ الله عَلَيهِم أجمَعين.

[٤] فصل[2]

كانَ يحيىٰ بنُ خالد بن بَرمَـك[3] وأبوهُ[4] وحاشيتُه وبَـنوهُ[5] مِن أشرافِ

---

(١) في الأصل (ثقور)، وهو تصحيف.

(٢) وردت بعض فِقَر هذا الفصل عند هارون: ٣/ ٩١ – ٩٣ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، والسّندوبيّ: ص٢١٨–٢٢٠ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، وبيلا: ص٦٢ – ٦٥، والمبرّد: ص٥٤، ٧٥– ٧٨ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، والدّروبيّ: ص٥٧ – ٧٠.

(٣) يحيىٰ بن خالد بن برمك: أحد الذين جمعوا جمعًا رائعًا بين ثقافة العرب وثقافة الفرس، كان المهدي قد قلّده الكتابة لابنه منذ جعله ولي عهده، والقيام علىٰ نفقاته وتدبير أمر الجيوش التي يقودها الرّشيد علىٰ الروم، وعندما تولىٰ الرشيد الخلافة قلّده أمور الرعيّة، وسلّمه خاتم الخلافة يأمر وينهىٰ كما يشاء، فولّىٰ ابنه جعفر علىٰ المغرب كلّه من الأنبار إلىٰ إفريقية، وولّىٰ ابنه الفضل علىٰ المشرق كلّه من النهروان إلىٰ أقصىٰ بلاد الترك، توفّي في سجن الرّشيد سنة (١٩٠ هـ).
(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٨/ ٥١، والجهشياري، الوزراء والكتاب: ص١٥٠، وابن عبد ربّه، العقد الفريد: ٥/ ٥٨).

(٤) كبير البرامكة، أبوه من مجوس بلخ، اتصل بالعباسيين، وتولّىٰ الوزارة لأبي العباس السفاح بعد أبي سلمة حفص الخلال، لم يبلغ أولاده جعفر والفضل مبلغه في جوده ورأيه وبأسه وعلمه وجميع خلاله، توفي سنة (١٦٥هـ).
(انظر: المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٣٧٧، والطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٣/ ٥٣٥).

(٥) أولاده: جعفر، والفضل، ومحمد، وموسىٰ. وابنه جعفر كان وزيراً من رجال العلم، توصّل إلىٰ =

العَجَم/ ، وهُناكَ حَلَّ العِلمُ والـحَزمُ ومَـدَّ رواقَه[١].

وكانَ أحمدُ بنُ أبي دُؤادٍ[٢] ذا الحِلمِ الفاضِل، واللِّسانِ البَـيِّن، والفِقهِ العَجيب، والرّأيِ السَّديد، والصَّدرِ الرَّحيب، والقَولِ الفَصل، والجودِ الغَمر، والرّأيِ الجَزيل، والعِشـرَةِ الكَريمَة، والأخلاقِ الـمَحمودَة، والعَطايا السَّنية، والقِسمَـةِ بالسَّوية، وشَيخِ العَرَب، وسَيِّدِ الحَضَر، وغَيثِ[٣] البَدو، وقاضي القُضاة[٤]، ومُقَوِّمِ الوُلاة.

ومَن قد طَبَّقَ الأرضَ[٥] عُرفًا، ومَلأ صُدورَ الأولياءِ عِزًّا، ومِن قد جرَّدَ القَولَ بالعَدل، وكَشَفَ القِناعَ في التَّوحيد، وأقامَ لِكُلِّ حالَةٍ سوقُها، حتّىٰ عَرَفَ الحَقَّ مَن كانَ

= أعلىٰ الـمراتب، كان فصيحاً مفوّهًا أديبًا، كان لعّابًا غارقًا في لذّات دنياه، مات مقتولاً في أوّل صفر سنة (١٨٧ هـ).

(انظر: الذهبي، سيرأعلام النبلاء: ٨/ ٣٠، والمسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٣٧٧، والذهبي، العبر: ١/ ١٨٩، والصفدي، الوافي بالوفيات: ١١/ ١٢٠).

(١) رواقه: يقال مدّ الرّجل رواقه إذا نزل به وضرب خيمته في ذلك المكان. (اللّسان: روق).

(٢) أحمد بن أبي دؤاد: أبو عبد الله، أحمد بن فرج بن حريز الإيادي البصري، القاضي الكبير، قاضي المعتزلة وزعيمهم، عدو أحمد بن حنبل، كان داعية إلىٰ خلق القرآن، ولد سنة (١٦٠ هـ) بالبصرة، كان شاعراً مجيداً فصيحاً بليغاً، صادره المتوكل وأخذ منه ستة عشر ألف ألف درهم، وافتقر، مات هو وولده منكوبين، الولد أولاً ثم الأب في المحرّم سنة (٢٤٠) ودفن بداره في بغداد.

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٩/ ٤٢٨، والذهبي، العبر: ١/ ٣٣٩، والذهبي، ميزان الاعتدال: ١٠/ ٩٧).

(٣) في الأصل (غب)، وهو تصحيف، وما أثبت من الدّروبيّ ص٥٨.

(٤) قاضي القضاة: هو أحمد بن أبي دؤاد. (انظر: ابن ظافر، أخبار الدولة المنقطعة: ٢/ ٣٥٧).

(٥) طبق الأرض: غطّاها وعمّها. (اللّسان: طبق).

يَجهَلُه، وأَقرَّ به مَن كانَ يُنكِرُه، وأَحَبَّهُ مَن كانَ يُبغِضُه، وأَنِسَ به مَن كانَ يستَوحِشُ منه، ودَعا إليه مَن كانَ نهىٰ[1] عنه.

وكانَ مُحَمَّدُ بنُ عبد المَلِك[2] مِن الكُفاةِ والوُلاةِ والحُماة، ومِن أهلِ النَّزاهَةِ عَن الأُمورِ الوَضيعَة[3]، والطَّهارَةِ عَن الأدناس، وصِدقِ اللَّهجَة، وسَلامَةِ الصَّدر، وبَذلِ البِّشر، مع رَفعِ الحِجاب، وحُضورِ الرَّأي[4]، الذي لم يَقُل قَطُّ بَعدَ طولِ المُنازَعَة، وبَعدَ كَثرَةِ المُناقَلَة[5]، واستِغراقِ الألفاظِ[6]، واستِنفادِ المَعاني[7]: لَو كُنتُ قُلتُ كَذا وكَذا، لَكانَ أربَح، ولَو لم أكُن قُلتُ:كَذا وكَذا، لكانَ أسلَم.

الذي فَضلُ لِسانِه علىٰ لِسانِ البَليغ، كَفَضلِ قَلبِه علىٰ لِسانِه، وفَضلُ عِلمِه علىٰ عَقلِه/ ، كفَضلِ عَقلِه علىٰ عِلمِه، وتَركيبُه أجوَدُ تَركيب، وصيغَتُه أعدَلُ صيغَة، وبُنيانُه

---

(١) في الدّروبيّ ص٥٨: ينهىٰ.

(٢) محمّد بن عبد الملك: ابن أبان، ابن الزّيّات، الوزير الأديب العلامة، كان والده زيّاتاً سوقيّاً، برع في الأدب وفنونه، والنظم والنثر، وزر للمعتصم وللواثق، كان معادياً لابن أبي دؤاد، فأغرىٰ ابن أبي دؤاد المتوكل حتىٰ صادر ابن الزيّات وعذّبه، وكان يقول بخلق القرآن، وكان يقول: ما رحمت أحداً قط، الرحمة خورٌ في الطبع، فسُجن في قفص جهاته مسامير كالمسالّ، وكان يصيح: ارحموني، فيقولون: الرحمة خور في الطبع. مات سنة (٢٣٣هـ) وله ترسّل بديع، وبلاغة مشهورة.
(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٩/ ٤٣٠، وابن خلّكان، وفيات الأعيان، ٥/ ١٠١، والذهبي، العبر، ١/ ٣٢٦).

(٣) في الأصل (الوضعية)، وهو تصحيف.

(٤) في الدّروبيّ ص٥٨: حصور، دون أنْ يذكر الرأي، واكتفىٰ بالقول كذا في الأصل.

(٥) المناقلة: المجادلة في المنطق. (اللّسان: نقل).

(٦) استغراق الألفاظ: استيعابها. (اللّسان: غرق).

(٧) استنفاد المعاني: يقال استنفد المعنىٰ أي استوفاه. (اللّسان: نفد).

أوثَقُ بَنيان، وأكثَرُ ما يُرىٰ البُنيانُ مِن قَواعِدِه، والمؤمِنُ[١] مِن أعراقِه، فإذا كَرُمَ العِرقُ قَهَرَ[٢] لُؤمَ المَنشأ، وإذا حَكمَ[٣] الرُّكنُ ثَبَتَ الفَرع، فَما ظَنُّكَ بعِرقٍ لَم تَخُنهُ العادَة، ولَم تَحكُمهُ[٤] القَريحَةُ[٥]، وبقَريحةٍ لَم يَعقِدها العِرق؟

وكانَ إبراهيمُ بنُ السِّنديِّ[٦] خَطيبًا فَقيهًا[٧]، راويةً للشِّعرِ نَحويًا، وكانَ فَخمَ الألفاظ، نَبيلَ المَعاني، شَريفَ الأحاديث، كَريمَ المُجالَسَة.

وكانَ كاتِبَ القَلَم، كاتِبَ اللِّسان[٨]، كاتِبَ العَمَل[٩]، وكانَ إذا تَكلَّمَ حَسِبتَه

---

(١) في الأصل غير واضحه وما أثبت من الدّروبيّ ص٥٨.

(٢) في الأصل (فهر)، وهو تصحيف.

(٣) في الدّروبيّ ص٥٩: أحكم.

(٤) في الأصل غير منقوطة.

(٥) القريحة: طبيعة الإنسان التي جبل عليها. (اللّسان: قرح).

(٦) إبراهيم بن شاهك: من رجال الجاحظ الذين يكثر من ذكرهم والرواية عنهم في كثير من كتبه وعدّه من المتكلمين، وهو من أسرة سنديّة خدمت الدولة منذ أول عهدها، وأبوه السّندي بن شاهك بن السّندي كان من المقرّبين للرشيد، تولّىٰ القضاء، وكان والياً علىٰ الشام، نعته الجاحظ بأنه مولىٰ أمير المؤمنين.

(انظر: الجاحظ، البخلاء: ص٢٨٩، والجهشياري، الوزراء والكتّاب: ص٢٣٦، والجاحظ، البيان والتبيين: ٢/ ٢١٥، والطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٣، ٢٧، ٣٢، والسيد محسن الأمين، أعيان الشيعة: ١٥/ ١٦٣).

(٧) فقيهًا: العالم بالشيء، وغلب علىٰ علم الدين لسيادته وشرفه وفضله علىٰ سائر أنواع العلوم. (اللّسان: فقه).

(٨) كاتب اللّسان: كاتب الرّسالة. (اللّسان: لسن).

(٩) كاتب العمل: السّاعي الذي يأخذ الصدقات من أربابها. (اللّسان: عمل).

رُؤْبَةَ بنَ العَجّاجِ[١]، أو مُطَرِّفًا الغَنويّ[٢]، وإذا عَمِلَ الخَراجِ[٣] قُلت: هذا نَبطيٌّ[٤] سَواديّ.

وكانَ مَرَّةً أشغانًا[٥]، ومَرَّةً مُريدًا[٦]، ومَرَّةً عامِلَ رُستاق[٧]، ومَرَّةً عامِلَ

---

(١) رؤبة بن العجّاج: التميميّ، الراجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسيّة، كان رأسًا في اللغة، ورؤبة بالهمزة قطعة من الخشب يشعب بها الإناء، وسمع أباه والنسّابة البكري، مات سنة (١٤٥ هـ).

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦/ ٣٧٤، والذهبي، ميزان الاعتدال، ٣/ ٨٤، والأصفهاني، الأغاني: ٢٠/ ٤٤٥، وابن قتيبة، المعارف: ص٥٣٤).

(٢) مطرّف الغنوي: أبو بكر، مُطَرِّف بن طريف، الإمام المحدّث، القدوة، حدّث عن الشعبي وعطاء بن نافع، وحدّث عنه سفيان الثوري وسفيان بن عيينة، توفي سنة (١٤٣هـ).

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦/ ٣٤٨، والنّديم، الفهرست، ص٢٠٢، وابن حجر، تهذيب التهذيب: ١٠/ ١٥٧).

(٣) كاتب الخراج: هو كاتب يرسم استخراج المال وقبضه، وعليه عمل الختمات.

(انظر: ابن مماتي، قوانين الدواوين: ص٣٠٤).

(٤) نبطيّ: النّبط جيل ينزلون أرض العراق، واشتهروا بجباية الخراج، وتميزوا بالحذق والمهارة، وسُمّوا بذلك لاستنباطهم ما يخرج من الأرض، ويقال رجل نُباطي ونَباطي ولا يقال نبطي، وفي الصحاح رجل نبطيّ ونباطيّ. (اللّسان: نبط).

(٥) في الأصل (اسقانا)، وهو تصحيف.

الأشغان: صاحب الكار، والحال التي يسمّيها النّاس كاره. (اللّسان: شغن).

(٦) المريد: من انقطع إلىٰ الله، وحرم نفسه من ملذات الحياة، وهو من أراد كشف العلوم الباطنيّة والأسرار الإلهيّة.

(انظر: الحنفي، معجم المصطلحات الصوفية: ص٢٤٢).

(٧) رستاق: الرزتاق ورزداق ورسداق، وأيضًا الرستاق قرىٰ تشتمل عليها أرض السواد.

(اللّسان: رستق، والجواليقي، المعرّب، ص١٥٧ – ص١٥٨).

الطَّسّوج[١]، ومَرَّةً كاتِبَ ديوان[٢]، ومَرَّةً صاحِبَ الدّيوانِ الأعظَم[٣]، ومَرَّةً وزيرًا.

وكانَ عالِمًا بالنُّجوم[٤]، وبالطِّبّ، وبالمَنطِق[٥]، وكُتُبِ الحُكَماء، وكانَ فَرَضيًا[٦] عَروضيًا[٧]، وكانَ مِن كِبارِ عُلَماءِ المُتكَلِّمين، ومِن كِبارِ المُقايِسين[٨] في الفَتوىٰ[٩]، وله كُتُبٌ جياد.

---

(١) في الأصل (السطوح)، وهو تصحيف.
والطّسوج: نواحي السواد. (اللّسان: طسج).

(٢)كاتب الدّيوان: هو النّائب عن الدّيوان وليس يلزمه رفع حسابات ولا كتابة عليه، وقيل هو كاتب الدّفتر الذي يكتب فيه أسماء الجند وأهل العطاء.
(انظر: ابن مماتي، قوانين الدّواوين: ص٣٠٤، واللّسان: دون).

(٣) الديوان الأعظم: مجتمع الصّحف، وأيضاً الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء، وأوّل من دوّن الديوان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه. (اللّسان: دون).

(٤) علم النّجوم: هو علم تعرف به أحوال الشّمس والقمر وغيرهما من النجوم.
(انظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون: ١/ ٦٧).

(٥) علم المنطق: يسمّىٰ علم الميزان، إذ به توزن الحجج والبراهين، وهو ليس مقصورًا علىٰ نفسه، بل هو وسيلة إلىٰ العلوم الأخرىٰ، وسمّي بالمنطق لأن النّطق يطلق علىٰ اللفظ، وعلىٰ إدراك الكليّات، وعلىٰ النفس الناطقة، وعلم المنطق علم بقوانين تفيد الانتقال من المعلومات إلىٰ المجهولات، بحيث لا يعرض الغلط في الفكر.
(انظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون: ١/ ٤٥).

(٦) فرضيًا: عارفًا بقسمة المواريث. (اللّسان: فرض).

(٧) عروضيًا: عالمًا بالعروض، والعروض ميزان الشعر، وهو آخر تفعيلة في الشطر الأول من البيت.
(انظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون: ٣/ ٢٤٩).

(٨) المقايسين: المقايسة وهو تقدير الشّيء علىٰ مثال. (اللّسان: قيس).

(٩) الفتوىٰ: ما أفتىٰ به الفقيه وأحدث حكمًا. (اللّسان: فتا).

وكانَ أحفَظَ مِن أعمىٰ[١]، وأفصَحَ مِن أعرابيّ، وأسمَعَ مِن فَرَس[٢]، وكانَ أقلَّ النّاسِ نَومًا، وأسرعَهُم انتِباهًا، مع غِلظِ روائه[٣]، وكَثرَةِ لَحمِه، وماتَ مع هذا بالمِرَّة الصَّفراء[٤].

وكانَ فُلانٌ خَطيبًا لَسِنًا[٥]، وعَلاّمَةً ناسبًا[٦]، وراويةً للحَديثِ وفَقيهًا، وكانَ يَعرِفُ رأيَ[٧] البَصريّين[٨]/ والكوفيّينَ وعُلَمائهم. وكانَ أحفَظَ النّاسِ لِما يَسمَعُ مِن غَيرِ مُعاناة، وكانَ فَخمًا؛ فَخمَ الألفاظ، جَيّدَ المَعاني، دَقيقَ المَسالكَ[٩]، لَطيفَ المَذاهِب، كَثيرَ المَخارِج[١٠].

---

(١) انظر المثل: «أحفظ من العميان» في:
(الميداني، مجمع الأمثال: ١/ ٤٠٦).
(٢) يزعمون أنه دقيق الحسّ، يسمع سقوط الشّعرة منه.
(انظر: الجاحظ، الحيوان: ١/ ٢٢١، ٢/ ١٧٤، ٤/ ٢٤٥، ٥/ ٥٣٥، ٦/ ٣٤٨، ٧/ ١٠، والميداني، مجمع الأمثال: ٢/ ١٣٤، وحمزة الأصفهاني، الدّرة الفاخرة: ص١٢٧، ١٢٨، وابن عبد ربه، العقد الفريد: ٣/ ٧٥).
(٣) الرّواء: حسن المنظر مع البهاء والجمال. (اللّسان: رأي).
(٤) المرّة الصّفراء: هي أقوىٰ الأخلاط، وهي سائل أصفر شديد المرارة يختزن في كيس المرارة، ويخالطه بلغم.
(انظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ٤/ ١٢٢، والخوارزمي، مفاتيح العلوم: ص١٠٦).
(٥) لسنًا: رجل لسن إذا كان ذا بيان وفصاحة، وأيضًا جودة اللسان وسلاطته. (اللّسان: لسن).
(٦) ناسبًا: عالمًا بالنّسب. (اللّسان: نسب).
(٧) في الأصل (باي)، وهو تصحيف.
(٨) في الأصل (البعرتين)، وهو تصحيف.
(٩) دقيق المسالك: أي غامض. (اللّسان: دقق).
(١٠) كثير المخارج: الخبير في الأشياء. (اللّسان: خرج).

وكانَ يَستَعملُ الغَريبَ غَيرَ مُكرِهٍ له[١]، وكانَت له أحاديثُ قَليلَةَ الألفاظِ والحُروف، قَليلَ الأخذِ من القِرطاس[٢]، وهي كَثيرةُ المَعاني، بَعيدَةُ[٣] المَذاهِب.

وكانَ كاتبَ القَلَم، جيِّدَ الخَطِّ والقَول، كاتِبَ اللِّسان، عالِمًا بالحُجَج، حاضِرَ الجَواب، وكاتِبُ العَمَلِ يَعرِفُ حُجَجَ الديوان[٤] مِن حُجَجِ الأحكام[٥]. وكانَ حاسِبًا[٦]، وكانَ إذا تَكلَّمَ وتَحدَّثَ حَسِبتَه رُؤبَةَ بنَ العَجّاج، وإذا تَكلَّمَ في الخَراجِ حَسِبتَهُ زاذان[٧] فَرّوخَ الأعوَر[٨].

وكانَ إبراهيمُ بنُ سَيّارَ[٩] فَرَضيًّا عَروضيًا، وكانَ حاسِبًا ومُنجِّمًا، وكانَ نَسّابًا.

---

(١) في الدّروبيّ ص٦٢: وكان يستعمل العرب عن فكرة له. وهو تصحيف.

(٢) القرطاس: الصحيفة التي يكتب فيها. (اللّسان: قرطس).

(٣) في الدّروبيّ ص٦٢: كثيرة.

(٤) حجج الديوان: الوثائق. (اللّسان: حجج).

(٥) حجج الأحكام: الأدلة. (اللّسان: حجج).

(٦) حاسبًا: عالمًا بالحساب. (اللّسان: حسب).

(٧) في الأصل (رادا)، وهو تصحيف.

(٨) زاذان فرّوخ الأعور: فارسيّ الأصل، تقلّد ديوان الخراج للحجّاج، قُتل أيّام عبد الرّحمن بن محمّد الأشعث الكندي، وهو خارج من منزل كان فيه إلىٰ منزله.

(انظر: البلاذري، فتوح البلدان: ٢/ ٣٦٨، والجهشياري، الوزراء والكتّاب: ص٢٦، ٣٨، ٩٩).

(٩) إبراهيم بن سيّار: أبو إسحاق البصري، ابن هانئ النّظّام، من رؤوس المعتزلة، متهم بالزندقة، كان شاعرًا أديبًا بليغًا، له كتب كثيرة في الاعتزال والفلسفة، وكان من أشد النّاس ازدراء علىٰ أهل الحديث، كان يزعم أنْ الله يحدث الدنيا وما فيها في كل حين من غير أنْ يفنيها، وجوّز أنْ يجتمع المسلمون علىٰ الخطأ، مات في خلافة المعتصم سنة (٢٣١ هـ).

(انظر: ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان: ١/ ١٦٤، والنّديم، الفهرست، ٢٠٤).

وكانَ حافِظًا لِلقُرآنِ[١] العَظيمِ وتَـفسيرِه، وللتَّوراةِ[٢] والإنجيلِ والزَّبورِ وكُـتُبِ الأنبياء.

وكانَ عالَجَ الكيمياء وعَرَفَ مَذاهِبَها، وكانَ أروىٰ النّاسِ لِكَلامِ الأوائلِ لصُنوفِ نِحَلِ الإسلام، وأحسَنَ النّاسِ إخراجًا، وأبلَغَهُم عِندَ الاحتِجاجِ لسانًا، ولم يَكتُب عِلمًا قَطّ، ولَم يُدَوِّنه.

وكانَ صاحبَ حَديثٍ عالِمًا، وكانَ له نُسُك[٣]، وخالَطَ الصّوفية[٤]، وأصحابَ المِضمار[٥]، وعَرَفَ اختِلافَهم، وكانَ يَقولُ الشِّعرَ إذا أرادَه[٦]، وكانَ يَستَخرِجُ المُعَمّىٰ[٧]، وكانَ حَسَنَ العِلمِ بالنَّحو.

وقالَ أبو[٨] عُبَيدَة[٩]: ما يَنبغي أنْ/ يَكونَ في الدُّنيا مِثلُ إبراهيمَ بنِ سَيّار، سألتُه

---

(١) في الأصل (القران)، وهو تصحيف.

(٢) في الأصل (للتوريه)، وهو تصحيف.

(٣) النّسك: العبادة والطاعة. (اللّسان: نسك).

(٤) في الدّروبيّ ص٦٣: خالط السّادة الصوفية.

الصّوفيّة: هم القائمون مع الله بحيث لا يعلم قيامهم إلا الله، والتصوف هو التخلق بالأخلاق الإلهية.

(التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون: ٣/ ٤٩).

(٥) المضمار: هو المكان الّذي تضمر فيه الخيل للسّباق أو للرّكض. (اللّسان: ضمر).

(٦) في الأصل (راده)، وهو تصحيف.

(٧) المعمّىٰ: هو علم المعمّىٰ، التباس الأمر، واختفاء معناه. (اللّسان: عمي).

(٨) في الأصل (بو)، وهو تصحيف.

(٩) أبو عبيدة: معمر بن المثنّىٰ التيمي، العلامة النحوي، صاحب التصانيف، ولد سنة (١١٠ هـ) في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري، كان علىٰ رأي الخوارج، وكان بحر من بحور العلم،=

وهو صَبيٌّ عَن عَيبِ الزُّجاج، فقال: «سَريعُ الكَسرِ بَطيءُ الجَبر»[١]. ومَدَحوا النَّخلَة، فقال: «صَعبَةُ المُرتَقىٰ، بَعيدَةٌ في الهَواء، خَشنَةُ المَسّ، قَليلَةُ الظِّلّ»[٢].

وقال يَومًا: «كُنّا نَلهو بالأماني، ونَطيبُ أنفُسًا بالمواعيد، فَذَهَبَ مَن يَعد، وقَطَعَنا[٣] بالهُمومُ عَن فُصولِ المُنىٰ»[٤].

= مع ذلك لم يكن بالماهر بكتاب الله، ولا العارف بسنة نبيّه، ولا البصير بالفقه واختلاف أئمة الاجتهاد، مات سنة(٢٠٩ هـ).

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٨/ ٢٨٧، وابن خلّكان، وفيات الأعيان، ٥/ ٢٣٥، والذهبي، العبر: ١/ ٢٨٢).

(١) سأل الخليل بن أحمد النّظّام، أنْ يصف له قدحاً من الزّجاج، فقال: أبمدح أم بذم؟ فقال: بمدح، قال: نعم، تريك القذىٰ، وتقيك الأذىٰ، ولا تستر ما ورىٰ. قال: بذم، قال: سريع كسرها، بطيء جبرها. (انظر: الجاحظ، الحيوان: ٧/ ١٦٥)، وهناك رسالة في المفاضلة بين الزجاج والذهب، وقد دارت بين سهل بن هارون وشداد الحارثي، حيث ألف سهل بن هارون رسالة في تفضيل الزجاج علىٰ الذهب يرد فيها علىٰ رسالة شدّاد الحارثي الذي فضّل الذهب علىٰ الزجاج، وقال سهل بن هارون «والشّراب في الزجاج أحسن منه في كل معدن، واسم الذهب يتطير منه، والزجاج لا يحمل الوضر، ومتىٰ غسل بالماء عاد جديدًا».

(انظر: الجاحظ، الحيوان: ٣/ ٤٧١، والغزولي، مطالع السرور: ١/ ١٤٩، والثعالبي، تحسين القبيح وتقبيح الحسن: ص٩٣ – ٩٤، والثعالبي، الإعجاز والإيجاز: ص١١٦، وابن نباتة، سرح العيون: ص٢٢٧).

(٢) قال الخليل بن أحمد للنّظّام، صف هذه النّخلة، وأومأ إلىٰ نخلة في داره، فقال: أبمدح أم بذم؟ قال: بمدح، قال: حلو مجتناها، باسق منتهاها، ناضر أعلاها. قال: بذمّها، قال: هي صعبة المرتقىٰ، بعيدة المجتنىٰ، محفوفة بالأذىٰ.

(انظر: الجاحظ، الحيوان:٧/ ١٦٥، وابن نباتة، سرح العيون: ص٢٢٧).

(٣) في الدّروبيّ ص٦٤: قطعتنا.

(٤) انظر القول في الحيوان ٧/ ١٥٣: «قال أبو اسحاق النّظّام: كنّا نلهو بالأماني، ونطيب أنفساً بالمواعيد، فذهب من يعد، وقطعتنا الهموم عن فضول الأماني».

وذَكرَ الخَليلَ بنَ أحمد[١]، فقال[٢]: «تَوَحّدَ به العُجب[٣]، فأهلَكَه، وصَوَّرَ له الاستِبدادُ صَوابَ رأيه، [فتعاطىٰ ما لا يُحسِنُه][٤]، ورامَ أنْ لا يَنالَه، وفتَنَتهُ دَوائرُه[٥] التي لا يَحتاجُ إلَيها غَيرُه»[٦].

كانَ إبراهيمُ إذا ذَكَرَ الوَهمَ[٧] لَم يُشَكّ في جُنونِه، واختِلاطِ عَقلِه، وهكذا كانَ الخليلُ بنُ أحمد، وكانَ قد أحسَنَ في شَيء[٨].

وكانَ أصحابُه يَرونَ أنّهم لو ماتوا لَتبَدَّلَ الدّين، ولفَسَدَتِ الحِكمَة، ولاستَولىٰ

---

(١) الخليل بن أحمد: أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، منشئ علم العروض، ولد سنة (١٠٠)، كان رأساً في اللّسان، وله كتاب العين، مات سنة (١٧٠ هـ).
(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٧/ ٣٢٥).
(٢) هو النّظّام. (الجاحظ، الحيوان: ٧/ ١٦٥).
(٣) توحد: تفرّد به. (اللّسان: وحد).
العجب: إنكار ما يرد عليه لقلّة اعتياده. (اللّسان: عجب).
(٤) ما بين المعقوفين من الدّروبيّ: ص٦٤.
(٥) هي دوائر العروض الخمس: دائرة المختلف وتشتمل علىٰ: البحر الطويل والبحر المديد والبحر البسيط، ودائرة المؤتلف وتشتمل علىٰ: البحر الوافر والبحر الكامل، والمجتلب وتشتمل علىٰ: البحر الهزج والبحر الرمل والبحر الرجز، ودائرة المشتبه وتشتمل علىٰ: البحر السريع والبحر المنشرح والبحر الخفيف والبحر المضارع والبحر المقتضب والبحر المجتث، ودائرة المتفق وتشتمل علىٰ: البحر المتقارب والبحر المتدارك.
(٦) من قوله «وذكر الخليل...» إلىٰ قوله «لا يحتاج إلىٰ غيره» وردت في الحيوان: ٧/ ١٦٥.
(٧) الوهم: توهّم الشي أي تخيّله وتمثّله. (اللّسان: وهم).
(٨) انظر القول في الحيوان ٧/ ١٦٦: «وكان أبو اسحاق إذا ذكر الوهم لم يشك في جنونه، وفي اختلاط عقله، وهكذا كان الخليل، وإن كان قد أحسن في شيء».

علىٰ النّاسِ الجَهلِ، ولأكَـلَتهُم عُلَماءُ الرّومِ والهِند، فَضلاً عَن عُلَمـاءِ الدَّهريّة[١] والزَّنادِقَة[٢]، والخَوارِجِ والرّافِضَة[٣].

وكَذلكَ كانَ إبراهيمُ أكثَرَ أهلِ الأرضِ تَنَقُّلاً، وأسرَعَهم اعتِقادًا، وأقَلَّهُم علىٰ ما اجتَنىٰ ثَباتًا[٤]؛ لأنه كانَ لا يَخلو بقَولِه، ولا يُجيدُ انتِحالَه، ويعجَلُ[٥] علىٰ التّصديق، ويُعمِلُ حُسنَ الظَّنّ، ويَسأمُ طولَ الرَّويةِ[٦] فيه[٧]، ويَغلُطُ في حَقِّ الإنصاف، فَيُعطيه ما ليسَ له.

وكانَ يَجعَلُ[٨] قُصورَ خَصمِه عنه، ونُقصانَ مَن قَبِلَ عنه، عَن مَرتَبَتِه/ سَبَبًا

---

(١) الدّهريّة: فرقة ذهبوا إلىٰ قِدَم الدهر، واستناد الحوادث إلىٰ الدهر، وذهبوا إلىٰ ترك العبادات، ويسمون الملاحدة.

(انظر: النّوبختي، فرق الشّيعة: ص٤١، والتهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ٢/ ١٠٩، ونشوان الحميري، الحور العين: ص١٤٣، وابراهيم السّامرائي، من معجم الجاحظ: ص١٥٢).

(٢) الزنديق: القائل ببقاء الدهر، ولا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق. (اللّسان: زندق). وهو القائل بالنّور والظلمة، ولايؤمن بالرّبوبيّة، وهو الذي يبطن الكفر ويظهر الإيمان، وقيل هو من لا يتديّن بدين، والزّندقة من الثنويّة، والزّنديق يخرج من دين الإسلام مع اعتقاد الكفر، سواء كان الخروج معلناً أو خفياً.

(انظر: عاطف شكري أبو عوض، الزندقة والزّنادقة: ص١٠٨ – ص١٢٥، وابراهيم السامرائي، من معجم الجاحظ: ص١٥٢).

(٣) في الدّروبيّ ص٦٤: الرفافضة.

(٤) في الدّروبيّ ص٦٥: شأنا.

(٥) في الدّروبيّ ص٦٥: يحيل.

(٦) الرّويّة: الصبر الطويل. (اللّسان: روي).

(٧) ساقطة من الدّروبيّ.

(٨) في الأصل (يعجل) والتصويب من حاشية الأصل.

للنُّصرَةِ[١] في مَذهَبِه، وحُجَّةً فيما بَينَه وبَينَ رَبِّه. وكانَ كَثيرَ الخَواطِرِ، قَليلَ الصَّبرِ علىٰ التَّحصيل، مُعجَبًا بالتَّفَرُّد[٢]، شَديدَ الجُرأةِ علىٰ اعتِقادِ ما يُخرِجُ مِن طَبائعِ الأُمَّة، ومِن ذلك قالَ بالمُداخَلَة[٣] والطَّفرَة[٤].

وكانَ أضيَقَ النّاسِ صَدرًا بحَملِ سِرّ، وكانَ شَرَّ ما يَكونُ إذا أكَّدَ عَليه صاحِبُ السِّرّ، وكانَ إذا لَم يُؤَكِّد عليه نَسي[٥] القِصَّة، فَيَسلَم صاحِبُ السِّرّ.

كانَ الحَجّاجُ بنُ يوسُفَ[٦] مِن أهلِ الانتِقامِ والسَّطوَة[٧]، وأصحابِ التَّشَفي والقَسوَة، والصَّولَةِ عندَ القُدرَة، وقالَ له [يَومًا][٨] عَبدُ الملكِ بنُ مَروان: إنّ الرَّجلَ لا

---

(١) في الأصل (لبصره) والتصويب من حاشية الأصل.

(٢) التّفرد: المنقطع القرين ولا مثيل له. (اللّسان: فرد).

(٣) المداخلة: مقالة كلاميّة زعموا أنْ الألوان والطّعوم والرّوائح والأصوات والخواطر، أجسام، وأن تلك الأجسام بزعمهم تتداخل في حيّز واحد، وقد ذهب النّظّام إلىٰ ذلك.
(انظر: ابراهيم السامرائي، من معجم الجاحظ: ص١٤٤).

(٤) الطّفرة: الوثبة، وهي مسألة كلاميّة تنتسب إلىٰ النّظّام، وهي قوله: أنْ المار علىٰ سطح الجسم يسير من مكان إلىٰ مكان بينهما أماكن لا يقطعها هذا المار، ولا مرّ عليها، ولا حاذاها، ولا حلّ فيها.
(انظر: اللّسان: طفر، والخوارزمي، مفاتيح العلوم: ص١٨، وابراهيم السامرائي، من معجم الجاحظ: ص٢٧١).

(٥) في الدّروبيّ ص٦٥: ربما نسي.

(٦) الحجّاج بن يوسف: أبو محمّد، الحجّاج بن يوسف بن الحكم الثّقفي، داهية وخطيب، أمير العراق، ولد سنة (٤٠هـ) وتوفي سنة (٩٥هـ).
(انظر، ابن خلّكان، وفيات الأعيان: ٢/ ٢٩، والصّفدي، الوافي بالوفيات: ١١/ ٢٣٧، والذهبي، العبر: ١/ ٨٤، وابن نباتة، سرح العيون: ص١٧٠ – ١٨٦).

(٧) السّطوة: شدّة البطش. (اللّسان: سطا).

(٨) ساقطة من الأصل وما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

يَكونُ عاقِلاً حتّىٰ يَعرِفَ نَفسَه، وأميرُ المؤمِنينَ يُقسِمُ علَيكَ لَتُخبِرَنَّه عن نَفسِك، فقال: «أنا حَديدٌ حَقود، ذو قَسوَة، وحَسود»[١]. فانتَحَلَ الشَّرَّ[٢] بحَذافيرِه، والمُروقَ[٣] مِن جَميعِ الخَيرِ بزَوبَرِه[٤].

ولقد تأنّقَ في ذَمِّ نَفسِه، وتَجَرّأَ في الدِّلالَةِ علىٰ لُؤمِ طَبعِه، وفي إقامَةِ البُرهانِ علىٰ إفراطِ كُفرِه، والخُروجِ مِن كَنَفِ رَبِّه، وشِدَّةِ المُشاكَلَةِ لِشَيطانِه الذي أغواه، وقَرينِه الذي أغراه.

هذا مع عُتوِّه[٥] وطُغيانِه، وشِدَّةِ صَولَتِه، وقَسوَةِ قَلبِه. والعَجَلَةُ شُعبَةٌ من الحِدَّة، وصاحِبُ العَجَلَةِ إنْ أصابَ فُرصَتَه لم يَكُ محمودًا، وإن أخطأها كانَ مَذمومًا.

الـهَيثَمُ بنُ عَديّ[٦]/ : إنّ رِجالاً كانوا إذا التَقىٰ الصَّفّانِ في الحَرب، ذهبَ

---

(١) ورد القول في البيان والتبيين: ٣/ ١٦١، وفي الحيوان: ٣/ ٤٧٠، ٥/ ٥٩٢ «أنا حديدٌ، حقودٌ حسودٌ»، وفي العقد الفريد ٢/ ٣٠٤: «أنا لجوج لدود حقود حسود».

(٢) انتحل الشر: اتخذه معتقداً. (اللّسان: نحل).

(٣) المروق: الخروج من الشيء من غير مدخله، وأيضًا سرعة الخروج من الشيء. (اللّسان: مرق).

(٤) بزوبره: يقال: أخذت الشّيء بزوبره وبزأبره، إذا أخذته كلّه، ولم ندع منه شيئًا. (اللّسان: زبر).

(٥) عتوه: العتوّ هو التّكبر والتّجبر. (اللّسان: عتا).

(٦) الهيثم بن عدي: أبو عبد الرّحمن، ابن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر الإخباري، العلامة الطائي الكوفي المؤرخ، كان راوية أخباريًا، نقل كلام العرب وعلومها وأشعارها، عالم بالشعر والأخبار والمثالب والمناقب والمآثر والأنساب، وكان شعوبيًّا، له من الكتب كتاب المثالب، وكتاب بيوتات قريش، وكتاب أخبار طي، قال عنه البخاري: ليس بثقة، كان يكذب، مات سنة (٢٠٧ هـ) وله ثلاث وستون سنة.

(انظر: النّديم، الفهرست، ص١٠٠، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٨/ ٤٢٥، والذهبي، العبر: ١/ ٢٧٨).

تَدبيرُهم، غَيرَ أنَّهم كانوا لا يَبرَحون، مِنهم الحَجّاجُ بنُ يوسُف. كانَ أبو كَعبٍ [١] مَولاه، يُدبِّرُ له الحَربَ عند حَيرَتِه فيها.

وكانَ أُخَيفِش[٢]، مُنسَلِقَ الأجفان[٣]، ألا تَرىٰ أنْ عبدَ الملكِ كَتبَ إليه في شأنِ أنسِ بنِ مالك[٤]: «فلعَنَكَ الله أُخَيفشَ العَينَين، أصَكَّ[٥] الرِّجلَين، أسوأَ الجاعِرَتَين[٦]»[٧].

---

(١) أبو كعب: مولىٰ الحجّاج. (انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٦/ ٢٧٥).

(٢) في الدّروبيّ ص٦٧: أخفش.

أخيفش: الخفش ضعف في البصر وضيق في العين، وقيل صغر في العين خلقة، وفساد في جفن العين مع احمرار تضيق له العيون. (اللّسان: خفش).

(٣) منسلق الأجفان: حمره تعتري الجفون فتقشر. (اللّسان: سلق).

جاء في البيان والتبيين: ١/ ٢٥٧ «كان الحجّاج أخيفش، منسلق الأجفان».

(٤) أنس بن مالك: ابن النضر بن ضمضم بن زيد بن حزام بن جندب بن عامر بن عدي بن النجار، الإمام المفتي، المقرئ، المحدّث، خادم رسول الله، ولد قبل عام الهجرة بعشر سنين، روىٰ عن الرسول علماً جمّاً، وعن أبي بكر وعثمان، وحدّث عنه ابن سيرين وعمر بن عبد العزيز، ومسنده (٢٢٨٠) حديثاً. توفي سنة (٩٣ هـ).

(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ١/ ٢٩٤، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة: ١/ ٢٧٥، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/ ٤٨٢، والذهبي، العبر ١/ ٨٠، وابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق: ٣/ ١٤٢).

(٥) أصكّ: الصّكك اضطراب الرّكبتين والعرقوبين من الانسان وغيره. (اللّسان: صكك).

(٦) في الدّروبيّ ص٦٧: الحالين.

الجاعرتان: حرفا الوركين المشرفان علىٰ الفخذين. (اللّسان: جعر).

(٧) هذا القول قاله عبد الملك بن مروان للحجّاج. (انظر: الإربلي، خلاصة الذّهب المسبوك مختصر من سير الملوك: ص١١، والعقد الفريد: ٥/ ٣٧).

وكانَ في صِغَرِهِ يُسَمّىٰ كُلَيبًا، فَلَمّا عَظُمَ شأنُه بالعِراق، وطَغىٰ وعَتا، سَقَطَ عنه هذا الاسم. ولَمّا اتَّصَلَ بالحَسَنِ[1] خَبَرُ مَوتِه، قالَ: «اللَّهُمَّ أنتَ قَتَلتَه، فاقطَع عَنّا سُنَّتَه، فإنَّه أتانا أُخَيفِشَ أُعَيمِش[2]، مَقيتًا[3]، له جُمَيمَةٌ[4] يُرَجِّلُها[5] صَعِدَ المِنبَرَ فأخرَجَ إلَينا كَفًّا قَصيرَةَ البَنانِ[6] ما عَرِقَ فيها عِنانٌ[7] في سَبيلِ الله، فقال: بايعونا، فَبايَعناه، يَصعَدُ إلىٰ هذه الأعواد[8]، فَيَنظُرَ إلَينا بالتَّصغير، ونَنظُرُ إليه بالتَّعظيم، يأمُرُنا بالمَعروفِ ويَجتَنِبُه، ويَنهانا عن المُنكَرِ ويَرتَكِبُه»[9].

وكانَ الحَسَنُ بنُ أبي الحَسَن[10]، مِمَّن تَزَوَّجَ نِساءَ عَشيرَتِه ورَهطِه[11]، وهو

---

(١) هو الحسن البصري.

(٢) أعيمش: ضعف رؤية العين مع سيلان دمعها في أكثر أوقاتها. (اللّسان: عمش).

(٣) مقيتًا: المقت أشد البغض. (اللّسان: مقت).

(٤) جميمة: مجتمع شعر الرأس، وهو ما سقط علىٰ المنكبين. (اللّسان: جمم).

(٥) يرجّلها: يسوّيها ويزيّنها. (اللّسان: رجل).

(٦) البنان: الأصابع. (اللّسان: بنن).

(٧) عنان: لجام الفرس. (اللّسان: عنن).

(٨) الأعواد: المنابر. (اللّسان: عود).

(٩) ورد القول في الأخبار الموفقيّات: ص٩٨.

(١٠) الحسن بن أبي الحسن: أبو سعيد بن يسار البصري، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، كان من سادات التابعين وكبرائهم، عُرِف بعلمه وورعه وزهده وعبادته، كان أبوه مولىٰ زيد بن ثابت الأنصاري، وأمّه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي، توفيّ في رجب سنة (١١٠هـ) وكانت جنازته مشهودة.
(انظر: ابن خلّكان، وفيات الأعيان، ٢/ ٦٩، والذهبي، ميزان الاعتدال، ١/ ٥٢٧، وابن سعد، الطبقات الكبرىٰ: ٩/ ١٥٧).

(١١) رهطه: الرّهط هم القوم والقبيلة، وهو عدد يجمع من ثلاثة إلىٰ عشرة. (اللّسان: رهط).

مَولاهم، علىٰ أنْ الحَسنَ قد جاوزَ قَدرَ كُلِّ ذي قَدر. كانَ يُصَلِّي علىٰ كُلِّ جنازَةٍ شَهِدَها، فإذا عَلِمَ الوالي أنَّه في جنازَةٍ تَجافاها، حتّىٰ إذا صَلّىٰ عَلَيها أقبَلَ فَعَزّىٰ أهلَها؛ إكبارًا للحَسَن.

وقد صَلَّىٰ علىٰ أُمِّ عبدِ الأعلىٰ/ بنِ عبدِ الله بنِ عامِر[1]، وهو يومَئِذٍ سَيِّدُ أهلِ البَصرَة، فَسَمِعَ صُراخًا، فالتَفَتَ كالمُنكرِ لِذلك، فَعادَ إليه عبدُ الأعلىٰ، فقال: «جَعَلَني الله فِداك، والله ما عَلِمتُه[2] ولا اشتَهَيتُه، حتّىٰ سَمِعتُه»[3].

وأتاه الفَرَزدَقُ[4] يَسألُه أنْ يُصَلِّي علىٰ النَّوارِ[5] امرأتِه، فأبىٰ واعتَلَّ علَيه،

---

(١) كان عبد الأعلىٰ بن عبد الله بن عامر من أبين الناس وأفصحهم، وقال عنه عبد الملك: إنّي لأُنحّي العمامة عن أذني لأسمع كلام عبد الأعلىٰ. وقال هشام بن عبد الملك: إنّي لأستصفق العمامة الرقيقة تكون علىٰ أذني إذا كان عندي عبد الأعلىٰ بن عبد الله، مخافة أنْ يسقط عنّي من حديثه شيء.
(انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ٢٣١، والطبري، تاريخ الأمم والملوك ٦/ ٥٦٩ – ٥٧١).

(٢) في الأصل (علمت)، وهو تصحيف.

(٣) روي أنْ الحسن البصري لمّا سمع صراخاً في جنازة أم عبد الأعلىٰ بن عبد الله بن عامر التفت وقال له عبد الأعلىٰ: جعلت فداك، والله ما أمرتُ ولا شعرتُ.
(انظر: الجاحظ، البيان والتبيين ١/ ٢٣١، ٢/ ٢٠٩).

(٤) الفرزدق: أبو فراس، همّام بن غالب بن صعصعة بن ناجيّة التميمي البصري، شاعر عصره، وكان أشعر أهل زمانه، ومات سنة (١١٠ هـ).
(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٧٤، وابن خلّكان، وفيات الأعيان ٢/ ٦٩، والأصفهاني، الأغاني: ٢١/ ١٨٠، وياقوت الحموي، معجم الأدباء: ١٩/ ٢٩٧).

(٥) النّوار: ابنة أعين بن ضبيعة بن عقال المجاشعي، زوجة الفرزدق وابنة عمّه، تزوجها الفرزدق بغير إذنها، وتزوج عليها عدّة نساء، توفيت في حياته وأوصت بأن يصلّي عليها الحسن البصري، فصلّىٰ.
(انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات ٢٧/ ١٠٦، وابن خلكان، وفيات الاعيان ٦/ ٩٩، والأصفهاني، الأغاني ٢١/ ١٨٧).

فقال: «يا أبا سَعيدٍ، إذًا تُـجَلِّلُني وإيّاها عارَ الأبَد»، فأجابَه إلىٰ ذلك.

وكانَ عندَ أهلِ البَصرَةِ في مُستَثنىٰ الغاية، كانَ يُقال: «هو أزهَدُ النّاسِ إلا الحَسَن، وأبيَنُ النّاسِ إلا الحَسَن، وأفقَه النّاسِ إلا الحَسَن».

وقالَ أبو شُعَيب[١]: «الحَسَنُ خَيرٌ لأهلِ البَصرَةِ من الجَزرِ[٢] والمَدّ[٣]، والمَدُّ هو حَياتُهم، يأتيهُم فَيَقِفُ علىٰ أبوابِهم، فإن شاؤوا حَجَبوه، وإن شاؤوا أذِنوا له» [والله أعلم][٤].

كانَ المُهلَّبُ بنُ أبي[٥] صُفرةَ[٦] رَجُلاً لا يَفي به أحَدٌ في الأرض، في الحَزمِ

---

(١) أبو شعيب: الطّاهر أبو شعيب الحرّاني، عبد الله بن الحسن، ولد سنة (٢٠٦هـ) قيل عنه ثقة، مأمون، وقيل كان يخطئ، توفيّ سنة (٢٩٦هـ) وهو ابن تسعين سنة.
(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٣/ ٥٣٦، وابن حجر العسقلاني، لسان الميزان: ٣/ ٣٢٤).

(٢) الجزر: رجوع الماء إلىٰ الخلف. (اللّسان: جزر).

(٣) المد: كثرة الماء. (اللّسان: مدد).

(٤) ما بين المعقوفين من الدّرويّ ص٧٠.

(٥) في الأصل (الي)، وهو تصحيف.

(٦) المهلّب بن أبي صفرة: أبو سعيد بن ظالم بن سراق بن صبح بن عمرو الأزدي البصري، الأمير البطل، قائد الكتائب، ولد عام الفتح، غزا الهند، وحارب الخوارج، ثم ولي خراسان، قال المهلّب: ينبغي أنْ يكون العفو من الملك عن القتل إلا في الحدود وأن لا يعفو عن والٍ ظالم، ولا عن قاضٍ مرتشٍ بل يعجّل بالعزل ويعاقب المتهم بالسجن، فحلم الملوك محمود إذا ما اتقوا الله وعملوا بطاعته. توفي غازياً بمرو في ذي الحجة سنة (٨٢هـ) وولي خراسان بعده ابنه يزيد بن المهلب.
(انظر: ابن حجر، الإصابة: ٦/ ٢١٠، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٣٠، والذهبي، العبر: ١/ ٧٠، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ٥/ ٣٥٠، وابن فرحون، الدّيباج المذهّب في معرفة أعيان المذهب: ٢/ ٢٢٦).

والعَزم، والصِّدقِ والأمانَة، والوَفاءِ والسُّنَّة، وحاجةِ النّاسِ إليه، واستِغنائه عَنهم، مع الوِلاياتِ الكَثيرة، والعَفافِ والتَّوقير، والعِلمِ بالَمصلَحَة.

وكانَ أجمَعَ النّاسِ لِخِصالِ الرِّجال؛ لَم يَخُض[١] في فِتنَةٍ قَطّ، ولا عُرِفَ بِجاهِلية، ولا قُذِفَ بِهُجنَة[٢]، وكانَ مِمَّن يُحمَلُ عنهُ الأثَر[٣]، ويُصَدَّقُ علىٰ الخَبر، معَ مَكانِه مِن السُّلطان، وقَتلِه للأقران.

وكانَ يُقال: «بَصرَةُ المُهَلَّب»[٤]؛ لِنَفيه الخَوارِجَ عَنها حينَ كَعَّ[٥] عَنهم! وجَمَعَ الوجوه، وقَلَّدوه الأمر، وعَظَّموا علَيه الحَقّ، وكُلَّ شَيء[٦]/ .

[٧] أيُّ[٨] هَذا أحسَنُ وأبهىٰ[٩]، [وأيُّها][١٠] أجمَلُ وأشكَل[١١]، اللِّمَّة[١٢]، أم

---

(١) في الدّروبيّ ص٧٠: (يَحُص) وهو تصحيف.

(٢) الهجنة: العيبة. (اللّسان: هجن).

(٣) الأثر: الخبر. (اللّسان: أثر).

(٤) المهلّب بن أبي صفرة هو سيّد العراق، حمىٰ البصرة من الشّراة بعد جلاء أهلها عنها، إلا من كانت به قوّة، فسميّت لذلك بصرة المهلّب.

(انظر: ابن العماد، شذرات الذهب: ١/ ١٦٨، واليافعي، مرآة الجنان: ١/ ٣٢٨، والدّينوري، الأخبار الطّوال: ص٤٠٢ – ٤٠٤).

(٥) كعّ: جبن. (اللّسان: كعع).

(٦) ساقطة من الدّروبيّ. وما تبقّىٰ من الفصل غير موجود في الدّروبيّ.

(٧) ابتداء ما جاء في السّندوبيّ ص٢١٨، وبيلا ص٦٢، والمبرّد ص٧٥.

(٨) في المبرّد ص٧٥: وما ندري أي الامور المتصلة برأسك أحسن.

(٩) أبهىٰ: أحسن وأجمل. (اللّسان: بها).

(١٠) ساقطة من الأصل، وما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(١١) أشكل: الشّكل هو المثل والشبه. (اللّسان: شكل).

(١٢) اللّمّة: شعر الرّأس الذي يجاوز شحمة الأذن، وسميت بذلك لأنها ألّمت بالمنكبين.(اللّسان: لمم).

خَطُّ[١] اللِّحيَة، أم الإكليلُ[٢] أم العِصابَة[٣]، أم التّاجُ[٤] أم العِمامَة[٥]، أم القِناعُ[٦] أم القَلَنسوَة[٧].

[٨]وأما قَدَمُكَ فهي التي يَعلَمُ الجاهِلُ كَما يَعلَمُ العالِمُ، ويَعلَمُ البَعيدُ والأقصىٰ كَما يَعلَمُ القَريبُ والأدنىٰ، أنّها لَم تُخلَقْ إلا لِمِنبَرٍ رَفيع[٩]، أو رِكابِ طِرفٍ كَريم[١٠].

وأما فوقَ فَهو الذي لا نَدري[١١]، أيُّ الذي تَفَوَّه[١٢] به أحسَن، وأيُّ الذي

---

(١) في السّندوبيّ ص٢١٨: مخط.

والمبرّد ص٧٥: محط.

(٢) الإكليل: عصابة مزيّنة بالجواهر والجمع أكاليل. (اللّسان: كلل).

(٣) العصابة: كل ما يُعصّب به الرّأس، وتكون في الحرب. (اللّسان: عصب).

(٤) ساقطة من المبرّد.

التاج: الإكليل، وقيل العمامة. (اللّسان: توج).

(٥) العمامة: من لباس الرّأس. (اللّسان: عمم).

(٦) القناع: ما تتقنّع به المرأة من ثوب يغطي رأسها ومحاسنها. (اللّسان: قنع).

(٧) القلنسوة: من ملابس الرأس، وهي غطاء الرأس وستره، وهي التي تدار عليها العمامة. (اللّسان: قلس).

(٨) من هنا تابع للحديث عن فصل (وما ندري غي أي الحالتين أنت أجمل) وهي جزء من رسالة التربيع والتدوير.

(٩) السّندوبيّ ص٢١٨، وبيلا ص٦٢: ثغر عظيم.

وهارون ٣/ ٩٠: لمنبر عظيم.

(١٠) طرف كريم: الفرس الكريم الأطراف؛ يعني الآباء والأمّهات. (اللّسان: طرف).

(١١) في السّندوبيّ ص٢١٨: ندري.

(١٢) في السّندوبيّ ص٢١٨، وهارون ٣/ ٩٠، وبيلا ص٦٢، والمبرّد ص٧٦: تتفوه.

مِنه[١] أجمَل: الحَديثُ أم الشِّعر، أم الاحتِجاج[٢]، أم الأمرُ أم النَّهي[٣]، أم التَّعليمُ أم الوَصف[٤]. وعلىٰ أنّا[٥] ما نَدري، أيُّ شأنَيكَ[٦] أبلَغ، وأيُّ بيانَيكَ أشفىٰ: أقَلَمُكَ أم خَطُّكَ أم لَفظُكَ[٧] أم إشارَتُكَ[٨]، أم عَقدُك[٩]؟ وهَل البَيانُ إلا لَفظٌ وخَطّ، وعَقد، وإشارَة[١٠]؟ وكُنتَ فَوقَ النّاس[١١]، والحَمدُ لله رَبِّ العالَمين[١٢]، وواحِدَهم، أُعيذُكَ[١٣] بالله، وأنتَ تَجوزُ الغاية، وتَفوقُ النِّهاية[١٤].

---

(١) في السّندوبيّ ص٢١٨: يبدأ به.

والمبرّد ص٧٦: تبدأ به.

(٢) الاحتجاج: الوجه الذي يكون به الظّفر عند الخصومة. (اللّسان: حجج).

(٣) في السّندوبيّ ص٢١٨، وبيلا ص٦٢، والمبرّد ص٧٦: والنهي.

(٤) في السّندوبيّ ص٢١٨، والمبرّد ص٧٦: والوصف.

(٥) في السّندوبيّ ص٢١٨، وبيلا ص٦٢، والمبرّد ص٧٦: أننا.

(٦) في السّندوبيّ ص٢١٨، وهارون ٣/ ٩٠، وبيلا ص٦٢، والمبرّد ص٧٦: ألسنتك.

(٧) في المبرّد ص٧٦: أقلمك أبلغ أم لفظك.

(٨) الإشارة: الإشارة تكون باليد والرّأس وبالعين والحاجب والمِنكَب والثوب والسيف، فقد يتهدد رافع السيف والسوط فيكون ذلك زاجرًا ومانعًا، ويكون وعيدًا وتحذيرًا.

(انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ٦١).

(٩) العقد: هو الحساب بأصابع اليدين، وهو دون اللّفظ والخط.

(انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ٦٣).

(١٠) السّندوبيّ ص٢١٩: أو إشارة أو عقد.

وعبارة «وهل البيان إلا لفظ وخط وعقد وإشارة» ساقطة من المبرّد.

(١١) في السّندوبيّ ص٢١٩، وهارون ٣/ ٩٠، وبيلا ص٦٢، والمبرّد ص٧٦: وأنت في ذلك فوقهم.

(١٢) عبارة «رب العالمين» ساقطة من السّندوبيّ وهارون والمبرّد.

(١٣) في بيلا ص٦٣، والمبرّد ص٧٦: وأعيذك.

(١٤) عبارة «وأنت تجوز الغاية وتفوق النهاية» ساقطة من المبرّد.

وقد عَلِمنا أنّ القَمَرَ الذي[1] تُضرَبُ به الأمثال، ويُشَبَّهُ به أهلُ الجَمال، وهو معَ ذلك يَبدو ضَئيلاً نِضوًا[2]، مُعوَجًّا[3] شَختًا[4]، وأنتَ أبَدًا قَمَرٌ بَدر، وبَحرٌ[5] غَمر[6]، ثمَّ هو[7] معَ ذلك يَحتَرِقُ في السِّرار[8]، ويُتَشاءَمُ به في المَحاق[9]/ ، ويَكونُ نَحسًا كَما يَكونُ سَعدًا، ويَكونُ ضَرًّا كَما يَكونُ نَفعًا[10]، ويَقرِضُ الكَتّان، ويُشحِبُ الألوان[11]، ويُخِمُّ اللَّحم[12].

---

(١) في السّندوبيّ ص٢١٩، وهارون ٣/ ٩٠، والمبرّد ص٧٦: هو الذي.

(٢) ساقطة من المبرّد.

نضوًا: هزيلاً. (اللّسان: نضا).

(٣) في السّندوبيّ ص٢١٩، والمبرّد ص٧٦: يظهر معوجا.

(٤) في المبرّد ص٧٦: شحبا.

شختًا: نحيفًا دقيقًا. (اللّسان: شخت).

(٥) في السّندوبيّ ص٢١٩، وهارون ٣/ ٩٠: وفخم.

(٦) في المبرّد ص٧٦: فخم ذمر، ولا وجه لها.

(٧) ساقطة من السّندوبيّ وهارون والمبرّد.

(٨) السّرار: الليلة التي يستسر بها القمر، واستسرّ القمر إذا خفي ليلة أو ليلتين أإذا كان الشهر تسعاً وعشرين سراره ليلة ثمان وعشرين، وإذا كان الشهر ثلاثين فسراره ليلة تسع وعشرين.

(اللّسان: سرر، والزّبيدي، محمّد مرتضىٰ الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، (تحقيق عبد العزيز مطر)، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٧٠م: ١٢/ ١٦).

(٩) المحاق: آخر الشهر إذا امّحق الهلال ولم يُرَ، وقيل أنْ يستسر القمر ليلتين فلا يرىٰ غدوة ولا عشيّة، وامحاق القمر احتراقه. (اللّسان: محق).

(١٠) في السّندوبيّ ص٢١٩: ويكون نفعا كما يكون ضرا.

(١١) يشحب الألوان: يغيرها. (اللّسان: شحب).

(١٢) في السّندوبيّ ص٢١٩، وهارون ٣/ ٩١، وبيلا ص٦٣: يخم فيه.

والمبرّد ص٧٦: يختر فيه اللحم.

يخم اللحم: يفسده وينتنه. (اللّسان: خمم).

وأنتَ دائمُ اليُمن، ظاهِرُ السَّعادَة، ثابِتُ الكَمال، شائعُ النَّفع، تَكسو مَن أعراه[١]، [وتُكِنُّ مَن أَحَبَه[٢]][٣]، وتُلينُ ما أخشَنَه[٤]. وعلىٰ أنَّه قد مَحَقَ حُسنَه المحاق، وشانَهُ الكَلَف[٥]، وليسَ بِذي تَوَقُّدٍ ولا اشتِعال، ولا خالصِ البَياضِ[٦] ولا مُتَلألِئ، ويَعلوه الغَيمُ[٧] ويَكسِفُه[٨] ظِلُّ الأرض[٩]، ثُمَّ لا يَعتَريه[١٠] ذلك إلا عِندَ تَمامِه[١١]، ولَيلَةِ بَدرِه[١٢] واحتِفالِه، وكَثيرًا ما يَعتَريه الصُّفار[١٣] مِن بُخارِ البِحار.

---

(١) الهاء في (أعراه) تعود علىٰ القمر.

(٢) في المبرّد ص٧٧: شحبه.

(٣) ما بين المعقوفين من السّندوبيّ ص٢١٩، وهارون ٣/ ٩١، وبيلا ص٦٣، والمبرّد: ص٧٧.

(٤) ساقطة من السّندوبيّ ومن بيلا وهارون والمبرّد.

(٥) الكلف: لون بين السّواد والحمرة. (اللّسان: كلف).

(٦) ساقطة من المبرّد.

(٧) في السّندوبيّ ص٢١٩ والمبرّد ص٧٧: برد.

(٨) في السّندوبيّ ص٢١٩، وهارون٣/ ٩١، وبيلا ص٦٣: يكسوه، وهو تحريف.

يكسفه: يُذهب ضوءه ويغيّره إلىٰ السّواد. (اللّسان: كسف).

(٩) في المبرّد ص٧٧: ويكسفه ظل.

(١٠) في هارون ٣/ ٩١، والمبرّد ص٧٧: يعتبر.

(١١) في السّندوبيّ ص٢١٩، وهارون ٣/ ٩١، وبيلا ص٦٣، والمبرّد ص٧٧: كماله.

(١٢) في السّندوبيّ ص٢١٩، وهارون٣/ ٩١، وبيلا ص٦٣، والمبرّد ص٧٧: فخره.

(١٣) في المبرّد ص٧٧: الصغار.

الصّفار: صفرة تعلو اللون والبشرة، وهو اليرقان والأرقان، وهو أنْ تصفرّ عينا الإنسان ولونه لامتلاء مرارته واختلاط المرّة الصّفراء بدمه. (انظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم: ص٩٨، اللّسان: صفر).

وأنتَ ظاهِرُ التَّمام، دائمُ الكَمال، سَليمُ الجَوهَر[١]، كَريمُ العُنصُر[٢]، ناريُّ التَّوَقُّد[٣]، هَوائيُّ الذِّهنِ[٤]، دُرّي[٥] اللَّون[٦]، رَوحانيُّ[٧] البَدَن.

فإن[٨] احتَجّوا علَيكَ بالمَدِّ والجَزر[٩]، احتَجَجتَ علَيهم بالعِلمِ والحِلم[١٠]، وبأنَّ طاعَتَكَ اختيارٌ [واعتبار][١١]، وطاعَتُه طِباعٌ[١٢] واضطِرار، وبأنَّ له سيرَةً قد قُصِرَ علَيها، ومَنازِلُ لا يَتَجاوَزُها[١٣]، ولا يُمكِنُه[١٤] البَدوات[١٥].

وليس في قواه فَضلٌ للتَصَرُّف[١٦]، وعلى أنّ ضياءَه مُستَعارٌ مِن الشَّمس،

---

(١) الجوهر: وهو ما خُلقت عليه جبلّته. (اللّسان: جهر).

(٢) كريم العنصر: كريم الأصل والحسب. (اللّسان: عنصر).

(٣) ناري التّوقد: التلألؤ والإضاءة. (اللّسان: وقد).

(٤) في المبرّد ص٧٧: هوائي الدهر.

هوائي الذهن: الفهم والعقل وسرعة البديهة، وأيضًا الفطنة والحفظ. (اللّسان: ذهن).

(٥) في هارون ٣/ ٩١، والمبرّد ص٧٧: بري.

(٦) درّي اللون: أي متلألئ ومشرق، وهو منسوب إلى الدر لصفائه ونقائه. (اللّسان: درر).

(٧) الرّوحاني: كالملائكة ممن خلق الله روحاً بغير جسد، أرواح ليس لها أجسام. (اللّسان: روح).

(٨) في المبرّد ص٧٧: وإن.

(٩) في السّندوبيّ ص٢١٩، وهارون ٣/ ٩١، والمبرّد ص٧٧: بالجزر والمد.

(١٠) في هارون ٣/ ٩١، والمبرّد ص٧٧: بالحلم والعلم.

(١١) ما بين المعقوفين من السّندوبيّ ص٢١٩، وبيلا ص٦٤، ساقطة من هارون والمبرّد.

(١٢) في المبرّد ص٧٧: طبع.

(١٣) في السّندوبيّ ص٢١٩، وهارون٣/ ٩١، والمبرّد ص٧٧: يجاوزها.

(١٤) في بيلا ص٦٤: تمكنه.

(١٥) في المبرّد ص٧٧: البدار.

والبدوات: الآراء التي تبدو أي تظهر. (انظر: لويس شيخو، المجاني الحديثة: ٤/ ٩١).

(١٦) المبرّد ص٧٧: للتعرف.

وضياؤكَ عاريةٌ عندَ جَميعِ الخَلق: فكَم[١] بَينَ المُعيرِ/ والمُستَعير، والمتبيِّنِ والمُتحَيِّر، وبَينَ العالِمِ وبَينَ مَن[٢] لا حِسَّ[٣] فيه.

ولا[٤] زالَت بِكَ الأرضُ مُشرِقَةً، والدُّنيا بكَ[٥] مَعمورَةً، ومَجالِسُ الخَيرِ مأهولَةً[٦]، ونَسيمُ[٧] الهَواء طَيِّبًا، وتُرابُ الأرضِ عَبِقًا.

وإنْ تَفَتَّيتَ[٨] فالرَّشاقَةُ والقَدّ، وإنْ تَنَسَّكتَ[٩] فالرَّهبانيةُ[١٠] والإخلاص، وإنْ مَزَحتَ[١١] فَثَهلانُ[١٢] ذو الهَضَباتِ[١٣] ما يَتَحَلحَل[١٤]، وإن

---

(١) في المبرّد ص٧٧: وكم.

(٢) في هارون ٣/ ٩٢، وبيلا ص٦٤: وما.

(٣) في المبرّد ص٧٧: خير.

(٤) في بيلا ص٦٤: فلا.

(٥) ساقطة من بيلا.

(٦) من قوله «ولا زالت بك الأرض...» إلى قوله «.. مأهولة» ساقطة من هارون والمبرّد.

(٧) في هارون ٣/ ٩٢، والمبرّد ص٧٧: وتعير.

(٨) في الأصل (بعلت)، وهو تصحيف. في المبرّد ص٧٨: هبت.

تفتيت: تشبهت بالفتيان، كنت فتىً، وظهرت فتىً، وصيّرت نفسك فتىً. (انظر: إبراهيم السّامرّائي، من معجم الجاحظ: ص٣٢٠، واللّسان: فتا).

(٩) في السّندوبيّ ص٢١٩، والمبرّد ص٧٨: تمسكنت. تنسكت: تعبّدت. (اللّسان: نسك).

(١٠) الرّهبانيّة: مصدر الرّاهب وهو المتعبّد بصومعته، وفيها يتخلّون عن أشغال الدنيا وترك ملذّاتها والزهد فيها والعزلة عن أهلها وتعهّد مشاقها. (اللّسان: رهب).

(١١) في السّندوبيّ ص٢١٩، والمبرّد ص٧٨: ترزنت.

(١٢) ثهلان: جبل في اليمن، يضرب به المثل في ثقله لشدة ضخامته.

(انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ١/ ٨٨، وابن دريد، جمهرة اللّغة: ١/ ١٣٨، الفارابي، كتاب ديوان الأدب: ٢/ ١٤، واللّسان: ثهل).

(١٣) الهضبات: جمع هضبة وهي الجبل الطويل الممتنع المنفرد. (اللّسان: هضب).

(١٤) في المبرّد ص٧٨: ما يتخلخل.

=

تَنَمَّرتَ[١] فأسَدٌ رابِضٍ علىٰ بِراثِنِه[٢].

[٣]فَجَوهَرُكَ فَلَكيّ[٤]، وتَركيبُكَ أرضيّ، ففيكَ[٥] طولُ البَقاء، ومَعَكَ دَليلُ الفَناء، وأنتَ عِلَّةٌ للمُتَضادّ، وسَبَبٌ للمُتَنافي، وما ظَنُّكَ بخَلقٍ لا تَضُرُّه الإحالَةُ[٦]، ولا يُفسِدُه التَّناقُض.

وطِباعُكَ [جُعِلتُ فِداكَ][٧] طِباعُ الخَمرِ إلا أنّها حَرامٌ وأنتَ حَلال[٨]، وجَوهَرُكَ

= ما يتحلحل: ما يتحرك من مكانه. (اللّسان: حلل)، وقال الفرزدق:

فـارفع بكفّـك أنْ أردت بناءنـا ... ثهلان ذا الهضبات مـا يتحلحـلُ

(انظر: ابن دريد، جهرة اللّغة: ١/ ١٣٨ مادّة حلل، وابراهيم السامرائي، من معجم الجاحظ: ص١٠٧).

(١) تنمّرت: تغيّر وجهه وعبس. (اللّسان: نمر).

(٢) في الأصل (برانته)، وهو تصحيف. وجملة «أسد رابض علىٰ براثنه» ساقطة من السّندوبيّ وبيلا والمبرّد.

(٣) من قوله «فجوهرك فلكي...» إلىٰ قوله «... لا يفسده التاقض» ساقطة من بيلا وهارون.

(٤) فلكي: أي سماوي. (اللّسان: فلك).

(٥) في الأصل (ففل)، وهو تصحيف.
وفي هارون ٣/ ٧٠، والمبرّد ص٧٨: فمنك.

(٦) الإحالة: الكلام الّذي عُدّل به عن وجهه، يقال: أحلت الكلام أحيله إحالة إذا أفسدته. (اللّسان: حول).

(٧) ما بين المعقوفين من المبرّد ص٧٨.

(٨) في السّندوبيّ ص٢١٩، وهارون ٣/ ٩٢، والمبرّد ص٧٨: وطباعك طباع الخمر إلا أنك حلال كلك.

جَوهَرُ الذَّهَبِ إلا أنَّكَ روحٌ كَما أنتَ. وقد حَوَيتَ جَمالَ[١] الياقوت؛ إلا ما زادَكَ الله عليه[٢]، وأخَذتَ حُسنَ[٣] المُشتَري؛ إلا ما فَضَلَكَ الله به، وجَمَعتَ خِلالَ الدُّرِّ إلا ما خُصِصتَ به دونَه، فَلَكَ مِن كُلِّ شَيءٍ صَفوه[٤]، ولُبابُه[٥]، وشَرَفُه[٦]، وبَهاؤه.

وهل يَضُرُّ القَمَرَ[٧] نُباحُ الكِلاب[٨]؟ وهل يُزَعزِعُ النَّخلَةَ سُقوطُ البَعوضَةِ علَيها[٩]؟[١٠] وإنّ مَن/ قايَسَ بَينَ الجَدوَلِ والبَحر، وبَينَ الحَصاةِ والطَّود[١١]، وبَينَ الجِيادِ والحَمير، لَغَيرُ عاقِلٍ ولا مُقايس.

---

(١) في السّندوبيّ، وهارون ٣/ ٩٢، والمبرّد ص٧٨: خصال.

(٢) ساقطة من المبرّد.

(٣) في السّندوبيّ ص٢٢٠، وهارون ٣/ ٩٢، والمبرّد ص٧٨: خصال.

(٤) في السّندوبيّ ص٢٢٠، وبيلا ص٦٥، والمبرّد ص٧٨: صفوته.

(٥) لبابه: خالصه. (اللّسان: لبب).

(٦) في المبرّد ص٧٨: وشرفه ولبابه.

(٧) في المبرّد ص٧٨: وهل يغير الفهد.

(٨) في السّندوبيّ ص٢٢٠، وهارون ٣/ ٩٣، والمبرّد ص٧٨: الكلب.

يقال في المثل «لا يضرُّ السّحاب نباح الكلاب».

(انظر: الجاحظ، الحيوان: ١/ ٣١، والميداني، مجمع الأمثال: ٢/ ٢١٥، والأبشيهي، أبو الفتح بهاء الدّين محمّد بن أحمد بن منصور (٨٥٤هـ/ ١٤٧٦م)، المستطرف في كلّ فنّ مستظرف، ط١، (تحقيق إبراهيم صالح)، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م: ١/ ١٠٥).

(٩) ساقطة من المبرّد.

(١٠) انتهاء ما ورد في السّندوبيّ وبيلا وهارون والمبرّد.

(١١) الطّود: الجبل العظيم. (اللّسان: طود).

[٥] فصل[١]

قد اعتَذَرنا[٢] في مَعصيتِكَ، والخِلافِ علىٰ محَبَّتِك؛ مَرَّةً بالمُزاح[٣]، ومَرَّةً بالنِّسيان، ومَرَّةً بالاتِّكالِ علىٰ عَفوِك، وعلىٰ ما هو أولىٰ بك، علىٰ أنّي لَم أُرِد بمُزاحِكَ إلا ضحكَ[٤] سِنِّك[٥].

انظُر هل هَرِمتُ إلا في طاعَتِك، وهل أخلَقَني[٦] إلا مُعاناةُ خِدمَتِك؟[٧] وفي الجُملَةِ إنّا لَو تَعَمَّدنا، ثمَّ أصرَرنا ثُمَّ أنكَرنا، لَكانَ في فَضلِكَ ما يَتَغَمَّدُه[٨]، وفي كَرَمِكَ ما يوجِبُ التَّغافُلَ عنه[٩].

فكَيف؟! وإنَّما سَهَونا ثُمَّ تَذَكَّرنا، ثُمَّ ظَننّا[١٠] أنّ ما فَعَلتَ[١١] لو كانَ

---

(١) ورد الفصل عند السّندوبيّ: ص٢٢٢ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، وهارون: ٣/ ٩٧ – ٩٨ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، وبيلا: ص٧٠ وص٤٨ – ٤٩، وعبيد الله: ٣/ ٧١ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، والمبرّد: ص٦٠، ٨٤ – ٨٥ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير.

(٢) في المبرّد ص٨٤: اعتدنا.

(٣) في السّندوبيّ ص٢٢٢: بالمزح.

(٤) يجوز (ضَحك) و(ضِحك).

(٥) الجملة ساقطة من عبيد الله والمبرّد.

(٦) أخلقني: أبلاني. (اللّسان: خلق).

(٧) من بداية هذه الفقرة إلىٰ هنا ساقطة من عبيد الله وهارون والمبرّد.

(٨) في السّندوبيّ ص٢٢٢، وعبيد الله ٣/ ٧١، وهارون ٣/ ٩٨: يتغمدنا.
يتغمّده: يستر ما كان منه. (اللّسان: غمد).

(٩) في السّندوبيّ ص٢٢٢، وعبيد الله ٣/ ٧١، وهارون ٣/ ٩٨، وبيلا ص٧٠: عنا.

(١٠) في السّندوبيّ ص٢٢٢، وعبيد الله ٣/ ٧١، وهارون٣/ ٩٨، والمبرّد ص٨٤: اعتذرنا.

(١١) عبارة «أنّ ما فعلت» ساقطة من بيلا والمبرّد.

ذَنبًا[١] كُنتَ[٢] شَريكي فيه، ولو كانَ تَقصيرًا كُنتَ[٣] سَبَبي إليه؛ لأنّ دَوامَ التَّغافُلِ شَبيهٌ بالإهمال، وتَركَ التَّعريفِ يُوَرِثُ الإغفال، والعَفوَ المُتَتابع[٤] والبِشرَ الدّائمَ يُؤَمِّنانِ من المُكافاة، ويُذهِبانِ [بالتّحفّظِ][٥] خَوفَ المُجازاة[٦]؛ ولذلك قال عُيَينَةُ[٧] بنُ حِصنٍ[٨] لعُثمانَ بنِ عَفّانَ، رضيَ الله عَنهما[٩]: «عُمَرُ[رضيَ الله عَنه][١٠]كانَ خَيرًا لي مِنك، أرهَبَني[١١] فأتقاني[١٢]، وأعطاني/ فأغناني، فإن كُنتُ اجتَرأتُ عليكَ فلَم أجتَرِئ علَيكَ إلا بك[١٣]، وإن كُنتُ أخطأتُ فلَم أُخطِئ إلا لك؛ لأنّ حُسنَ الظَّنِّ بِك، والثِّقَة

---

(١) في المبرّد ص٦٠: لو كان هذا ذنباً.

(٢) في بيلا ص٤٨: لكنت.

(٣) في المبرّد ص٦٠: لكنت.

(٤) في المبرّد ص٦٠: الشائع.

(٥) ما بين المعقوفين من بيلا ص٤٨، والمبرّد ص٦٠.

(٦) عبارة «خوف المجازاة» ساقطة من المبرّد.

(٧) في الأصل (عتبة) وهو تصحيف.

(٨) عُيَينَة بن حصن: ابن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جُوَيَّة، من بني فزارة، شهد غزوة حُنَين، وأعطاه النّبي مائة من الإبل، روىٰ عنه الجاحظ في كتبه، وذكر للنّبي فقال: الأحمق المطاع.
(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٤/ ٣١٨، ابن حجر، الإصابة:٤/ ٦٣٨، والطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٢/ ٩٠ – ٩٤، والدّارقطني، المؤتلف والمختلف: ١/ ٤٦١، ٣/ ١٦٠١).

(٩) جملة «رضي الله عنهما» ساقطة من المبرّد.

(١٠) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل. جملة «رضي الله عنه» ساقطة من هارون والمبرّد.

(١١) في المبرّد ص٦٠: رهّبني.

(١٢) في هارون ٣/ ٧٥: فاتّقاني.

(١٣) في المبرّد ص٦٠: به.

بعَفوِكَ سَبَبٌ لِقِلَّةِ[١] التَّحَفُّظ، وداعيةٌ إلىٰ تَركِ التَّوَقّي[٢]، وكَثرَةِ التَّدَلُّل[٣]»[٤].

[٦] فصل[٥]

وبعد؛ فَمَن يَهَبِ[٦] الكَبيرَ فكيفَ يَقِفُ[٧] عندَ الصَّغيرِ؟ ومَن لَم يَزَل يَعفو عن العَمدِ فكيفَ يُعاقِبُ علىٰ السَّهو؟ ولَو كانَ عِظَمُ قَدري هو الذي عَظَّمَ ذَنبي، لَكانَ عِظَمُ قَدرِكَ هو الذي يَشفَعُ[٨] لي، ولو استَحقَقتُ[٩] عِقابَكَ بإقدامي علَيك، معَ خَوفي لك[١٠]، لاستَوجَبتُ عَفوَكَ عَن إقدامي عليكَ لِحُسنِ[١١] ظَنّي بك.

---

(١) في بيلا ص٤٩، والمبرّد ص٦٠: إلىٰ قلة.

(٢) في هارون ٣/ ٧٥، وبيلا ص٤٩: التحرّز. وفي المبرّد ص٦٠: التجوز.
التّوقي: الصون والستر عن الأذىٰ. (اللّسان: وقي). وجاء في البيان: ١/ ١٤٥، والماوردي، تسهيل النّظر وتعجيل الظّفر في أخلاق المُلك: ١٨٦ «من التّوقي ترك الإفراط في التّوقي».

(٣) العبارة ساقطة من بيلا والمبرّد. التدلل: الفخر وأيضاً حسن المزح والهيئة. (اللّسان: دلل).

(٤) جاء القول في: الحصري، زهر الأدب جمع الجواهر في الملح والنّوادر: ٢/ ٥٠٦.

(٥) هذا الفصل تابع للفصل السّابق. ورد هذا الفصل السّندوبيّ: ص٢١٢ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، وهارون: ٣/ ٧٦ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، وبيلا: ص٤٩، والمبرّد: ص٦١– ٦٢ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير.

(٦) في هارون ٣/ ٧٦، وبيلا ص٤٩، والمبرّد: وهب.

(٧) في المبرّد ص٦١: يعف.

(٨) في السّندوبيّ ص٢١٢، وهارون ٣/ ٧٦، وبيلا ص٤٩، والمبرّد ص٦١: شفع.

(٩) في الأصل (استحقيت) وهو تصحيف.
في السّندوبيّ ص٢١٢، وبيلا ص٤٩، وهارون ٣/ ٧٦، والمبرّد ص٦١.

(١٠) في بيلا ص٤٩: منك.

(١١) السّندوبيّ ص٢١٢، والمبرّد ص٦١: بحسن.

علىٰ أنّي مَتىٰ أوجَبتُ لك العَفو، فقد أوجَبتُ لك الفَضل، ومَتىٰ أضَفتُ إليكَ العِقاب، فقد وَصَفتُكَ بالإنصاف. ولا أعلَمُ حالَ الفَضلِ إلا أشرَفَ مِن حالِ العَدل، والحالَ[١] التي توجِبُ الصَّبر[٢] إلا أرفَعَ [من][٣] الحالِ التي توجِبُ العُذر[٤].

فإن[٥] كُنتَ لا تَهَبُ عِقابيَ لحُرمَتي، فَهَبهُ لأياديكَ عِندي، فإنّ النِّعمَةَ تَشفَعُ في النِّعمَة[٦]، وإن[٧] لَم تَفعَل ذلك لِلحُرمَة، فافعَلهُ لِحُسنِ[٨]/ الأُحدوثَة[٩]، فإن لم تُحامِ علىٰ حُسنِ[١٠] الأُحدوثَة[١١]، فَعُد[١٢] إلىٰ حُسنِ العادَة، وإن لَم تَعُد[١٣] إلىٰ حُسنِ العادَةِ[١٤] فأتِمّا أنتَ أهلُه. [ولو لم][١٥] تَدَعِ الإنصافَ إلا لأنَّكَ فَوقَه، لَكانَ ذلك واجِبًا، وفي حُكمِ الكَرَمِ لازِمًا[١٦].

---

(١) في السّندوبيّ ص٢١٢، وبيلا ص٤٩: ولا الحال.

(٢) في السّندوبيّ ص٢١٢، وهارون ٣/ ٧٦، وبيلا ص٤٩، والمبرّد ص٦١: توجب لك الشكر.

(٣) ما بين المعقوفين من السّندوبيّ ص٢١٢، وبيلا ص٤٩، وهارون ٣/ ٧٦، والمبرّد٦١.

(٤) في السّندوبيّ ص٢١٢، وهارون ٣/ ٧٦، وبيلا ص٤٩، والمبرّد ص٦١: توجب لك الصبر.

(٥) في المبرّد ص٦١: وإن.

(٦) في بيلا ص٤٩: النقمة.

(٧) في السّندوبي ص٢١٢، وهارون ٣/ ٧٦: فإن.

(٨) في المبرّد ص٦١: لحب.

(٩) الأحدوثة: ما حُدّث به، وهو واحد الأحاديث. (اللّسان: حدث).

(١٠) في هارون ٣/ ٧٦، وبيلا ص٤٩: وإن لم تفعل ذلك لحسن.

(١١) عبارة «فإن لم تحام لحسن الأحدوثة» ساقطة من المبرّد.

(١٢) في المبرّد ص٦٢: وعد.

(١٣) في السّندوبيّ ص٢١٢، وبيلا ص٤٩: تفعله.

(١٤) في المبرّد ص٦٢: وإن لم تفعل ذلك لحسن العادة.

(١٥) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(١٦) من «ولو لم تدع الانصاف...» نهاية الفصل ساقطة من المبرّد.

[٧] فصل[١]

وقَد شاعَ الخَبَر، وسارَ المَثَلُ بقَولِهِم: «اطلُبوا الحَوائجَ عِندَ حِسانِ الوجوه»[٢]. وإن كانَ ذِكرُ الوجوهِ[٣] إنَّما وَقَعَ[٤] علىٰ حُسنِ وَجهِ الطَّلَب[٥]، وجَمالِ جِهَةِ الرَّغبَة[٦]، وكانَ علىٰ طَريقِ المَثَلِ السّائر[٧]، وعلىٰ سَبيلِ اللَّفظِ المُشتَقِّ [من اللَّفظ][٨]، والفَرعِ

---

(١) ورد الفصل في هارون: ٤/ ٢١٩ بعنوان: رسالته في استنجاز الوعد، والحاجري: ص٣٥–٣٧ بعنوان: فصول في الهجاء، والمورد: ص١٩٣.

(٢) في هارون ٤/ ٢١٩، والمورد ص١٩٣: اطلبوا الحاجات من حسان الوجوه. وجاء بعد هذا الكلام في هارون ٤/ ٢١٩، والمورد: ص١٩٣: «فإن كَانَ الوَجهُ إنَّما وَقَعَ علىٰ الوَجهِ الذي فيهِ النَّاظِرُ والسَّامِع، والشَّامُّ والذَّائِق، إذَا كَانَ حَسَناً جَميلاً، وَعَتيقاً بَهياً، فَوَجهُكَ الذي لا يُحيلُ علىٰ أَحَدٍ كَـمَالُه، لا يُخطِئ جِوَالُـهُ». وجاء في البيان والتبيين: ٢/ ١٣٩ «قضىٰ الله لك الحوائج علىٰ أحسن الوجوه وأهنؤها».

والحديث «أطلبوا حوائجكم عند حسان الوجوه، فإن قضىٰ حاجتك قضاها بوجه طليق، وإن ردّك ردّك بوجه طليق، فربّ حسن الوجه دميمُهُ عند طلب الحاجة، وربّ دميم الوجه حسنُهُ عند طلب الحاجة».

(انظر: المتقي الهندي، كنز العمّال في سنين الأقوال والأفعال: ٨/ ٣٥٦، الحديث رقم ١٣٧٣٣).

ويقال «اطلبوا الحوائج إلىٰ ذي الرّحمة من أمّتي». (انظر: ورّام، تنبيه الخواطر ونزهة النّواظر: ١/ ٩).

(٣) في هارون ٤/ ٢١٩، والمورد ص١٩٣: الوجه.

(٤) في هارون ٤/ ٢١٩، والمورد ص١٩٣: يقع.

(٥) في هارون ٤/ ٢١٩، والمورد ص١٩٣: المطلب.

(٦) في هارون ٤/ ٢١٩، والمورد ص١٩٣: وجماله علىٰ جهة الرّغبة.

(٧) في هارون ٤/ ٢١٩، والمورد ص١٩٣: وإن كان ذلك علىٰ طريق المثل.

(٨) ما بين المعقوفين من هارون: ٤/ ٢١٩، والمورد: ١٩٣.

المأخوذِ من الأصل، فَوَجهُ المَطلَبِ إليكَ أفضَلُ الوُجوهِ وأسناها، وأثوَبُها[١] وأنكأها[٢]، وهو المَنهَجُ الفَصيحُ[٣]، والمَتجَرُ الرَّبيح، وجَمالُه ظاهِر، ونَفعُه حاضِر، وخَيرُه غامِر، إلا أنّ الله [تَعالىٰ][٤] قَرَنَه معَ ذلك باليُمن، وسَهَّلَه باليُسر، [وحَبَّبه بالبِشرِ الحَسَن][٥]، ودَعا إليه بلينِ الحِجاب[٦]، وكُنتُ كَما قال الشّاعِر[٧]:

هَــشٌّ إذا نَــزَلَ الوُفــودُ بِبابِــهِ   سَهلُ الحِجـابِ مُـؤَدَّبُ الخُـدّامِ

---

(١) في هارون ٤/ ٢١٩: وأصونها.
والمورد ص١٩٣: وأصوبها.

(٢) في هارون: ٤/ ٢١٩.
نكأ: أي لا تصاب بوجع. (اللّسان: نكأ).

(٣) في هارون ٤/ ٢١٩، والمورد ص١٩٣: المنهج الفسيح.

(٤) ما بين المعقوفين من هارون: ٤/ ٢١٩، والمورد: ١٩٣.

(٥) ما بين المعقوفين من هارون: ٤/ ٢١٩، والمورد: ١٩٣.

(٦) في الأصل (الخطاب)، وما أثبت من هارون ٤/ ٢١٩، والمورد ص١٩٣. إلىٰ هنا ينتهي ما ورد في هارون والمورد.

(٧) هو ابراهيم بن هرمَة، ونسبا لمحمد بن بشير الخارجي في بهجة المجالس ١/ ٢٧٢، ونسبا أيضاً إلىٰ أبي تمّام، والصّواب لابن هرمة كما في حماسة أبي تمّام. ورد البيتان في البيان والتبيين: ١/ ١١٩، ٢/ ٢١٨ (أخو الأرحام)، والخطيب التّبريزي، شرح ديوان الحماسة: ١/ ٣٣٤، وابن عبد البر، بهجة المَجالِس وأُنس المُجالِس وشحذ الذّاهن والهاجس: ١/ ٢٧٢، وابن قتيبة، عيون الأخبار: ١/ ١٦٢، والمرزباني، معجم الشّعراء: ص٣٤٣، وص ٧٥، ومحاضرات الأدباء: ٢/ ٢، والمحاسن والمساوئ: ص١٦٠، والماوردي، أدب الدّنيا والدّين: ص٣٤٦، والعقد الفريد: ٢/ ٢٩٤، وخزانة الأدب: ٩/ ٤٠٣:

سَهلُ الفِنَـاء إذا حللـت ببابـه   طلـقُ اليـدين مـؤدَّبُ الخـدّام
وإذا رأيـت صـديقه وشـقيقه   لم تـدرِ أيّهـا ذوو الأرحـام

وإذا رأيتَ شَقيقَهُ وصَـديقَهُ　　　لَم تَـدرِ أيُّهُـما ذَوو الأرحـامِ

هذا والأيّامُ لَيسَت تَزيدُكَ إلا نُبلاً وسُروّاً[١]/ [٢]. قال ثُمامَةُ بنُ أشرَسَ[٣] في كَلامٍ له:

«لَم يَطمَع أحَدٌ قَطُّ في مالِه إلا ليَبلُغَه[٤] بالطَّـمَعِ في غَيرِه[٥]، ولا يَشفَع[٦] لصَديق، ولا تَكَلَّمَ في حاجَةِ مُتَحَرِّمٍ به إلا ليُلَـقِّنَ المَسؤولَ حُجَّةَ مَنع، وليَفتَحَ علىٰ السّائلِ بابَ حِرمان».

قالَ أبو بَكرٍ الأصَمّ[٧]: «لَم أرَ مِثلَه، بَل لَم أسمَع، والسَّماعُ أكثَر، بَل لا أتَوَهَّم،

---

(١) سروًّا: مروءة وشرف. (اللّسان: سرو).

(٢) من هنا ابتداء ما ورد في الحاجري.

(٣) ثمامة بن أشرس: أبو معن النميري البصري المتكلّم، من رؤوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن، كان نديمًا ظريفًا صاحب مُلَح، اتّصل بالرشيد ثم بالمأمون، روىٰ عنه الجاحظ، كان يقول أنْ العالم فعل الله بطباعه، وأن المقلّدين من أهل الكتاب وعبّاد الأصنام لا يدخلون النار بل يصيّرون تراباً، وأن من مات مصراً علىٰ كبيرة خلّد في النار، وأن أطفال المؤمنين يصيرون تراباً.
(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٨٤، والذهبي، العبر، ١/ ٣٥٩، والصفدي، الوافي بالوفيات: ١١/ ١٦، والذهبي، ميزان الاعتدال ٢/ ٩٤).

(٤) في الحاجري ص٣٥: ليشغله.

(٥) في الحاجري ص٣٥: فيه عن غيره.

(٦) في الحاجري ص٣٥: تشفّع.

(٧) أبو بكر الأصمّ: شيخ المعتزلة، كان ثمامة بن أشرس يتغالىٰ فيه، ويطنب في وصفه، وكان ديّناً وقوراً، صبوراً علىٰ الفقر، منقبضاً عن الدولة، له تفسير، وكتاب خلق القرآن، وكتاب الحجة والرّسل، وكتاب الحركات، والرد علىٰ الملحدة، والرد علىٰ المجوس، والأسماء الحسنىٰ، وافتراق الأمّة، ومات سنة (٢٠١هـ).
(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٥٧، والنّديم، الفهرست ٢١٤).

والتَّوَهُّم[١] أفسَح، وما ظَنُّكُم بِمَن يُمسي في غَضَبِ الله [تعالىٰ][٢] وسَخَطِه، ويُصبِحُ في خِذلانِ الله وتَخليَتِه من يَدِه، وما ظَنُّكُم بِمُتكلِّمٍ لا يَعرِفُ قَولَه، ولا يَقضِي علىٰ مَذهَبِه، سَواءٌ عِندَهُ التَشبيهُ ونَفيُه[٣]، والخَيرُ[٤] وضِدُّه، والإرجاءُ[٥] وخِلافُه، لا يُعادي الخارِجيّ، ولا يَتَوَلّىٰ النّابِتيّ، ولا يَحفَلُ بالجَماعيّ، ولا يَغضَبُ علىٰ الرّافِضي».

وقال الحُصَينُ بنُ الحُسَين[٦] في كَلامٍ له: «إنَّ مِمّا يُؤيَسُ[٧] [مِن][٨] رُجوعِه، ويُقنَطُ مِن نُزوعِه، وأنّ الله قد طَبَعَ علىٰ قَلبِه في اللُّؤم، وضَرَبِ علىٰ سَمعِه في البُخل. أنَّ البَخيلَ الموسِر، والمَنوعَ[٩] المُثري[١٠]، إذا كانَ عاقِلاً، وبأُمورِ النّاسِ عارِفًا، لا يَسوغُ له شَرابٌ، ولا يَطيبُ له عَيش، وأنّه لا يَقدِرَ علىٰ مُخالَطَةِ النّاس، ومُلابَسَتِهم، ومُجاوَرَتِهم[١١]،

---

(١) التوهم: التفرّس والتوسّم والتبيّن، وأيضاً التخيّل والتمثّل. (اللّسان: وهم).

(٢) ما بين المعقوفين من الحاجري ص٣٥.

(٣) في الأصل (التسبيه وبغيه)، وهو تصحيف.

والتّشبيه: التشبيه الإلهي، وهو عبارة عن الجمال الإلهي؛ لأن الجمال الإلهي له معاني، وهي الصور والأوصاف الإلهية، وله صور وهي تجليّات تلك المعاني فيما يقع عليه من المعقول والمحسوس.

(انظر: عبد المنعم الحنفي، معجم مصطلحات الصوفية: ص٤٤ – ٤٥).

(٤) في الحاجري ص٣٦: والجبر.

(٥) الإرجاء: التأخير، ومنه سميّت المرجئة الّذين يقولون الإيمان قول لا فعل. (اللّسان: رجأ).

(٦) لم أجد له ترجمة.

(٧) يؤيس: من اليأس.

(٨) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٩) المنوع: الضنين الممسك. (اللّسان: منع).

(١٠) المثري: كثير المال. (اللّسان: ثرا).

(١١) في الحاجري ص٣٦: ومجاراتهم.

ومُصاهَرَتِهم، إلا بأن يَجعَلَ التَّواضُعَ دَرِيئَةً[١] دونَ مالِه، والسَّعيَ في حَوائجِهم جُنَّةً دونَ عِرضِه، وعلىٰ أنْ لا يَجمَعَ بَينَ الكِبرِ والمَنع، وبَينَ التَّنبُّلِ/ والبُخل، إلا ما كانَ مِن هَذا الرَّجل؛ فإنَّهُ قَد خَرَجَ مَن طِباعِ الأُمَّة، ونَقَضَ ما تَجري عليه[٢] العادَة، فبَلَغَ في الكِبرِ الغايَة، كَما بَلَغَ في البُخلِ النِّهايَة، إلا أنْ كِبرَه

لايجوزُ العامَّة[٣]، وأَهلَ[٤] الرَّغبَةِ والحُرمَة، هَذا معَ ثِقَلِ الرّوحِ والفَدامَة[٥]، والبَردِ والوَخامَة[٦].

فلَو كانَ حُلوَ الحَديثِ عَذَرتُه، ولَو كانَ حَسَنَ الاستِماعِ أمسَكتُ عنه، ولو تَمَسَّكَ بسَبَبٍ من الخَير، وإن ضَعُف، أو رَغِبَ في شَيءٍ من المَعروف، وإن قَلّ، لأضرَبتُ عَنه صَفحًا، ولَطَوَيتُ عَنه كَشحًا، ولكِنَّه[٧] استَفرَغَ اللُّؤمَ وتَعَرَّقَه[٨]، وبَلَغَ غايَتَهُ واستَوعَبَه، كيفَ ولم يَسمَع بمَليحَةٍ[٩] قَطُّ ولا فَهِمَها، ولا تَبَسَّمَ مِن نادِرَةٍ قَطُّ ولا عَقِلَها».

وذَكَره مَرَّةً أُخرىٰ، فَقالَ: «أمتَنِعُ واللهِ من استِحسانِ ما يَقولُه المتَحَرِّمُ به، ومِن

---

(١) في الأصل (دريه)، وهو تصحيف.

(٢) في الحاجري ص٣٦: ما عليه تجري.

(٣) في الحاجري ص٣٦: لا يجوز إلا لعامة الرعية والحرمة.

(٤) في الأصل (وهل)، وهو تصحيف.

(٥) الفدامة: العيي عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم، وهو الغليظ الأحمق الجافي. (اللّسان: فدم).

(٦) الوخامة: الثقيل من الرجال البين الوخامة. (اللّسان: وخم).

(٧) في الحاجري ص٣٦: ولكن.

(٨) تعرّقه: صار عريقًا به. (اللّسان: عرق).

(٩) في الحاجري ص٣٦: بملحة.
المليحة: الأحاديث والأخبار. (اللّسان: ملح).

استِجادَةِ ما يَظهَرُ مِن[١] المُنقَطِعِ إليه، وإنْ حَسُنَت مَعانيه، وشَرُفَت أَلفاظُه، وسَهُلَت مَخارِجُه، مَخافَةَ أنْ يَزيدَ ذلك في طَمَعِه، وأن يَفسحَ[٢] مِن أمَلِه، ويَجعَلَه حُجَّةً عليه عندَه، بِقَصرِه[٣] وحِرمانِه إيّاه»[٤].

لم يَفهَم عَن الله شَيئًا قَطُّ إلا زادَه[٥]، ولا رَوىٰ أثَرًا، ولا طَلَبَ شِعرًا، ولا حَفِظَ خَبرًا، ولا قَرأ تَنزيلاً[٦]، ولا سَمِعَ تأويلاً، وقد رَضيَ بكِتابِ المَنطِقِ بَدَلاً مَن القُرآن، وبالكَونِ والفَسادِ عِوَضًا مِن الأحكام، وبالعَرَضِ[٧] والجَوهَرِ[٨] خَلَفًا، وبالجُزءِ[٩] والطَّفرَةِ/ شَرَفًا».

---

(١) في الحاجري ص٣٦: منه.

(٢) في الأصل (فسح) وما أثبت من الحاجري ص٣٧.

(٣) في الأصل غير منقوطة.

(٤) في الحاجري ص٣٧: في تقصيره به وحرمانه إياه.

(٥) في الحاجري ص٣٧.

زاده: دفعه. (اللّسان: زود).

(٦) في الأصل (تريلا)، وهو تصحيف.

(٧) ورد في عبيد الله في رسالة في خلق القرآن، ٣/ ٢٢٠ (العرض لا يقوم بنفسه ولا بدّ من أنْ يقوم بغيره، والأعراض من أعمال الأجسام، لا تكون إلا منها، ولا توجد إلا بها وفيها، والجسم لا يكون إلا من جسم، ولا يكون إلا من مخترع الأجسام).

والعرض: اسم لما لا دوام له، وما كان قائمًا في جوهره وليس جوهرًا وهو صفة الجوهر.

(انظر: نشوان الحميري، الحور العين: ص١٣٧، وص٢٤٢).

(٨) الجوهر: الموجود القائم بنفسه، الحامل للعرض، ويقابله العرض، وهو علىٰ ضربين: مركّب وهو الجسم مثل الجسد، وبسيط وهو النّفس والرّوح، وينحصر الجوهر في خمسة: هيولىٰ وصورة وجسم ونفس وعقل.

(انظر: نشوان الحميري، الحور العين: ص١٣٧، وص ٢٤٣، وأحمد أمين، ضحىٰ الإسلام: ٣/ ١٠٤، ومعجم مصطلحات الصوفية: ص٦٨ – ٦٩).

(٩) في الأصل (الحز)، وهو تصحيف.

إذا فَكَّرَ المسلِمونَ في الجَنَّةِ [والنّارِ][١]، فَكَّرَ في الدِّرهَمِ والدّينار، وإذا فَكَّرَ الكَريمُ في الذِّكر، والعابِدُ في الأجر، فَكَّرَ في الاحتيالِ للمَنع، وفيما زادَ علىٰ الجَمع، وهوَ نَسيجُ وَحدِه في اللُّؤم، وواحِدُ عَصرِه في البُغض، وهو الصِّرفُ[٢] فيهِما البَحتُ[٣]، والخالِصُ المحض[٤]، قد أصبَحَ إمامَ كُلِّ لَئيم، وقائدَ كُلِّ دَنِيء.

وحَسبُكَ برَجُلٍ أوصىٰ إلىٰ العُتبي[٥]، وتَفَرَّسَ الخَيرَ في المَروَزيّ[٦]، وقالَ في وَصيتِه وتَحضُرُه جَماعَةٌ مِن فُقَراءِ أهلِه: يَزعُمونَ أنّ رَسولَ الله ﷺ قال: «الثُلُث، والثُّلُثُ كَثير»[٧]، وأنا أزعُمُ أنْ ثُلُثَ الثُّلُثِ كَثير، للمَساكين حَقُّهُم في بَيتِ المال، إنْ

---

(١) ما بين المعقوفين من الحاجري ص٣٧.

(٢) الصرف: الخالص من كل شيء. (اللّسان: صرف).

(٣) البحت: الخالص من كل شيء، الذي لا يخالطه شيء. (اللّسان: بحت).

(٤) المحض: الخالص الذي لا يشوبه شيء. (اللّسان: محض).

(٥) في الأصل (العيثي)، وهو تصحيف.

العتبي: أبو عبد الرّحمن الأموي، محمّد بن عبد الله بن عمرو، من بني عتبة بن أبي سفيان، أديب كثير الأخبار، له شعر حسن، من أهل البصرة، ووفاته فيها سنة (٢٢٨هـ)، له تصانيف حسان، منها: «أشعار النّساء اللاتي أحببن ثمّ أبغضن» و«الأخلاق» و«الخيل».

(انظر: الذّهبي، العبر: ١/ ٣١٧، وابن خلّكان، وفيات الأعيان: ٤/ ٣٩٨).

(٦) المروزي: هارون بن خالد، والٍ من أمراء الدّولة العبّاسيّة، ولاّه المتوكّل السّند سنة (٢٣٢هـ)، واستمرّ إلىٰ أنْ نشبت فتنة بين اليمانيّة والنزاريّة فقتل فيها سنة (٢٤٠هـ).

(انظر: الزركلي، الأعلام ٨/ ٦٠).

(٧) الحديث في موطّأ مالك بن أنس ص٦٦٦: عن مالك عن ابن شهاب عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص عن أبيه، أنّه قال: جاءني رسول الله، ﷺ، يعودُني عام حجّة الوداع، من وجعٍ اشتدّ بي، فقلت: يا رسول الله، قد بَلَغَ بي من الوَجَعِ ما ترَىٰ، وأنا ذُو مالٍ، ولا يَرِثني إلا ابنةٌ لي، أفأتَصَدَّقُ بِثُلُثَي مالي؟ قال رسولُ الله، ﷺ: «الثُّلُث، والثُّلُثُ كَثيرٌ، إنَّكَ أنْ تَذَر ورثتكَ أغنياءَ، خَيرٌ مِن =

طَلَبوه طَلَبَ الرِّجالِ أخَذوه، وإنْ جَلَسوا عنه جُلوسَ النِّساءِ مُنِعوه، فَلا يُرغِمُ الله أُنوفَهم[١]، ولا رَحِمَ مَن رَحَمَهم. فهذه وَصيتُه، والعُتبيّ والمَروَزيّ خيرَتُه، وتِلكَ سُنّتُه وطَريقَتُه.

[٨] فصل[٢]

فَلا تَعجَل أيُّها السّامع، واعلَم أنّي مُقَصِّرٌ فيما أتَوَلّىٰ مِن وَصفِه: هو[٣] رَجُلٌ لا يَنجَعُ[٤] فيه الرُّقىٰ[٥]، ولا تَنفُذُ فيه الحيل، ولا تَهُزُّه[٦] الرّيح، ولا يَحُزُّ فيه اللَّوم، ولا يَتَوَهَمُ أحاديثَ غَد، ولا يُؤلِمُه التَّوبيخ، ولا يُبالي سَخَطَ الكِرام، ولا شَكيةَ[٧] الأحرار، ولا وَعيدَ الرِّجال، ولا لُزومَ الحُجَّة، ولا إزاحَةَ[٨] العِلَّة[٩].

= أنْ تَذَرَهُم عالَةً يتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وإنّكَ لن تُنفِقَ نَفَقَةً تَبتَغي بِهَا وَجهَ الله إلا أُجِرتَ» صدق رسول الله.

(الإمام مالك بن أنس، الموطأ: ص٦٦٦).

(١) في الحاجري ص٣٧: إلا أنوفهم. يقال «أرغم الله أنوفهم» مثل يضرب في الذل والعجز عن الانتصاف والانقياد علىٰ كُرهٍ. (انظر: الجاحظ، الحيوان: ٣/ ٣٠٦).

(٢) ورد هذا الفصل في الحاجري: ص٣٧ – ٣٨ بعنوان: فصول في الهجاء، وأبي النصر: ص٣٢.

(٣) في الحاجري ص٣٧: فهو.

(٤) في الحاجري ص٣٧: تنفع.

وفي أبي النصر ص٣٢: تنجع.

ينجع: ينفع. (اللّسان: نجع).

(٥) الرّقىٰ: العوذة التي يُرقىٰ بها صاحب الآفة. (اللّسان: رقا).

(٦) في الحاجري ص٣٧: يهزه.

(٧) شكيّة: إظهار ما يصفك به غيرك من المكروه. (اللّسان: شكا).

(٨) في الحاجري ص٣٨: إناخة.

(٩) العلّة: الحدث يشغل صاحبه عن حاجته. (اللّسان: علل).

وَليه كَعَدوِّه، وجارُه الأدنىٰ/ كالأجنَبيِّ الأقصىٰ. رَفيقُه جائع، وصَديقُه ضائع، وجارُه ذَليل، وناصِرُه مخذول، وجَليسُه مَقموع، وغَريمُه ممنوع، وصَفيه[١] محجوب[٢]، وخادِمُه مَكروب، وكَلبُه مَهزول، وبابُه مَهجور، وأكيلُه[٣] في تَقيَّة[٤]، وشَريبُه في بَلية، وكُلُّهم [في][٥] جَهدِ البَلاء، لَولا راحَةُ الدُّعاء.

هَذا معَ [ظُلمِ][٦] العِباد، وإخرابِ البِلاد، والخيانَةِ الكَثيرَة، والتَضييعِ الفاحِش، والضَّعفِ عَن عَمَلِه، وإشلاءِ[٧] الجُندِ علىٰ رَعيَّتِه[٨]، والحُكمِ بالرِّشا، والحِجابِ الشَّديد، وضَربِ الخُصوم، والجَبهِ[٩] للشُّهود، مع الجَهلِ بالحُكومَة، وضيقِ الصَّدرِ في المُنازَعَة. لا يَرحَمُ المَظلوم، فإن استَرحَمَه ازدادَ عليه غِلَظًا، ولا يَرِقُّ لفَقير، فإن تَعَرَّضَ له قَتَلَه جوعًا.

[٩] فصل[١٠]

أنا أدُلُّك علىٰ صِفَةِ هذا الرَّجُل. وَيلٌ لِمَن ظَنَّ أنَّه يَرجوه، أو يَطمَعُ فيه، ووَيلٌ لِمَن

---

(١) صفيّه: الذي يصافيه الود ويخلصه له. (اللّسان: صفا).

(٢) محجوب: مستور وممنوع من الدخول. (اللّسان: حجب).

(٣) أكيله: الذي يؤاكله. (اللّسان: أكل).

(٤) تقيّة: حذر. (اللّسان: وقي).

(٥) ما بين المعقوفين من الحاجري ص٣٨، وأبي النصر: ص٣٢.

(٦) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٧) أشلاء: اتّخاذ الجند كالكلاب. (اللّسان: شلا).

(٨) في أبي النصر ص٣٢: وابتلاء الجند علىٰ رغبته.

(٩) الجبه: رد الرجل عن حاجته واستقباله بما يكره. (اللّسان: جبه).

(١٠) ورد الفصل عند الحاجري ص٣٨ بعنوان: فصول في الهجاء.

عادَ إلىٰ تأميلِه، أو طمع في مالِه. ووَيلٌ لِمَن أثنىٰ عَليه خَيرًا، وقَدَّرَ لَدَيه عُرفًا، ووَيلٌ لِمَن تَرَكَ الرَّدَّ عليه، ولم يَرفَع ذلك إليه.

لَـم يُضمِر قَطُّ لأحَدٍ[1] حُبًّا، ولا تَمَنَّىٰ له خَيرًا، ولا اشتاقَ إلىٰ صَديقٍ، ولا استَوحَشَ إلىٰ أنيس.

لَـم يَتَوكَّل قَطُّ إلا علىٰ حيلِه[2]، ولا فَزِعَ إلا إلىٰ رأيِه، ولا عَـرَفَ الاستِخارَةَ والاستِشارَةَ.

[يسخَرُ مِمَّن يَرىٰ أنّ البَرَكَةَ في المَشورَة، وأنّ النُّجحَ مَقرونٌ بالاستِخارَة][3]، وأنّ الكَريمَ مُضمِرٌ بالحَيرَة[4]، وأنّ الدُّعاءَ يَكشِفُ البَلاء، ولا يَعرِفُ التَّوفيقَ/ [5].

اجتَرأ عَليهِ خَصمُه، ولا يَزيدُه التَّقريعُ[6] إلا قِحَةً[7]، والاستِرحامُ إلا قَسوَةً، والتَّخويفُ إلا صَرامَةً.

وأوَّلُ ما يَحتاجُ إليه الإنسانُ أنْ يَكونَ تامَّ القامَة؛ لأنه إلىٰ أنْ يُمتَحَن يُهاب، وكأنّي بكَ إذا قَرأتَ كِتابي هذا وقيلَ لَك: هو بالباب، ودَخَلَ فتأمَّلتَه، فَوَجدتَه كَما وصَفتُ ضَحِكت، وأنا أسألُكَ إنْ ضَحِكت، فقال لَك: ما أضحَكَك؟ فإنَّه مِن أكثرِ

---

(١) في الحاجري ص٣٨: لأحد قط.

(٢) في الحاجري ص٣٨: حيلته.

(٣) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٤) ساقطة من الحاجري.

(٥) انتهاء ما جاء في الحاجري.

(٦) التقريع: التأنيب والتعنيف، وقيل هو الإيجاع باللوم. (اللّسان: قرع).

(٧) قِحَة: وقاحة. (اللّسان: قحح).

النّاسِ فُضولاً واعتِراضًا في كُلِّ شَيء، إلا [إذا][(١)] خَبَّرتَه بصِفَتِه. وإنْ أَردتَ أنْ تَزدَريه فَلا تُكَلِّمه قاعِدًا؛ فإنّ في أضلاعِه طولاً، وفي بَطنِه عِظَمًا، ولَكِن أقِمهُ صاغِرًا[(٢)]، فإنّ عَينَكَ تَقتَحِمُه دَمامَةً[(٣)] وذِلَّةً.

واذكُرني عندَ هذه الفِعلَةِ بدِقَّةِ الفِطنَةِ وذَكاءِ الذِّهن. ولقد أتاني مَرَّةً فاستَسقىٰ، فأمَرتُ الغُلامَ بِكَسرِ الكوز، ولم أفعَل ذلك [إلا][(٤)] لأنه تَوَلَّدَت في الكوزِ رائحَةٌ كَريهَة، كَما يَقتَذِرُ الإنسانُ الحَجّامَ[(٥)] والبيطارَ[(٦)] والصُّماحَ[(٧)] وكُساح[(٨)] الحُشوش[(٩)]، وعلىٰ أنه والله أقذَرُ مِن كُلِّ ما ذَكَرنا.

[١٠] فصل[(١٠)]

سألتَني أعَزَّكَ الله عَن فُلان، ونَحنُ مُخبِروكَ بالأثَرِ الذي يَدُلُّ عليه صَحيحُ الخَبَر، وبالواضِحِ الذي يَدُلُّ علىٰ الحَقّ، وبالظّاهِرِ الذي يُفضي علىٰ الباطِن، فَتَفهَمُ ذلك، ولا قوَّةَ إلا بالله/ .

---

(١) ما بين المعقوفين من الحاجري: ص٣٨.

(٢) صاغرًا: الصّاغر هو الرّاضي بالذل والضيم. (اللّسان: ضغر).

(٣) دمامة: القصر والقبح. (اللّسان: دمم).

(٤) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السّياق.

(٥) الحجام: هو صاحب مهنة الحجامة امتصاص فم المحجمة. (اللّسان: حجم).

(٦) البيطار: معالج الدّواب. (اللّسان: بطر).

(٧) في الأصل (السماح) وهو تصحيف.

الصماح: العرَق المنتن، وأيضاً خبث الرّائحة من العرق. (اللّسان: صمح).

(٨) الكساح: الكنس. (اللّسان: كسح).

(٩) الحشوش: أماكن قضاء الحاجة. (اللّسان: حشش).

(١٠) هذا الفصل جديد لم ينشر من قبل.

فَمِن ذلك أنّي رأيتُه وهو في جيرانِه كالحَيضَةِ المَنسيَّة[١]، وكُلُّهم يَعرِفُه بالأُبنَة[٢]، وله غُلامٌ حَديد القامَة، عَظيمُ الهامَة، ذو ألواحٍ وأفخاذٍ وأوراكٍ وأصداغ[٣]، أشعَرُ القَفا، يَلبَسُ الرَّقيقَ مِن الثياب، ويُثابِرُ علىٰ التَّعطيرِ ودُخولِ الحَمّام، وتَزييقِ[٤] الثّياب، وتَقليمِ الأظافِر.

وكانَ مع هذه الصِّفَةِ المُدَبِّرَ لأمرِه، والفاتِقَ[٥] له، والمَشفوعَ إلَيه، والحاكِمَ علىٰ مَولاه، دونَ بَنيهِ وأهلِه وحاشيتِه، والصّارِفَ له عَن رأيِه إلىٰ رأيِه، وعَن إرادَتِه إلىٰ هَواه.

وكانَ أكثَرَ مِن أهلِه مَعَه جُلوسًا، وأكثَرَهُم له خَلوَةً، لا يَبيتُ إلا مَعَه، وإذا غَضِبَ أحزَنَه غَضَبُه، وطَلَبَ رِضاه.

وكانَ أيّامَ وِلايَتِه لا يَتَقَدَّمُه قَريبٌ ولا بَعيد، ولا شَريفٌ ولا وَضيع. إنْ رَكِبَ فهو مَوضِعُ الحَرَسِ من الخَليفَة، وإنْ قَعَدَ فَفي مَوضِعِ الوَلَدِ السّارّ، والزَّوجَةِ البّارَّة، وإنْ التَفَتَ علىٰ أحَدٍ قِبَلَه لِحاجَةٍ كانَ مِن وَرائها، فكانَت أهوَنَ عَليه مِن خَلعِ نَعلَيه، وكانَ يَبيتُ في لِحافِه، فَحَكَمنا عَليه بِهذا الحُكمِ الظّاهِر، لا حُكمَ القُضاة، بالتَّسجيلِ وتَخليدِها في الدَّواوين، ولا كالإقرارِ بالحُقوقِ والحُدودِ[٦] وشَهادَةِ العُدول[٧]/ .

---

(١) الحيضةالمنسيّة: الخرقة الباليّة. (اللّسان: حيض).

(٢) الأبنة: العيب في الكلام. (اللّسان: أبن).

(٣) أصداغ: ما انحدر من الرأس إلىٰ مركب اللحيين، وقيل هو ما بين العين والأذن. (اللّسان: صدغ).

(٤) في الأصل (وتزنق) وهو تصحيف.

(٥) الفاتق: الحاذق الفصيح. (اللّسان: فتق).

(٦) الحدود: حدود الله ضربان: ضرب منها حدود حدّها للناس في مطاعمهم ومشاربهم ومناكحهم، مما أحل وحرّم وأمر بالانتهاء عما نهىٰ عنه منها، ونهىٰ عن تعدّيها، والضرب الثاني عقوبات جُعلت لمن ركب ما نهىٰ عنه كحد السارق، وحد الزاني، وغيرها. (اللّسان: حدد).

(٧) شهادة العدول: الثقات. (اللّسان: عدل).

[١١] فصل[١]

ومِن غَريبِ ما أُعطيت، ومِن بَديعِ ما أوتيت، أنّا لَم نَرَ مَقدودًا[٢] واسِعَ[٣] الجُفرَةِ[٤] غَيرَك، ولا رَشيقًا مُستَفيضَ الخاصِرَةِ[٥] سِواك، فأنتَ المَديد، وأنتَ البَسيط، وأنتَ الطَّويل، وأنت المُتَقارَب.

[فيا شِعرًا جَمَعَ الأعاريض[٦]، ويا شَخصًا جَـمَعَ الاستِدارَةَ والطّول، بل ما يُهِمُّكَ من أقاويلِهم، ويَتَعاظَمُكَ من اختِلافِهم، والرّاسِخونَ في العِلم، والنّاطِقونَ بالفَهمِ يَعلَمون][٧]، فاستِفاضَةُ[٨] عَرضِكَ قد أدخَلَت الضَّيمَ[٩] علىٰ ارتِفاعِ سَمكِك[١٠]، وما[١١] ذَهَبَ مِنكَ عَرضًا قد استَغرَقَ [ما ذَهَبَ][١٢] مِنكَ طولاً،

---

(١) ورد هذا الفصل في هارون: ٣/ ٥٧– ٦٠ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، وبيلا: ص١٣–١٨، والمبرّد: ص٤٢–٤٥، ٥٠–٥١ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، والسّندوبيّ: ص١٩١– ١٩٤، تحت عنوان: رسالة التربيع والتدوير.

(٢) مقدودًا: معتدل القامة والجسم. (اللّسان: قدد).

(٣) في المبرّد ص٤٢: أوسع.

(٤) الجفرة: جوف الصدر، وقيل هو ما يجمع البطن والجنبين. (اللّسان: جفر).

(٥) الخاصرة: ما فوق الخصر من الجلدة الرقيقة، وتسمىٰ الطّفطفة. (اللّسان: خصر، طفف).

(٦) الأعاريض: كلام يشبه بعضه بعضًا في المعاني، وهو ما عُرِّض به ولم يصرَّح. (اللّسان: عرض).

(٧) ما بين المعقوفين من السّندوبيّ ص١٩١، وهارون: ٣/ ٥٧، وبيلا: ص١٤، والمبرّد ص٤٢.

(٨) في السّندوبيّ ص١٩١، وهارون ٣/ ٥٧، وبيلا ص١٤.
والمبرّد ص٤٢: أنْ استفاضة.

(٩) في المبرّد ص٤٢: الميم، ولا وجه لها.

(١٠) ارتفاع سمكك: السّمك: القامة من كل شيء بعيد. (اللّسان: سمك).

(١١) في السّندوبيّ ص١٩١، وهارون٣/ ٥٨، والمبرّد ص٤٢: وأن ما.

(١٢) ما بين المعقوفين من السّندوبيّ ص١٩١، وهارون: ٣/ ٥٨، وبيلا: ص١٤، والمبرّد ص٤٢.

[ولَئن[١] اختَلَفوا في طولِكَ لَقد اتَّفَقوا[٢] في عَرضِك، وإذ قد[٣] سَلَّموا لك بالرَّغمِ[٤] شَطرًا، ومَنَعوكَ بالظُّلمِ شَطرًا[٥]، فقد حَصَلتَ ما سَلَّموا[٦]، وأنتَ في دَعواكَ فيما لم يُسَلِّموا.

ولَعَمري إنّ العُيونَ لَتُخطئ، وإنّ الحَواسَّ لَتكذِب، وما الحُكمُ القاطِعُ إلا للذِّهن، وما الاستِبانَةُ[٧] الصَّحيحَةُ إلا للعَقل؛ إذ كانَ زِمامًا على الأعضاء، وعيارًا على الحَواسّ.

ومِمّا يُثبِتُ أيضًا أنّ ظاهِرَ عَرضِكَ مانِعٌ من إدراكِ حَقيقَةِ طولِكَ قَولُ أبي دُؤادِ الإيادي[٨] في إبِلِه:

سَمنت واستَحَشَّ أكرعُها | لا النَّيُّ نِيٌّ ولا السَّنامُ سَنامُ[٩]

---

(١) في المبرّد ص٤٢: وإن.

(٢) في المبرّد ص٤٣: اختلفوا.

(٣) في هارون٣/ ٥٨، والمبرّد ص٤٣: إذ كانوا قد.

(٤) في المبرّد ص٤٣: بالزعم.

(٥) جملة «ومنعوك بالظلم شطرًا» ساقطة من هارون والمبرّد.

(٦) جملة «فقد حصلت ما سلّموا» ساقطة من المبرّد.

(٧) الاستبانة: ظهور الشيء ومعرفته. (اللّسان: بين).

(٨) أبو دؤاد الإيادي: قيل هو جارية بن الحجاج، وقيل حنظلة بن الشرقي.
(انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ص١٥٤، وابن سعيد، نشوة الطربفي تاريخ جاهليّة العرب: ٢/ ٦٦٧، والأصفهاني، الأغاني: ١٦/ ٥١٨).

(٩) البيت في الشعر والشعراء ص١٥٥، والأصمعي، الأصمعيّات: ص١٨٨ الأصمعيّة ٦٥، وهو يصف الإبل، استحش: استدقّ. والنّيّ: الشحم. ومطلع القصيدة:

إبلي الإبل لا يحوزوها الرّا | عون مَجُّ النّدى عليها المدام

ولَو لَمْ يَكُن[١] فيكَ[٢] من العَجَب، إلا أنَّـكَ أوَّلُ مَن عَـوَّدَه الله [تعالىٰ][٣] بالصَّبرِ[٤] علىٰ خَطأ الحِسّ، وبالشُّكرِ علىٰ صَوابِ الذِّهن][٥]؛ فأنتَ[٦] في طولِكَ آيات[٧] للسّائلين، وفي عَرضِكَ مَنارٌ للمُصَلّين[٨].

[وقد تَظَلَّمَ[٩] المَربوعُ[١٠] مِثلي من الطَّويلِ مثل: محمَّد[١١]، ومن القَصير مثل: أحمَد[١٢]؛ إذ زَعَمَ محمّدٌ[١٣] أنه إنَّما[١٤] أفرَطَ في الرَّشاقَة، ونُسِبَ إلىٰ القضافَة[١٥]؛ لأنَّ

---

(١) في المبرّد ص٤٣: يك.

(٢) ساقطة من هارون.

(٣) ما بين المعقوفين من المبرّد ص٤٣.

(٤) في المبرّد ص٤٣: بالصد.

(٥) من قوله «ولئن اختلفوا....» إلىٰ قوله «... صواب الذّهن» من السّندوبيّ ص١٩١– ١٩٢، وهارون: ٣/ ٥٨، وبيلا: ص١٤، والمبرّد ص٤٣.

(٦) في السّندوبيّ ص١٩٢، وهارون ٣/ ٥٨، وبيلا ص١٥، والمبرّد ص٤٣: لقد كنت.

(٧) في السّندوبيّ ص١٩٢، وبيلا ص١٥: آية.
وهارون ٣/ ٥٨، والمبرّد ص٤٣: غاية.

(٨) في السّندوبيّ ص١٩٢: للضالين.
وهارون ٣/ ٥٩، وبيلا ص١٥، والمبرّد ص٤٣: للمضلين.

(٩) في المبرّد ص٤٣: تكلم.

(١٠) المربوع: أي مربوع الخلق، لا بالطويل ولا بالقصير. (اللّسان: ربع).

(١١) في هارون ٣/ ٥٩، والمبرّد ص٤٣: عمر.

(١٢) في هارون ٣/ ٥٩، والمبرّد ص٤٣: عمرو.

(١٣) ساقطة من هارون والمبرّد.

(١٤) ساقطة من هارون والمبرّد.

(١٥) القضافة: النحافة. (اللّسان: قضف).

إفراطَ طولِه غَمَرَ الاعتِدالَ مِن عَرضِه[١]. وزَعَمَ أحمَدُ أنه إنَّما أفرَطَ في العَرضِ ونُسِبَ إلىٰ الغلَط، لأنَّ إفراطَ عَرضِهِ غَمَرَ الاعتِدالَ من طولِه، وكِلاهُما يَحتاجُ إلىٰ الاعتِذار، ويَفتَقِرُ إلىٰ الاعتِدال.

والمَربوعُ بِحَمدِ الله قد اعتَدلَت أجزاؤه في الحَقيقَة، كَما اعتَدَلَت في المَنظَر. فقد استَغنىٰ بِعِزِّ[٢] الحَقيقَةِ عن الاعتِذار، وبِحُكمِ الظّاهِرِ عن الاعتِدال.

وقد سَمِعنا مَن يَذُمُّ الطِّوال، كَما سَمِعنا مَن يُزري علىٰ القِصار، ولَم نَسمَع أحَدًا ذَمَّ المَربوعَ[٣]، ولا أزرىٰ عليه، ولا وَقَفَ عندَه، ولا شَكَّ فيه، ومَن يَذُمُّه إلا مَن ذَمَّ الاعتِدال، ومَن يُزري عَليه إلا مَن أزرىٰ علىٰ الاقتِصاد. ومَن يَنصِبُ للصَّوابِ[٤] الظّاهِرِ إلا المُعانِد، ومَن يُماري في العيانِ إلا الجاهِل، بَل مَن يُزري علىٰ أحَدٍ بِتَفاقُمِ التَّركيب[٥]، وبِسوءِ التَّنضيدِ[٦] مع قَولِ الله جَلَّ ثَناؤه[٧]:

﴿مَّا تَرَىٰ فِي[٨] خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾ [الملك: ٦٧]][٩].

---

(١) في هارون ٣/ ٥٩، والمبرّد ص٤٣: «لأن إفراط عرضه غمر الاعتدال من طوله» وهذا لا يناسب السياق، لأن محمداً مفرط في الطّول وليس في القصر لذلك نسب إلىٰ القضافة.

(٢) في المبرّد ص٤٤: بعدل.

(٣) في هارون ٣/ ٥٩، والمبرّد ص٤٤: مربوعاً.

(٤) في المبرّد ص٤٤: يعيب. ينصب للصواب: يعاديه. (اللّسان: نصب).

(٥) تفاقم التركيب: إجراؤه علىٰ غير استواء. (اللّسان: فقم).

(٦) التنضيد: ضم الشيء إلىٰ الآخر وجعله متراصفاً. (اللّسان: نضد).

(٧) في هارون ٣/ ٦٠، والمبرّد ص٤٤: عز وجل.

(٨) في الأصل: من، وهو تحريف.

(٩) من قوله: وقد تظلّم... إلىٰ تفاوت] من السّندوبيّ ص١٩٢، وهارون: ٣/ ٥٩ - ٦٠، وبيلا: ص١٥.

وبَعد؛ فأيُّ قَدٍّ أردىٰ(١)، وأيُّ نِظامٍ أفسَدُ مِن عَرضٍ مُجاوزٍ للقَدر(٢)، وطولٍ(٣) مُجاوزٍ للقَصد؟ ومَتىٰ لَمْ(٤) يَضرِبِ العَرضُ بسَهمِه علىٰ قَدرِ حَقِّه، ويأخُذ الطّولُ مِن نَصيبِه علىٰ مِثلِ وَزنِه، خَرَجَ الجِسمُ(٥)من التَّقدير، وجاوَزَ التَّعديل. وإذا(٦) خَرَجَ من القَدرِ(٧) تَفاسَد، وإذا(٨) جاوَزَ التَّعديلَ تَبايَن.

وقُلت(٩): إنْ كانَ الفَضلُ في النِّكايَة، وفي الشِّدَّةِ والصَّلابَة، فَقصارُ(١٠) كُلِّ شَيءٍ أشَدُّ ضِرارًا، وأدَقُّ مَدخَلاً، وأظهَرُ قوَّةً وجَلَدًا، كالحِجارَةِ أصلَبُها الحَصا، وكالحَيّاتِ أقتَلُها الأفاعي(١١)، وكالبَعوضِ أضَرُّها الجِرجِس(١٢)، وكالعَقارِبِ أقتَلُها

---

(١) في هارون٣/ ٦٠: أرداً، والمعنىٰ واحد.

(٢) في المبرّد ص٤٤: للقد.

(٣) في هارون ٣/ ٦٠: أو طول.

(٤) ساقطة من المبرّد.

(٥) في السّندوبيّ ص١٩٢: الجسد.

(٦) في المبرّد ص٤٥: فإذا.

(٧) في السّندوبيّ ص١٩٢، وهارون٣/ ٦٠، وبيلا ص١٦، والمبرّد ص٤٥: التقدير.

(٨) في هارون ٣/ ٦٠: وإذا تفاسد.

(٩) في السّندوبيّ ص١٩٣، وبيلا ص١٧: ورأيتك تقول.

(١٠) في الأصل (فصار) وهو تصحيف.

(١١) الحيّة أقتلها الأفاعي، ويقال سمّها أنْ لم يقتل أمرَض.

(انظر: الجاحظ، الحيوان: ٤/ ١٢١، ٢١٢).

(١٢) الجرجس: صغار البعوض، ويقال له قرقس.

(انظر: الجاحظ، الحيوان: ٣/ ٣٠١، والراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٢/ ٧٢٧، اللّسان: قرقس، جرجس).

الجَرّارات[١]، وكَذلك أحرارُ الطَّيرِ وبُغاثُها[٢]، وصِغارُ البَراغيثِ[٣] وكِبارُها.

[وقُلت: إنْ كانَ الفَضلُ في العَـدَدِ فَمِنّا يأجوجُ ومأجوج[٤]، ومِنّا الذَّرُّ[٥] والفَراش، ومِنّا الدَّعاميصُ[٦] والبَعوض، ومِنّا الرَّملُ والتُّراب، وقَطرُ السَّحاب. واحتَجَجتَ بِأنَّ الحُسنَ والفَضلَ لِصِغارِ ما في الإنسان؛ كالنّاظِرَين[٧]، والأُنثَيَين[٨]، وحَبَّةُ القَلب[٩]، وأُمُّ الدِّماغ[١٠]][١١].

---

(١) الجرارات: عقارب صفراء صغيرة، وهي من أخبث العقارب وأقتلها لمن تلدغه، وسميّت جرّارة لجرها لذنبها.

(انظر: الجاحظ، الحيوان: ٣/ ٣٣٣، ٤/ ٢١٩، واللّسان: جرر).

(٢) البغاث: كل طائر ليس من الجوارح، وما لا يصيد من الطيور كالرّخم والحِدَأ والغربان، وهو بطيء الطيران.

(انظر: الجاحظ، الحيوان: ٧/ ٦٠، والثعالبي، ثمار القلوب: ص٤٤٧، واللّسان: بغث، والراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٢/ ٧٠٨).

(٣) البراغيث: وصف أعرابي البراغيث فقال: ما آذىٰ صغارها، وأقبح آثارها.

(انظر: الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٢/ ٧٢٩).

(٤) يأجوج ومأجوج: قبيلتان، جنس من الآسيويين.

(الجاحظ، الحيوان، ٤/ ٧١، واللّسان: أجج، والدّميري، حياة الحيوان الكبرىٰ: ٢/ ٢٢١).

(٥) الذر: النمل الأحمر الصغير. (اللّسان: ذرر).

(٦) الدعموص: دويبة صغيرة تكون في مستنقع الماء. (اللّسان: دعمص).

(٧) النّاظران: عرقان في مجرىٰ الدمع علىٰ الأنف من جانبيه. (اللّسان: نظر).

(٨) الأنثيان: الأذنان والخصيتان. (اللّسان: أنث).

(٩) حبة القلب: ثمرته وسويداؤه، وقيل العلقة السوداء التي تكون داخل القلب. (اللّسان: حبب).

(١٠) أمّ الدّماغ: الجلدة التي تجمع الدماغ. (انظر: ابن الأثير، المرّصع: ص١٦٨، واللّسان: أمم).

(١١) ما بين المعقوفين من السّندوبيّ ص١٩٤، وبيلا: ص١٧.

وزَعمتَ أنْ الإنسانَ إذا طالَ جِسمُه، وامتَدَّ شَخصُه، أسرَعَ الانهِدامُ إلىٰ بَدَنِه، والانحِناءُ إلىٰ ظَهرِه، وأنَّ القَصيرَ لا يَتَقَوَّسُ صُلبُه، ولا يَميلُ عُنُقُه، ولا يَضطَرِبُ/ شَخصُه، ولا تَعوَجُّ عِظامُه، ويَسَعُه كُلُّ باب، ويَقطَعُه كُلُّ ثوب، ولا تَخرُجُ رِجلاه مِن النَّعش، [ولا تَفضُلانِ[1] عن الفِراش، وهوَ بَعدُ أخَفُّ علىٰ القُلوب، وأخلَطُ بالنُّفوس، وأبعَدُ من السَّماجَة[2]، وأدخَلُ في كُلِّ بابِ مَلاحَة][3].

وقُلت: ويقولُ[4] النّاس: ما هو إلا فُلفُلَة، وما هو إلا خَردَلَة[5]، وما هو إلا رِبقَة[6]، وما هو إلا شَرارَة، وما لِسانُه إلا لِسانُ حَيَّة[7]. وزَعَمتَ[8] أنّ الأرضَ لا توصَفُ بالعَرضِ دونَ الطّول، [إلا][9] لفَضيلَةِ العَرضِ علىٰ الطّول، وأنّ الشّاعِرَ قال[10]:

---

(١) في بيلا ص١٧: ولا يفضل.

(٢) السّماجة: الشيء الذي لا ملاحة فيه. (اللّسان: سمج).

(٣) ما بين المعقوفين من السّندوبيّ ص١٩٤.

(٤) في السّندوبيّ ص١٩٤، وبيلا ص١٧: وتقول.

(٥) ساقطة من السّندوبيّ، وبيلا.

خردل: نبات حرّيف. (اللّسان: خردل).

(٦) في الأصل (ريبقه) وهو تصحيف.

في السّندوبيّ ص١٩٤، وبيلا ص١٨: زنبقة.

الرّبقة: العُروة. (اللّسان: ربق).

(٧) انظر القول في الحيوان: ٤/ ٢٥٠ «إذا مدحوا الخفّ اللّطيف والقدم اللّطيفة قالوا: كأنّه لسان حيّة».

(٨) في السّندوبيّ ص١٩٤، وبيلا ص١٨: وتزعم.

(٩) في الأصل (ولا) وهو خطأ، وما بين المعقوفين من السّندوبيّ ص١٩٤.

(١٠) في السّندوبيّ ص١٩٤: «وذلك كقول الشعراء ووصف العلماء».

والبيت لعبد الله بن الحجّاج، أحد الخارجين مع عمرو بن سعيد علىٰ عبد الملك بن مروان، وقيل للطرماح.

كــأنَّ بِــلادَ الله وهــيَ عَريضَــةٌ علىٰ الخائفِ المَطلوبِ كِفَّةُ حابِلِ[١]

ولَم يَقُل وهيَ طَويلَة، وأنَّ الله[٢] وَصَفَ الجَنَّةَ بالعَرضِ دونَ الطّول، حَيثُ يقول: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٣]، وأنتَ والله ضَخمٌ غَليظُ اللِّسان، جَيِّدُ الهامَة، وفي ذلك خَلفٌ مِن حُسنِ القامَة، وأنَّكَ لَقَليل الشَّيب، قَليلُ البَول.

وتَزعُمُ أنَّكَ صَغيرُ الرّأس، ورأسُكَ رأسُ الجالوت[٤]، وما[٥] إدراكُكَ الشَّخصَ البَعيد، وقِراءَتُكَ الكِتابَ الدَّقيق، ونَقشُ[٦] الخاتَمِ قَبلَ الطَّبع، وفَهمُ المُشكِلِ قَبلَ التَّمَهُّل، مع وَهنِ الكِبَرِ[٧]، وتَقادُمِ الميلاد، ومع تَخَوّنِ الأيّام، وتَنَقُّصِ الأزمان.

= ورد البيت في الحيوان: ٦/ ٤٣٢، والبحتري، الحماسة: ص٣٠٤، وشرح ديوان الحماسة: ١/ ٧٨، ٢٢٦، والأصبهاني، الزّهرة: ٢/ ٦٢٨، والمنتخب والمختار من النوادر والأشعار: ص٢٩٧.

(١) حابل: الصّائد ذو الحبالة. (اللّسان: حبل).

(٢) في السّندوبيّ ص١٩٤: وقلت: لولا فضيلة العرض علىٰ الطول لما وصف الله الجنة بالعرض دون الطول.

(٣) سورة الحديد، الآية رقم ٢١، أمّا نصّ الآية في سورة آل عمران، الآية ١٣٣: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾.

(٤) من «وقلت: أنْ كان الفضل في النكاية... رأس الجالوت» ساقطة من المبرّد.

رأس الجالوت: قيل هو رئيس الجالوت، وهو الّذي قتله داود عليه السّلام.

(انظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٢٤، والثعالبي، ثمار القلوب: ص٣٢٢، ونشوان الحميري، الحور العين: ص١٤٤–١٤٥).

(٥) في المبرّد ص٥٠: وأما.

(٦) في الأصل (ونفس) وهو تصحيف، وما أثبت من المبرّد.

(٧) في المبرّد ص٥٠: مع وهن الكبرة.

فَمِن توتيا[1] الهِند، ومِن تَركِ الجِماع[2]، ومن الحِميةِ الشَّديدَة، ومِن طولِ استِقتالِ الحَضرَة[3]. فَما هذا الإطراقُ الذي قد اعترَاك، وما هذا الغَيظُ/ الذي قد أنضَجَك، وما هَذا الحُزنُ الذي قد أكمَدَك، وما هذا الهَمُّ الذي قد أضناك، وهل رأيتَ أخسَرَ صَفقَةً، ولا أوهَنَ قوَّةً، ولا أردأَ حُجَّةً، مِمَّن أجرىٰ العِتاقَ[4] مع الكَوادِن[5]، والرَّوائعَ[6] مع المحامِر[7]، ومَن خاصَمَ مَن يُسالِمُه، وحارَبَ مَن يقَلِّدُه.

[١٢] فصل[8]

وسأُخبِرُكَ عَن هذا الرَّجل، مِن لُؤمِ الطَّبع، وسُخفِ الحِلم، ودَناءةِ النَّفس، وخُبثِ المَنشأ، ما[9] يَشفي الصَّدرَ ويُثلِجُه، ويَبينُ عن العُذرِ فيهِ ويَكشِفُه، واستَشهِدِ العُدول، وأهلَ المَخيلَةِ[10] والعُقول، علىٰ أنّي لَم أرَ له مُحتَجًّا، ولا عنه، مُكذِبًا، ولا رأيتُ أحدًا يَرحَمُه، و[11] يَحفِلُ به، أو يُمسِكُ عنه، أو يَشفَعُ فيه.

---

(١) في الأصل غير معجمة. وما أثبت من السّندوبي: ص١٩٤.

(٢) في المبرّد ص٥٠: ولترك الجماع.

(٣) إلىٰ هنا انتهاء ما جاء في المبرّد.

(٤) العتاق: الخيول الجميلة الكريمة. (اللّسان: عتق).

(٥) الكوادن: البراذين. (اللّسان: كدن).

(٦) الروايع: جمع رّوعاء وهي الفرس أو النّاقة الحديدة الفؤاد. (اللّسان: روع).

(٧) المحامر: فرس يشبه الحمار في جريه من بطئه، وأيضًا يقال: فرس محمر للفرس الهجين. (اللّسان: حمر).

(٨) ورد الفصل في الحاجري: ص٣٣ – ٣٥ بعنوان: فصول في الهجاء، ومن ص٢٥ – ٢٧ بعنوان: رسالة في الرّثاء والتّأبين، وأبي النصر: ص٢٧ – ٣٠.

(٩) في الحاجري ص٣٣: بما.

(١٠) أهل المخيلة: أهل الظّن. (اللّسان: خيل).

(١١) في الحاجري ص٣٣: أو.

قلتُ لمُعاذِ[١] بنِ سَعد[٢]: «أدَخَلتَ عَليه؟ قال: نَعم. قلت: فكيفَ رأيتَه؟ قالَ: لا يَعودُ إليه حُرّ».

وقَلتُ للفَيضِ بنِ يَزيد[٣]: «صِفهُ لي، فإنّكَ تَعرِفُ الأُمور، وقُل، فإنّكَ تُحسِنُ أنْ تَقول»، قال: «يَضُرُّ واللهِ عندَه ما يَنفَعُ عندَ الكِرام، ويَنفَعُ عِندَه ما يَضُرُّ عندَ الكِرام». قُلت: «فكيف عِشرَتُه؟ قال: فَوقَ العَذابِ الأدنىٰ، ودونَ العَذابِ الأكبَرَ[٤]».

وقال أبو عَقيلِ بنِ دُرُست[٥]: «اللّهُمَّ إنّي أعوذُ بِكَ مِن باطِنِ عَزمِه، كَما أعوذُ بِكَ مِن ظاهِرِ عَمَلِه»/ .

---

(١) في الأصل (لمعا)، وهو تصحيف.

(٢) في الحاجري ص٣٣: سعيد. ولم أجد له ترجمة.

(٣) الفيض بن يزيد: ذكره الجاحظ في كتابه البخلاء، وأورد له أقوالاً مظهرًا فيها بخله، وامتناعه عن تقديم المساعدة المالية للآخرين، متذرّعًا بفقره، وقلّة حيلته، وكثرة عياله.(انظر: الجاحظ، البخلاء، ٢/ ١٧٤ – ٧٥).

(٤) هما تضمين الآية ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السّجدة: ٢١].

العذاب الأدنىٰ: القتل والأسر، والجدب سنين، والأمراض.

العذاب الأكبر: عذاب الآخرة.

(٥) أبو عقيل بن درست: أورد الجاحظ له كلامًا في الحيوان والبيان والتبيين، يقول أبو عقيل: أنْ نشاط القائل علىٰ قدر فهم السّامع، وقال أيضاً: إذا لم يكن المستمع أحرص علىٰ الاستماع من القائل علىٰ القول، لم يبلغ القائل في منطقه، وكان النقصان الداخل علىٰ قوله بقدر الخلّة بالاستماع منه.

(انظر: الجاحظ، البيان والتبيين ٢/ ١١٧، ٢٠٦، والجاحظ، الحيوان: ٧/ ١٥٢).

وقال شَدّادُ الحارِثيّ[١]: «لَم أرَ لُؤمًا قَطُّ إلا والدَّهرُ يَنقُصُ منه أو يَزيدُ فيه، إلا لُؤمُه، فإنَّه قد تَناهىٰ في القوَّة، وبَلَغَ أقصىٰ النِّهايَة، وعادَ مُصمَتًا[٢] لا مَدخَلَ[٣] علَيه، ومُشتَبِهًا لا حيلَةَ فيه. فإن كانَ إلىٰ الغايَةِ أجرىٰ، فقد حَوىٰ قَصَباتِ السَّبق[٤]، وإنْ كانَ التَّفَرُّدَ طَلَب، فقد خَلا بالرِّياسَة، واستَبَدَّ بالوَحدَة».

وقال[٥] سَهلُ بنُ هارون[٦]: «إنّ الحاسِدَ والغَضبانَ والحاقِد، والعَيّاب[٧]، إذا استَنفَدوا العُيوبَ واشتكَوا[٨] قَولَ الزّور، والتَمَسوا ما شاكَلَ الحَقَّ وقارَبَه، وأشبَهَ ما

---

(١) شدّاد الحارثي: ذكره الجاحظ في البيان والتّبيين، وقال: إنّه يكنّىٰ أبا عبيد الله، وأورد قصّته مع المرأة السّوداء.

(انظر: الجاحظ، البيان والتّبيين: ٢/ ٤٥).

(٢) المصمت: لا جوف له. (اللّسان: صمت).

(٣) في الحاجري ص٣٣: يدخل.

(٤) قصبات السبق: الغاية التي يسبق إليها، ويقال حاز قصبات السبق أي استولىٰ علىٰ الأمر.

(انظر: الحصري، زهر الآداب: ١/ ٥٤، اللّسان: قصب).

(٥) أطلق عمر أبي النصر علىٰ هذا الجزء عنوان «الهجاء اللاذع».

(٦) سهل بن هارون: فارسي الأصل، أقبل علىٰ التّزود من ينابيع الثقافة وخاصة علم الكلام، وما نقل عن الأجانب من مختلف الترجمات فارسيّة ويونانيّة وهنديّة، قرّبه يحيىٰ البرمكي وزير الرشيد منه وألحقه بالدواوين، وبعد أنْ أسس هارون الرشيد دار الحكمة عيّن بها للإشراف علىٰ بعض الكتب، وبعض ما كان يترجم فيها من الآداب الأجنبيّة، وفي عهد المأمون أصبح قيّماً علىٰ خزائن كتب الفلسفة، وكان يلزم المأمون في مجالسه وندواته، وبقي خازناً بدار الحكمة حتىٰ توفي سنة (٢١٥ هـ).

(انظر: الجاحظ، البيان والتبيين ١/ ٥٢، والنّديم، الفهرست ١٧٤).

(٧) العيّاب: كثير العيب للناس. (اللّسان: عيب).

(٨) في الحاجري ص٣٣، وفي أبي النصر ص٢٧: استتلوا.

فِي المَنسوبِ وناسَبَه[١]، وهو الرَّجُلُ بغَرارَتِه[٢]، وكَثرَةِ رَدِّه[٣]، وفُحشِ عُيوبِه، وظُهورِ لُؤمِه، وكَثرَةِ الشُّهودِ عَلَيه، والقائلينَ فيه، لا يَحوجُكَ إِلىٰ اليَمينِ والشّاهِد، فَعائبُه سَليمٌ من الذَّمّ[٤]، مُعفىٰ من الكَـذِب، لا يَعيبُه وَرِع، ولا يُسَفِّـهُه كَريم، وله عندَ ذامِّهِ والواصِفِ لِعُيوبِه أيادٍ لا تُشكَر، ونِعَمٌ لا تُنكَر».

ووَصَفَهُ آخَرٌ فقال: «هو مُنحَرِفٌ عن الجادَّة[٥]، يَخبِطُ خَبطَ العَشواء[٦]، ويَحكُمُ حُكمَ الوَرهاء[٧]، ويُناسِبُ أخلاقَ النِّساء؛ لأنّ المَرأَةَ لا تَسمو إِلىٰ مَراتِبِ السّادَة، ولا تَرومُ[٨] مُنافَسةَ القادَة، ولَيسَ لَهَا مِن عَقلِها مادَّة. هَمُّها قَصير، ورُكنُها/ ضَعيف، وَصَدرُها ضَيِّق، ورأيُها مُنتَشِر، وفي قوىٰ هَواها فَضلٌ علىٰ قوىٰ عَقلِها، وسُخفُ رأيِها غامِرٌ لِرَجاحَةِ حِلمِها، لا تَعرِفُ حُدودَ الاعتِدال، ولا مَواقِعَ الاقتِصاد، ولا التَّوسُّطَ فِي الأُمور، ولا عَواقِبَ التَّدبير».

---

(١) المنسوب وناسبه: المنسوب ذو الحسب والنسب، وناسبه أي أشركه في نسبه. (اللّسان: نسب).

(٢) غرارته: حسنه أو طريقته. (اللّسان: غرر).

(٣) ساقطة من الحاجري.

(٤) في الحاجري ص٣٤: الذنب.

(٥) الجادة: الطريق. (اللّسان: جدد، وابراهيم السامرائي، من معجم الجاحظ: ص٨٨).

(٦) العشواء: أصلها من الناقة العشواء لأنها لا تبصر ما أمامها فهي تخبط بيديها، وذلك أنها ترفع رأسها فلا تتعهد مواضع أخفافها، وتخبط خبط العشواء مثل يضرب للذي يركب رأسه ولا يهتم لعاقبته كالناقة العشواء التي لا تبالي كيف تخبط بيديها كلّما مرت به، مثل قول زهير:

رأيت المنايا خَبطَ عشواءَ، مَن تُصِبْ ... تُمِتْه، ومَن تُخطِئ يُعمَّر فَيَهرَم

(انظر: حمزة الأصفهاني، الدرة الفاخرة: ص١٠٩، واللّسان: عشا).

(٧) الورهاء: الحمقاء، والخرقاء بالعمل. (اللّسان: وره).

(٨) تروم: تطلب. (اللّسان: روم).

ووَصَفَهُ آخَرُ فقال: «يَظلِمُ الضَّعيف، ويَقتُلُ الصَّريع، ويُذَفِّفُ[١] علىٰ الجَريح، ويَطلُبُ الهارِب، ويَهرُبُ من الطّالِب، ولا يَعرِفُ التَّقيةَ[٢]ولا المُروءة؛ يَعُقُّ أباه، ويَحسُدُ أخاه؛ العُجبُ[٣] شَقيقُه، والبَذخُ[٤] صَديقُه، والنَّفَجُ[٥] أليفُه، والصَّلَفُ[٦] عَقيدُه.

قد تَمَكَّنَ منه الشَّيطان، فهَوَّنَ عليه سَخَطَ الرَّبّ، وسَهَّلَ عليه عِقابَ الأبَد، ووَعَدَه الظَّفَر، ومَنّاه السَّلامَة، ولَقَّنَه الاحتِجاجَ بِالباطِل، وزَيَّنَ له قَولَ الزّور، ونَظَمَ له خِلالَ الشَّرّ.

في أنفِه خُنزوانَة[٧]، وفي رأسِه نُعَرَة[٨]، وكأنّما أنفُه في أُسلوب[٩]. ومَن عَظُمَ كِبرُه اشتَدَّ عُجبُه، ومَن أُعجِبَ بِرأيِه لَمْ يُشاوِر كَفيًا، ولم يُؤامِر نَصيحًا».

---

(١) يذفف: يتمم. (اللّسان: ذفف).

(٢) في الأصل (النفبه)، غير معجمة.

(٣) العجب: إنكار ما يرد عليه لقلّة اعتياده. (اللّسان: عجب).

(٤) البذخ: التكبر والتطاول. (اللّسان: بذخ).

(٥) النفج: التعاظم والتكبر والخيلاء. (اللّسان: نفج).

(٦) الصلف: مجاوزة القدر في الظرف والبراعة والادّعاء فوق ذلك تكبرًا. (اللّسان: صلف).

(٧) خنزوانه: كِبَر. (اللّسان: خنز)، وهو أنْ يشمخ أنفه من الكبر، ويفتح منخره، ولهذا يقال في أنفه خنزوانه؛ إذا مال رأسه من الكبر.

(انظر: أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة: ص٤٤٠، وابراهيم السامرائي، من معجم الجاحظ: ص١٣٣).

(٨) نعره: كبر. (اللّسان: كبر، وابراهيم السامرائي، من معجم الجاحظ: ص٤٠٩).

(٩) أنفه في أسلوب: دلالة أنه متكبّر. (اللّسان: سلب).

ووَصَفَه آخَر فقال: «سَلَّمَته[١] الحالُ إلىٰ القَسوَة، واستَفرَغَته الغَفلَة، واستَولىٰ عليه سُلطانُ الطَّبع، وكَثُفَ علىٰ قَلبِه حِجابُ الرَّين[٢]، فَلَم يَبقَ في عَقلِه فَضلٌ للاستِمتاع[٣]، ولا في استِطاعَتِه بَقيةٌ للتَّصَرُّف.

يَنبو[٤] عنه/ السَّيفُ وإن كانَ صارِمًا، وتَقِفُ عنه الحُجَّةُ وإن كانَت قاطِعَةً، ولا يَجِدُ النّافِخُ فيه فَحمًا[٥]، ولا القابِسُ منه قَبَسًا[٦]، ولا الموري زَندًا[٧]».

قال مَعمَرٌ السُّلَميّ[٨] وذَكَرَه مَرَّةً في كَلامٍ له فقال: «موكَلٌ بِلَومِ المُحسِنين، والتَّعَجُّبِ مِن المُفضِلين. يَعُدُّ الاقتِصادَ جودًا، والجودَ سَرَفًا، ويَعجَبُ من الطّامِعِ فيه،

---

(١) في الحاجري ص٣٤، وفي أبي النصر ص٢٨: أسلمته.

(٢) الرين: سواد القلب. (اللّسان: رين).

(٣) في الحاجري ص٣٤، وفي أبي النصر ص٢٨: للاستماع.

(٤) ينبو: يقصر. (اللّسان: نبا).

(٥) لا يجد النافخ فيه فحمًا: فحمًا: الجمر الطافئ، وفي المثل لو كنت أنفخ في فحم؛ ويضرب هذا المثل للرجل الذي يمارس أمرا لا يجدي.
(انظر: الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة: ص١٠٠، والميداني، مجمع الأمثال: ٣/ ١٠٢، واللّسان: فحم).

(٦) القابس منه قبسًا: القبس هي الشعلة، والقابس هو طالب النار. (اللّسان: قبس).

(٧) الموري زندًا: يضرب مثلاً للنجاح والظفر، أي إذا رام أمراً أنجح فيه، وأدرك ما طلب.
(انظر: حمزة بن الحسن، الدّرّة الفاخرة: ص٢٥٩، واللّسان: وري).

(٨) معمر السّلمي: معمر بن عبّاد السُّلمي، بالتشديد، معتزلي من أهل البصرة، ثم سكن بغداد وناظر النّظّام، كان يقول: النفس جوهر، ليس جسماً ولا عَرَضاً، ولا لها طول ولا عرض، ولا عمق ولا جوف، ولا هي في مكان، وهي الفاعلة المدبّرة، مات سنة (٢١٥ هـ).
(انظر: ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان: ٧/ ١٤).

والرّاغِبِ إليه، ويُضَعّفُ مَن جَزِعَ [مِن][1] الذّمّ، وهَشَّ لِلحَمد[2]؛ لا يَعُدُّ الحَزمَ إلا المَنع، ولا العَيشَ إلاّ الجَمع، لم يُحَدِّث عَن جَوادٍ قَطّ، ولا نَدِمَ علىٰ سوءٍ قَطّ، ولا أمسَكَ عَن الاحتِجاجِ له.

ثُمَّ ما ظَنُّكَ بِعِرقِ السّوءِ إذا تَقادَم، واللُّؤمِ إذا تَمَكَّن، والبُخلِ إذا استَفحَل[3]، والفَحشاءِ[4] إذا نَمَت[5]، والدَّناءةِ إذا كَمُلَت[6].

يُعَظِّمُ الغَنّي وإن كانَ غُفلاً[7]، ومِن الأدَبِ خِلوًا، ومِن حِلي الجودِ عُطلاً[8]، ويُحَقِّرُ المُقِلَّ[9] وإن كانَ أديبًا حَكيمًا، وحُوَّلاً[10] بارِعًا، ولَمجهودِه باذِلاً. شَديدُ الكِبرِ علىٰ جَليسِه، مُتَهاوِنٌ بعَظيمِ حَقِّه، ولَو انقَطَعَ إليه أبوه، واحتاجَ إليه أخوه.

وأعظَمُ النّاسِ عَنده يَدًا، وأظهَرُهُم فَضلاً، لِنُصحِه مِن غَريبِ الكِبر، ونَصَبَ علىٰ ذُروَتِه مِن بَديعِ الذُّلّ، ما لا يَقومُ له عِزّ، ولا يَنهَضُ به حُرّ[11]، ولَرَكِبَهُ بِما لا

---

(١) ما بين المعقوفين من الحاجري ص٣٥، وأبي النّصر ص٢٨.

(٢) هش للحمد: إذا سرّ به وفرح. (اللّسان: هشش).

(٣) في الحاجري ص٣٥، وفي أبي النصر ص٢٨: تفحل.

(٤) في الأصل (الفحتا) وهو تصحيف.

(٥) في الحاجري ص٣٥، وفي أبي النصر ص٢٨: تمت.

(٦) في أبي النصر ص٢٨: أكملت.

(٧) غفلاً: الذي لا يرجىٰ خيره ولا يخشىٰ شره. (اللّسان: غفل).

(٨) عطلاً: الخالي من الحلي. (اللّسان: عطل).

(٩) المقلّ: الفقير. (اللّسان: قلل).

(١٠) حولاً: ذو حيل، وبصير بتحويل الأمور. (اللّسان: حول).

(١١) في الأصل (ضر) وهو تصحيف، وما أثبت من الحاجري ص٣٥، وأبي النّصر ص٢٨.

يَحتَمِلُه الكَلِم، ولا يَرومُه العَزم، يُقَدِّرُ أنّ الله لَم يَقَعَ[١] الكَريمَ إلا ليضرِعَ خَدَّه، ولا أغنىٰ اللَّئيمَ إلا ليرفَعَ/ مَسائلَنا فيه[٢].

ولئن بَكَيتُ عليه لأجِدَنَّ مَبكىٰ، ولئن احتَسَبتُ لفي مِثلِه يُحتَسَب.

وَلَـو شِـئتَ أنْ أبكـي دَمًـا لَبَكَيتُـهُ   عَلَيه، ولَكِن ساحَةُ الصَّبرِ أوسَـعُ[٣]

ولَئن قَصُرَت مُدَّةُ الإمتاعِ به، ما قَصُرَت مُدَّةُ الحُزنُ فيه، ولَئن ارتَحَلَ عَنّا وَشيكًا، لَقد أثوىٰ في قُلوبِنا الأسَفَ طَويلاً، ولئن كانَ عَرَّضَنا للصَّبرِ بِمَوتِه، لَقَد عَرَّضَنا للشُّكرِ بحَياتِه.

ولئن دَنَوتُ من النّاسِ بَعدَه، واقتَرَبتُ مِن حَياتِهم[٤]، مُتَسَلّيا[٥] عن بَعضِ الكَمَد[٦]، ومُنَفِّسًا[٧] عَن حَرارَةِ الغَلَلِ[٨] في ذلك، لَكما قال الأوّل:

فإن أغـشُ قَومًـا بَعـدَهُ أو أزورُهُـم   فكالوَحشِ يُدنيها من الأُنسِ المَحـلُ

---

(١) في الحاجري ص٣٥، وفي أبي النصر ص٢٨: يفقر.

(٢) في الحاجري ص٣٥، وفي أبي النصر ص٢٨: إلا ليرفع قدره.

(٣) نسب البيت للخريمي: المبرد، الكامل: ٣/ ٢٠٤، والجرجاني، الإشارات والتّنبيهات: ص٦٩، والعبّاسي، معاهد التنصيص: ١/ ٢٤٦.

(٤) في الحاجري ص٢٥: جنابهم.

(٥) في الحاجري ص٢٥: تسليًّا.

(٦) الكمد: الهم والحزن، وقيل الحزن المكتوم. (انظر: ابن قيّم الجوزيّة، روضة المحبّين ونزهة المشتاقين: ص٣٨، واللّسان: كمد).

(٧) في الحاجري ص٢٥: تنفيساً.

(٨) الغلل: الغش والعداوة والحقد والحسد. (اللّسان: غلل).

ولئن أشَرَّ[١] الباغي، وفَرِحَ العَدوّ، وسُرَّ الحاسِد، وظَفِرَ الشّامِت، وجَذِلَ[٢] المُبغِض، واستَبشَرَ الشّاني[٣]، ما تَعَزَّينا[٤] في ذلك إلا بقَولِ عَديِّ بنِ زَيد[٥]:

أيُّها الشّامِتُ المُعَيِّرُ بالدَّهـ ... ـرِ أأنـتَ المُـبَرَّأُ المَوفـورُ[٦]

ولَئن تَجَلَّدتُ للشّامِتين، وتَزَيَّنتُ للعُيون، وأصلَحتُ مِن شَعري وثيابي، ورُكوبي ولِباسي، لَكَما[٧] قالَ الأوّلُ[٨]:

---

(١) أشر: فرح. (اللّسان: أشر).

(٢) جذل: فرح. (اللّسان: جذل).

(٣) في الحاجري ص٢٥: القالي.

الشاني: المبغض. (اللّسان: شنا).

(٤) في الأصل (عريا) وهو تصحيف.

(٥) عدي بن زيد: أبو عمير، ابن حمّاد، نصراني، عبّادي، سكن الحيرة، فلانَ لسانه وسهل منطقه، وكان كاتباً لكسرىٰ، وكان كسرىٰ مُكرماً له ومحبّاً، وكان عدي أنبل أهل الحيرة، وأجودهم منزلة، غضب عليه النّعمان بن المنذر وحبسه طويلاً واغتاله في حبسه، توفي سنة (٩٥ هـ).

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ٥/ ٥٧٤، والأصفهاني، الاغاني: ٢/ ٨٩).

(٦) ورد البيت في خزانة الأدب: ٩/ ٥٠٦، والشعر والشعراء: ص١٤٤، وسير أعلام النبلاء، ٥/ ٥٧٤، والروض المعطار في خبر الأقطار: ص٢٢٧، حماسة أبي تمام: ١/ ١٠٩، ومعجم الشّعراء: ص٨١، وابن حمدون، التّذكرة الحمدونيّة: ١/ ١٥٥، وعبد السلام هارون، مجموعة المعاني: ١/ ٣٠٣.

(٧) في الحاجري ص٢٦: فكما.

(٨) القائل هو أبو يعقوب، إسحاق بن حسان الخريمي، كان أعجمياً ازدهر شعره في عصر الرّشيد والمأمون ومدحهما، وكان يفتخر بأصله الفارسي، توفىٰ سنة (٢١٤ هـ).

(انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ١/ ٣٣٩).

وإنّي وإن أظهَـرتُ صَـبرًا وحِسـبَةً وصانَعتُ أعدائي عَلَيكَ لَموجَعُ[١]/

ولَئن رُمينا من الدَّهرِ بالجُلّ[٢]، لَقَد سَهَّلَ عَلَينا مَؤونَةَ الصُّغرىٰ، فَنَحنُ في فَقدِنا له كَما قالَ الأوَّل:

وكُنتُ أعيرُ الدَّمعَ قَبلَكَ مَن بَكىٰ فأنتَ علىٰ مَن ماتَ بَعدَكَ شاغِلُه[٣]

ولئن قُلت: إنَّه قَصَّ الجَناح، وجَذَمَ[٤] اليَد، وقَطَعَ الظَّهر، وقَصَمَ[٥] النّاب، وحَطَمَ الصُّلب، وفَلَّ[٦] الحَدّ[٧]، وأوهَنَ المُنَّة[٨]، وأضرَمَ[٩] الأحشاء، وعَقَلَ اللِّسان[١٠]،

---

(١) ورد البيت في المنتخب والمختار في النوادر والأخبار: ص١٩٣:

وإنّي وإن أظهرت منـي جـلادة وصانعت أعدائي، عليه لموجع

(٢) الجلي: الأمر العظيم. (اللّسان: جلل).

(٣) البيت للشّمردل بن شريك اليربوعي، ابن عبد الملك من بني ثعلبة، شاعر هجّاء، كان يقال له ابن الخريطة، وهو من شعراء الدّولة الأموية، عاصر جرير والفرزدق، قال المرزباني: له في الصيد والطرد أراجيز حسان.

(انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص٤٧٠، والآمدي، المؤتلف والمختلف: ص٢٠٥.

ورد البيت في البيان والتبين ٤/ ٥٤، والشعر والشعراء: ص٥٠٧).

(٤) جذم: قطع. (اللّسان: جذم).

(٥) قصم: كسر. (اللّسان: قصم).

(٦) الفلّ: الكسر. (اللّسان: فلل).

(٧) الحدّ: حدّة الشّيء. (اللّسان: حدد).

(٨) المنّة: القوّة. (اللّسان: منن).

(٩) أضرم: ألهب وأشعل. (اللّسان: ضرم).

(١٠) عقل اللسان: لم يقدر علىٰ الكلام. (اللّسان: عقل).

وأهاجَ المُتبَلِّد[١]، وأعاشَ الحَيرَة[٢]، وأماتَ الذَّكاء، ونَزَعَ الرَّغبَة، وأورَثَ السَّلوَة، وبَرىٰ اللَّحم، وهاضَ[٣] العَظم، وأورَثَ الكَمَد، وأعقَبَ الأسَف، وهاجَ الكآبَة، لأصدُقَنّ، بل لأُقصِرَنَّ عَن نَهايَةِ ما بَلَغ.

فالحَمدُ لله، ثُمَّ الحَمدُ لله، علىٰ نَوائبِ الدَّهر، ومَكارِهِ الأيّام، ومَرارَةِ العَيش، وتَجَرُّعِ الثُّكل[٤]، واعتِراضِ الشَّجا[٥]، اصطِبارًا واستِسلامًا، ورُجوعًا إلىٰ أمرِ الله، وتَمَسُّكًا بمَراشِدِه.

فــإن تَكُــنِ الأيّــامُ فَــرَّقنَ بَينَنــا فقد بانَ مَحمودًا أخي يَومَ وَدَّعا[٦]

---

(١) المتبلد: الذي يتردد متحيرا. (اللّسان: بلد).

(٢) الحيرة: عدم الاهتداء إلىٰ السبيل. (اللّسان: حير).

(٣) هاض: كسره بعد الجبور أو بعدما كاد ينجبر. (اللّسان: هيض).

(٤) الثكل: الموت والهلاك. (اللّسان: ثكل).

(٥) الشجا: الهم والحزن. (اللّسان: شجا).

(٦) البيت لمتمّم بن نويرة، وهو ابن جمرة التميمي، صحابي له قصائد من غرر الشّعر في رثاء أخيه مالك، عاش حتّىٰ خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه تمثّلت عائشة رضي الله عنها بشعره.

(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٥/ ٥٤، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ٦/ ١٥، والدّارقطني، المؤتلف والمختلف، ٢/ ٦٠٠، والآمدي، المؤتلف والمختلف: ص٢٩٧، وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٣٣٧، والأصفهاني، الأغاني: ١٥/ ١٩٩).

ورد البيت في الكامل للمبرد ت الهنداوي: ٣/ ٢٦٦، والزّمخشري، شرح المفصّل: ٣/ ٣٨٠، والخطيب التّبريزي، شرح اختيارات المفضل: ٣/ ١٦٨٧، والعقد الفريد: ٣/ ٢٦٠، واليزيدي، كتاب الأمالي: ص٢١، والبستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: ص١٩٠، والقرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهليّة والإسلام: ٢/ ٧٥٢، وإميل يعقوب، المعجم المفصل في شواهد العربية: ٤/ ٢٠٥.

يا أبا محمّد، أصلَحكَ اللهُ! فَفِيمَ التَّرَبُّصُ[١] والانتِظار، وعَلامَ العُرجَة[٢]؟ وإنَّما الدُّنيا كأهلِ دار؛ مَتىٰ يَفِرُّ أوَّلُهم تَلاحَقوا، فلَم يَبقَ بِها أنيس.

أفَما تَعلَمُ أنّ الرَّكبَ وُقوف؛ مَن أتَتهُ دابَّتُه/ ارتَحَل، غَيرَ أنّ الإيابَ إلىٰ الله!

أوَما تَعلَمُ أنّنا رَهائنُ بأنفُسِنا، فكيفَ لا نَسعيفي فكاكِها! وما تَعلَمُ أنّا لَمَندوبون لِحِليَةِ التَّشمير[٣]؛ فَما الوَنىٰ[٤] والتّأخير! فَنَشَدُتُكَ اللهَ ونَفسي في التَّشَدُّدِ والتَّخَوُّف.

فَـما نَحـنُ إلا مِـثلَهُم غَـيرَ أنَّنـا　　　أقَمنا قَليلاً بَعـدَهم وتَرَحَّلـوا!»

[١٣] فصل[٥]

قد رأيتُك، جُعِلتُ فِداك، ألِفتَ إنسانًا خارِجًامن الإنسانيةِ إلا بِاسمِها، قد لَفَظَته كُلُّ طَبيعَةٍ حَيوانيةٍ مَنطقية، وجانَبَته أرواحُهم، ونَفَرَت عنه قلوبُهم، وتَحامَتهُ أنفُسُهم؛ حتّىٰ لَقَد تَنَكَّبوه في المُسايَرَةِ والموافَقَة، ورَدِّ السَّلامِ والإشارَة؛ وذلكَ أنّ فيه آفاتٍ قد مَلأت جَوارِحَه، وغَطَّت علىٰ أدَبِه؛ حتّىٰ لَو كانَ سَحبانَ وائلٍ[٦] في الخَطابَة،

---

(١) التربص: أصله من الرُّبصة وهي التَّلَبُّث. (اللّسان: ربص).
وقيل طول الانتظار، قال تعالىٰ ﴿فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ [المؤمنون: ٢٥].
(انظر: أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، ص١٠٧ ١٠٨).

(٢) العرجة: المقام. (اللّسان: عرج).

(٣) التشمير: الجد في الأمر والاجتهاد فيه. (اللّسان: شمر).

(٤) الونىٰ: الضعف والفتور والإعياء. (اللّسان: وني).

(٥) ورد جزء من هذا الفصل في المبرّد: ص٤٢ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، والحاجري: ص٣٩ بعنوان: فصول في الهجاء، وأبي النصر: ٣٣.

(٦) سحبان وائل: سحبان بن وائل بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان، اشتهر في الجاهليّة، وعاش زمناً في الإسلام، وكان إذا خطب يسيل عرقاً ولا يعيد كلمة ولا يتوقف =

وطولِ اللِّسان، وواضِحِ البَيان، كانَ كَباقِلٍ[1] في العَيايَةِ والفَدامَةِ[2]، ولو[والِداه][3] عَبدُ مَنافٍ وهاشِم؛ وحاشا لهُما أنْ يَلِدا مَثلَه، ما كانَ إلا خامِلاً، وضيعًا، ولو كانَ حاتِمًا الطّائي[4] وكَعبَ بنَ مامَةَ[5] والمُتَوَكِّلَ[6] في السَّخاءِ وكَثرَةِ العَطايا، ما كانَ إلا مَنقوصًا

= ولا يقعد حتّىٰ يفرغ، أسلم في زمن النبيّ، ﷺ، ولم يجتمع به، توفي سنة (٥٤ هـ)، كان لَسِناً بليغًا، يضرب به المثل في البيان والفصاحة، فيقال أفصح من سحبان وائل.

(انظر: ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق: ٦/ ٦٧، وابن نباتة، سرح العيون: ص١٤٦ – ١٤٧، وابن قتيبة، المعارف: ص٦١١، وأحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيّات وإنشاء لغة العرب: ١/ ٣٢٢).

(١) باقل: من بني قيس بن ربيعة، يضرب به المثل في العيّ، وكان عيياً فدماً، قيل أنه بلغ من عيّ باقل أنه اشترىٰ ظبيًا بأحد عشر درهمًا، فقيل له: بكم اشتريت الظبي؟ ففتح كفيّه وفرّق أصابعه وأخرج لسانه ليشير بذلك إلىٰ أحد عشر، فانفلت الظبي وذهب.

(انظر: الجاحظ، البيان والتبيين: ١/ ١٠، وابن قتيبة، المعارف: ص٦٠٨، واللّسان: بقل).

(٢) الفدامة: الفدم هو العيي عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة، وهو أيضًا الغليظ الأحمق. (اللّسان: فدم).

(٣) في الأصل (ولده)، وما أثبت من الحاجري ص٣٩، وأبي النّصر ص٣٣.

(٤) حاتم الطّائي: ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج القحطاني، شاعر جاهلي، جواد مشهور بالكرم، عاش ومات في الجاهليّة، يصدق قوله فعله، مظفّر، منصور، إذا قاتل غلب، وإذا سُئل وهب، شعره كثير ضاع معظمه، بقي منه ديوان صغير، وفي تاريخ وفاته اختلاف.

(انظر: الأصفهاني، الأغاني، ١٧/ ٣٦٢، وابن قتيبة، الشعر والشعراء ١/ ١٦٤، وابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق: ٣/ ٤٢٤).

(٥) كعب بن مامة: اشتهر بالكرم، حتّىٰ قال عنه الجاحظ أنّه بذل النفس حتّىٰ أعطبه الكرم، أنْ كل ما اشتهر به حاتم الطائي لا يبلغ شيئاً أمام كعب بن مامة. (انظر: الجاحظ، البخلاء، ٢/ ٩٦، ٩٧، ١٨٧).

(٦) المتوكّل: أبو الفضل، جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد هارون بن المهدي بن منصور =

ورَذلاً، ولو انفَلَقَت عنه جُثَّةُ أبي عُبَيدَةَ[١] وأبي عَمرو بنِ العَلاء[٢]، ما كانَ إلا جاهِلاً رَكيكًا/ ، وإحدىٰ صِفاتِه اللازِمَةِ له، وبالله التَّوفيق.

قال الله عَزَّ وجَلّ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، ولَيسَ صاحِبُكَ مِمَّن عَنىٰ الله؛ لأنّ جَبهَتَه في رأسِه، ومُقَدَّمَ رأسِه الذي تُعرَفُ به الأشخاصَ في مَوضِعِ قَصرَةِ عُنُقِه[٣]، ومَرتَعَ فِكرِه في مَوضِعِ حِفظِه، وأُذُناه مَقلوبَتان، في لِسانِه حُبسَة[٤]، تَرىٰ آذانَه في شِقّ، ولِسانَه في شِقّ، وتَظُنُّ أنّ كَلامَهُ كلامَ مَحمومٍ أو مَخمور.

[٥] عليه من الكَلامِ أشَدّ المؤونة[٦]، وفي مَعانيه اختِلافٌ لَيسَ منه شَيءٌ يواتي

= القرشي العباسي، ولد سنة (٢٠٥ هـ) وبويع عند موت أخيه الواثق في ذي الحجّة سنة (٢٣٢هـ) أمّه اسمها شجاع، قدم سنة (٢٤٤هـ) إلىٰ دمشق فأعجبته، وعزم علىٰ المقام بها، ونقل دواوين الملك إليها، وأمر بالبناء فيها، وقد أظهر المتوكل السّنّة، وزجر عن القول بخلق القرآن، توفي سنة (٢٤٧هـ).

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٩، والذهبي، العبر ١/ ٣٥٣، وابن العبري، تاريخ مختصر الدّول: ص٢٤٦).

(١) أبو عبيدة: هو معمر بن المثنّىٰ.

(٢) أبو عمرو بن العلاء: ابن عمّار بن العريان، التميمي البصري، شيخ القرّاء والعربيّة، ولد سنة (٧٠ هـ) حدّث عن أنس ابن مالك، ويحيىٰ بن عمر، برز في الحروف وفي النحو، واشتهر بالفصاحة والصدق وسعة العلم، كان أعلم الناس بالقراءات والعربية، والشّعر وأيّام العرب، من أشراف العرب، توفي سنة (١٤٥هـ) وعاش ستّاً وثمانين سنة.

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ٦/ ٥٤٠، والذهبي، العبر ١/ ١٧١، والمزّي، تهذيب الكمال في أسماء الرّجال: ٢١/ ٤١٠).

(٣) القصرة: أصل العنق. (اللّسان: قصر).

(٤) حبسة: تعذر الكلام عند إرادته. (اللّسان: حبس).

(٥) طمس وبياض في الأصل.

(٦) الكلمة مطموسة بالحبر في الأصل، ولعلّ الصّواب ما أثبت.

صاحِبَه، وهو قَصيرٌ حَقير، ويَدَّعي أنّه طَويل، ويَزعُمُ أنّه وإنْ كانَ قَصيرًا في العَين، فإنّه طَويلٌ في الحَقيقَة.

[1] ويقول: «وما علَيّ أنْ يَراني النّاسُ عَريضًا، وأكونُ في حُكمِهم غَليظًا، وأنا عندَ الله طَويلٌ جَميل، وفي الحَقيقَةِ مَقدودٌ رَشيق. وقد عَلِموا أنّه مع طولِ الباد[2] راكِبًا، طَويلُ[3] الظَّهرِ جالِسًا، ولكِنَّه بَينَهم إذا قامَ اختِلاف[4]، ولَهم عليه إذا اضطَجَعَ مَسائل[5].

وهو شَيخٌ كَبيرُ السِّنّ، ويَزعُمُ أنّه شابٌّ صَغيرُ السِّنّ. ويَدَّعي أنّه الغايَةُ في كُلِّ بابٍ مِن العِلم، وهو لَم يَنظُر في شَيءٍ من العِلم، ثُمَّ هو كَثيرُ الخِلاف، لَهِجٌ بالاعتِراض، شَديدُ المِراء[6]، قَليلُ الرُّجوع، بَطيءُ الرَّوع[7]، ويَريءِ إلىٰ أنْ يَرفَعَ الصَّوت، وتَظهَرَ الحُجَج، وبالمِراء يَكونُ الفَلَج[8]، وإنَّ مَن لَم يُكابِر لَم يَبلُغ حاجَتَه. [وإنَّه مِمَّن أقصَرَ عَن ذلك][9] ولا يَثِقُ/ بالتَّوَكُّل.

---

(١) من قوله «ويقول: وما علّي أنْ يراني...» إلىٰ قوله «إذا اضطجع مسائل» وردت في المبرّد ص٤٢.

(٢) في المبرّد ص٤٢: البال.

الباد: ما يلي السرج من فخذ الفرس.

(٣) ساقطة من المبرّد.

(٤) في المبرّد ص٤٢: ولكن بينهم فيك إذا قمت اختلاف.

(٥) في المبرّد ص٤٢: وعليك لهم إذا اضطجعت مسائل.

(٦) المراء: الجدل. (اللّسان: مرا).

(٧) الرّوع: القلب والعقل والذّهن، وأيضًا الفزع. (اللّسان: روع).

(٨) الفلج: الظفر والفوز. (اللّسان: فلج).

(٩) في الأصل (وإنّ مَن اقتصر)، وما أثبت من الحاجري ص٣٩، وأبي النّصر ص٣٢.

وقال محمّد المَكّي[(١)]: «قُلتُ له مَرَّةً: جُعِلتُ فِداك! لَعَلَّ إخوانَكَ أنْ يَجلِسوا عندَكَ فَوقَ مِقدارِ شَهوَتِك؛ فإن أقَمتَهم استَحيَيتَهم، وإن تَركتَهم ثَقُلَ عَليكَ مَكانُهم.

وما زالَتِ المُلوكُ تَجعَلُ لِهٰذا أمارَةً، وتَنصِبُ له علامَةً، وقد قيلَ هَذا لمعاويةَ بنِ أبي سُفيانَ، فقالَ: آيَةُ ذلك أنْ أُلقي الخَيزُرانَةَ مِن يَدي. وقالَ يَزيدُ بنُ مُعاوية[(٢)]: آيَةُ ذلك أنْ أستَلقي علىٰ فِراشي.

وقال عَبدُ المَلِكِ بنُ مروان: آيَةُ ذلك أنْ أقولَ: إذا شِئتُم. وقال سُلَيمانُ بنُ عَبدِ المَلِك[(٣)]: آيَةُ ذلك أنْ أقول: علىٰ بَرَكَةِ الله. فاجعَل لَنا[(٤)] آيَةً نَنتَهي إليها، وأمارَةً لا نُجاوِزُها، قال: آيَةُ ذلك أنْ أقول: يا غُلام، الغَداء[(٥)]».

---

(١) محمّد المكّي: أبو عبد الله، وقد أمره يحيىٰ بن خالد وزير هارون الرشيد أنْ ينظم شعرًا في (نقفور) فقال:

نَقَضَ الذي أعطيتَهُ نِقفُورُ	فَعلَيهِ دائِرَة البَـوَارِ تَـدُورُ
أبشر أمـير المُـؤمنين فإنّـهُ	فَتحٌ أتـاك بِـهِ الإلَـهُ كَبـيرُ

فقال الرّشيد ليحيىٰ: قد علمت أنّك احتلتَ في إسماعي هذا الخبر علىٰ لسان المكيّ، ونهض نحو الرّوم فافتتح هرقلة.

(انظر: الجهشياري، الوزراء والكتّاب ص٢٠٧).

(٢) يزيد بن معاوية: أبو خالد، ابن أبي سفيان بن حرب بن أميّة، توفي في نصف ربيع الأول سنة (٦٤هـ).

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٥/ ٨١، والذهبي، ميزان الاعتدال: ٤/ ٤٤٠).

(٣) سليمان بن عبد الملك: ولد سنة (٦٠ هـ)، ولي الخلافة في جمادىٰ الآخرة سنة (٩٦ هـ)، وتوفي سنة (٩٩ هـ) بمرج دابق.

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ٥/ ٥٧٤، والصّفدي، الوافي بالوفيات ٥/ ٢٤٥، وابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٥/ ٣٧).

(٤) في الحاجري ص٣٩: لك.

(٥) في الأصل (العدا) وهو تصحيف. =

وقالَ مَرَّةً: «بئسَ الشَّيءُ الصَّديق؛ أنْ أعطَيتَه أفقَرَك، وإن مَنَعته وَجَدَ عَلَيك، ومَتىٰ وَجَدَ عَلَيكَ ظُلمًا أغضَبَك، ومَتىٰ أغضَبَكَ أوحَشَك، ومَتىٰ أوحَشَكَ استَوحَشَ منك».

وقالَ أيّامَ وِلايَتِه بالأهواز[١]: «مَن وَهَبَ المالَ في عَمَلِه فَهوَ أحمَق، ومَن وَهَبَ مالَه بَعدَ عَزلِه فَهوَ مجنون، ومَن وَهَبَ مالَه مِن جَوائزَ مَملوكَة، أو مِن ميراثٍ لم يَتعَب فيه، فَهوَ محدود، ومَن وَهَبَ مِن كيسِه[٢]، ما استَفادَ بحيلَتِه وكَدِّه، فَذاكَ المَطبوعُ علىٰ قَلبِه، المأخوذُ بسَمعِه وبَصَرِه».

واحتَجَبَ حينًا عَن زوّارِه/ ؛ ليستَنفِدوا[٣] النَّفَقاتِ فيَعجَزوا، وليضجَروا فيَذهَبوا. فإن أمسَكوا عَن ذَمِّه فقد أعفَوه، وإن ذَمّوه فقد مَنَعوا النّاسَ منه. فَخَرَجَ يَومًا فَقاموا إليه، فَناشَدوه، وأذكَروا الحُرمَة، وقَرَّظوه[٤]، فَجَبَهَهم مَرَّةً، وحاجَّهم مَرَّةً؛ بقَلبٍ جامِع، ولِسانٍ عَضب[٥]. فَلمّا رأوا ذلك انصَرَفوا عنه، بحَدِّ[٦] اللَّعنِ فيه[٧]، والسَّبِّ له.

= ورد قول سليمان بن عبد الملك «يا غلام الغداء» في الجليس الصالح: ٢/ ٣٩٦.

(١) الأهواز: الكورة العظيمة التي ينسب إليها سائر الكُوَر، وهي تسع كُوَر بين البصرة وفارس، ولكل كورة منها اسم، وأهل الأهواز معروفون بالبخل والحمق وسقوط النفس، وهي كثيرة الحمّىٰ ووجوه أهلها مصفَرّة.

(انظر: الجاحظ، البخلاء، ١/ ٩٤، وياقوت، معجم البلدان: ١/ ٢٨٤ – ٢٨٥).

(٢) في أبي النصر ص٣٣، وفي الحاجري ص٣٩: كسبه.

(٣) في أبي النصر ص٣٣، وفي الحاجري ص٣٩: ليستعدوا.

(٤) قرّظوه: مدحوه ووصفوه. (اللّسان: قرظ).

(٥) لسان عضب: ذليق، وعضبه بلسانه أي تناوله وشتمه. (اللّسان: عضب).

(٦) في أبي النصر ص٣٣، وفي الحاجري ص٣٩: بجيد.

(٧) في الحاجري ص٣٩: له.

[١٤] فصل[(١)]

وكيفَ أُلامُ علىٰ بُغضِه، وعلىٰ إرغامِه ومَقتِه، وأنا لَو أحببْتُه [لاستَوجَبتُ الحَدّ][(٢)]، ولاستوحشتُ من الوَحدَة، ولجئتُ في الإسلام ببِدعَة[(٣)]؟ وكيفَ أُحِبُّه وأتَوَلّاه، وقد قال الله عزَّ وجَلّ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ[(٤)] مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

واعلَم أنّ مَن أحَبَّ في الله أبغَضَ فيه، ومَن أحَبَّ الكَرَمَ أحَبَّ الكِرام، ومَن أبغَضَ اللُّؤمَ أبغَضَ اللِّئام، ومَن أحَبَّ الله أبغَضَ مَن لا يُحِبُّه الله.

وبعدَ هذا كُلِّه، فكيفَ أُحِبُّه وأُقَصِّرَ في بُغضِه، وأفتُرُ عنه، وهو يَزعُمُ أنّ اسمَ الكَرَمِ كَلِمَةٌ وضَعَها المُستأكِلونَ من العَرَب، ولَقِنَها عَنهُم المَوَلَّدون، وأنّه لا يَعرِفُ للذِّمامِ[(٥)] مَعنىٰ، ولا للحُرمَـةِ حَقيقَة، وأنَّ هذه الأسمـاءَ المَوضوعَةَ والأوصافَ المَمنوعَة[(٦)]، إنَّما هي خُدعَـةٌ وحيل[(٧)]، وخِلابَـةٌ[(٨)] ومَكر، ومَخاريقُ[(٩)] وباطِل، وأنَّ المَغرورَ مَن غَرَّهُ/ المَدح، واستَمالَه حُبُّ الذِّكر، وهَشَّ للتَطرية[(١٠)]، وفَرِحَ بالتَّقريظ، وزَعَمَ أنّ الثَّناءَ عَرَضٌ والمالَ جَوهَر، والمال جِسمٌ باق، والثَّناءَ عَرَضٌ فان.

---

(١) ورد الفصل في الحاجري: ص٣٩- ٤٠ بعنوان: فصول في الهجاء، وأبي النصر: ص٣٤.

(٢) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٣) بدعة: الحدث وما ابتدع في الدين بعد الإكمال. (اللّسان: بدع).

(٤) في الأصل (فهو) وهذا تحريف.

(٥) الذمام: الحق والحرمة. (اللّسان: ذمم).

(٦) في الحاجري ص٤٠، وفي أبي النصر ص٣٤: المصنوعة.

(٧) في الحاجري ص٤٠، وفي أبي النصر ص٣٤: حيلة.

(٨) خلابة: خداع. (اللّسان: خلب).

(٩) مخاريق: الألاعيب التي يلجأ إليها المشعوذون، واحدها مخراق. (اللّسان: خرق).

(١٠) التطرية: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه. (اللّسان: طرا).

وقال: «ألا ترىٰ أنّ ذا المالِ يُعظَّم، وإنْ كانَ غَيرَ ذي جود، والجَوادَ لا يُعظَّمُ وإن كانَ غَيرَ ذي مال». وزَعَمَ أنّ الثَّناءَ أشبَهُ شَيءٍ بالسَّرابِ المائع، وبحُلمِ النّائم، وبالأمسِ الذّاهِب، وبأضاليلِ المُنىٰ[١].

وزَعَمَ أنّ مَدارَ الأمرِ في الإخبارِ عَن المَنافِعِ والمَضارّ؛ وأنّ الصِّدقَ لا يَحسُنُ إلا لأنّه يَنفَع، والكَذِبَ لا يُقَبَّحُ إلا لأنّه يَضُرّ. فإذا نَفَعَ الكَذِبُ فقد تَحَوَّلَ حُكمُه، وإذا ضَرَّ الصِّدقُ فقد تَبَدَّلَ رَسمُه. ولَيسَ بينَ نَفسِ الصِّدقِ والعُقولِ وِلاية، ولا بينَها وبَينَ الكَذِبِ عداوَة. ولَكِن لمّا كانَ اتِّفاقُ النَّفعِ في الصِّدقِ أكثَر، صار عِندَ العَوامِّ أحمَد، ولمّا كانَ ما يَتَّفِقُ بالمَضَرَّةِ في الكَذِبِ أكثَر، صارَ عندَ العَوامِّ أذَمّ، فما له، لَعَنَه الله، ثُمَّ ما له لَعَنَهُ الله، هو كيفَ نَصَبَ للكَرَمِ ونَهىٰ عنه، وكيفَ[٢] تكَفَّلَ باللُّؤمِ ودَعا إليه؟ وكيفَ اعتَرَضَ علىٰ جَميعِ المُتَّقين، وبَلَغَ كَيدُه جَميعَ المُؤمِنين؟

[١٥] فصل[٣]

لا نَعلَمُ أحَدًا بَعدَ الأنبياءِ صَلَواتُ الله عَلَيهِم أفضَلَ من الخُلَفاء/، ولا أحَقَّ بالسَّناءِ والكَرامَةِ والرِّفعَةِ والفَضيلَة. وإنَّما غايَةُ النّاسِ ومُنتَهىٰ شَرَفِ المُتَشَرِّفِ أن يَخدِمَهُم ويَتَّصِلَ بِهِم، فكُلُّ عِلمٍ لا يَرفَعونَه مُتَّضِع، وكُلُّ حِكمَةٍ لا يُنبِّهونَها خامِلَة، وكُلُّ سوقٍ لا تَنفُقُ عِندَهُم كاسِدَة.

ولَولا أنّ دَولَةَ بَني العَبّاسِ صارَت عَجَميةً خُراسانيةً[٤]، وكانَت دَولَةُ بَني

(١) أضاليل المنىٰ: الأماني التي لا خير فيها. (اللّسان: ضلل).

(٢) ساقطة من الحاجري وأبي النصر.

(٣) هذا الفصل جديد لم ينشر من قبل.

(٤) خراسان: بلاد واسعة أوّل حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند، وأهل خراسان أهل الدّعوة وأنصار الدّولة. (انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٢/ ٣٥٠).

مَروانَ عَرَبيةً أعرابيةً في أجنادٍ[1] شَآمية، والعَرَبُ أوعىٰ لِما تَصنَع، وأحفَظُ لِما تأتي؛ أوّلاً بالشِّعرِ الذي يُقَيِّدُ عَلَيها مآثِرَها، ويُخَلِّدُ بِها مَحاسِنَها، فَثبَتَ بذلك لبَني مَروانَ شَرَفٌ كَبير، ومَجدٌ تَليد، وتَدابيرُ لا تُحصىٰ، لأربىٰ مَناقِبُ مَلِكٍ مِن مُلوكِ بَني العَبّاسِ علىٰ مَناقِبِ جَميعِ مَن وَلَدَ بَنو مَروانَ وأبو سُفيان.

ولَو أنّ أهلَ خُراسانَ حَفِظوا علىٰ أنفُسِهِم وقائعَهُم في أهلِ الشّام، وتَدبيرَ مُلوكِهِم، وسياساتِ كُبَرائهِم، وما جَرىٰ في ذلك مِن فَوائدِ الكَلام، ومِن شَريفِ المَعاني، كانَ فيما قالَ المَنصور[2] وفَعَلَ في أيّامِه، وما أَسَّسَ لِمَن بَعدَه، ما بقي لِجَماعَةِ مُلوكِ بَني مَروان.

ولَقَد تَتَبَّعَ أبو عُبَيدَةَ النَّحويّ، وأبو الحَسَنِ المَدائني[3]، وهِشام بنُ الكَلبي[4]،

---

(١) أجناد: الجند المدينة وجمعها أجناد، وخصّ بها مدن الشأم، وأجناد الشام خمسة: دمشق، حمص، قنّسرين، الأردن، وفلسطين، يقال لكل مدينة منها جند. (اللّسان: جند).

(٢) المنصور: هو أبو جعفر المنصور، عبد الله بن محمّد بن علي بن عبد الله بن العبّاس، ثاني الخلفاء العبّاسيين ولد سنة (١٣٦ هـ) بويع سنة (١٣٦ هـ)، توفي سنة (١٥٨ هـ) وهو محرم.
(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١١/ ٥٧٩).

(٣) أبو الحسن المدائني: علي بن محمّد الأخباري، صاحب التّصانيف، ليس بالقوي في الحديث، وهو صاحب الأخبار، قلّ ما له من الرّوايات المسندة، كان عالماً بأيّام النّاس، صدوقاً في ذلك، له أكثر من مئتي كتاب، ومن مصنّفاته؛ المغازي، وأخبار النّساء، وتاريخ الخلفاء والشّعراء، وتاريخ أحسن التّواريخ، وعنه أخذ النّاس تواريخهم، مات سنة (٢٢٤ هـ).
(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٠٠، وابن حجر العسقلاني، لسان الميزان ٤/ ٢٩٣، والذهبي، العبر: ١/ ٣٠٨، وابن قتيبة، المعارف: ٥٣٨).

(٤) هشام بن الكلبي: أبو المنذر، هشام بن أبي النضر محمد بن السّائب بن بشر بن عمرو الكلبي، النّسابة الكوفي، له الكثير من التّصانيف، مثل كتاب حلف الفضول، حلف تميم وكلب، وفضائل قيس عيلان، وكتاب الموؤدات، كان واسع الرّواية لأيّام النّاس وأخبارهم، توفي سنة (٢٠٤هـ). =

والهَيثَمُ بنُ عَديّ، أخبارًا قد اختفَت، وأحاديثَ قد انقطَعَت، فَلم يُدرِكوا إلا قَليلاً مِن كَثير، ومَمزوجًا مِن خالِص[1].

وعلىٰ [كُلِّ][2] حال، فإنّا إذا صِرنا إلىٰ بُغيَةٍ/ [لا][3] يأمَلُ الشَّريفُ إلا اصطِناعَك، وهل يَرجو المَلهوفُ إلا غياثَك؟ وهل للطّولِ عَرضٌ سِواك؟ وهل للغَواني[4] مَثَلٌ غَيرُك؟ وهل للماتِحِ[5] رَجَزٌ إلا فيك؟ وهل يَحدو الحادي إلا بذِكرِك؟ وهل تَقَعُ الأبصارُ إلا عَلَيك؟ وتُعرَفُ الإشارَةُ إلا إليك؟

ولَولا أنْ يأخُذَ الواصِفُ لَكَ بنَصيبِه منك، وبسَهمِه من الشُّكرِ لك، لَكانَ الإطنابُ[6] عندَهم في وصفِهم لَغـوًا[7]، وكانَ تَشقيقُ[8] الكَـلامِ عَجزًا، ولكانَ تكَلُّفُهُ فَضلاً.

= (انظر: النّديم، الفهرست، ص٩٥، وابن خلّكان، وفيات الأعيان، ٦/ ٨٢، والذهبي، ميزان الاعتدال، ٤/ ٣٠٤، وابن قتيبة، المعارف: ص٥٣٦).

(١) من قوله «ولقد تتبّع أبو عبيدة النحوي...» إلىٰ قوله «وممزوجًا من خالص» ورد في البيان والتبيين: ٣/ ٢٢٧.

(٢) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها النّص.

(٤) الغواني: الجواري الحسناء، سميت غانية لأنها غنيت بحسنها عن الزينة. (اللّسان: غنا).

(٥) الماتح: الذي يسير سيرًا طويلاً بلا نزول. (اللّسان: متح).

(٦) الإطناب: المبالغة في مدح أو ذم والإكثار فيه. (اللّسان: طنب).

(٧) لغوًا: السَّقط وما لا يعتد به من كلام، ولا يُحصَّل منه علىٰ فائدة ولا علىٰ نفع. (اللّسان: لغا).

(٨) تشقيق: إخراج الكلام أحسن مخرج. (اللّسان: شقق).

[١٦] فصل[١]

ومَن هذا الّذي يضعهُ[٢] أنْ يَكونَ دونَك، أو يُمتَهَنَ[٣] بالتّسليمِ لك، ولَمْ[٤] نَعُدَّ إقرارَه إحسانًا، وخُضوعَه إنصافًا؟ أمن الشَّبيهِ لكَ في مَنزِلَتِك[٥]؟

ألَستَ خَلفَ الأخيار، وبَقيةِ الأبرار[٦]؟ وأيُّ أمرِكَ لَيسَ بغايَة؟ وأيُّ شَيءٍ مِنكَ لَيسَ في النِّهايَة؟ وهل فيكَ شَيءٌ يَفوقُ شَيئًا، أو يَفوقُه شَيء؟ أو يُقالُ له: لَو لَم يَكُن.

كذا لَكانَ كذا[٧]، ولَو لَم يَكُن كذا لَكانَ أحسَنَ[٨]، ولَو[٩] كانَ كَذَلِكَ لَكانَ أَتمَّ.

---

(١) ورد هذا الفصل في هارون: ٣/ ٨٢– ٨٤ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، والسّندوبيّ: ص٢١٥ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، وبيلا: ص٥٥ – ٥٦، والمبرّد: ص٦٨ – ٧٠ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير. ويبدو أنّه تتمّة للفصل السّابق.

(٢) في المبرّد ص٦٨: نصفه.

(٣) في السّندوبيّ ص٢١٥، وبيلا ص٥٥: يمتحن.
وهارون ٣/ ٨٢، والمبرّد ص٦٨: يهجىٰ.

(٤) في السّندوبيّ ص٢١٥، والمبرّد ص٦٨: أو.

(٥) جملة «أمن الشّبيه لك في منزلتك» ساقطة من هارون والمبرّد.

(٦) جملة «ألست خلف الأخيار، وبقيّة الأبرار» ساقطة من هارون والمبرّد.

(٧) ساقطة من السّندوبيّ وهارون وبيلا والمبرّد.

(٨) جملة «لو لم يكن كذا لكان أحسن» ساقطة من المبرّد.

(٩) في المبرّد ص٦٨: أو لم.

وأين الحُسنُ الخالِص/ ، والجمالُ البارعُ[١]، والمِلحُ المَحض[٢]، والحلاوَةُ التي لا تَستَحيل، والتَّمامُ الذي لا يُحيل[٣]؛ إلا عندَكَ أو فيك[٤]، ولكَ أو مَعَك، خالِصَةً لك، ومَقصورَةً عَلَيك، لا تليقُ إلا بك، ولا تَحسُنُ إلا فيك؛ فَلَكَ منه الكُلُّ ولِلنّاسِ البَعض، ولكَ الصّافي ولِلنّاسِ المَشوب.

هذا سِوىٰ الغَريبِ الذي لا نَعرِفُه، والبَديعِ الذي لا نَبلُغُه[٥]، لا بَل [أين][٦] الحُسنُ المُصمَت، والجمالُ المُفرَد، والخَلقُ[٧] الغَريب[٨]، والقَدُّ العَجيب، والمِلَحُ المَنثور، والفَضلُ المَشهور؛ إلا لكَ وفيك؟

وهل علىٰ ظَهرِها جَميلٌ حَسيب، أو عالِمٌ أديبٌ إلا وظِلُّكَ أكبَرُ مِن شَخصِه، وظَنُّكَ أبلَغُ[٩] مِن عِلمِه، واسمُكَ أفضَلُ مِن مَعناه، وحِلمُكَ[١٠] أثبَتُ مِن نَجواه، وصَمتُكَ أفضَلُ من فَحواه[١١]؟

---

(١) في السّندوبيّ ص٢١٥، وهارون ٣/ ٨٢، والمبرّد ص٦٨: الفائق.

(٢) الملح: الملاحة. (اللّسان: ملح).
المحض: الذي يكون علىٰ وجهه لم يخالطه شيء.
(انظر: أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، ص٥٤٦).

(٣) في المبرّد ص٦٨: لا يحل.

(٤) في السّندوبيّ ص٢١٥، وهارون ٣/ ٨٢، وبيلا ص٥٥، والمبرّد ص٦٨: إلا فيك أو عندك.

(٥) من قوله «خالصة لك...» إلىٰ قوله «والبديع الذي لا نبلغه» ساقطة من هارون وبيلا والمبرّد.

(٦) ما بين المعقوفين من السّندوبيّ ص٢١٥، وهارون: ٣/ ٨٢، وبيلا ص٥٥، والمبرّد: ص٦٨.

(٧) في السّندوبيّ ص٢١٥، وبيلا ص٥٥: الكمال.

(٨) جملة «والخلق الغريب» ساقطة من هارون والمبرّد.

(٩) في السّندوبيّ ص٢١٥، وهارون ٣/ ٨٣، وبيلا ص٥٥، والمبرّد ص٦٩: أكثر.

(١٠) في السّندوبيّ ص٢١٥: وحكمك.

(١١) عبارة «وصمتك أفضل من فحواه» ساقطة من هارون والمبرّد.
فحواه: معنىٰ ما يعرف من مذهب الكلام. (اللّسان: فحا).

وهل في الأرضِ حَليمٌ سِواك؟ وهل أظَلَّت الخَضراءُ ذا لَهجَةٍ أصدَقَ مِنك[١]؟ وهل حَمَلَت النِّساءُ أجَلَّ مِنك[٢]؟

وَلَرُبَّما رأيتَ الرَّجُلَ حَسَنًا جَميلاً، وحُلوًا مَليحًا، وفَخمًا نَبيلاً، وعَتيقًا رَشيقًا[٣]، ثُمَّ لا يكونُ مَوزونَ الأعضاء، ولا مُعَدَّلَ[٤] الأجزاء.

وقد تكونُ أيضًا الأقدارُ مُتَساويةً وغَيرَ مُتَقارِبَةٍ ولا مُتَفاوِتَة[٥]/ ، وتَكونُ[٦] قَصدًا، ومِقدارًا عَدلاً، وإن كانَت هُناكَ[٧] دَقائِقُ خَفيةٌ لا يَراها الغَبي[٨]، ولَطائفُ غامِضَةٌ لا يَعرِفُها إلا الذَّكي.

فأمّا الوَزنُ المُحَقَّق[٩]، والتَّعديلُ المُصَحَّح[١٠]، والتَّركيبُ الذي لا يَفضَحُهُ

---

(١) جاء في كتاب معاني الأخبار ١/ ١٧٣: «ما أظلّت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر».

(٢) من قوله: «وهل في الأرض حليم سواك.... إلى أجلّ منك» ساقطة من هارون والمبرّد.

(٣) في هارون٣/ ٨٣: وعتيقًا رشيقًا، وفخمًا نبيلاً.
والمبرّد ص٦٩: وعتيقًا رشيقًا، وفخيمًا نبيلا.
عتيقًا: العتق هو الكرم والجمال والشّرف والحرّيّة. (اللّسان: عتق).

(٤) في السّندوبيّ ص٢١٥: مقدود.
وهارون ٣/ ٨٣، والمبرّد ص٦٩: معتدل.

(٥) في المبرّد ص٦٩: وقد تكون الاقدار متساوية غير متقاربة.

(٦) في هارون٣/ ٨٣، وبيلا ص٥٦، والمبرّد ص٦٩: ويكون.

(٧) ساقطة من بيلا.

(٨) في السّندوبيّ ص٢١٥، وبيلا ص٥٦: إلا الألمعي.

(٩) في هارون ٣/ ٨٣، والمبرّد ص٦٩: المتحقق.

(١٠) في هارون٣/ ٨٣، والمبرّد ص٦٩: الصحيح.

التَّفَرُّس، ولا يَضُرُّهُ[١] التَّعَنُّت[٢]، ولا يَتَعَلَّلُ جاذِبُه[٣]، ولا يَطمَعُ[٤] في التَّمويهِ عائبُه[٥]؛ فَهو الذي خُصِصتَ به دونَ الأنام، ودامَ لكَ علىٰ الأيّام.

وكذَلِكَ[٦] الحُسنُ إذا كانَ حُرًّا مُرسَلاً، وعَتيقًا[٧] مُطلَقًا[٨]، ثُمَّ[٩] لا يَتَحَكَّمُ عليه الدَّهر[١٠]، ولا يُزيلُه[١١] الزَّمان، ولا يُغَيِّرُه الحَدَثان[١٢]، ولا يَحتاجُ إلىٰ تَعليقِ التَّمائم، ولا إلىٰ الصَّونِ والكِنِّ[١٣]، ولا إلىٰ المِنقاسِ[١٤] والكُحل.

---

(١) في السّندوبيّ ص٢١٥، وهارون ٣/ ٨٣، وبيلا ص٥٦، والمبرّد ص٦٩: يحصره.

(٢) في المبرّد ص٦٩: التغيب.

التعنت: المشقة والتشدد. (اللّسان: عنت).

(٣) الجاذب: العائب. (اللّسان: جذب).

(٤) في المبرّد ص٦٩: ولا تطمعه.

(٥) في السّندوبيّ ص٢١٥، وهارون٣/ ٨٣، وبيلا ص٥٦: تاعته.

والمبرّد ص٦٩: غايته.

(٦) في السّندوبيّ ص٢١٥، وهارون ٣/ ٨٣، والمبرّد ص٦٩: وكذا.

(٧) في الأصل (عيقا) وهو تصحيف.

(٨) في السّندوبيّ ص٢١٥: مطبقًا.

(٩) ساقطة من هارون وبيلا والمبرّد.

(١٠) في المبرّد ص٧٠: الذهن.

(١١) في السّندوبيّ ص٢١٥: يذيله.

والمبرّد ص٧٠: يديله.

(١٢) ساقطة من السّندوبيّ وهارون والمبرّد.

الحدثان: مصائب الدهر. (اللّسان: حدث).

(١٣) الكن: وقاء كل شيء وستره. (اللّسان: كنن).

(١٤) في السّندوبيّ ص٢١٥، وبيلا ص٥٦: المناقش.

وهارون ٣/ ٨٤، والمبرّد ص٧٠: المنقاش.

المنقاس: المداد، وهو ما يكتب به. (اللّسان: نقس).

[١٧] فصل [١]

ولَو لَم يكُن لِحُسنِ وَجهِك، إلا أنّه قد سُهِّلَ في العُيونِ تَسهيلاً، وحُبِّبَ إلىٰ القُلوبِ تَحبيبًا، وقُرِّبَ إلىٰ النُّفوسِ تَقريبًا؛ حتّىٰ امتَزَجَ بالأرواح، وخالَطَ الدِّماء، وجَرىٰ في العُروق، وتَمَشّىٰ في العِظام[٢]، بحَيثُ لا يَبلُغُه السُّمّ[٣]، ولا الوَهم، ولا السُّرورُ الشَّديد، ولا الشَّرابُ الرَّقيق؛ لَكانَ في ذلك[٤] البُرهانُ النَّيِّر، والدَّليلُ البَيِّن[٥]، والمَزيةُ الظّاهِرَة/ ، والفَضيلَةُ الواضِحَة[٦].

[ولو لم يكُن لكَ إلا أنّا لا نستطيع أنْ نَقول في الجُملَة، وعندَ الوَصفِ والمِدحَة: هو[٧] أحسَنُ من القَمَر[٨]، وأضوأُ[٩] من الشَّمس[١٠]، وأبهىٰ من الغَيث، ولَهوَ[١١]

---

(١) ورد هذا الفصل في عبيد الله: ٣/ ٦٢ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، والسّندوبيّ: ٢١٥-٢١٦ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، وهارون: ٣/ ٨٤- ٨٥ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، وبيلا: ص٥٧، والمبرّد: ص٧٠ - ٧٢ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير.

(٢) في السّندوبيّ ص٢١٦، وعبيد الله ٣/ ٦٢، وهارون٣/ ٨٤، والمبرّد ص٧٠: العظم.

(٣) في عبيد الله ٣/ ٦٢، وهارون ٣/ ٨٤، والمبرّد ص٧٠: السمر.

(٤) في المبرّد ص٧٠: لكان له في ذلك.

(٥) جملة (والدّليل البيّن) ساقطة من السّندوبيّ وعبيد الله وهارون وبيلا والمبرّد.

(٦) في السّندوبيّ ص٢١٦، وعبيد الله ٣/ ٦٢، وهارون ٣/ ٨٤، وبيلا ص٥٧، والمبرّد ص٧٠: البينة.

(٧) في عبيد الله ٣/ ٦٢، وهارون٣/ ٨٤: لهو.

(٨) انظر المثل في الميداني، مجمع الأمثال: ١/ ٤٠٦.

(٩) في بيلا ص٥٧: أو أضوأ.

(١٠) يقال في المثل «أضوأ من النّهار» و«أضوأ من الصّبح».
(انظر: الميداني، مجمع الأمثال: ١/ ٢٧٧).

(١١) ساقطة من عبيد الله وهارون والمبرّد.

أحسَنُ مِن يَومِ الحِلْيَة[١]، وأنّا لا نَستَطيعُ أنْ نَقولَ في التَّفاريق: كأنَّ عُنُقَه إبريقُ فِضَّة، وكأنَّ قَدَمَهُ لِسانُ حَيَّة[٢]، وكأنَّ وَجهَه[٣] ماوية[٤]، وكأنَّ بَطنَه قُبطية[٥]، وكأنَّ ساقَه بَردية[٦]، وكأنَّ لِسانَهُ وَرَقة[٧]، وكأنَّ أنفَهُ حَدُّ السَّيف، وكأنَّ حاجِبَه خُطَّ بقَلَم[٨]، وكأنَّ لَونَه الذَّهَب، وكأنَّ عَوارِضَه[٩] البَرَد[١٠]، وكأنَّ فاه خاتِم، وكأنَّ جَبينَه هِلال، ولَهو أطهَرُ من الماء، وأرَقُّ طِباعًامن الهَواء، ولَهو أمضىٰ من السَّيل[١١]، وأهدىٰ من النَّجم[١٢]؛ لَكان في ذلك البُرهانَ النَّيِّر، والدَّليلِ البيِّن[١٣]][١٤].

---

(١) في بيلا ص٥٧: الحلبة.
يوم الحلية: يوم الزينة. (اللّسان: حلا).

(٢) يقال في مثل، إذا مدحوا الخفّ اللطيف، والقدم اللطيفة، قالوا: كأنه لسان حيّة.
(الجاحظ، الحيوان: ٤/ ٢٥٠).

(٣) في بيلا ص٥٧: عينه.

(٤) الماويّة: المرآة، كأنها نسبت إلىٰ الماء لصفائها، وأن الصور تُرىٰ منها كما ترىٰ في الماء الصافي، وقيل حجر بلور. (انظر: الثعالبي، فقة اللغة: ص٣٢٢، اللّسان: موا).

(٥) في المبرّد ص٧١: قنطية.قبطية: القُبطيّة ثياب كتان بيض. (اللّسان: قبط).

(٦) برديّة: شبّه ساقه بالبرديّة لأنّها ليس فيها عقد ولا نتوء، وبها تُشبه ساق المرأة. (اللّسان: برد).

(٧) جاء في البيان والتبيين: ١/ ١٢٠ «حدّثني أعرابي يمدح رجلاً برقّة اللّسان، فقال: كأن والله لسانه أرقّ من ورقة»، وجاء في نشوة الطرب: ٢/ ٦٧٨ «قال أعرابي في وصف بليغ: كأن لسانه أرق من ورقة».

(٨) في المبرّد ص٧١: خط قلم.

(٩) عوارضه: العارض: الخد، وقيل ما ينبت علىٰ عرض اللحىٰ فوق الذقن. (اللّسان: عرض).

(١٠) البرد: حب الغمام.(اللّسان: برد).

(١١) يقال في المثل «أمضىٰ من السّيل تحت الليل».
(انظر الميداني، مجمع الأمثال: ٣/ ٣٥٨، وابن عبد ربه، العقد الفريد: ٣/ ٧٦).

(١٢) انظر المثل في البيان والتبيين: ١/ ٣٩، ومجمع الأمثال: ٣/ ٥١٠، والعقد الفريد: ٣/ ٧٦.

(١٣) جملة «لكان في ذلك البرهان النير والدليل البين» ساقطة من السّندوبيّ.

(١٤) من قوله «ولو لم يكن لك...» إلىٰ قوله «والدّليل البيّن» من عبيد الله ص٣/ ٦٢، والسّندوبيّ =

وكيفَ لا تَكونُ[١] كذلك وأنتَ الغايَةُ في كُلِّ فَضل، والمَثَلُ[٢] في كُلِّ شَكل، وفيكَ قالَ[٣] الشّاعِر[٤]:

يَزيدُكَ وَجهُهُ حُسنًا إذا ما زِدتَـهُ نَظَـرًا[٥]

فأمّا[٦] قَولُ الدِّمَشقيين: ما تأمَّلنا قَطُّ تأليفَ مَسجِدنا[٧]، وتَركيبَ مِحرابِنا، وقُبَّةَ مُصَلّانا؛ إلا أثارَ لَنا التّأمُّل، واستَخرَجَ لَنا التَّفَرُّسُ غَرائبَ حُسنٍ لَم نَعرِفها، وعَجائبَ صَنعَةٍ لَم نَقِف عَلَيها.

= ص٢١٦، وهارون: ٣/ ٨٥، وبيلا ص٥٧، والمبرّد: ص٧١.

(١) في بيلا ص٥٧: يكون.

(٢) في السّندوبيّ ص٢١٦، وبيلا ص٥٧: النهاية.

(٣) في عبيد الله ٣/ ٦٢: وأما قول.

(٤) هو أبو نواس، الحسن بن هانئ، أحد شعراء العصر العباسي، توفي سنة (١٩٨ هـ).
(انظر: الزركلي، الأعلام ٢/ ٢٢٥).

(٥) ورد البيت في: ديوان أبي نواس: ص١٥٨، وثمار القلوب ص٥٢٥، والفروق في اللغة: ص٤٦٨، والجرجاني، كنايات الأدباء وإشارات البلغاء: ص١٣٣، وابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشّعر ونقده: ٢/ ١٤٢، وخلاصة الذهب المسبوك: ص١٦٦، ومعاهد التنصيص: ١/ ٧٨.

(٦) ساقطة من السّندوبيّ والمبرّد.

(٧) مسجد دمشق: هو أثر بني أميّة المضروب به المثل في الحُسن، وكان كلّ من خلفائهم يزيد فيه زيادة، ويؤثر أثراً حتىٰ تناهىٰ حُسنه، وتكاملت جلالته، وهو منقوش الحيطان والسّقوف والأعمدة، مرصّعة كلّها بالجواهر، ومشرقة بالألوان.
(انظر: الثعالبي، ثمار القلوب: ص٥٢٥، وابن قتيبة، المعارف: ص٥٦٥).

وما نَدري أجَواهِرُ مُقطَّعاتِه[١] أكرَمُ في الجَواهِر، أم تَنضيدُ أجزائه في تَنضيدِ الأجزاء؛ فإنَّما[٢] ذلك مَعنًى مَسروقٌ مِنّي في وَصفِك، مأخوذٌ[٣] مِن كُتُبي في مَدحِك. والجُملَةُ التي تَنفي الجِدال، وتَقطَعُ القيلَ والقال، أنّي لَم أرَكَ[٤] قَطُّ إلا وذَكَرتُ[٥] الجَنَّة، ولا رأيتُ أجمَلَ النّاسِ في عَقيبِ[٦] رُؤيَتِكَ إلا ذَكَرتُ النّار.

[١٨] فصل[٧]

ولا[٨] تَعجَب[٩] أيُّها السّامِع؛ واعلَم[١٠] أنّي مُقَصِّر[١١]. وإذا رأيتَهُ[١٢] عَلِمتَ أنّي فيما يَجِبُ له مُفرِط[١٣].

---

(١) في الأصل (مطعاته) وما أثبت من السّندوبيّ ص٢١٦، وعبيد الله ٣/ ٦٢، وهارون ٣/ ٨٥، وبيلا ص٥٧، والمبرّد ص٧٢.

(٢) في بيلا ص٥٧، والمبرّد ص٧٢: فإن.

(٣) في هارون ٣/ ٨٥: ومأخوذ.

(٤) في الأصل (ارل) وهو تصحيف.

(٥) في المبرّد ص٧٢: إلا ذكرت.

(٦) في السّندوبيّ ص٢١٦، وعبيد الله ٣/ ٦٢، وهارون ٣/ ٨٥، والمبرّد ص٧٢: عقب.

(٧) ورد هذا الفصل في عبيد الله: ٣/ ٦٣، والسّندوبيّ: ص٢١٦-٢١٧ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، وهارون: ٣/ ٨٥-٨٦، بعنوان: من كتابه في رسالة التربيع والتدوير، وبيلا: ص٥٨-٥٩، والمبرد: ص٧٢ - ٧٣ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير. هذا الفصل تتمّة لما سبقه.

(٨) في بيلا ص٥٨: فلا.

(٩) في السّندوبيّ ص٢١٦: والعجب.

(١٠) ساقطة من السّندوبيّ.

(١١) في بيلا ص٥٨: مفرط.

(١٢) في الأصل (راته) وهو تصحيف.

(١٣) جملة «وإذا رأيته علمت أني فيما يجب له مفرط» ساقطة من عبيد الله. وفي هارون ٣/ ٨٥، وبيلا ص٥٨: وإذا رأيته علمت أنّي مقصّر.

هو رَجُلٌ طينَتُه حُرَّةٌ[١]، وعِرقُه كَريم، ومَغرَسُه طَيِّب، ومَنشَؤُه محمود/ . غُذِّي بالنِّعمَةِ[٢]، وعاشَ في غِبطَة[٣]، أرهَفَهُ[٤] التّأديب، وألطَفَهُ[٥] طول التَّفكير[٦]، وخامَرَهُ[٧] الأدَب، وجَرىٰ في عِرقِهِ[٨] ماءُ الحَياء. وأحكَمَتهُ التَّجارِبُ وعَرَفَ العَواقِب[٩]؛ فأفعالُه كأخلاقِه، وأخلاقُه كأعراقِه، وعادَتُه كَطَبيعَتِه، وآخِرُه كأوَّلِه، تَحكي اختياراتُهِ التَّوفيق، ومَذاهِبُه التَّسديد.

لا يَعرِفُ التَّكَلُّف، ويَرغَبُ عَن التَّجَوُّز[١٠]، ويَنبُلُ عَن تَركِ الإنصاف، ولا[١١] تَمتَنِعُ عليه مَعرِفَةُ المُبهَم، ولا يَلتَحِجُ[١٢] باستِبانَةِ المُشكِل.

[١٣] يَتَخَيَّرُ مِن الألفاظِ أرَقَّها مَخرَجًا، ومِن المَعاني أدَقَّها مَسلَكًا، وأحسَنَها قَبولاً،

---

(١) الطّين الحر: الحرّة: الطّينة الطّيّبة. (اللّسان: حرر).

(٢) في المبرّد ص٧٢: في النعمة.

(٣) في عبيد الله ٣/ ٦٣: الغبطة.

(٤) في هارون ٣/ ٨٦: وأرهفه.

(٥) في السّندوبيّ ص٢١٦، وعبيد الله ٣/ ٦٣، وهارون ٣/ ٨٦، والمبرّد ص٧٢: لطفه.

(٦) في بيلا ص٥٨: طول الفكرة.

(٧) خامره: خالطه.(اللّسان: خمر).

(٨) في السّندوبيّ ص٢١٦، وعبيد الله، وهارون ٣/ ٨٦، والمبرّد ص٧٢: وجرىٰ فيه ماء الحياء.

(٩) جملة «وأحكمته التّجارب وعرف العواقب» ساقطة من عبيد الله وهارون والمبرّد.

(١٠) في المبرّد ص٧٢: التجرد.

(١١) في هارون ٣/ ٨٦، والمبرّد ص٧٣: لا.

(١٢) في عبيد الله ٣/ ٦٣، وهارون ٣/ ٨٦، وبيلا ص٥٩: يلحج.

يلتحج: أظهر غير ما في نفسه. (اللّسان: لحج).

(١٣) من هنا إلىٰ آخر الفصل ساقطة من عبيد الله وهارون والمبرّد.

وأجودَها وُقوعًا، وأتمِّها إطاعًا، بأقوىٰ الكَلام، وأوجَزه، وأعذَبِهِ وأحسَنِه؛ يُقَلِّلُ عَدَدَ حُروفِه، ويُكَثِّرُ عَدَدَ مَعانيه، ومن الفِعلِ بَعدَ ذلك أكمَلَه تَحقيقًا. إذا أقبَلَ هِبناه، وإذا أدبرَ اغتَبناه؛ مَعَ تَمكُّنِه وتَمَلّيه[١] وسَعَةِ صَدرِه.

[١٩] فصل[٢]

وبَعدُ[٣]؛ فمَن يَطمَعُ في عَيبِك[٤]؟ [بل مَن يَطمَعُ في قَدرِك][٥]؟ وكيفَ وقدأصبحتَ وما على/ الأرضِ[٦] خَودٌ[٧]إلا وهي[٨] تَعثُرُ[٩] بِاسمِك، ولا قَينَةٌ إلا

---

(١) في السّندوبيّ ص٢١٧، وبيلا ص٥٩: عقله.

تملّيه: الملي: الاستمتاع بالشّيء. (اللّسان: ملا).

(٢) ورد هذا الفصل في عبيد الله: ٣/ ٦٣ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، والسّندوبيّ: ص٢١٧ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، وهارون: ٣/ ٨٦ – ٨٧ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، وبيلا: ص٥٩ – ٦٠، وأبي النصر: ص٣٨، والمبرّد: ص٧٣ – ٧٤ بعنوان: من كتابه في التربيع والتدوير.

(٣) ساقطة من عبيد الله والسّندوبيّ وأبي النّصر والمبرّد.

(٤) في المبرّد ص٧٣: عينك.

(٥) ما بين المعقوفين من عبيد الله ٣/ ٦٣، والسّندوبيّ ص٢١٧، وهارون ٣/ ٨٦، وبيلا ص٥٩، والمبرّد: ص٧٣، وأبي النصر ص٣٨.

(٦) في عبيد الله ٣/ ٦٣، والسّندوبيّ ص٢١٧، وهارون ٣/ ٨٦، وبيلا ص٥٩، والمبرّد ص٧٣، وأبي النصر ص٣٨: ظهرها.

(٧) في المبرّد ص٧٣: جواد.

خَود: الفتاة الحسناء الخلق الشابة، وقيل الجارية الناعمة. (اللّسان: خود).

(٨) ساقطة من المبرّد.

(٩) جاء في حاشية الأصل في تفسير كلمة (تعثر) بيت شعر لعمر بن أبي ربيعة (ولم أجده في ديوانه):

وإذا مــا عثــرت في مرطهــا ... هتفت باسمي ونادت يا عمرُ

وهي تُغَنّي[١] بمَدحِك[٢]، ولا فَتاةٌ إلا وهي[٣] تَشكو تَباريحَ[٤] حُبِّك، ولا مَحجوبَةٌ إلا وهي تَثقبُ[٥] الخُروقَ[٦] لِمَمَرِّك، ولا عَجوزٌ إلا وهي تَدعو لَك، ولا غَيورٌ إلا وقد شَقي بك.

فكَم مِن كَبِدٍ حَرّىٰ مُنضَجَة، ومَصدوعَةٍ مَفريّة[٧]؟ وكَم حَشّىٰ خافِق، وقَلبٍ هائم؟ وكَم مِن[٨] عَينٍ ساهِرَة، [وأُخرىٰ جامِدَة][٩]، وأُخرىٰ باكية؟ وكَم مِن[١٠] عَبرىٰ مولَّهَة[١١]؟ وفَتاةٍ مُعَذَّبَةٍ قد أقرَحَ[١٢] قَلبَها الحُزن، وأجهَدَ[١٣] عينَها الكَمَد، قد

---

(١) في المبرّد ص٧٣: تبغىٰ.

(٢) في المبرّد ص٧٣: تمدحك.

(٣) ساقطة من عبيد الله وهارون والمبرّد.

(٤) تباريح: توهُّج الشوق، يقال: تباريح الحب وتباريح الشّوق، وبرّح به الحبّ والشّوق؛إذا أصابه البَرح وهو الشّدّة.

(انظر: ابن قيّم الجوزيّة، روضة المحبّين: ص٣٣، واللّسان: برح).

(٥) في عبيد الله ٣/ ٦٣، وهارون ٣/ ٨٧، وبيلا ص٥٩، والمبرّد ص٧٣: تنقب.

(٦) الخروق: الخَرق: الفرجة والمقصود أنها تُحدث شقوقًا في الجدار عندما تمر. (اللّسان: خرق).

(٧) في المبرّد ص٧٣: ومعذبة.

مفرية: مشقوقة. (اللّسان: فرا).

(٨) ساقطة من المبرّد.

(٩) ما بين المعقوفين من عبيد الله ٣/ ٦٣، والسّندوبيّ ص٢١٧، وهارون ٣/ ٨٧، وبيلا ص٦٠، والمبرّد:ص ٧٣، وأبي النصر ص٣٨.

(١٠) ساقطة من عبيد الله وهارون والمبرّد.

(١١) من قوله: «فكم من كبد حرّىٰ... إلىٰ عبرىٰ مولّهة» ساقطة من أبي النصر.

(١٢) في أبي النصر ص٣٨: أفرج.

(١٣) في بيلا ص٦٠: اجمد.

استَبدَلَت بالحَلي العُطلَة[١]، وبالأُنسِ الوَحشَة[٢]، وبالتَّكحيلِ المَرَه[٣]،فأصبَحَت والِهَةً[٤] مَبهوتَةً[٥]، وهائمَةً مَجهودَةً، بَعدَ طَرف ناصِع، وسِنٍّ ضاحِك، وغُنجٍ[٦] ساحِر[٧]، ويَعدَ أنْ كانَت [نارًا][٨] تَتَوَقَّد، وشُعلَةً تَتَوَهَّج.

[٢٠] فصل[٩]

ولَيسَ حُسنُكَ أبقاكَ الله حُسنًا يَبقىٰ مَعَه تَوبَة[١٠]، أو تَصِحُّ مَعَه عَقيدَة، أو يَدومُ مَعَه عَهد، أو يَثبُتُ مَعَه عَزم، أو يُمهِلُ صاحِبَه لِلتَّثَبُّت، أو يَتَّسِعُ لِلتَّخَيُّر، أو

---

(١) العطلة: خلو المرأة من الحليْ. (اللّسان: حلا).

(٢) ساقطة من أبي النصر.

(٣) ساقطة من أبي النصر.

المره: خلو العين من الكحل. (اللّسان: مره).

(٤) والهة: شديدة الحزن والجزع. (اللّسان: وله).

(٥) في الأصل (مبهويه)، وهو تصحيف.

وما أثبت من عبيد الله ٣/ ٦٣، والسّندوبيّ ص٢١٧، وهارون ٣/ ٨٧، وبيلا ص٦٠، وأبي النصر ص٣٨. وفي المبرّد ص٧٤: مبثوثة.

مبهوتة: متحيّرة. (اللّسان: بهت).

(٦) غُنج: حسن التدلل. (اللّسان: غنج).

(٧) جملة (وغنج ساحر) ساقطة من عبيد الله والمبرّد.

(٨) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص٣/ ٦٣، والسّندوبيّ ص٢١٧، وهارون: ٣/ ٨٧، وبيلا ص٦٠، وأبي النصر ص٣٨.

(٩) ورد هذا الفصل في عبيد الله: ٣/ ٦٤ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، والسّندوبيّ: ص٢١٧-٢١٨ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، وهارون: ٣/ ٨٧ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، وبيلا: ص٦٠، والمبرد: ص٧٤ – ٧٥ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير.

(١٠) في عبيد الله ٣/ ٦٤، والسّندوبيّ ص٢١٧، وبيلا ص٦٠، والمبرد ص٧٤: الحسن الذي تبقىٰ معه توبة.

يُنَهنِهُه[١]/ زَجر، أو يَهدّهُ[٢] خَوف.

هو أبقاكَ[٣] الله شَيءٌ يَنقُض[٤] العادَة، ويَفسَخُ المُنّة، ويُعجِلُ عَن الرَّوية، ويُطَّرِحُ[٥] بالعَراء[٦]، وتُنسىٰ[٧] مَعَهُ العَواقِب.

ولَو أدرَكتَ[٨] عُمَرَ بنَ الخَطّابِ رَضِي الله عَنه[٩] لَصنَعَ بكَ أعظَمَ مِمّا صَنَعَ بنَصرِ بنِ الحَجّاج[١٠]، ولَركَّبَكَ بأكبَرَ[١١] مِمّا رَكَّبَ به جَعدَةَ السُّلَميّ[١٢]، بَل لَدَعاهُ

---

(١) في المبرد ص٧٤: ينهيه.
ينهنهه: يزجره. (اللّسان: نهنه).

(٢) في السّندوبيّ ص٢١٧، وعبيد الله ٣/ ٦٤، وبيلا ص٦٠: يهذبه.
وهارون، والمبرد ص٧٤: يفيده .

(٣) في السّندوبيّ ص٢١٧، وبيلا: أعزك.

(٤) في المبرد ص٧٤: ينقص.

(٥) في عبيد الله ٣/ ٦٤، وهارون ٣/ ٨٧، والمبرد ص٧٤: يطوح.

(٦) في عبيد الله ٣/ ٦٤، والسّندوبيّ ص٢١٧، وهارون ٣/ ٨٧: بالعزاء.

(٧) في عبيد الله ٣/ ٦٤، وهارون ٣/ ٨٧: ينسىٰ.

(٨) في عبيد الله ٣/ ٦٤، والسّندوبيّ ص٢١٧، وهارون ٣/ ٨٧، وبيلا ص٦٠، والمبرد ص٧٤: أدركك.

(٩) ساقطة من عبيد الله وهارون وبيلا.

(١٠) نصر بن الحجّاج: نصر بن علاط بن خالد بن نُوَيرة السُّلمي، قيل أنْ عمر بن الخطّاب، رضي الله عنه، استدعاه، فأُتي به، فإذا هو أحسن النّاس وجهاً وأحسنهم شعراً، فقال عمر: عزيمةٌ من أمير المؤمنين ليأخذن من شعرك، فأخذ من شعره، فخرج له وجنتان كأنّهما شقّتا قمر، فقال: اعتمّ، فاعتمّ، ففتن النّاس بعينيه، فقال عمر: والله لا تساكنّي ببلدة أنا فيها، قال: يا أمير المؤمنين ما ذنبي؟ قال: هو ما أقول لك، وسيّره إلىٰ البصرة، وبقي فيها إلىٰ أنْ مات عمر، وركب راحلته وأتىٰ المدينة.
(انظر: الصّفدي، الوافي بالوفيات، ٢٧/ ٣٨، والزركلي، الأعلام، ٨/ ٢٢).

(١١) في المبرد ص٧٤: أعظم.

(١٢) جعدة السّلمي: أدرك الجاهليّة، وكان والياً في عهد عمر بن الخطاب، وله قصّة مع عمر بن =

الشُّغلُ بكَ إلىٰ تَركِ التَّشاغُلِ بِهِما، والغَيظُ عَلَيكَ إلىٰ الرَّحمَةِ لَها.

فَمَن كانَ عَيبُ حُسنِه الإفراط، والطَّعنَ[١] عليه مِن جِهَةِ الزّيادَة، كيفَ يَرومُه عاقِل، أو يَنتَقِصُه عالِم؟

[٢١] فصل[٢]

فَلا[٣] تَعجَب إنْ كُنتَ[٤] نِهايَةَ الهِمَّة، وغايَةَ الأُمنية[٥]، فإنَّ حُسنَ الوَجهِ[٦] إذا وافَقَ حُسنَ القَوام، [وَشِدَّةَ العَقل][٧]، وجَودَةَ الرّأي، وكَثرَةَ العِلم[٨]، وسَعَةَ الخُلُق، والمَغرِسَ الطَّيِّب، والنِّصابَ الكَريم، والطَّرفَ النّاصِع، واللِّسانَ البَيِّن[٩]، والنِّعمَةِ

= الخطّاب، وكان غزلاً صاحب نساء، يحدّثهنّ ويمازحهنّ، وكان يعقلهن ثمّ يأمرهنّ أنْ تمشي فتعثر وتقع تنكشف، فبلغ ذلك عمر فنفاه.
(انظر: ابن حجر، الإصابة: ١/ ٦٣٦).

(١) ساقطة من السّندوبيّ.

(٢) ورد هذا الفصل في السّندوبيّ ص٢١٨ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، وأيضًا ص٢٩٠ - ٢٩١ بعنوان: رسالة مدح النبيذ، وفي هارون: ٣/ ١٢٥ - ١٢٦ بعنوان: رسالة في مدح النبيذ، وبيلا: ص٦١، والمبرّد: ص١١٥ - ١١٧ بعنوان: رسالة في مدح النبيذ.

(٣) في المبرّد ص١١٥: ولا.

(٤) في المبرّد ص١١٥: كانت.

(٥) في المبرّد ص١١٥: غاية المنية.

(٦) في هارون ٣/ ١٢٥، والمبرّد ص١١٥: الوجوه.

(٧) ما بين المعقوفين من هارون: ٣/ ١٢٥، والمبرّد: ص١١٥.

(٨) في هارون ٣/ ١٢٥: وكثرة الفضل.
والمبرّد ص١١٥: كثرة الفعل.

(٩) في هارون ٣/ ١٢٥: واللسان الفخم.
والمبرّد ص١١٥: واللسان المفحم.

البَهجَة[١]، والمَخرَجَ السَّهل، والحَديثَ المونِق، مَعَ الإشارَةِ الحَسَنَة، والنُّبلِ في الجِلسَة، والحَـرَكَةِ الرَّشيقَة، واللَّهجَةِ الفَصيحَة، والتَّمَهُّلِ في الـمُحاوَرَة[٢]، والـهَذِّ[٣] عندَ المُناقَلَة[٤]/ ، والبَديه[٥] البَديع، والفِكرِ الصَّحيح، والمَعنَىٰ الشَّريف، واللَّفظِ المَحذوف، والإيجازِ يَومَ الإيجاز، والإطنابِ يَومَ الإطناب، يُفِلُّ[٦] الحَزّ[٧]، ويُصيبُ المَفصِل، ويَبلُغُ بالعَفوِ[٨] ما يَقصُرُعنه الجَهد[٩]، كانَ أكثَرَ لِتَضاعُفِ الحُسن، وأحَقَّ بِالكَمالِ والحَمد[١٠].

والتّاجُ[١١] بَهي، وهو علىٰ رأسِ المَـلِكِ[١٢] أبهىٰ، والياقوتُ الكَـريمُ حَسَن،

---

(١) في بيلا ص٦١: والنغمة البهجة.

الجملة ساقطة من هارون والمبرّد.

(٢) في المبرّد ص١١٦: المجاوزة.

(٣) في هارون ٣/ ١٢٥، والمبرّد ص١١٥: والهز.

الهذ: سرعة القطع وسرعة القراءة. (اللّسان: هذذ).

(٤) المناقلة: مراجعة الكلام في صخب. (اللّسان: نقل).

(٥) البديه: الّذي يجيب جوابًا سديدًا علىٰ البديهة. (اللّسان: بده).

(٦) في الأصل (يقل) وهو تصحيف.

فلّ: قطع. (اللّسان: فلل).

(٧) في المبرّد ص١١٦: المحز.

الحزّ: القطع في الشيء في غير إبانة. (اللّسان: حزز).

(٨) في المبرّد ص١١٦: العفو.

(٩) الجملة من «يفل الحزّ... يقصر عنه الجهد» ساقطة من التربيع والتدوير.

(١٠) في هارون ٣/ ١٢٥: والحمد لله. كلمة «الحمد» ساقطة من المبرّد.

(١١) في هارون٣/ ١٢٥، والمبرّد ص١١٦: وإنّ التاج.

(١٢) في هارون ٣/ ١٢٥، والمبرّد ص١١٦: الملوك.

وهو علىٰ[١] جيدِ المرأةِ الحَسناءِ أحسَن، والشِّعرُ الفاخِرُ حَسَن، وهو مِن فَمِ[٢] [الأعرابي أحسن][٣]، وإن كانَ مِن[٤] قَولِ المُنشِدِ وقَريضِه[٥]، ومِن نَحتِه[٦] وَتَحبيرِه[٧] فقد بَلَغَ الغايَة، وقامَ علىٰ النِّهايَة[٨].

[٢٢] فصل[٩]

وما نَدري في أيِّ الحالَتَين[١٠] أنتَ أجمَل، وفي أيِّ المنزِلَتَينِ أنتَ أحمَد[١١]، إذا

---

(١) في هارون ٣/ ١٢٥: في.

(٢) ساقطة من المبرّد.

(٣) ما بين المعقوفين من السّندوبيّ: ص٢٩١، وهارون: ٣/ ١٢٦، وبيلا: ص٦١، والمبرّد: ص١١٦.

(٤) ساقطة من السّندوبيّ.

(٥) في السّندوبيّ ص٢٩١: قريضه.

(٦) نحته: النّحت: الطّبيعة والأصل، يقال: نُحت علىٰ الكرم أي طبع عليه. (اللّسان: نحت).

(٧) تحبيره: التحبير: حسن الخط. (اللّسان: حبر).

(٨) في هارون ٣/ ١٢٦، والمبرّد ص١١٧: وأقام النهاية.

(٩) وردت بعض فقرهذا الفصل في عبيد الله: ٣/ ٦٥ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، وهارون: ٣/ ٨٩، ٣٠١ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، والسّندوبيّ: ٢١٨ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، وأبي النصر: ص٣٩، وأبي ملحم: ص٢١١-٢١٤، ٢١٧-٢١٨، ٢٢٠ – ٢٢٢ بعنوان: رسالة في نفي التّشبيه، وبيلا: ص٦١ – ٦٢، والمبرّد: ص٧٥ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير.

(١٠) في هارون ٣/ ٨٩: والمبرّد ص٧٥: الحالين.

(١١) في السّندوبيّ ص٢١٨، وعبيد الله ٣/ ٦٥، وهارون ٣/ ٨٩، وبيلا ص٦٢، والمبرّد ص٧٥، وأبي النصر ص٣٩: أكمل.

فَرَّقناكَ أم[١] إذا جَمَعناك، أم[٢] إذا ذَكَرنا كُلَّك[٣]، أم[٤] إذا تأمَّلنا بَعضَك؟

أمّا[٥] كَفُّكَ فَهي التي لَم تُخلَق إلا للتَّقبيلِ والتَّوقيع، وهي التي يَحسُنُ بحُسنِها كُلُّ ما[٦] اتَّصَلَ بِها، ويَختالُ بِها كُلُّ ما صارَ فيها.

ولا أدري[٧]: آلكأسُ في يَدِكَ[٨] أحسَنُ[٩]، أم القَلَمُ أم الرُّمح[١٠]، أم المِخصَرَة[١١]، أم العِنانُ الذي تَمسِكُه، أم السَّوطُ الذي تُعَلِّقُه[١٢]؟

وعلىٰ أنّا لا نَدري/ بالزِّرايَةِ[١٣] علىٰ أهلِه لا يَحفِلونَ بالعَيب، ولا يَشعُرونَ

---

(١) في عبيد الله ٣/ ٦٥: أو. والمبرّد ص٧٥: وإذا.

(٢) ساقطة من السّندوبيّ وهارون والمبرّد.

(٣) الجملة «أم إذا جمعناك، أم إذا ذكرنا كلك» ساقطة من بيلا.

(٤) في أبي النصر ص٣٩: أو.

(٥) في السّندوبيّ ص٢١٨، وعبيد الله ٣/ ٦٥، وهارون ٣/ ٨٩، والمبرّد ص٧٥، وأبي النصر ص٣٩: فأما.

(٦) في المبرّد ص٧٥: كلما.

(٧) في السّندوبيّ ص٢١٨، وعبيد الله ٣/ ٦٥، وهارون ٣/ ٨٩، وبيلا ص٦٢، والمبرّد ص٧٥: كما أصبحنا وما ندري.
في أبي النصر ص٣٩: وما ندري.

(٨) في هارون ٣/ ٨٩: التي في يدك.

(٩) في المبرّد ص٧٥: الكأس الذي في يدك أجمل.

(١٠) في هارون ٣/ ٨٩، وبيلا ص٦٢، والمبرّد ص٧٥، وأبي النصر ص٣٩: أم الرمح الذي تحمله.

(١١) المخصرة: شيء يأخذه الرّجل بيده ليتوكأ عليه مثل العصا. (اللسان مادة خصر).

(١٢) انتهاء ما جاء في عبيد الله والسّندوبيّ وهارون وبيلا والمبرّد وأبي النصر، وما جاء بعد ذلك ليس عندهم.

(١٣) الزراية: زرىٰ عليه أي عابه وعاتبه. (زري).

بمَوقِعِ الذَّمّ؛ يُسَمّون البَخيلَ مُصلِحًا مُقتَصِدًا، والجَوادَ جاهِلاً مُسرِفًا. فإمّا أنْ يَحفَظوا مآثِرَه، ويَهِشّوا لسَماعَ مَكرُمَة، فإنّ ذلك قد صارَ من المَتروكِ الّذي لا يُطلَب، ومن المَرفوضِ الذي لا يُراد.

وقد كانَ الخاطِرُ بِعُيونِهم[١] مُختارًا؛ فانقَطَعَ سَبَبُه، وبروزهُم في الفَرَط[٢]؛ فاجتَثَّ أصلَه، فقد أصبَحَ ومَعَهُ وحشَةُ الوحاد، وغُربَةُ الانفِراد، ثُمَّ لا تَزيدُ مَعَ ذلك الأيامُ عَقدَهُ إلا شِدَّةً، وعَزمَهُ إلا صَرامَةً، ورَغبَتَهُ إلا قوَّةً، فمَن عَرَفَ كيفَ تُضاعَفُ الأقدار، وزياداتُ الرِّجال، وموازَنَـةُ الأعمالِ قَضىٰ له بالغايَة[٣]، وحَـكَمَ له بأقصىٰ النِّهايَة.

وكيفَ لا يَكونُ كذلك وقد انفَرَدَ بالكَرَمِ في دَهرِ اللّؤم، وتَوَحَّدَ بالجودِ في زَمانِ الإمساك، وصارَ الدَّهرُ عَقيمًا، والزَّمانُ عاجِزًا.

فأمّا إذا أسىٰ[٤] الأصدِقاء، ووَصَلَ الأرحام، وجَبَرَ الأيتام، وحَثَّ علىٰ الخَير، وذِكرِ المعروف، فإنّ ذلك ظاهِرٌ في المَجالِس، شائعٌ في المَحافِل، مُستَفيضٌ في الخَلق. لَقَد أصبَحَ وليسَ يُخافُ عليه الإفراطُ في الخَير، والمُجاوَزَةُ في القَدر، وأن يَكونَ هَواه في الجودِ يُحَسِّنُ عندَه الشَّرَف، واعتيادُه/ لِبُلوغِ الغَلَبَةِ يُخرِجُه من النِّهايَة، وأن يَحمِلَ علىٰ نَفسِه فَوقَ الطّاقَة، ويَسألَها أكثَرَ من المَجهود، وأن لا يَدَعَ مِن مالِه ظَهيرًا لِغَدِه، ولا لِحَوادِثِ يَومِه، هذا رأيُ العامَّة.

---

(١) الكلمة غير منقوطة في الأصل.

(٢) في الأصل (يزورهم) غير معجمة ولا يحتمل المعنىٰ تزورهم وإنّما قد تكون برودهم أو بروزهم. الفرط: سفح الجبال، أو الجبل الصّغير، وقد يكون المعنىٰ التقدّم. (اللّسان: فرط).

(٣) في الأصل: بالغابة.

(٤) أسي: ساعد وشفىٰ. (اللّسان: أسي).

فأمّا العامَّةُ فإنّها تَعلَمُ أنّه أوسَعُ عِلمًا، [وأرجَحُ حِلمًا][1] وأثبَتُ حزمًا، وأعدَلُ حُكمًا، وأملَكُ لِشَهوَتِه، وأقوىٰ علىٰ طَبيعَتِه، وأشَدُّ تَحَفُّظًا، وأحسَنُ تَثَبُّتًا مِن أنْ يُحَرِّكه التَّفريط، أو يَغلِبَه الإفراط[2]. وإنّ مَن كانَ مَحَلُّهُ من الإسلامِ مَحَلَّه، ومَوضِعُه من الأعراقِ الكَريمَةِ مَوضِعَه، ومَنشَؤُه في الأدَبِ الصّالِحِ مَنشأه، ولا يَجوزُ أنْ تَغلِبَه طَبيعَة، أو تُمَوِّهُ له شَهوَة، لا يَشغَلُه اهتِمامٌ بِما باشَرَ مِنها عنَ العِنايَةِ بِتَدبيرِ ما غابَ عَن بَصَرِه، لا بل قد مَثَّلَ بقَلبِه صورَةَ عائبِ أصحابِه في مِثالِ مَن هو شاهِدٌ له، هَمًّا بِأمرِه، وبَحثًا عَن دَفينَة، وعِلمًا بأقَلِّ قَليلِه. ولَم يَكُن ذلك مانِعَه من أنّ حَرَّكَتَهُ يَقظَةُ لُبِّه[3]، ولَطافَةُ فِطنَتِه. ولَو رأيتَه مُتَفَضِّلاً في ثَوبِه، مُتَبَذِّلاً في أهلِه[4].وَفي غِمارِ السّوقَة[5]، ودَهماء الرَّعية، أو غافِلاً غَيرَ مُحتَفِل، أو ساهِيًا غَيرَ مُكتَرِث، لَعَلمتَ أنّه قد هُيِّئَ لِعَظيم، وعُبّي لِجَسيم، وأنّ له شأنًا وإن جَهِلتَه، ونَبأً وإنْ أغفَلتَه.

ولَيسَ في/ الأرضِ مَنظَرٌ أدَلُّ علىٰ مَخبَر، ولا عَلانيةٌ أدَلُّ علىٰ سَريرَة، مِن مَنظَرِه علىٰ مَخبَرِه، وعَلانيتَه علىٰ سِريرَتِه، ولا يَحتاجُ فيه إلىٰ قائف[6]، ولا يَستَعينُ عليه بِمُتَفَرِّس[7]، ولا يُمسِكُ عن القَضاءِ حتّىٰ يُجَرِّب، وعنِ الحُكمِ حتّىٰ يَستَثبِت. ولَيسَ يَكونُ بالفَضلِ بارِعًا، ولِخِصالِ الخَيرِ جامِعًا، حتّىٰ يَستَوي في مَعرِفَتِه الجاهِلُ والعالِم،

---

(١) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٢) الافراط: الإعجال والتقدم. (اللّسان: فرط).

(٣) لُبّه: باله. (اللّسان: لبب).

(٤) متبذّلا في أهله: كثير البذل للمال. (اللّسان: بذل).

(٥) السوقة: الرعية، ومن دون الملك، ومن لم يكن ذا سلطان. (اللّسان: سوق).

(٦) قائف: الذي يتتبع الأثر. (اللّسان: قوف).

(٧) المتفرّس: الحاذق الذي يتثبّت في النظر. (اللّسان: فرس).

والغَبيُّ والذَّكيّ؛ وإنْ كانَ قَتلُ[١] بابَكَ فَتحًا عَظيمًا، وهَزيمَةُ الطّاغيةِ نَصرًا عَزيزًا، وهَدمُ عَمّوريةَ نَفعًا كَبيرًا؛ فإنَّ الذي عَمَّ الإسلامَ مِن نَفيِ التَّشبيه[٢]، وظُهورِ التَّوحيد، وقَمعِ البِدَع، واجتِماعِ الكَلِمَة، والوِفاقِ علىٰ السُّنَّة، وتَعليمِ الجاهِل، وتَثقيفِ الأخرَق، وإيناسِ السّادِر[٣]، ورَدِّ المُعانِد، ومَوَدَّةِ الدَّهماء[٤]، وإذاقَةِ النّاسِ طَعمَ الأُلفَة، وتَعريفِهِم مَنافِعَ الأمن، وعِزِّ التَّعاوُن، وقوَّةِ الإجماع، وإيداعِ صُدورِهِم الهَيبَة، وإخراجِهِم من الوَحشَةِ إلىٰ الأُنسَة، وخَلعِ قُلوبِهِم بالتَّرهيب، واستِمالَةِ أهوائهم بالتَّرغيب، وتَعديلِ طَبائعِهم بها، وتَسويةِ خَواطِرِهم بتَعديلِهم، وقَمعِهم بالحَقّ، وإحبائهُم[٥] بالعَدل، وفَتقِ[٦] أذهانِهم [بالحُجّةِ][٧]، وتَفقيهِهم بالكِتابِ والسُّنَّة، مَعَ الحِذقِ بالتَّعليم، وتَنفيرِهم من التَّقليد، وجَمعِهم علىٰ الاحتِجاجِ للتَّوحيدِ أعَمُّ فَضلاً، وأجمَعُ وأظهَرُ أثرًا، وأجمَل، وكُلٌّ في/ الغايَة، ولَيسَ لِكُلِّ غايَةٍ وَراءها غايَة.

لَيسَ كُلُّ عَظيمٍ فَوقَه عَظيم، وما ظَنُّكَ بثَوبٍ يُسَدّيه[٨] أميرُ المُؤمِنين، ويُنَيِّرُه[٩] ابنُ أبي دُؤاد[١٠]. وَما ظَنُّكَ بتَدبيرِ فَضلٍ من المُعتَصِمِ بالله وقامَ به أبو عَبدِ الله[١]. وما

---

(١) في الأصل (قبل) وهو تصحيف.

(٢) التّشبيه: مصطلح كلامي يتعلّق بتشبيه الله بالنّاس.

(٣) في الأصل (إيناس) غير معجمة.

إيناس السّادر: المتحيّر، وقيل الذي لا يهتم لشيء ولا يبالي ما صنع. (اللّسان: سدر).

(٤) الدّهماء: جماعة الناس. (اللّسان: دهم).

(٥) إحبائهم: أي إعطائهم، وقد تكون الجباية منهم أي إجباءهم. (اللّسان: حبي).

(٦) الفتق: الشق، وهو خلاف الرتق. (اللّسان: فتق).

(٧) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٨) يسدّيه: ينسجه، والسّدىٰ خلاف لحمة الثّوب. (اللّسان: سدا).

(٩) ينيّره: يهذّبه. (اللّسان: نير).

(١٠) هو أحمد بن أبي دؤاد.

ظَنُّكَ بِصَوابٍ فَتقُه مَعصوم[٢]، وحَقٌّ نَهجُه مُوَفَّق. وعلىٰ الأعراقِ تَجري الأخلاق، وعلىٰ قَدرِ الأصلِ يَكونُ الفَرع، ومَتىٰ كَرُمَ الشَّجَرُ طابَ الثَّمَر، ومَتىٰ صَحَّ الغَيبُ صَحَّتِ الشَّهادَة، ومتىٰ زَكَت السَّريرةُ زَكَت العَلانية.

والنّاسُ بينَ مُعتَصِمٍ بالأصل، ومُستَظِلٍّ بالفَرع، وبينَ مُعطٍ مُستَزيد، وطامِعٍ مُنتَظِر، وشاكِرٍ داع، ومُثنٍ راج، ومُضمِرٍ للوُدِّ مُخلِص، علىٰ أنْ يُصيبَهُ في فَتحِ عَمّوريَةَ مَعروف، ومَوضِعُ عِنايَةٍ مَكشوف، وتَدبيرُه في شأنِ بابَكَ مَوصوف، فقد شارَكَهُم فيما لَهم، وبانَ مِنهم فيما لَيسَ لَهم، وكُلُّ شَيءٍ لغَيرِه قِلَّةٌ فيهِ حَظٌّ وسَهمٌ وحَقٌّ وسَبَب، وكُلُّ شَيءٍ له فلَيسَ لأحَدٍ فيه مَقال، ولا مُتَعَلَّق، ولا دَعوىٰ، ولا طِلبَة، ولا علىٰ أحَدٍ شُبهَة، أيمَنُ النّاسِ نَقيبَةً[٣]، وأعظَمُهم عليه بَركَةً، وأليَنُهم كَنَفًا[٤]، وأحسَنُهم بِشرًا، وأنصَفُهم قَولاً، وأكرَمُهم عفوًا، وأقَلُّهم حَسَدًا، وأخضَعُهم عندَ الحَقّ، وأحسَنُهم تَثَبُّتًا عندَ الغَضَب.

وما زالَ مَرسومًا باللّينِ والشِّدَّة، والمَنعِ والبَذل، والتَّقريبِ والتَّبعيد/ ، وبالعَفوِ الهَنيِّ والعِقابِ المُقتَصِد؛ إنْ وَعَدَ وَفىٰ، وإنْ تَوَعَّدَ استَثنىٰ[٥]، وإنْ رَضيَ أعطىٰ فَوقَ المُنيَة، وإنْ غَضِبَ حكَمَ بالكِتابِ والسُّنَّة، يُعَلِّمُهم وكأنَّـه يَتَعَـلَّمُ منهُم، ويُعطيهم وكأنَّـه يَستَجديهم، ويُداريهم وهو القادِرُ دونَهم، حتّىٰ استَوسَقوا[٦] وانقـادوا، وسامَـحوا

---

(١) أبو عبد الله: كنية أحمد بن أبي دؤاد.

(٢) معصوم: ممنوع. (اللّسان: عصم).

(٣) في الأصل (بقية) وهو تصحيف.
نقيبة: طبيعة. (اللّسان: نقب).

(٤) كنفا: جانباً. (اللّسان: كنف).

(٥) أنْ توعّد استثنىٰ: أنْ تهدّد حاشىٰ الذي لم يخطئ. (اللّسان: ثني).

(٦) استوسقوا: اجتمعوا أو تمكنوا من الأمر. (اللّسان: وسق).

وانساقوا، وتَوازَروا علىٰ الطّاعَة، ونَصَبوا لأهلِ الخِلافِ والمَعصيةِ حتّىٰ صَفا الدّين، وحَتّىٰ صارَت المُشبِّهَةُ أثلاثًا؛ إمّا مُنافِقًا مُنقَصِعًا[1] يَخافُ مِن ظُلمِه ويَفزَعُ في نومِه، وإمّا مُداهِنًا مُستَعبَدًا أعطىٰ القِيادَ وسامَحَ بَعدَ النِّفار[2] وخَضَعَ بعدَ الكِبر، وإمّا تائبًا مُخلِصًا أبصَرَ بَعدَ عَماه، وعَرَفَ بابَ هُداه.

ثُمَّ الذي عَمَّ البِلاد، وشَمَلَ به العِباد؛ مِن مَنعِ المَظالِم، ونُصرَةِ المَظلوم، وإخراجِ الغِلِّ مِن قُلوبِ المَقهورين، والغَيِّ[3] من قُلوبِ القاهِرين، حتّىٰ عادَ الحَقُّ عَزيزًا، والباطِلُ ذَليلاً، والفِتَنُ مَقموعَةً، والأهواءُ مَرفوضَةً، والشُّبهَةُ ظاهِرَةً، والحُجَّةُ قاهِرَةً، والسُّبُلُ آمنةً، والدُنيا ساكِنَةً، والأطرافُ محفوظَةً، والبَيضَةُ مَمنوعَةً[4]، والنُّفوسُ راضيةً، والرُّؤوسُ خاضِعَةً، والعُيونُ قَريرَةً، والأمالُ فَسيحَةً، والأسعارُ رَخيصَةً.

ولله دَرُّ مَلِكٍ اختارَه! ما أحسَنَ ما اختارَه! ولله دَرُّ خَليفَةٍ اجتَباه! ما أكرَمَ ما اجتَبىٰ! متىٰ سَمِعتَ بنَسيجِ وَحدِه، أو بواحِدِ عَصرِه، أو مُنقَطِعِ/ القَرين، فاقضِ فيه بأنه المَعني والمستَحِقُّ لهذه الأسماء، ولا تَلتَفِت إلىٰ مَعنىٰ القاصِد، وتَوجيهِ المُسَمّىٰ؛ فقد يَغلَطُ النّاسُ في الأسماءِ كَما يَغلَطونَ في المَعاني، ويَقولونَ علىٰ هذا أهواهم، ويَترُكونَ ما هو أولَىٰ بِهم. وإنَّما هذه أسماؤه في الحَقيقَـةِ دونَ جَميعِ الـخَليقَة، ونَسيجُ وَحدِه، هو أحمَدُ بنُ أبي دُؤاد.

لَم يَزَل هَذا الاسمُ عاريةً[5] عندَ جَميعِ الأجواد، ومَطلوبًا علىٰ أفواهِ الشُّعَراء،

---

(١) منقصعًا: يقال قصعت الرّجل قصعًا أي صغّرته وحقّرته وقمعته. (اللّسان: قصع).

(٢) النفار: الهرب والمجانبة. (اللّسان: نفر).

(٣) الغي: الضلال. (اللّسان: ضلل).

(٤) البيضة: حوزة كلّ شيء، وساحة القوم، والمقصود هنا البلاد. (اللّسان: بيض).

(٥) الاسمعارية: ما تداولوه بينهم. (اللّسان: عور).

وضائعًا علىٰ ألسِنَةِ الخُطَباء؛ فإذا سَمَّيتَه به فقَد أعطَيتَه ما له، ووفَيتَهُ حَقَّه، وعَدَلتَ عليه في الحُكم، ورَحِمتَه من الظُّلم، ومَنَعتَ المُتَكَسِّبين من الاسم؛ لأنّ مَن سَمّىٰ النّاقِصَ وافِرًا، والدّونَ كامِلاً، والمُشتَرَكَ خالِصًا، فقَد كَذَبَ إنْ كانَ عالِمًا، وأخطأَ إنْ كانَ جاهِلاً.

ولا يَكونُ الاسمُ تامَّ الدِّلالَة، نَقيا من الشُبهَة، حتّىٰ يُطَبِّقَ المَعنىٰ[١]، ويَلتَقِمَ الشَّيءَ المُسَمّىٰ، فَلا يَفضُلُ عنه، ولا يَقصُرُعَن شَيءٍ منه، ولا يُشبِهُ شَيئًا سِواه، ولا يَجري في مَعناه. ولَئن عابَه كَونُه في عَصرِنا؛ لَقد تَزَيَّنّا بكَونِنا في عَصرِه. ولئن نَقَصَه أنْ نَحنُ الشّاكِرينَ له، لَقد زادَنا أنْ كانَ هو المنعِمُ عَلَينا. ولَئن قَصَّرنا فيما يَجِبُ له من الشُّكر، إنّه لمجتَهِدٌ فيما لا يَجِبُ عليه من الإنعام. ولَئن كانَ يَلقىٰ مِن تَقويمِنا عَناءً وكُلفَةً، إنّا لَنَجِدُ تَقويمَه/ رَخاءً وراحَةً.

وما ظَنُّكَ بجَليسٍ يُتَظَلَّمُ إليه مِن إنصافِه، ويوجِبُ عليه التَّفَضُّلَ في جَميع حالاتِه؛ يَغضَبُ إنْ قَصَّرَ دونَ جُهدِه، أو تَرَكَ شَيئًا دونَ عائبِه. قد رأينا الرَّجُلَ يَعني شَقيقَه، ويَنسَىٰ صَديقَه، ويَعني رَفيقَه، ويَنسَىٰ خَليطَه، ويَعني صِهرَه ويَنسَىٰ جَليسَه، ويَعني جارَه ويَنسىٰ مَعرِفتَه، ويَعني ذا الحُرمَةِ القَديمَة، ويَنسىٰ ذا الحُرمَةِ الحَديثَة؛ علىٰ أنّ الحُرمَةَ لا تَعظُمُ بطولِ أيّامِها كَما تَعظُمُ لعِظَمِ صاحِبِها.

وهذا بابٌ يَغلَطُ فيه كَثيرٌ من النّاس، ويَعني المُؤَمَّلَ ذا الشَّفاعَة، ويَنسىٰ مَن لا شَفيعَ له، إلا حُسنُ الطّاعَة، ويُعطي إذا هَوِيَ وإنْ وافَقَ الباطِلَ، وَيَمنَعُ إذا كَرِهَ وإن وافَقَ الحَقّ.

وقد نَجِدُ الواحِدَ يُحرَمُ علىٰ الخِلافِ في النِّحلَة[٢]، وعلىٰ الخِلافِ في النَّسَب،

---

(١) يطبق المعنىٰ: يتمّه. (اللّسان: طبق).

(٢) يحرم: يمنع ويرفض. (اللّسان: حرم).

النحلة: الدّيانة. (اللّسان: نحل).

وعلىٰ حُبِّ الأمصار، وعلىٰ تَذَكُّرِ الأحقاد، وعلىٰ عَداوَةِ الآباءِ والأجداد، وعلىٰ أمرٍ كانَ في الصِّبا، والحَداثَةِ في أيّامِ الجَهلِ [والغرارَة][1]، وعلىٰ الكَلَمَةِ تَفرُطُ من الصَّديق، وتَسبِقُ دونَهُ الجَليس؛ فيَتَشَقَّىٰ بالحِرمان، ويَتَزَجَّلُ بالتَّصميم[2]، ثُمَّ يَجعَلُ حِرمانَه إياه، ومَنعَه له مَن خِصالِه المَحمودَة، ومَناقِبِه المَمدوحَة، ودَليلاً علىٰ شِدَّةِ الشَّكيمَة[3]، وثَباتِ العَزيمَة، وإنَّما يَعتَلُّ علىٰ البَدَل، ويَلتَمِسُ العِلَلَ علىٰ المَعروف.

ويَجزَعُ أحَدُهُم من لُزومِ الحُجَجِ/ ، وأخذِ الحَقِّ بالمُخَنَّق[4]؛ فيَجلُبُ لنَفسِه عِلَّةً ويُسَمّيها حُجَّةً، ويُسَوّي لَها عُذرًا ويَموِّهُ لَها مَذهَبًا؛ ليَستَريحَ مِن قَهرِ الحَقّ، ولُزومِ الحُكم، ورُبَّما لَم يَرضَ حتّىٰ يَحتَجَّ بِها عِندَ أصحابِه، ويَشكُرَه النّاسُ علىٰ سَماعِه.

وقد يواسي الإخوانَ مَن رُبَّما يَضجَرُ بالإخوان. وقد يُكثِرُ مِن الإحسانِ مَن رُبَّما امتَنَّ بالإحسان، وقد يُحِبُّ الصَّنيعَةَ مَن يُخطِئُ مَوضِعَ الصَّنيعَة، وقد يُعطي الله مَن رُبَّما أعطىٰ لِغَيرِ الله، وقد يَهَبُ الكَثيرَ مَن رُبَّما دَخَلَهُ العُجب، ومَشىٰ الخُيَلاء[5]، وعَمَطَ الدُّخَلاء[6]، وأساءَ بالخُلَطاء[7].

وقد يَجودُ بالجَزيلِ مَن رُبَّما بَخِلَ بالقَليل، وقد يَجودُ بالمالِ مَن يَبخَلُ بالطَّعام، ويُخطِئُ في الكَلام. ويَجودُ بجاهِه مَن يَمنَعُ النّاسَ مِن مالِه. ويَجودُ بِما يُحِبُّ مَن لا يُعطي

---

(١) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٢) يتزجل: الزّجل: اللّعب والجلبة والتّطريب ورفع الصّوت. (اللّسان: زجل).

التّصميم: المضي في الشّيء. (اللّسان: صمم).

(٣) الشكيمة: قوّة القلب. (اللّسان: شكم).

(٤) أخذ الحق بالمخنق: أخذه بالقبض علىٰ خناق الشّخص. (اللّسان: خنق).

(٥) الخيلاء: الكِبر. (اللّسان: خيل).

(٦) عمط: عاب. (اللّسان: عمط).

الدّخلاء: جمع دخيل، وهو المُداخل والمُباطن. (اللّسان: دخل).

(٧) الخلطاء: الشركاء. (اللّسان: خلط).

إلا ما لا يُحِبّ؛ لا يَتَعاطَىٰ التَّفَضُّل، ولا يَهِمُّ بالتَّنَقُّل، ورُبَّما فَخَرَ الجَوادُ بِفعلِه، وخَبَّرَ عَن مَذهَبِه، إمّا افتِخارًا علىٰ ضدّه، وإمّا صَرحًا عن نَفسِه، وإمّا تَقريعًا لِجاحِدِ نِعمَة، أو تَذكيرًا لِباقي أُحدوثَة، واستِمالَةً لِهَوىٰ امرأة، وتَنَفُّقًا عندَ السُّلطان، أو تَهويلاً في سَفَر.

ورُبَّما كانَ كذلك مِن ضيقِ الصَّدر، وسُخفِ الحِلم، وفَرطِ العُجب، والجَهلِ بالغَيب. ورُبَّما أنفقَ أحَدُهُم المالَ الكَثير، والقَدرَ الخَطيرِ في البِناءِ والفَرش، وفي الآنيةِ والكُسوَة/ ، وفي الأطعِمَةِ والأشرِبَة، وفي الرَّياحينِ والفَواكِه، وفي الطُّرَفِ والعِطر، وفي عِشقِ القِيان، والشَّغَفِ بالصَّيد، وفي الجَواري والخِصيان، وفي المَراكِبِ والشّاكِرية، وفي المَدعاةِ علىٰ المُباراة، وفي النَيقَةِ[1] والمُباهاة؛ حتّىٰ يُؤتَىٰ علىٰ آخِره معَ عِظمِ خَطَرِه، وكَثرَةِ صُنوفِه، لَيسَ فيهِ ﴿فَكُّ[2] رَقَبَةٍ * أَوْ[3] إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٣-١٦].

لَم يَصطَنِعوا حُرًّا، ولا استَرهَنوا شُكرًا، ولا ادَّخَروا أجرًا، ولا أحرَزوا ذِكرًا، ثُمَّ عَقّوا أولادَهُم مِن وَجهَين، وحَرَموهُم مِن طَريقَين: أفقَروهُم إلىٰ النّاس، ولَم يُحَبِّبوهُم إلىٰ النّاس، بَل بَغَّضوهُم إليهِم بفَضلِ بُغضِهِم لَهم، وأحنَقوهُم[4] علَيهِم بفَضلِ حَنقِهِم عَلَيهِم. هذا وصَديقُهم ظاهِرُ الخُلَّة[5]، رَثُّ الهَيئَة. ونَديمُهم مُنقَدُّ الجُرُبّان[6]، سَخيفُ الطَّيلَسان[7]، مُرَقَّعُ النَّعلَين، مَثقوبُ الخُفّين. وجارُهُم غَضبان، ونَسيبُهم لَهفان.

---

(١) النّيقة: المبالغة في التزّين. (اللّسان: نيق).

(٢) في الأصل (عتق) وهو تحريف.

(٣) في الأصل (ولا) وهو تحريف.

(٤) الحنق: الحقد. (اللّسان: حنق).

(٥) الخلّة: الحاجة والفقر. (اللّسان: خلل).

(٦) الجربان: جيب القميص. (اللّسان: جرب).

(٧) الطيلسان: ضرب من الأكسية، وهو كساء مدوّر أخضر يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ. (اللّسان: طلس).

علىٰ هذا طَبَقاتُ النّاس، وأخلاقُ جَميعِ الأُمَم، خلا مَن لا يَحتاجُ إلىٰ استِثنائه وذِكرِه، وإلىٰ اشتَراطِه وحَصرِه من الخُلَفاءِ الرّاشِدين، وأئمَّةِ المُسلِمين، والسَّلَفِ المُتَقَدِّمين، إلا ابنُ أبي دُؤاد؛ فإنّا لَم نَذكُر فَنّامن الخَير، ولَم نَصِف ضَربًا من الكَرَمِ إلا وهو فيه بحَذافيرِه، ولا وَصَفنا بابًا من الشَّرِّ ونَوعًا مِن اللّؤمِ إلا وهو مُجانِبٌ له، وأسبابُه/ مُنقَطِعَةٌ دونَه.

فَمن النّاسِ مَن يُعطي مِن غيرِ مَسألَةٍ فَذاكَ الجُمهورُ الأعظَم، والسَّوادُ الأكبَر. والخَصلَتانِ الأوَّلَتانِ قد كانَتا في الخَواصِّ ومَوجودَتَينِ في الأقَلّ، ثُمَّ انقَطَعَت أسبابُهما، وتَجَذَّمَت[1] عُراهُما، وبادَ أثَرُهما، وماتَ ذِكرُهما، وذَهَبَ مَن يَحِنُّ إلَيهما، ويَصِفُ حالَهما ويَندُبهما، ويَبكي عَلَيهما. ونَحنُ لا نُصيبُ مَن يَبكي عَلَيهما، ويَنصِبُ لِذِكرِهما فَضلاً، أو يُحسِنُ بِهما ظَنًّا.

وأبو عَبدِ الله[2] يُعطي قَبلَ السُّؤال، وبَعدَ السُّؤال، ويَجودُ بِكُلِّ عِلقٍ نَفيس، ويَحتَقِرُ كُلَّ ثَمين، ويَمتَهِنُ كُلَّ خَطير، ويَهوىٰ الحَقّ، ويَستَحليه ويَستَخِفُّه ويَستَهنيه، ويَستَثقِلُ الباطِلَ ويَجتَويه[3]. قد جَعَلَ تَركَ الباطِلِ صِناعَةً، وحُبَّ الذِّكرِ تِجارةً، وطاعةَ الله شِعارًا، ومحبَّةَ النّاسِ دِثارًا[4]، وبَينَ الجَوادِ وحُسنِ الظَّنِّ نَسَبًا، وبينَ الكَريمِ وسَلامَةِ القَلبِ سَبَبًا، وبَينَ حُسنِ الظَّنِّ والاعتِزازِ صَداقةً، وبينَ السَّلامةِ والغَباوةِ قَرابةً؛ كقَرابةِ السَّلامةِ من الكَرَم، وكصَداقةِ الجودِ لحُسنِ الظَّنّ.

---

(١) تجذمت: تقطّعت. (اللّسان: جذم).

(٢) أبو عبد الله: كنية أحمد بن أبي دؤاد.

(٣) يجتويه: يكرهه. (اللّسان: جوا).

(٤) الدّثار: الغطاء. (اللّسان: دثر).

وهذه الأسبابُ أقوىٰ مِن الأرحام، وأمتَنُ من الرَّضاع، فإن لَم يَكُنِ الكَريمُ ذا دُربة[١]، وذا تَجرِبةٍ وفِطنة، ولَم يَكُنِ الجَوادُ حازِمًا، وبِأسبابِ التُّهَم عالِمًا، أهلَكَه جودُه، وأعطَبَهُ كَرَمُه، بَل لا نَقولُ إنّا لجَوادَ يَهلَك، وأنَّ الكَريمَ يَعطَب، ولَكِن نَقولُ/ أهلَكَه فَقدُ حارِسِ الكَرَم، وعُدِم مُصابِرِ الجودِ التَّحَرُّم، وأبو عبد الله جودُه في وَزنِ حَزمِه، وكَرَمُه في مِقدارِ تَحَفُّظِه؛ فأمرُه تامٌّ مُستَو، وإلىٰ كُلِّ غايَةٍ مُنتَه، وقد قال الأوّل: «مَن لَم يَكُن عَقلُه أغلَبَ خِصالِ الخَيرِ عليه، كانَ حَتفُه في أغلَبِ خِصالِ الشَّرِّ عليه»[٢].

وأبو عَبد الله ليسَ في خِصالِه فَضلٌ عَن عَقلِه، بَل في عَقلِه فَضلٌ عَن خِصالِه، أنَقصَ مِن عُقولِهِم، وأصلَحَ ما فَسَدَ مِن طَبائعِهم، ورَدَّ ما فَرَطَ إلىٰ اعتِدالِه، وَحَدَّ ما زادَ علىٰ مِقدارِه.

وذَكَرَ المُغيرَةُ بن شُعبَةَ[٣] عُمَرَ بن الخَطّابِ رَحِمَه الله فقال: «كانَ والله أعقَلَ مِن أنْ يُخدَع»[٤]. ولولا أنّ من السَّرَفِ في المَحَبَّة، ومِن الخَطَلِ[٥] في المِدحَة، أنْ نَصِفَ غيرَ

(١) دربة: تجربة. (اللّسان: درب).

(٢) ورد هذا القول في الحيوان: ٢/ ٩٢، والبيان التبيين: ١/ ٦٧، وأدب الدّنيا والدّين: ص٢٥، والمستطرف: ١/ ٥٤.

(٣) المغيرة بن شعبة: أبو عيسىٰ، ابن أبي عامر بن مسعود، الأمير الثقفي، من جلّة الصحابة، ومن كبار القادة والسّاسة الدّهاة، أسلم قبل الحديبية، كان أعورَ، أصيبت عينه يوم اليرموك، شهد حروب اليمامة وفتوح الشّام واليرموك والقادسية، ولي العراق لعمر بن الخطّاب، وهو أول من سلم عليه بالإمارة، مات وهو أمير علىٰ الكوفة سنة (٥٠ هـ).

(انظر: ابن العماد، شذرات الذهب: ١/ ٩٨، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢١٧، وابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٦١، والأصفهاني، الأغاني: ١٦/ ٣٢١).

(٤) جاء في أمالي القالي ٢/ ١٢١ «كان عمر أفضل من أنْ يَخدع، وأعقل من أنْ يُخدع».

(٥) الخطل: الكلام الفاسد الكثير المضطرب. (اللّسان: خطل).

عُمرَ بَصِفَةِ عُمَر، كما أنّ من السَّرَفِ أنْ يُلحَقَ بعُمرَ مَن كانَ بَعدَ عُمَر، لَقُلنا هذه صِفَتُه، ونَعتُه، وحِليَتُه. علىٰ أنّا لو ألحَقناه بقَدرِه، وحَكَمنا له بمِثلِ فَضلِه؛ لخَرَجنا مِن أدَبِه، ولَعَصَينا كَلَّ أمرِه، ولاستَوجَبنا منه العِقابَ الشَّديد، والاطِّرادَ البَعيد، وهو وإن كانَ لا يُخدَعُ لفَضلِه، فإنَّ اللَّفظَ بعَينِه إذا وَقَعَ لإمامٍ بعَينِه، فلا يَنبَغي أنْ نَصِفَ به وَزيرًا، ولا سَيِّدًا كَريمًا، إلا بأن نُنقِصَ لَفظَه، أو نُحوِّلَ نَظمَه؛ إذا كانَ أيضًا/ المَعنىٰ به لائقًا، ولخِصالِه موافقًا.

وهذا فَضلٌ مِن فضولِ ما بينَ الأئمَّةِ والوُزَراءِ من الفُروقِ التي بينَ السّادَةِ والخُلَفاء، وفَضلُ الأئمَّةِ علىٰ الوُزَراء، كفَضلِ الوُزَراءِ علىٰ الدَّهماء[1]، وفَضلُ الأنبياءِ علىٰ الخُلَفاءِ فَوقَ فَضلِ الخُلَفاءِ علىٰ الوُزَراء.

ومَن عَرَفَ الأقدارَ قَلَّ غَلَطُه، ومَن فَهِمَ الضُّروبَ صَحَّ حُكمُه، ومَن لَم يُحاسِب نَفسَه إذا حَمِد، ولَم يُحَصِّل قَولَه إذا هَجا، جَهلُ[2] الكُتّابِ أثبَتُ مِن جَهلِ اللِّسان. وإنْ كانَ اللِّسانُ أكثَرَ خَطأً فإنَّ القَلَمَ أبقىٰ عارًا، وأدوَمُ حُزنًا، وأبعَدُ في الآفاقِ صَوتًا؛ فاحذَر مع وَضعِ الكِتابِ آفَةَ الخَلوَة، وبَوائقَ الوَحدَة[3]؛ فإنّها تورِثُكَ الثِّقَةَ بِنَفسِك، والاستِرسالَ إلىٰ غَيرِكَ عندَ غَيبَةِ الخَصمِ عَن عَينك، وارتِفاعِ ذِكرِه عَن وَهمِك.

ودَواؤه أنْ تَظُنَّ عندَ كُلِّ لَفظَة، وعندَ كُلِّ مَعنىً وخَطرَة؛ إنّ النّاسَ كُلَّهُم عُلَماء، وأنّهم جَمعًا لَكَ أعداء. وكُلُّهم فارِغٌ إلا من النَّظَرِ فيه، والتَّصَفُّحِ له، وأنّهم إنْ يَنظُروا فيه نَظَروا نَظَرَ مَن لا يَبسُطُ عُذرَك، ولا يُحِبُّ رُشدَك، ولا يُعجَبُ بِكَلامِكَ كَعُجبِك،

---

(١) الدهماء: عامّة النّاس. (اللّسان: دهم).

(٢) في الأصل (أو جهل) والتصحيح من الحاشية.

(٣) بوائق الوحدة: شرورها. (اللّسان: بوق).

ولا يَجِدُ به كَوَجدِك، وأنتَ إنْ نَظَرتَ فيه نَظَرتَ بِعَينٍ وامِقَة[١]، وسَمِعتَ بأُذُنٍ عاشِقَة/ ، وإنْ تَلَقَّيتَه تَلَقَّيتَه بنفسٍ قابِلَة، وطَبيعَةٍ جاذِبَة؛ لأنّه مِن لَفظِكَ وفي مَعنىٰ وَلَدِك، ومِنكَ فُصِلَ وإلَيكَ يُنسَب، وهو فَرعٌ وأنتَ أصلُه، وحادِثٌ أنتَ أوَّلُه؛ فشَفيعُه مُطاع، وسَبَبُه قَويّ، وقَرابَتُه قَريبة، ورَحِمُه ماسَّة[٢].

وهو بابٌ جَدَع[٣]، ومَوطِئٌ زَلِق، والتَّحَفُّظُ منه شَديد، ومَعناهُ غامِض، وحَدُّه خَفي، وإنّ الفِعلَ لَيَجفو عنه، فكيفَ الوَصف؟ وإنّ الوَصفَ لَيَنبو عنه، فكيفَ العَمَل؟ غَيرَ أنّ مَن أعطَىٰ الجُهدَ في التَّحَفُّظ، واستَعمَلَ النَهمَةَ والتَّيَقُّظ؛ كانَ أقرَبَ إلىٰ السَّلامَة، وأبعَدَ من الآفَة، فإمّا أنْ يَتَّقي مِن كُلِّ الفَساد، ويَصفوَ مِن جَميعِ الكَدَر، فَذاكَ ما لا يَطمَعُ فيه إلا جاهِلٌ مَغمور، ومُعجَبٌ مَغرور.

والله ما هو مِمَّن يُماطِلُ الرّاغِب، ويُراوِغُ الرّاجي التِماسَ ضَجَرِه، واستِنفادَ قوىٰ صَبرِه، ليكونَ هذا المُنازِلَ له، والمَحجوجَ دونَه. ولا يَعرِفُ صَنيعَهُ بالغَدرِ ثُمَّ لا يَعرِفُ النِّفاق، ولا الغِشَّ، ولا الرّياء، ولا المَلَق[٤]، ولا الخَبء[٥]، ولا السُّرَّة[٦]، ولا الزّيادَة. فأمّا ما ذَكَرتَ من الاستِثقالِ[٧] وَفَرطِ المَلال[٨]، ومَن تَمَنّيهِ قَطعُ السَّبَب، وحاجَتُه إلىٰ

---

(١) وامقة: محبّة وعاشقة. (اللّسان: ومق).

(٢) في الأصل (ورحمته سأمة) وهو خطأ، وما أثبت من حاشية الأصل.

(٣) جدع: باب يحبس الخير. (اللّسان: جدع).

(٤) الملق: يقال رجل ملق؛ أي يعطي ما ليس في قلبه. (اللّسان: ملق).

(٥) الخبء: الستر. (اللّسان: خبأ).

(٦) السّرة: كتم الخبر. (اللّسان: سرر).

(٧) الكلمة غير منقوطة في الأصل.

(٨) الملال: التّقلب من المرض أو الغم. (اللّسان: ملل).

الجِبايات، فَلولا ما يُخافُ من الشُّبهَةِ علىٰ قُلوبِ الضَّعَفَة؛ لَكانَ الجَوابُ به خَطلاً، والرَّدُّ عليه هَذَرًا/ ، ولأن يكونَ الكَلامُ ضارًّا خَيرٌ مِن أنْ يكونَ لغوًا.

كَيفَ يَقَعُ الاستِثقالُ مِمَّن[1] هو أرَقُّ من النَّسيم[2]، وأخَفُّ من الهَواء[3]، وأدَقُّ مَسلَكًا من النّار، وأعذَبُ من الزُّلال، ولا سيما مِن فُلان، وهو مَعدِنُ الفِطنَة، ويَنبوعُ المَعرِفَة، ومُستَنبَطُ الذَّكاء، وغُرَّةُ الحِكمَة، وَصاحِبُ التَّميز، والمُقَدَّمُ في التَّحصيل، وداهيةُ الدَّهياء، وواحِدُ الوُزَراء.

ومَن لم يَقُل بَعدَ مُخاصَمَتِه، وطولِ مُنازَعَتِه، لو كُنتُ قلتُ كذا وكذا كانَ أفضَل، ولو لَم أكُن[4] قلتُ كذا وكذا كانَ أمثَل. ومَن تَنجَلي[5] أواخِرُ حُجَّتِه معَ أوَّلِ خَواطِرِه، ومَن لَم تَزَل مَوارِدُه علىٰ وَزنِ مَصادِرِه[6]، وآخِرُ فِكرِه كأوّلِ بدايته.

وكيفَ يَجهَلُ مَواضِعَ الاستِثقالِ مِن مَواضِعِ الاستِخفافِ مَن يَعرِفُ بالفَراسَةِ مالا يَعرِفُ بالتَّجرِبَة، وبالقِيافَةِ ما تَعجَزُ عنه، المُعايَنَة، ويَبلُغُ بالخَطرَةِ[7] ما لا يَبلُغُ صاحِبُ الفِكرَة؟

وكيفَ يوصَفُ بالاستِثقالِ مَن هو في طِباعِ الحَريق[8]؟ وكيفَ يَتَغافَلُ عَن

---

(١) في الأصل (من) ولعل الصّواب ما أثبت.

(٢) انظر المثل في الميداني، مجمع الأمثال: ٢/ ٧٧.

(٣) يقال في المثل «أرق من الهواء»، انظر المثل في (الميداني، مجمع الأمثال: ٢/ ٧٧).

(٤) في الأصل (كنت) وشُطِب عليها وكتب فوقها (أكن).

(٥) الكلمة غير منقوطة في الأصل.

(٦) موارده: المورد: الطّريق إلىٰ الماء. (اللّسان: ورد).
مصادره: المصدر: الطّريق الّذي يصدر عن الماء فيه. (اللّسان: صدر).

(٧) الخطرة: ما يخطر في القلب من تدبير أو أمر. (اللّسان: خطر).

(٨) طبع الحريق: السيء الخلق. (اللّسان: حرق).

التَّعريض، ويُقيمُ عَن التَّعزير[١]؟ ويُعرِضُ عَن الكِتابَة؛ وهو يَتوَقَّعُ الإفصاح. ومَن لا يُخالِطُ العُظَماء إلاّ بالشَّرط، ولا يُعاشِرُ الكُبَراء إلا علىٰ التَّحَكُّم، ومَن أدنىٰ[٢] ما في شُروطِه أنْ يُعتَذَرَ إليه/ وهو المُسيء.

ومَن يَحكُمُ تَحكيمَ الصَّبي، ومَن لَم يَزَل مُفيقًا وهو يأبىٰ إلا التَّحَسُّر، ومُدَلَّلاً وهو لا يَعرِفُ إلا التَّشَدُّد، ومَن لَم يُعطِ قَطُّ إلا بالتَّعظيم، ولا عُرِفَ إلا بالإكبارِ والتَّفخيم، ولا جَزِعَ من الوَحدَةِ إلىٰ مُعاشَرَةِ كَريم، ومَن لَم يَزَل يأخُذُ جَليسَه بالتَّكَرُّم، ويُبَصِّرُه كَيفَ التَّنَزُّه، ويُعَرِّفُه بحَقائقِ الأَنَف[٣] ومَراتِبِ الشَّرَف، وخَصائصِ الإخلاص، ولَطائفِ الآداب.

ومَن قد جَمَعَ الفَخامَةَ والحَلاوَة، والظَّرفَ والمُروءة، والنُّسُكَ والفُتوَّة، ومَن لا يُعطي الانقِباضَ نَصيبَه الموفَّر، كَما يُعطي الاستِرسالَ حَقَّه المُقرّر، ويُعطي صَديقَهُ النّافِلَةَ[٤]، ولا يَسألُه الفَريضَة[٥].

ولإثم حَدَّثَنا مَعَ مُفاوَضَتِكَ إياه، ولا كَتمُكَ عَيبًا فيه معَ غَفلَتِكَ عنه، ولا طَمِعَ فيه طامِع، ولا زارَه زائر، ولا ذَهَبَ عنكَ إلّا بقَدرِ ما أرسَلتَه مِن يَدَيك، ولا أرَدتَه قَطُّ إلا كانَ مُمَثِّلاً بَينَ عَينَيك، وقد يُقالُ في الدُّعاء «نَعوذُ بالله مِن صَديقٍ مُطرٍ[٦]، ومِن جَليسٍ مُغرٍ».

---

(١) يقيم عن التّعزير: حمل النّفس علىٰ الهلاك. (اللّسان: عزر).

(٢) في الأصل (ادىٰ)، وهو تصحيف، والتّصويب من حاشية الأصل.

(٣) الأنف: السّيادة. (اللّسان: أنف).

(٤) النافلة: ما كانت زيادة علىٰ الأصل؛ فصلاة التطوع نافلة لأنها زيادة أجر. (اللّسان: نفل)، والمقصود هنا الصّديق الزّائد.

(٥) الفريضة: ما أوجبها الله. (اللّسان: فرض).

(٦) صديق مطرٍ: يحسن المدح والثّناء، وقيل مدح الرّجل بما ليس فيه. (اللّسان: طرا).

وقد عَلِمتَ أنّه أبعَدَ خَلقِ الله مِن إغراءٍ وإطراء. ومَن يَسمَع لِما أسرَرت، ويَفطَن لِما سَتَرت، وإنّه لأقَلُّهم تكَلُّفًا ودَحسًا[١]، وعِن أُمورِ النّاسِ تَنقيرًا وبَحثًا.

وبَعدَ هذا؛ فإن شِئتَ أنْ نَجدَ ذَنبًا/ وجَدتَه، وكَذلِكَ إنْ شِئتَ أنْ لا نَجِدَه لَمْ نَجِده. كُلُّ ذَنبٍ إنْ شِئتَ أنْ تَنساه[٢] نَسيتَه، وإنْ شِئتَ أنْ تَذكُرَه ذَكَرتَه، ولَيسَ الذَنبُ إلا ما يَصلُحَ منه القَلب، ولا يَزالُ حاضِرًا للدَّهر، وإلا ما كانَ مِن تِباعِ اللّوْم. فأمّا مَن كانَ مِن غَيرِ ذلك فإنّ الغُفرانَ يَتغَمَّدُه، والحُرمَةَ تَشفَعُ فيه.

* دَع ذا وعَـدِّ القَـولَ في هَـرِمٍ *[٣]

اخرُج إلَينا، أبقاكَ الله، مِن هذا الدَّين، واردُد عَلَينا هَذا الحَقّ، فقد أمسَكنا عَن التَّقاضي ما أمكَن، وصَبَرنا علىٰ المَواعيدِ ما صَلُح، وما بنا إليه حاجَة، وبكَ عنه، غِنىٰ من الحَوالَة، وإن جازَ أنْ يُقيمَ زَعيمًا بالنِّعمَة، جازَ أنْ نُقيمَ لكَ بالشُّكر، وإن جازَ أنْ نُؤَمِّلَكَ وتُحَقِقَ آمالَنا غَيرَك، جازَ لَنا أنْ نَشكُرَ غَيرَ المُنعِم، ونأمَلَ غَيرَ المُصطَنِع.

وأنا أُعيذُكَ بالله أنْ تكونَ أوّلَ مَن سَنَّ هذه السُّنَّة، وشَرَعَ هذه المِلَّة، واعفِنا مِن هذه المَواعيد التي تُمرِضُ القُلوب، وتَقطَعُ الأحشاء، وتُميتُ الأمَل، وتُقرِّبُ

---

(١) دحساً: فساداً. (اللّسان: دحس).

(٢) الكلمة غير منقوطة في الأصل، والسّياق يدلّ علىٰ ما أثبت.

(٣) صدر البيت لزهير بن أبي سلمىٰ، وعجزه:

.... خيرُ البُداة، وسيّدِ الحضـرِ

(انظر: ديوان زهير بن أبي سلمىٰ: ٥٤).

الأجَل، وطالَ ما أعفَيتَنا مِمّا هو أعسَرُ مِنها، وأنكَدُ وأبعَدُ مَطلَبًا؛ فلَم تُغالِب طَبيعَتَكَ أتَمَّ ما كُنتَ عَزمًا، ولَمْ تُخالِف عادَتَكَ أوزَنَ ما كُنتَ حِلمًا.

وأنتَ مُذ كُنتَ في المَهدِ طِفلاً تَزدادُ في/ كُلِّ يَومٍ فَضلاً، وفي الرَّويةِ بُعدًا، وفي الإفهامِ قُربًا، حتّىٰ إذا صِرتَ أعلَمَ النّاسِ بِصِناعَتِكَ الشَّريفَة، ومَناقِبِكَ الحَميدَة، وأشهَرَهُم اضطِلاعًا بِصِناعَتِك، واحتِمالاً لِنِعمَتِكَ حَقًّا، وأقدَمَهُم سَبقًا، وأوفَقَهُم لِطاعَتِك، وأركَدَهم بِفِنائك، أرَدتَ أنْ تُعامِلَه بالإنصاف، والإنصافُ ظُلمٌ مِن مِثلك، ثُمَّ تَفعَلُ ذلك به وهو أضعَفُ مِمّا كانَ رُكنًا، وأوهَنُ ما كانَ عَظمًا، وفي ذُراكَ[1] شاخ، وفي ظِلِّكَ هَرِم. فإمّا رَدَدتَ عليهِ شَبابَه، وأعَدتَ إليه قوَّتَه، وإمّا أنْ تَدفَعَ إليه ما يَنوبُ عن الشَّباب، وما يَجبُرُ الضَّعف، ولا بُدَّ مِن أحَدِهِما، فاختَر لِنَفسِك؛ فإنَّ الحَياةَ في يَدَيك. ثُمَّ سُبحانَ الله رَبِّ العالَمين، ونَعوذُ بالله من الحَور[2] بَعدَ الكَور[3]، ومِن الإكلالِ[4] بَعدَ الاحتِمال[5]، لو رأيتُ هذا في المَنامِ لَكانَ عندي أضغاثُ أحلام[6].

---

(١) ذراك: ظلّك. (اللّسان: ذرا).

(٢) الحَور: النّقصان. (اللّسان: حور).

(٣) الكَور: الزّيادة، وكان الرّسول يتعوّذ من الحور بعد الكور، أي الزّيادة بعد النّقصان، وقيل فساد الأمور بعد صلاحها. (اللّسان: كور).

(٤) الإكلال: الثّقل. (اللّسان: كلل).

(٥) الاحتمال: القدرة او الحلم. (اللّسان: حمل).

(٦) أضغاث أحلام: ما كان مختلطاً لا حقيقة له، وأضغاث أحلام لا يصح تأويلها لاختلاطها. (اللّسان: ضغث).

ما لَنا، أصلَحَكَ الله، ولِمَواعيدِ عُرقوبٍ[1]، وقِصَّةِ غُرابِ نوح[2]، وأماني الكُمون[3]. كانت مَواعيدُكَ إنجازًا، ولكَ رائدٌ لا يَكذِب، ومَخيلَةٌ لا تُخلِف، فَما لَنا ولِبَرقِ الخُلَّب[4]، ولِنارِ الحُباحِب[5]، ولِمَ عَوَّدتَني الحَقائقَ وغَذَوتَني بسُرعَةِ

---

(١) مواعيدعرقوب: يضرب بها المثل في الكذب والخُلف، وعُرقوب رجل من خيبر، أتاه أخوه يسأله، فقال له عرقوب: إذا أطلعت النخلة فلك طلعها، فلما أطلعت أتاه للعِدة، فقال له: دعها حتىٰ تُبلح، فلما أبلحت أتاه، فقال: دعها حتىٰ تُزهي، فلما زهت قال: دعها حتىٰ ترطب، فلما أرطبت قال: دعها حتىٰ تُتمر، فلمّا أتمرت سرىٰ إليها ليلاً وجذّها ولم يُعط أخاه شيئًا.

(انظر: الثعالبي، ثمار القلوب: ص١٣١، وابن عبد ربه، العقد الفريد: ٣/ ٨٧، وابن قتيبة، المعارف: ص٦١٢، والميداني، مجمع الأمثال: ٣/ ٣٣٠).

(٢) غراب نوح: يُضرب مثلاً للرّسول الذي لا يعود أو يبطئ عن ذي الحاجة من غير إنجاح، وذلك أنّ نوحاً، عليه السّلام، أرسل الغراب من السفينة ليأتيه بخبر الماء، فاشتغل بميتةٍ وجدها ولم يَعُد إلىٰ نوح حتّىٰ أرسل مكانه الحمامة، فجاءت بالخبر. وجاء في كتاب الحيوان «لا يرجع فلان حتّىٰ يرجع غراب نوح» وأيضاً «ما هو إلا غراب نوح».

(انظر: الجاحظ، الحيوان: ٢/ ٣١٨، ٣٢١، والثعالبي، ثمار القلوب: ص٤٠).

(٣) أماني الكمون: مذهب كلامي يزعم أصحابه أنّ النار كامنة في الحجر كما يكمن الدم في الإنسان والزيت في الزيتون.

(انظر: الجاحظ، الحيوان: ٥/ ١٠، وأحمد أمين، ضحىٰ الإسلام: ٣/ ١٠٤).

في الثعالبي: مواعيد الكمون، ويضرب مثلاً للمواعيد الكاذبة. (الثعالبي، ثمار القلوب: ص٦١٥).

(٤) في الأصل (الحلب) وهو تصحيف.

برق الخلب: هو الذي لا غيث معه، فهو يومض ويُكمع في المطر، ثم يعد ويخلف، ويقال في المثل: برق لو كان له مطر.

(انظر: الثعالبي، ثمار القلوب: ص٦٥٥، وابن عبد ربه، العقد الفريد: ٣/ ٨٧، والأبشيهي، المستطرف: ١/ ١٠١، والميداني، مجمع الأمثال: ١/ ١٥٧).

(٥) نار الحباحب: هي نار الحُباحب، ونار أبي حُباحب، تضرب مثلاً للشيء يروق ولا طائل فيه، =

الإيجاب؟ ولِمَ أودَعتَني العِزّ، ومِن رأيكَ إذلالي؟

وكَم أطلَقتَ/ لساني، ومِن شأنِكَ إخراسي، فَرُدَّني كَما أخَذتَني، أو رُدَّ عَلَيَّ ما وعَدتَني. وإن كُنتَ إنَّما تَرُدُّه عَلَيَّ مَخافَةَ أنْ يَعظُمَ عليكَ الحَقّ، أو يَغلُظَ عليكَ الأمر؛ فإنّي لَستُ ها هُنا أستَجديك، ولا بهذا أحتَجُّ علَيك، ولَيسَ بالحُرمَةِ أمُتُّ إلَيك، ولا بالذِّمامِ أطلُبُ ما عِندَك.وقد أخَذنا [ثَمَنَ][1] الحُرمَةِ أنْ كُنّا عن الحُرمَةِ نَعمَل، واستَوفَينا حَقَّ الذِّمامَ أنْ كُنّا علىٰ الذِّمامِ نَتَّكِل. وإن لَم يَكُن هُنا هَوىٰ يُحَرِّكُك، وأشَرٌ يُرَغِّبُك[2]، ومُشاكَلَةٌ من الطَّبيعَة، ومُجاراةٌ بالمَحَبَّة، وعَقدُ إخاء، وخُلَّةُ صَفاء، ورَغبَةٌ في الصَّنيعَة، وإشفاقٌ علىٰ سالِفِ النِّعمَة؛ فلَسنا في حالٍ يُقيمُ عَلَيها حُرّ، ولا يَرضىٰ بِها كَريم، ولَيسَ يَرضىٰ بِهَذا إلا مَن لا يَنبَغي لكَ أنْ تَرضىٰ به.

ومَن كانَ مِن هذه الطَّبَقَة؛ فلَيسَ مِثلُكَ رَغِبَ في تَقريبِه، لا والله حتّىٰ يَكونَ فيمَن يَتَّفِقُ عليكَ دَليلٌ علىٰ صَوابِ تَدبيرِك، وحتّىٰ يَكونَ جَليسُكَ شاهِدًا علىٰ حُسنِ اختيارِك. فإنْ كانَ شَفيعي إلَيكَ الهَوىٰ، فَلَستُ أعرِفُ الهَوىٰ إلا بالغَلَبَة، وإلا بالاستِعجالِ عن المُشاوَرَة، وإن كُنتُ مُحتَمِلاً للصَّبر، فالذي بَقي أيسَر، إلا أنَّكَ تَرُبُّ[3] السّالِفَ مِن نِعمَتِك، وتَغسِلُ به العارَ عَن صَنيعَتِك.

= وقيل: كان الحباحب رجلاً بخيلاً، لا يوقد نارًا بالّليل كراهية أنْ يلقاها من ينتفع بضوئها، وكان إذا احتاج إلىٰ إيقادها أوقدها، وإذا أبصر مستضيئاً بها أطفأها. وأيضاً هي كل نار تراها ولا حقيقة لها عند التماسها.

(انظر: ابن الأثير، المرصّع في الآباء والأمّهات والبنين والبنات والأذواء والذّوات: ص١٣٧، والثعالبي، ثمار القلوب: ص٥٨١، والجرجاني، كنايات الأدباء: ص٨٥).

(١) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٢) أشر يرغّبك: مرح. (اللّسان: أشر).

(٣) ترُبّ: تحفظه وترعاه وتسوسه. (اللّسان: ربب).

ما بَدا لكَ في هذا؟ أَلَمْ تَكُ/ حَمّالَ أثقال؟ ومتىٰ لَمْ تكُن ناهِضًا بالأعباء؟ فَوالله لوَجهُكَ عندَ المُصيبَةِ أشَدُّ إشراقًا مِن وَجهِ الشاكر عند النِّعمَة. هل تكتَرِثُ لها معَ تمام عَزمِك؟ وهل تَحتَفي بها معَ ثَباتِ جَنانِك؟ وهل في الأرضِ أبَلُّ ريقًا عندَ مُعضَلَة[١]، ولا أرطَبُ لِسانًا عندَ فادحَة[٢]، ولا أرخىٰ عندَ نازِلَة[٣]، ولا آخَذُ بالحَزمِ عندَ ساعَةِ المُهلَةِ لِساعَةِ الحاجَة، ولا أعنَىٰ عن التَّجَلُّدِ عندَ وقوعِ البَلِيَّةِ منك! فإنْ اعتَلَلتَ بالعادَةِ فَعادَتُكَ أحسَنُ عادَة، وإنْ احتَجَجتَ بالطَّبيعَةِ فَطَبيعَتُكَ أكرَمُ طَبيعَة، وإن احتَجَزتَ بالتَّهَيُّبِ فأنتَ أجرأُ من اللَّيث، وأمضىٰ من النَّصل[٤].

أنْ نَفسي لا تَحتَمِلُ أنْ تكونَ في هذه الحال، وأنا في هذه الحال، فأعلمني رأيَكَ في مِقدارِ حَرفَين،إنْ كانَ كَلامًا، وإن شِئتَ بالإشارَة، وكُلُّ ما خَفَّ عليكَ فهو أحَبُّ إلَيَّ.

قد جَللتَ عَن المُكافأة، ونَبُلتَ عن المُجازاة، ولَن تَكونَ بالحَزمِ مَوصوفًا، وبالحِلمِ مَذكورًا، حتّىٰ تُؤثِرَ الحَقَّ مَتىٰ ظَهَرَ لك، وحتّىٰ تَدَعَ المُكافأة، وترغَبَ عن المُحاماة، وتَستَصغِرَ شِفاءَ الغَيظ، وتَحتَقِرَ الأُمورَ الصِّغار. ولَيسَ لإساءتِك[٥] إلىٰ أعاديك؛ بعدَ ظُهورِ قُدرَتِكَ وَجهٌ غَيرَ النُّبل، وعِظَمِ القُدرَة.

وهذا بابٌ أنتَ فتَحتَه، يا أبا فُلان، وأنتَ أولىٰ بسَدِّه/ ، وفَتقٌ[٦] أنتَ أحدَثتَه، وأنتَ أولىٰ برَتقِه[٧]. نحنُ نَحتالُ باللَّفظِ ونُمَوِّه بالمَعاني، والنّاسُ يَحتَجّونَ بالعَمَل،

---

(١) المعضلة: الشّدّة، وأيضاً الأمر الذي لا يهتدىٰ لوجه. (اللّسان: عضل).

(٢) فادحة: نازلة. (اللّسان: فدح).

(٣) النّازلة: الشديدة تنزل بالقوم، وهي الشّدّة من شدائد الدّهر تنزل بالنّاس. (اللّسان: نزل).

(٤) انظر المثل في (الميداني، مجمع الأمثال: ٣/ ٣٥٨).

(٥) في الأصل (لاسانك)، وهو تصحيف.

(٦) فتق: شق. (اللّسان: فتق).

(٧) الرّتق: الالتحام. (اللّسان: رتق).

ويَقضونَ بالعيان. لَيسَ يُشبِه حالُنا في الحُرمَةِ حالَكَ في الجاهِ والقُدرَة، ولا ظاهِرُ ما نَحنُ عَلَيه، باطِنَ ما أنتَ عليه.

ولَيسَ بَعدَ حُرمَتي مِن حُرمَة، ولا بَعدَ حالِكَ حالٌ تُرتَجىٰ، ولا بَعدَ مَنزِلَتِك مَنزِلَةٌ تُستَمنىٰ، ولَستُ أنتَظِرُ شَيئًا سِوىٰ [حَقّي][1]، ولا أتوقَّعُ حَقًّا أزيدُه في حُقوقي، ولا تَتَوَقَّعُ فائدَةَ تَزيدُها في فَوائدِك، ومالاً يَزيدُ إلاّ بَقاءُ النِّعمَة، وثَباتُ الدَّولَة، فأدامَها الله لك، وثَبَّتها في عَقِبِك، فإنّ مِمّا يُطمِعُني في بَقائها، أنّكَ أخَذتَها بحَقِّك، واستَوجَبتَها بمَناقِبِكَ مِن أسبابِها.

ومِن شأنِ الأجناسِ أنْ تَتَفاضل، ومِن عادَةِ الأشكالِ أنْ تَتَقاوَم، والشَّيءُ يَتغَلغَلُ إلىٰ مَعدِنِه، ويَحِنُّ إلىٰ عُنصُرِه، فإذا صادَفَ مَنبِتَه، ولاقىٰ مَغرِسَه؛ رَسَخَ بِعُروقِه، وبَسَقَ[2] بفُروعِه، وتَمَكَّنَ تَمَكُّنَ الإقامَة، وثَبَتَ ثَباتَ الطَّبيعَة.

وما زالَت قَلقَلَةً[3] تَجول، ونازِعَةً إليك، وحبَّذا هي مُطمئنَّةٌ ساكِنةٌ وَراضية، بِمَكانِها قانِعَةٌ. وَويلٌ لِمَن تَعَرَّضَ لَها وهو لا يَستَحِقُّها، وتَرَحًا لِمَن ابتُلي بِها، ثُمَّ لَم يَعمَل في الخَلاصِ مِنها؛ فإنَّ لَها عِبئًا يُثقِلُ الظَّهر، ويَملأُ الصَّدر، ولَيسَ يَحتَمِلُها بِحَقِّها إلا التّامُّ الوافي، ولا/ يَنهَضُ بِثِقَلِها إلاّ الجامِعُ الكامِل، وإلاّ مَن في قَومِه[4] فَضلٌ عَلَيها، وسَعَةٌ لأكثَرِ مِنها، وإلاّ فإن المَجهودَ مُنهَزِم؛ والمَجهودُ[5] يَحتاجُ إلىٰ جِمام[6]، والمَنهوكُ يَحتاجُ إلىٰ تَنَفُّس، ومَتىٰ استَجَمَّ نَفَسُه ضاعَفَ عليه كَدُّه.

---

(١) زيادة يقتضيها السّياق.

(٢) بسق: طال. (اللّسان: بسق).

(٣) قلقلة: قلّة الثبوت في المكان، وشدة اضطراب الشيء وتحركه. (اللّسان: قلل).

(٤) في الأصل (قوله) والتصحيح من حاشية الأصل.

(٥) المجهود: ما جَهَد الإنسان من مرض أو من أمر شاق. (اللّسان: جهد).

(٦) جمام: راحة. (اللّسان: جمم).

وكيفَ يَفهَمُ السَّكرانُ ما يَفهَمُ الصّاحي، ومَن للنّاقِصِ بمَعرِفَةِ الوافِر، وكيفَ للمَشغولِ بِتَمامِ نَفسِ الفارِغ، وكيفَ يَتكَلَّفُ القَناعَةَ مَن قد عادَ مُستَفرِغَ الاستِطاعَة، وهل تُنالُ الأُمورُ بغَيرِ آلَتِها[١]؟ وهل يُطمَعُ فيها بغَيرِ أسبابِها؟ وهل يتَسَلّىٰ صاحِبُ البَلاء[٢] إلا ببَعضِ ما معَه من الرَّجاء؟

ومَن أسوأُ حالاً مِن مَغلوبٍ لا يُعذَر، ومُبتَلىٰ لا يُرحَم، ومَن لا يَعرِفُ عِلَّتَه، ولا يَدري مِن أيِّ جِنسٍ داؤه؛ فإنْ شَكا إلىٰ عاجِزٍ أعارَه مِن عَجزِه، وأمَدَّه مِن جَزَعِه، وأضراه علىٰ كَثرَةِ الشَّكوىٰ[٣]، وعَوَّدَه قِلَّةَ الصَّبر، وسَهَّلَ عليهِ سُخفَ الجَزَع، وحَسَّنَ عِندَه مُطالَبَةَ الحَريص. وإنْ فَزِعَ إلىٰ قادِرٍ مَنَعَه الدُّعاءَ والرَّحمَة، والاستِمتاعَ والمَشورَة، فَضلاً عَن مواساتِه، وإيثارِه إياه علىٰ بَذلِ جاهِه، وحُسنِ شَفاعَتِه. وأشَدُّ علىٰ المَريضِ مِن عِلَّتِه، وأقتَلُ له مِن دائه، يأسُه مِن مُعالَجَةِ الطَّبيبِ الرَّفيقِ الشَّفيق.

فَلَيسَ لِهَذا البائِسِ إلا كَريمٌ حَليمٌ حَكيمٌ رَحيم، مَعَ ذلك عَليمٌ مُعافىٰ، وكأنَّهُ لَم يَزَل مُبتَلىٰ موقًّىٰ، وهوَ مُصابٌ مَنكوب، وَمجدودٌ[٤] وهوَ في المعرِفَةِ محروم، قد عَرَفَ النُّفوسَ وأقدارَها، والعِلَلِ وأوزانَها، وَعَرَفَ/ جَميعَ الدَّواءِ؛ فَيُعالِجُ النُّفوسَ بطَلَبِ الرَّحمة، ويَرحَمُ المَرضىٰ بفَضلِ الحِكمة، فصارَت رحمَته عِلَّةً لمعرِفَته، وحِكمتُه سَبَبًا لِرَحمَته.

وقد وَثِقَ بثَوابِ الشُّكر، وشَرَفِ الذِّكر، وتَعظيمِ الأجر، وعَرَفَ ما في إضاعَةِ ذلك من الوِزر. لا يَعرِفُ ساعاتِ المَسألَة، ولا مَقاديرَ الطَّلَب، ولا الشَّيءَ الذي يُعطىٰ

---

(١) ألتها: لا زيادة ولا نقصان. (اللّسان: ألت).

(٢) في الأصل (البلىٰ) وما أثبت من حاشية الأصل.

(٣) أضراه علىٰ كثرة الشّكوىٰ: تعوّد علىٰ الشّيء فلا يكاد يصبر عنه. (اللّسان: ضرا).

(٤) مجدود: مقطوع. (جدد).

بالرَّهبَةِ دونَ الرَّغبَة، وبالهَوىٰ دونَ الحُرمَة، وبالكِنايَةِ دونَ الإفصاح، وبالتَّفريطِ دونَ الأنَسَة، أو بالكِفايةِ دونَ القَرابَة، أو بالمُشاكَلةِ دونَ الحُقوق؛ حتّىٰ يَصيرَ مأوىٰ لكُلِّ مَعروفٍ سار، وقَرارًا لكُلِّ غَريبٍ نادِر، ولكُلِّ صَنيعَةٍ لَيسَ لَها رَبّ، ويَدٍ لَيسَ لها نَصير. ولَيسَ يَتكَلَّفُ الصَّبرَ إلا مَن يُؤمِنُ بعاقِبَةِ الصَّبر، ولا يَطلُبَ الدَّهرَ إلا كُلُّ مَشغوفٍ بشَرَفِ الذِّكر.

وإذا كانَتِ الدُّنيا علىٰ هذه الطَّبيعَة، وآفاتُها علىٰ هذه الخِلقَة، فَما أَحَقَّ مَن كانَ مِثلي، ألا يَدري أسَكرانٌ هو أم صاح؟ وذو آفَةٍ هو أم سَليم؟ ولَستُ أدري أيُّ شَيءٍ دَهاني، وأيُّ هذه الآفاتِ اعتَراني، أخَوَرٌ[1] في أصلِ العِرقِ أم سوءُ عادَة؟ بَل ما أدري لَعَلَّ لكُلِّ آفَةٍ فيَّ نَصيبًا، ولكُلِّ مَفسَدَةٍ فيَّ شَقيصًا[2]، فيا لَيتَها تكونُ الدّالّة، ونَقصَ القوَّة. وإيثارَ الهوَينىٰ[3]، وإنّي لتَخَيُّر، ما لَم يَكُن ذلك مِن عِرقِ السّوء، وخِذلانِ المُمتَنعِ والمُستَمكِن، خِلافُ المُستَبهِم؛ ومَن كانَ كذلكَ فَعَيبُه/ مأمون، ووِدُّه صَحيح، وقَلبُه فارِغٌ إلاّ مِن حُبِّك، وطَرفُه مَغضوضٌ إلاّ عَن حِفظِك.

ذاهِبٌ حيثُ ذَهَبت، ومُقيمٌ حيثُ أقَمت، وهُم مَجبولونَ مُسَخَّرون، مُرتَهَنونَ مُيَسَّرون، قد أفرَغوا لَكَ إفراغًا، وسَكَبوا لَكَ سَكبًا، قاموا علىٰ الإخلاص، وتَصَفَّوا لكَ من الأدناس، وكَفَوكَ مَـؤونَةَ الامتِحان، وخَطارَ التَّجرِبَة، وتَوَقُّـعَ المَحذور[4]، وتَكَلُّفَ الاحتِراس.

وقد رأيتُ النّاسَ يَمُتّونَ إلَيكُم بأسباب، ويَتوَسَّلونَ إليكم بضُروب، ويَضرِبونكم

---

(١) خور: ضعف. (اللّسان: خور).

(٢) شقيصًا: الشّقيص والشّقص هو النّصيب. (اللّسان: شقص).

(٣) الهوينىٰ: التؤدة والرّفق والسّكينة والوقار. (اللّسان: هون).

(٤) المحذور: المتأهب والمستعد والمتيقظ. (اللّسان: حذر).

بحُقوق، ويَحتَجّونَ عَلَيكُم بأُمور، لَم أجِدها وإن كَثُرَت تَعدوثَلاثَةَ أقسام: حَقٌّ أوجَبَه الطَّبع، والبَعيدُ مُحتَمِلٌ للنّسخِ جائزٌ عليه النّقل[١]، والتَّخَلُّقُ إصلاحُ الذي هَيئَتُه اعتياد.

والطَّبعُ جَوهَرِيٌّ لا يَزول، وطَبيعي لا يَجوزُ نَسخُه[٢]، ولا تَصلُحُ النُّفوسُ علىٰ نَقله. والله لا يأمُرُ لِمُخالَفَةِ البِنيَة[٣]، ولا يَدعو إلىٰ نَقصِ السَّجية. فَلَه مَعَ رُسوخِه في الخِلقَة تأكيدُ العادَة، وحُرمَةٌ مِن طَريقِ الدّيانَة؛ ولو لَم يَكُن في الوادِّ لك، والمُشفِقِ علَيك، إلا أنّه لا يَحميكَ من الذُّلّ، ولا يَمنَعُكَ من القَتلِ إلا مِن جِهَةِ ما يَمنَعُ نَفسَه. وإنّ المُحِبَّ لَيُسيءَ فَيُظَنُّ به الغَلَط، ويُذنِبُ فَيُحتَجُّ له بالدّالَّة[٤]؛ هذا إذا كانَ ذَنبُه لا يَحتَمِلُ التّأويل، ولَم يَكُن له مَخرَجٌ في جَوازِ العَقل، لَسنا/ شَيئًا إلاّ وأنتَ أكثَرُ منه تَعرِف، ولَكِنَّ الفارِغَ يَرىٰ ما لا يَرىٰ المَشغول.

إنّي أيّدَكَ الله قد ألَّفتُ كِتابًا احتَجتُ إلىٰ عَرضِه علَيك، واستِشارَتِكَ فيه؛ فإنَّ العِلمَ إنَّما يَنقُص، والخَيرَ إنَّما يَطرِفُ[٥] منك، تَركُ التَّعاونِ علَيه، والتَّصادُقِ فيه.

وقد ظَنَّ كُلُّ رَئيسٍ أنّ استِعانَتَه بأخيه، وارتِفاقَه بصاحِبِه، يوجِبُ عليه العَجز، ولصاحِبِه القوَّة، وأنَّ القَويَّ لا يَحتاجُ إلىٰ المَعونَة، وأنّ المُعلِّمَ لا يَحتاجَ إلىٰ المادَّة، وقد تَحَمَّلتُ الإقرارَ بالعَجزِ عَمَّن أتاه، وفَخَرتُ بذلك علىٰ مَن تَحاماه.

فأمّا المُحتاجُ إلىٰ سَدِّ الخَلَّة، والمُعوَجُّ الّذي يَحتاجُ إلىٰ التَّقويم، والكَليلُ[٦] الّذي

---

(١) في الأصل (الثّقل) وهو تصحيف.

(٢) طبيعي لا يجوز نسخه: نقله من مكان إلىٰ مكان، أو إبطاله وإقامة آخر مكانه. (اللّسان: نسخ).

(٣) البنية: الفطرة. (اللّسان: بني).

(٤) يحتجّ له بالدّالة: من يدلّ علىٰ من له عنده منزلة شبه جراءة منه. (اللّسان: دلل).

(٥) يطرف: يصرف ويردّ. (اللّسان: طرف).

(٦) الكليل: السيف الذي لا حدّ له، المُثَلّم. (اللّسان: كلل).

يَحتاجُ إلىٰ الشَّحذ[١]. فقد قالَ عُمَرَ بنُ عبدِ العَزيزِ[٢] رَحمَه الله: «رَحِمَ الله امرأً أهدىٰ إلَينا مَساوِئنا»[٣]. وجاءَ في الأثَرِ «المؤمِنُ مِرآةُ أخيه»[٤].

والمَصالِحُ مُؤَكَّدةٌ في شُروطِ الإسلام. وأنا أسأَلُكَ بِحَقِّ التَّوحيد، وبحُرمَةِ الإسلام، وبذِمامِ المُتَحَرِّمينَ بك، والعارِفينَ بِما جَعَلَ الله عندَك، إلا نَظَرتَ في هذا الكِتابِ قَبلَ ظُهورِه، وتَصَفَّحتَه قَبلَ انتِشارِه؛ فإنَّ عَيبي راجِعٌ إلَيك، وناقِصٌ مِن قوَّتِك، ومَن لَم يَحمِل ضَعيفَه حَلَّ به ضَعفُه، ومَن لَم يَنصُر مَولاه عَجزَ عَمَّن ناوأه.

وقد شَهِدتُ مَدَّ الله في عُمرِكَ مَجلِسَكَ البَهي في نَفسِه، المُبارَكَ علىٰ أهلِه، المُؤَسَّسَ علىٰ الإخلاص، والمُزَيَّنَ بالقُرآن/، والمُكَلَّلَ بالسُّنَّة. وهو المَجلِسُ الذي لَم يُمَهِّدُه قَطُّ إلا مُتكَلِّمٌ دَيّان، أو مُتفَقِّهٌ في الأحكام، أو خَطيبٌ مِصقَع، أو وافِدٌ مِقدامٌ، أو كاتِبٌ أديبٌ، أو سَيِّدٌ مُطاعٌ، أو راهِبٌ مُحبَّب، أو مُتَواضِعٌ صوفيّ، أو مُتَشَكِّرٌ وَفيّ، أو مُستَزيدٌ في نِعمَة، أو مُتَحَلٍّ بمُجالَسَةِ أهلِ المَعرِفَة، أو مُستَغفِرٌ مُؤَيَّد، أو ناظِرٌ مُعتَبِر، أو صامِتٌ مُفكِّر؛ فَسَمِعتُهم وقد أجرَوا في الاحتِجاجِ للفِرارِ كَلامًا، وذِكرًا في نَفي القَذا عنه.

---

(١) الشحذ: الحد بالمسن. (اللّسان: شحذ).

(٢) عمر بن عبد العزيز: أبو حفص، ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة، أمير المؤمنين، ولد سنة (٦٣ هـ)، ولي المدينة سنة (٨٦هـ)، توفي سنة (١٠١ هـ) وهو ابن (٣٩) سنة.
(انظر: الذهبي، العبر: ١/ ٩١، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٥/ ٥٧٦، والمزّي، تهذيب الكمال: ٢١/ ٤٣٢).

(٣) هذا القول لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه.
(انظر: الماوردي، أدب الدّنيا والدّين: ص٢٣٣، والطرطوشي، سراج الملوك: ١/ ٣٢١-٣٢٢، ٣٢٨).

(٤) انظر الحديث الشريف في (الهيتمي، مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد: ٧/ ٥٢١، الحديث رقم ١٢١٢٠).

وسَمِعتُ لكَ فيه جَوابًا استَحسَنتُه، ومَذهَبًا أحبَبتُه، وسَبيلُنا بحَمدِ الله مُتَّفِقَة، وحُجَّتُنا واحِدَة. وقد كانَ في فَهمِهم عنكَ بَعضُ العَجز، وفي مُطاوَعَتِهم بَعضُ اليَقين؛ مَعَ حُسنِ نيَّة، وجَودَةِ قَصد، وحُسنِ إصغاء. ولَيسَ كُلُّ مَن نَظَرَ أبصَر، ولا كُلُّ مَن تَسمَّعَ سَمِع.

وقد يَمتَنِعُ العِلمَ ثُمَّ يُجيب، ويَتوَعَّرُ ثُمَّ يَسهُل، ورِفقُكَ يأتي لهم علىٰ ذلك مِنهم، ويأتيكَ رادٌّ عليهم ما شَذَّ عَنهم. والله لا يُحلَفُ بأعظَمَ منه، لَقد عَبَرتُ دَهرًا، وبَقيتُ زَمانًا، وأنا لا بأسَ أنْ أرىٰ مثلَكَ، وإن كُنتُ قد رأيتُ مَن يُساويكَ في الكَمال، ولقد ظَنَنتُ أنّ الدُّنيا قد أسَنَّت وهَرِمَت، وأنَّها أصفَت وأجبَلَت[١]، كالعَقيمِ الذي لا يُلقِح، والعاقِرِ التي لا تَلِد.

وبالله لقد أعجَبَتني نَفسي/ حينَ فَهِمتُك، وحينَ احسَنتُ أنْ أُحِبَّك، وحينَ طَمِعتُ في أنْ أُحسِنَ وَصفَك، ولأن يكونُ التَّوفيقُ ساقَني إليكَ، أحَبُّ إليَّ مِن أنْ يكونَ ذلك كانَ عَن كَسبي، ولَيسَ شَيءٌ أوزَنَ عندَ الله ولا أعلىٰ مَنزِلَةً من الاحتِجاجِ له، والحُبِّ فيه، ورَفعِ الظُّلامَةِ عن عِبادِه، وكُلُّها بحَمدِ الله مُجتَمِعاتٌ فيك، ووافِراتٌ عِندَك.

فَهَنيئًا لكَ في الدُّنيا الذِّكرُ الجَميل، وفي الآخِرَةِ الثَّوابُ الجَزيل، وهَنيئًا لكَ ما تَجِدُ في نَفسِكَ مِن عِزِّ الإحسان، وَما تَرىٰ بعَدُوِّكَ مِن ذُلِّ الإساءَة. ولَو أنّ اللهَ لَم يُعاقِبِ الحاسِدَ إلاّ بالَّذي يَجِدُ من الغَيظ، وتَضايُقِ الصَّدر، كانَ ذلك كافيا، وبَلاءً عَظيمًا.

وقد رأيتُ أعَزَّكَ الله رِجالاً في مَرتَبَتِك، وفي مِثلِ حالِك، غَيرَ أنّي لَم أغبِطهم به،

---

(١) أصفت: أخذت صفوه. (اللّسان: صفي).

أجبلت: انقطعت. (اللّسان: جبلت).

ولم أحسِدهُم علَيه؛ لِما كانَ فيهم مِمّا يَضَعُ من القَدرِ ويُسقِطَ من البَهاء، ويَمحَقُ ما في القَلبِ من الحَلاوَة، ويُعَرِّضُ للزّوال، ويُغَيِّرُ الحال، مِن خَباثَةِ تُحجَنُ[1]، ومِن شَرٍّ يُنشَر، ومِن شِرَّةٍ تَظهَر[2]، وفاحِشَةٍ تُركَب، وسَريرَةٍ تُكشَفُ علىٰ الأيّام، وحيلَةٍ تَظهَرُ علىٰ ألسِنَةِ العَوامِّ مَعَ قِلَّةِ النَّصيحَة، وسوءِ النَّظَرِ للرَّعية. ثُمَّ لَم يَكُن غايَةٌ لأحَدِهِم إلاّ حَظُّ نَفسِه، ثُمَّ لم يَرَ الحَظَّ إلا جَمعَ المال، وعَداوَةَ الرِّجال، ولم يَكُن الله ليُسَوّي بَينَ أهلِ البَراءَة والسَّلامَة، وبَينَ أهلَ النَّطَفِ[3] والخيانَة. في المَنعِ/ والتَّحصين، وفي الصُّنعِ والدِّفاع.

ولَو سَوّىٰ الله بَينَ المُداهِنِ[4] في الدّين، والعادي علىٰ المُسلِمين، الجَموعِ[5] المَنوع، وبَينَ المُعلِنِ للدّينِ والنّاظِرِ للمُسلِمين، والنَّزيهِ البَذول[6]، كانَ ذلك مَدعاةً إلىٰ الشَّرّ، ومَزجَرَةً عَن الخَير.

والله يَتَعالىٰ عَن ذلك عُلوًّا كَبيرًا، ولو لم يُثَبِّت وَطأتَك، ويَشُدَّ أزرَك، إلاّ أنّه لَيسَ علىٰ ظَهرِها مَظلوم، إلاّ وهو يَرجوك، ولا ظالِمٌ إلاّ وهو يَتَّقيك، ولا ذو نِعمَةٍ صاحِبُ ثَروَة، وحالٍ جَميلَةٍ إلاّ وهو آمِنٌ لِحَسَدِك، ولِدَسِّك[7]، وغَوائلك[8]، غيرَ مُدارٍ ولا مُحتالٍ في صَرفِ يوافِقُك. ولو ذَهَبوا عَنكَ لَرَدَّهُم إلَيكَ عِلمُهم بأنّهم لا يُصيبونَ مِثلَك، ولو لَم يَكُن فيكَ من الخِصالِ المَحمودَة، والأُمورِ المَرضية، إلا أنّا لا نَعلَمُ علىٰ

---

(١) تحجن: احتجنت الشيء أي جمعته وضممته إليه. (اللّسان: حجن).

(٢) شرّة: عيب. (اللّسان: شرر).

(٣) النطف: العيب. (اللّسان: نطف).

(٤) المداهن: المصانع، والمظهر خلاف ما يضمر. (اللّسان: دهن).

(٥) الجموع: الذي يجمع الأشياء. (اللّسان: جمع).

(٦) البذول: الكريم. (اللّسان: بدل).

(٧) دسّك: مكرك. (اللّسان: دسس).

(٨) غوائلك: خداعك. (اللّسان: غول).

ظَهرِها أحَدًا يُتَقَرَّبُ إليه بالعِلمِ غَيرَك، ولا قادِرًا يَتَذَلَّلُ عليه إخوانُه سِواك، لَكانَ ذلك يأتي لَنا علىٰ كُلِّ غايَة، ويُجاوِزُنا كُلَّ نِهايَة.

ولو كُنتُ أصِفُكَ بِما لا تَعرِفُه، وأقولُ مالا تَعلَمُه؛ لَكُنتُ لمقتِكَ مُستَحِقًّا، وللتَّبعيدِ مُستَوجِبًا، ومَدارُ الأمرِ علىٰ بُعدِ الهِمَّة، ونَزاهَةِ النَّفس، والقيامِ عَلَيها، والصَّبرِ علىٰ ما يَنوبُها.

والحَمدُ لله الّذي لم يَحرِمني حُسنَ قَبولِك، كَما لم يَحرِمني حُسنَ المعرِفَةِ بفَضلِك/ ، فقد أصبَحتُ أتَقَرَّبُ إليكَ بِما قَرَّبَكَ الله علَيه، وأتَعَرَّفُ إليكَ بِما دَعاني إليه.

ثُمَّ الحَمدُ لله الذي جَعَلَ عندي ما أتَقَرَّبُ به إلىٰ أهلِ القُربىٰ، وأتَّصِلُ مِن أجلِه بأهلِ الفَضلِ والسّابِقَة، وَما يَسُرُّني إذا لم تُجعلني للمَظلومينَ مَفزَعًا، وللعُلَماءِ مَنزَعًا، إنَّ ذلك عَداك، وإنَّ هذه الفَضيلَةَ لِسِواك، ومَتىٰ نَصَبتَ واحِدًا حَليمًا، ورَفيعَ القَدرِ مُتَواضِعًا، وعلىٰ عِلاّتِهِ راهِبًا، ولإقامَةِ جَزاءِ الحَسَنَةِ والسَّيِّئَةِ مُصيبًا، وبِمَواضِعِها عالِمًا، بَعيدَ الغَضَب، شَديدَ الصَّولَة، يُعذِرُ قَبلَ الإيقاع، ويَحتَمِلُ ما كانَ الاحتِمالُ كَرَمًا، والكَظمُ حِلمًا.

وأنا أسألُكَ أنْ تَنظُرَ في هذا الكِتاب، وتَقرأَ منه ما خَفَّ علَيك، فإن كانَ كَما وَصَفت؛ حَثَثتَ علىٰ قِراءَتِه وتَدوينِه، وأمَرتَ مَن يَحتاجُ إلىٰ المادَّة، وإلىٰ حُسنِ المعرِفَةِ مِن الموافِقين، ومِن الإخوانِ الصّالِحِينَ أنْ يَنظُروا فيه، وقد كُنتُ علىٰ ذلك قادِرًا، وبِه مُستَوصيا. ولَكِنَّ الرَّجُلَ الرَّفيعَ إذا رَفَعَ الشَّيءَ ارتَفَع، كَما أنّه إذا وَضَعَ الشَّيءَ اتَّضَع.

وحَرامٌ علىٰ مُتَكَلِّمٍ عالِمٍ، أو خَطيبٍ مُفَوَّه، وفَقيهٍ مُطاع، إنْ كانَ عندَه مِن هذا الأمرِ شَيءٌ إلا أتاكُم به، وذَكَرَ لَكُم ما عندَه، قَلَّ ذلك أم كَثُر، وصادَفَ منكُم شُغلاً أو

فَراغًا. وهو في العُيونِ أعظَم، لِما جَعَلَ الله عندَكُم من الاختيار، والعِلمِ بمَنافِعِ/ البِلاد، [ومصالِحِ العِبادِ والأئمَّة، إذ كُنتُم المَفزَعَ والمَقنَع][1].

ولَولا ما قُلِّدتُم مِن أمرِ الجَماعَة، ومِن أمرِ القيامِ بِشأنِ الخاصَّةِ والعامَّة، وأنَّ الشُّغلَ بِرعايَةِ حَقِّها، والدِّفاعَ عَنها، لم يُبقِ مِن قواكُم فَضلاً للدُّعاءِ والمُنازَعَة، ووَضعِ الكُتُبِ والجَوابِ والمسألة، لَكُنتُم أحَقَّ بهذا الأمر.

علىٰ أنّنا لَم نَنطِق[2] إلا بألسِنَتِكُم، ولم نَحتَذِ الأُمورَ إلا علىٰ مِثالِكُم، ولم نَقوَ إلا بِما أعَرتُمونا مِن فَضلِ قوَّتِكُم. وحَرامٌ علىٰ العُلَماءِ من الفُقَهاءِ والمُتكَلِّمين، وعلىٰ الرّواةِ من الأدَباء، وعلىٰ أهلِ اللَّسَن من الخُطَباء، تَركُ مُعاوَنَتِكُم ومُكاتَفَتِكُم، والجُلوسُ بينَ أيديكُم، والاستِماعُ مِنكُم. وعَلَيهم أنْ يُطيعوا أمرَكُم، وأن يَنفُذوا لِطاعَتِكُم، وأن يُخلِصوا في الدُّعاء، ويُمَحِّضوا في النَّصيحَة، وأن يَصبِروا علىٰ المِحنَة، وأن يَعمَلوا في نَفيِ الغِلِّ والحَسَد، وأن لا يَرضَوا من أنفُسِهم بالنِّفاقِ في أمرِكُم، وأن يَعلَموا أنّ الحَسَدَ لا يَقَعُ إلا بينَ الأشكال، وأنَّ التَنافُسَ لا يَكونُ إلا مَعَ تَقارُبِ الحال، ولا يَقَعُ الحَسَدُ بينَ المُتَبايِنين، لا يَكونُ إلا في المُتَقارِبين.

ولا يكونُ الظُّلمُ إلا بالطَّمَع، ولا يكونُ الطَّمَعُ إلا بالسَّبَب، فإذا انقَطَعَ السَّبَبُ انقَطَعَ الطَّمَع، أو مَن [عَدِمَ الطَّمَعَ][3] عَدِمَ الطَّلَب. وكيفَ يَتَكَلَّفُ الطَّيَرانَ مَن لَيسَ له جَناح؟ وكيفَ يَرجو أمرَ الخاصَّةِ مَن قد عَجَزَ عَن تَدبيرِ نَفسِه، وَقَصَّرَ عَن تَقويمِ عَبدِه؟ وإنصافُ اللِّسانِ قَليل، وإنصافُ القَلبِ أقَلُّ منه.

---

(١) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٢) في الأصل (نطق)، وهو تصحيف.

(٣) زيادة يقتضيها السّياق.

وقد جَعَلَ الله الشُّكرَ مَوصولاً/ بالمَزيد، ومِن الشُّكرِ علىٰ نِعَمِه علينا بِكُم أنْ نُعَظِّمَ ما عَظَّمَ الله مِن أمرِكُم، ومَن صَغَّر ما عَظَّمَ الله فقد عَظَّمَ ما صَغَّر الله، ولا يَفعَلُ ذلك إلا صَغيرُ القَدر، الخامِلُ الذِّكر، أو الجاهِلُ بالأمر.

وكَيفَ لا يكونونَ علىٰ ما خَبَرت، وكَما وَصَفت، وقد أغنَيتُم العَيلَةَ[١]، وآنَستُم من الوَحشَة، [وجَمَعتُم الشَّمل، وأعَدتُم الأُلفَة، ورَدَدتُم الظُّلامَة، وأحيَيتُم السُّنَّة][٢]، وأمَتُّم البِدعَة، وأبرَزتُم التَّوحيدَ بَعدَ اكتِتامِه، وأظهَرتُموه بَعدَ استِخفائه، واحتَمَلتُم عَداواةَ الجَميعِ دونَنا، ووتَرتُم الطّاعِنينَ في نُفوسِنا.

ونحنُ لا نُطالِبُ ما كُنتُم قيامًا، ولا نَذكُرُ ما كُنتُم شُهودًا، ونَحنُ مع قِلَّةِ عِلمِنا لا نَجِدُ عِلمًا إلاّ مُقَصِّرًا عن عِلمِنا، وأنتُم مَع اتِّساعِ عُلومِكُم، أعمالُكُم فَوقَ عُلومِكُم.

ولَعَلَّ قائلاً أنْ يَقول: ولم أُدخِله في جُملَةِ صِفاتِ أبيه، وجِلَّةِ مَشيَخَتِه وأقرَبيه، حيثُ خَصَّهم الله بالتَّقديم، وأثابَهم بالتَّعظيم، بل كَيفَ تَقَدَّمَ مَن صَغُرَ سِنُّه، وقَلَّت تَجرِبَتُه، وكَيفَ تُمكِنُ الطّاعَةُ الكَثيرَةُ في الأيّامِ القَصيرَة، والشُّهورِ اليَسيرَة؟

وما قُلتُ ذلك حَفِظَكَ الله ولا انتَحَلتُه، إلا وبُرهاني ظاهِر، وشاهِدي حاضِر. وذلكَ أنّ الشَّبابَ سُكرٌ وطِماح[٣]، وصَولَةٌ ونِزاع. والهَرَمُ داخِلٌ في جَميعِ الأعضاء، وآخِذٌ بِقِسطِه مِن جَميعِ الأجزاء.

ألا تَرىٰ كَيفَ يُعمِلُ ناظِرَه وَسامِعَه، وذائقَه وشامَّه، وهاضِمَه وعامِلَه؟ وكيفَ تَنتَقِصُ علىٰ مُرورِ الأيّامِ قوَّتُه، وكذلكَ/ قَلبُه، وكُلُّ ما يُظَنُّ مِن أمرِه، وعلىٰ قَدرِ ما

---

(١) العيلة: الفقراء. (اللّسان: عيل).

(٢) ما بين المعقوفين من حاشية.

(٣) طماح: الكبر والفخر والتكبر. (اللّسان: طمح).

يَنقُصُ [من][١] قوَىٰ جِسمِه يَنقُصُ مِن قوىٰ شَهوَتِه، وعلىٰ قَدرِ ما يَنقُصُ مِن قوىٰ شَهوَتِه يَخِفُّ عليه مُخالَفَةُ هَواه، ومُجاذَبَةُ نَوازِعِه.

فَمَن حَمَلَ علىٰ نَفسِه في شَبابِه، فَفي سُلطانِ حَداثَتِه، وكَمالِ قوَّتِه، فَطَلَّقَها مَرَّةً ونَكَحَها مَرَّةً، وعانىٰ تلكَ التَّكاليف، وغَلَبَ تَلكَ الرّيح، كانَ أوزَنَ طاعَةً؛ إذ كانَ أحمَلَ للمَشَقَّة.

وعلىٰ قَدرِ المَشَقَّةِ تكونُ المَثوبَة، وتَعظُمُ عندَ الله المَنزِلَة، وتَقَعُ في قُلوبِ العِبادِ المَحَبَّة. ونَحنُ نَعتَبِرُ حالكَ بالذي في قُلوبِ عِبادِه، وقد مَلَّكَ الله بَعضَ النّاسِ أبدانَ بَعض، ولم يُمَلِّك القُلوبَ أحَدًا غَيرَه.

وأما قَولُهُم: إنّ الغَرارَةَ[٢]مَقرونَةٌ بالحَداثَة، والحُنكَةُ مَوصولَةٌ بطولِ التَّجرِبَة، فإنَّ الذِّهنَ الحديد[٣]، والطَّبعَ الصَّحيح، والإرادَةَ الوافِرَة، تُنالُ في الأيّامِ اليَسيرَة، وتُدرَكُ في الدُّهورِ القَصيرَة، ما لا تَنالُه العُقولُ المَمزوجَة[٤]، والطَّبائعُ المَدخولَة[٥]، والأداةُ النّاقِصَةُ في الأيّامِ الكَثيرَة، والدُّهورِ الطَّويلَة.

فهذا ما حَضَرَنا من القَول، وأمكَنَنا من الاحتِجاج، وما أشُكُّ أنّ مَن خَبَرَ أمرَك، بأكثَرَ مِن اختِياري، أنْ يكونَ عِندَه أكثَرُ مِن عِلمي. وعلىٰ أنّ مَنظَرَكَ أبقاكَ الله يُغني عن المَخبَر، والفِراسَةَ فيكَ تَكفي مَؤونَةَ التَّجرِبَةِ لك.

---

(١) زيادة يتطلبها النص.

(٢) الغرارة: الغر هو الشاب الذي لا تجربة له. (اللّسان: غرر).

(٣) في الأصل (الحديد) وهو تصحيف، لأنّ الذّهن يوصف بالحدّة وليس بالجدّة.

(٤) العقول الممزوجة: التي لا تثبت علىٰ خُلُق، وقيل المخلّطة الكذّابة. (اللّسان: مزج).

(٥) الطّبائع المدخولة: التي خالطها العيب والغش والفساد والنّفاق. (اللّسان: دخل).

(١) وقد تَقَيّلتَ(٢) بحَمدِ الله أخلاقَ شَيخِك، كَما تَقَيّلَ شَيخُكَ أخلاقَ أشياخِه(٣)/ ، واحتَذَيتَ علىٰ مِثالِه، كَما احتَذىٰ [مِثالُه](٤) علىٰ مِثالِ [مَن قَبلَه](٥).ولو لم يَتعَقَّبوا أمرَك، ويَتَصَفَّحوا سيرَتَكَ في نَفسِك، ثُمَّ في خاصَّتِكَ وعامَّتِك، لَكانَ في صِدقِ الفِراسَة، وظُهورِ المَخيلَةِ(٦) ما يَقضي به المُتَفَرِّسَ(٧)، ويَستَدِلُّ به المُجَرِّب، وظَنُّ العاقِلِ كَيَقينِ غَيرِه(٨).

قال عمرُ بنُ الخَطّابِ رَحِمَه الله: «مَن لم يَنتَفِع بِظَنِّه لم يَنتَفِع بعقله»(٩). وقال أوسُ ابنُ حَجر(١٠):

---

(١) من هنا ابتداء ما جاء في أبي ملحم ص٢١٧، ولكن لم تكن الفقر الواردة عند أبي ملحم بنفس التّرتيب الوارد في الأصل، وهارون ١/ ٣٠١.

(٢) في الأصل (تقبلت) وهو تصحيف.وما أثبت من هارون ١/ ٣٠٢.
وتقيّل الرّجل أباه: أشبهه. (اللّسان: قيل، والقاموس المحيط: قيل).

(٣) ساقطة من هارون.

(٤) ساقطة من هارون وأبي ملحم، وهي زيادة يقتضيها السّياق.

(٥) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٦) في هارون ١/ ٣٠٢: المحبة.
المخيلة: التّفرس. (اللّسان: خيل).

(٧) في أبي ملحم ص٢١٧: وظهور المحبّة ما تقضي به النفوس.

(٨) جاء في تسهيل النظر: ص١٧١ «ظنّ العاقل أصدق من يقين الجاهل».

(٩) في أبي ملحم ص٢١٧، وهارون ١/ ٣٠٣: إنك لن تنتفع بعقله حتىٰ تنتفع بظنه.
جاء القول في العقد الفريد: ٢/ ٢١٧.

(١٠) أوس بن حجر: أبو شريح، ابن عتّاب التميمي، هو زوج أم زهير بن أبي سلمىٰ، اشتهر بالوصف والطرديّات ووصف الحروب، في شعره حكمة ورقة، وكان غزلا مغرماً بالنّساء، كانت تميم تقدّمه علىٰ سائر شعراء العرب، كان كثير الأسفار، كثرت إقامته عند عمرو بن هند، عمّر طويلاً، ولم يدرك الإسلام، توفي سنة (٢ ق.هـ). =

الألمَعي الّـذي يَظُـنُّ لَـكَ الـظَّـ نَّ كَـأن قـد رأىٰ وقـد سَـمِعا[١]

ولَستُ أمُتُّ إلَيكَ [أكرمك الله][٢] بَعدَ التَّوحيدِ ونَفيِ التَّشبيه، ونَصري[٣] للدّين، بأمرٍ أنا به أوثَقُ مِن رَغبَتِكَ في شُكرِ الكِرام، والأُحدوثَةِ الحَسَنَة. قال الله، عَزَّ وجَلّ، لنَبيه ﷺ: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [الانشراح: ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، وقال عَزَّ وَجَلّ: ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡ﴾ [الأنبياء: ١٠]. فلَو كانَ حُبُّ الذِّكرِ خَطيئَةً لِما رَغَّبَهم فيه، ولما عَدَّه[٤] في نِعَمِه.

ولَعَلَّ قائلاً أنْ يَقول: وكَيفَ، ولَم يَذكُر أميرَ المُؤمِنين، المُعتَصِمَ برَبِّ العالَمين، الذي حَقَنَ الله به الدِّماء[٥]، وسَدَّ[٦] به الثُّغور، [وردّ به المَظالِم][٧]، وحَسَمَ به عِرقَ

= (انظر: ابن قتيبة، الشعر والشّعراء: ص٢٣، ١٢٧، والأصفهاني، الأغاني: ١١/ ٤٧، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٢١، ٣١١).

(١) الألمعي: الرّجل المتوقد الذّكاء، ورد البيت في ديوان أوس بن حجر: ص٥٣، والبيان والتبيين: ٤/ ٤٢، والحيوان: ٣/ ٥٩، ورسائل الجاحظ، (تحقيق عبد السلام هارون): ١/ ٣٠٢، وعيون الأخبار: ١/ ٩١، ومجمع الأمثال: ١/ ٣٦، والكامل للمبرد: ٣/ ٢٣٥، ٢٣٤، وبهجة المجالس: ١/ ٤١٩، وابن جنّي، الخصائص: ١/ ٤٧٢، وزهر الآداب: ١/ ٦٤، وابن فارس، معجم مقاييس اللّغة: ٥/ ٢١٢، ومعاهد التنصيص: ١/ ١٢٨، واللسان: مادة لمع، ومجموعة المعاني ١/ ٧٣، والمنتخب والمختار من النوادر والأشعار: ص١٣٣).

(٢) ما بين المعقوفين من أبي ملحم ص٢٢٠، وهارون ١/ ٣٠٦.

(٣) في أبي ملحم ص٢٢٠، وهارون ١/ ٣٠٦: نصرتي.

(٤) في هارون ١/ ٣٠٦: عُدّ.

(٥) في أبي ملحم ص٢٢٠، وهارون ١/ ٣٠٦: حقق الله به الدين.

(٦) في أبي ملحم ص٢٢٠، وهارون ١/ ٣٠٦: سدد.

(٧) ما بين المعقوفين من أبي ملحم ص٢٢٠، وهارون ١/ ٣٠٦.

البَغي، ونَواجِمَ الفِتنَة[١]، الّذي لم [يَزَل الله][٢] يَزيدُه في كُلِّ طَرفَةٍ مَحبَّةً، ومَعَ كُلِّ مَحبَّةٍ هَيبَةً، ومَعَ كُلِّ نِعمَةٍ شُكرًا، ومَعَ كُلِّ شُكرٍ فَضلاً.

وهو المُبتَدِئُ لهذا[٣] الأمر، والدّالُّ عليه[٤]، والقائمُ بِه، والقُطبُ[٥] الذي يَدورُ عليه[٦] الرَّحىٰ، وعلىٰ مِثالِه احتَذىٰ [من احتَذى][٧]، وبِلِسانِه نَطَق، وعَن رأيِه/ صَدَر، وبيمنِ هَيبَتِه[٨] ظَهَرَ، وبِفَضلِ قوَّتِه عَلَنَ[٩]. وهو أوَّلُ هذا الأمرِ ووَسَطُه، وبِه يَتِمُّ أمرُه[١٠] إنْ شاءَ الله تَعالىٰ.

قُلنا إنّ عَقلَ الرَّسولِ يَدُلُّ علىٰ مُرسِلِه، واعتِدالُ القَناةِ دَليلٌ[١١] علىٰ حِذقِ المُثَقِّف[١٢]، ومَدحُنا[١٣] للوَزيرِ راجِعٌ علىٰ مَن اختارَه، [وإنَّ تَصويبَ ظَنِّ المُتَفرِّسِ

---

(١) نواجم الفتنة: نواجم الابتلاء والامتحان والاختبار. (اللّسان: فتن).

(٢) ما بين المعقوفين من أبي ملحم ص٢٢٠، وهارون ١/ ٣٠٦.

(٣) في أبي ملحم ص٢٢٠، وهارون ١/ ٣٠٦: بهذا.

(٤) ساقطة من أبي ملحم وهارون.

(٥) القطب: الحديدة القائمة التي تدور عليها الرّحىٰ ومركّبه في وسط حجر الرّحىٰ السّفلي. (اللّسان: قطب).

(٦) في أبي ملحم ص٢٢٠، وهارون ١/ ٣٠٦: الذي عليه تدور.

(٧) ما بين المعقوفين من أبي ملحم ص٢٢٠، وهارون ١/ ٣٠٦.

(٨) في أبي ملحم ص٢٢٠، وهارون ١/ ٣٠٦: نقيبته.

(٩) في أبي ملحم ص٢٢٠، وهارون ١/ ٣٠٦: نهض.

(١٠) ساقطة من أبي ملحم وهارون.

(١١) في هارون ١/ ٣٠٦: يدل.

(١٢) حذق المثقف: الذي يقوّم الشيء المعوج في الرّماح. (اللّسان: ثقف).

(١٣) في أبي ملحم ص٢٢٠، وهارون ١/ ٣٠٦: ومديحك.

فيه، ومَديحنا له غَيرُ راجع إلىٰ وَزيرِه والمحتَذىٰ علىٰ مِثالٍ][1]، بل عَلِمَ النّاسُ [أنَّ][2] الحَظَّ الأكبَرَ والنَّصيبَ الأوفَرَ[3] للآمرِ دونَ المُطيع، وللمُعَلِّمَ دونَ القائل؛ لأنّ السَّبَبَ[4] في عَدالَةِ العُقول[5]، وجَيِّدِ[6] النَّظَرِ والتَّحصيلِ أفضَلُ[7] من المُسَبِّب، والمَتبوعُ خَيرٌ من التّابع. ألا ترىٰ أنْ مَن مَدَحَ الأنصارَ فهو [للنّبيّ ﷺ][8] وللمُهاجِرينَ أمدَح، [وإن لَمْ يَظهَر ذِكرُهُم في الوَصف][9]، قال جَرير[10]:

* تِلكُم قُرَيشي والأنصـارُ أنصـاري *[11]

---

(١) ما بين المعقوفين من أبي ملحم ص٢٢٠، وهارون ١/ ٣٠٧.

(٢) ما بين المعقوفين من هارون ١/ ٣٠٧.

(٣) ساقطة من أبي ملحم وهارون.

(٤) في أبي ملحم ص٢٢٠، وهارون ١/ ٣٠٧: المسبب.

(٥) ساقطة من أبي ملحم، ووضع نقاطاً تدل علىٰ الحذف.

وفي وهارون وضع نقاطاً وأشار في الحاشية بقوله (بياض في الأصل بمقدار كلمتين).

(٦) في أبي ملحم ص٢٢٠، وهارون ١/ ٣٠٧: عند.

(٧) في أبي ملحم ص٢٢٠: فاضل.

(٨) ما بين المعقوفين من أبي ملحم ص٢٢٠، وهارون ١/ ٣٠٧.

(٩) ما بين المعقوفين من أبي ملحم ص٢٢٠، وهارون ١/ ٣٠٧.

(١٠) جرير: أبو حزرة، ابن عطيّة الخطفي، الشّاعر الأموي، ولد سنة (٢٨هـ)، ولد ومات في اليمامة، توفي سنة (١١٠ هـ).

(انظر: ابن العماد، شذرات الذّهب: ١/ ٢٤٩، والأصفهاني، الأغاني: ٨/ ٢٢٩، والزّركلي، الأعلام: ٢/ ١١٩).

(١١) البيت في ديوان جرير ص٣٨١، وصدره:

إنَّ الذين اجتنوا مجداً ومكرمـةً ....

وورد في رسائل الجاحظ، تـحقيق عبد السلام هارون: ١/ ٣٠٧، والكامل للمبرد تحقيق عبد الحميد الهنداوي: ٢/ ٤١.

وقال رُؤبَة:

* ومَن عَـلا المِنـبَرَ لي والمِنـبَر*[١]

وقد جَمَعَ الله لأميرِ المُؤمِنينَ[٢] كَرَمَ العِرق[٣]، وصَلاحَ المَنشإ، والبُعدَ[٤] مِن إيثارِ الهَوىٰ، وما رأينا فِعلاً[٥] أشبَهَ بأخلاق، ولا أخلاقًا أشبَهُ بأعراق، مِن أفعالِه بأخلاقِه، وأخلاقِه بأعراقِه.

وما عَسىٰ أنْ أقولَ لِمَن أقرَنَ[٦] عَقلَه لِطَبيعَتِه، وانتَصَفَ عَزمُه مِن شَهوَتِه[٧]، وكانَ عَمَلُه فَوقَ[٨] عِلمِه، وحِلمُه[٩] غامِرًا لِخَصمِه.

فَنسألُ[١٠] الله الذي أسعَدَنا [١١] بخِلافَتِه، [أن][١٢] يَمُنَّ علَينا بطولِ بَقائه، وأن يَخُصَّنا بحُسنِ نَظَرِه، كَما خَصَّنا بمَعرِفَةِ حَقِّه، والاحتِجاجِ لِمُلكِه، والذّبِّ عَن سُلطانِه.

---

(١) ورد البيت في هارون ١/ ٣٠٧، ولم يرد في ديوان رؤبة.

(٢) ذكر عبد السلام هارون في الحاشية: «يعني الخليفة المعتصم».
انظر: الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السّلام هارون: ١/ ٣٠٨.

(٣) في أبي ملحم ص٢٢٠، وهارون ١/ ٣٠٧: مع كرم العروق.

(٤) في أبي ملحم ص٢٢٠، وهارون ١/ ٣٠٧: البعد.

(٥) في أبي ملحم ص٢٢١، وهارون ١/ ٣٠٧: وهل رأيت أفعالاً.

(٦) في أبي ملحم ص٢٢١، وهارون ١/ ٣٠٧: أنْ أقول فيمن قد قوي.
قرن: وصل. (اللّسان: قرن).

(٧) في الأصل (سهوته) وما أثبت من أبي ملحم ص٢٢١، وهارون ١/ ٣٠٧.

(٨) في هارون ١/ ٣٠٧: وفق.

(٩) في هارون ١/ ٣٠٧: عمله.

(١٠) في الأصل (نسل)، وهو تصحيف.

(١١) في أبي ملحم ص٢٢١، وهارون ١/ ٣٠٧: أسندنا.

(١٢) ما بين المعقوفين من هارون: ١/ ٣٠٨.

ورُبَّما كانَت الكِنايَةُ أبلَغَ في التَّعظيم، وأدعىٰ إلىٰ التَّقديم، من الإفصاحِ [والشّرح][1]. ورُبَّما أبانَ[2] السُّكوتُ عمّا[3] يَعجَزُ عنه القَول[4]، [وقد بَلَغَ أقصىٰ حاجَتِه، وغايَة أمنيتِه بالإيماءِ والإشارَة، حتّىٰ يكونَ تَكَلّف القَولِ فَصلاً، والكَلام خَطَلاً][5].

ورُبَّما[6] كانَ اللِّسانُ أنفَذَ من السِّنان/ [7]، وأقطَعَ من السَّيفِ اليَماني. [أطالَ الله بَقاءكَ وحَفظَك، وأتَمَّ نِعمَتَه عَليك، وكَرامَتَه لك][8].

[٢٣] فصل[9]

ورَدَ عليَّ أسعَدَكَ الله كِتابَك، تَذكُرُ فيه بُرءَكَ مِن شَكوِك، وتَستَريبُني[10] في تَركِ الكِتابِ إلَيك، وأنتَ غافِلٌ عَمّا جَرَت به الأقدار، وأصابَ به الدَّهر، وقَرعَت به المَنون،

---

(١) ما بين المعقوفين من أبي ملحم ص٢٢١، وهارون ١/ ٣٠٧.

(٢) في أبي ملحم ص٢٢١، وهارون ١/ ٣٠٧: أتىٰ من.

(٣) في أبي ملحم ص٢٢١، وهارون ١/ ٣٠٧: بما.

(٤) في أبي ملحم ص٢٢١، وهارون ١/ ٣٠٧: القول عنه.

(٥) ما بين المعقوفين من أبي ملحم ص٢٢١، وهارون ١/ ٣٠٧.

(٦) في أبي ملحم ص٢٢١: لربّما.

(٧) يقال «هو أنفذ منه لسانًا، وأمضىٰ منه سنانًا».

(انظر: حمزة بن الحسن، الدّرّة الفاخرة: ص٢٥٩، والميداني، مجمع الأمثال: ٣/ ٤١٤، واللّسان: سنن).

(٨) ما بين المعقوفين من أبي ملحم ص٢٢١، وهارون ١/ ٣٠٨.

(٩) ورد هذا الفصل في الحاجري ص٢٠ – ٢٥ بعنوان: رسالة في الرّثاء والتّأبين.

(١٠) في الأصل (تستزيدني) وهو تصحيف، وما أثبت من الحاجري ص٢٠.

وطَرَقَت به الحَوادِث، ولم أُبطِئ كِتابي[1] عنكَ، أكرَمَكَ الله يا أخي إغفالاً لحقِّك، ولا قِلَّة مُنازَعَةٍ مِن نَفسي لمُحاوَرَتِك، ولَكِن شُغلُ البال، ورَيبُ الحَدَثان، وتَقَلُّبُ الأزمان، فإنّي أصبَحتُ كَما قالَ الشّاعِر:

لَم يَترُكِ الدَّهرُ لي عِلقًا أضِنُّ بهِ ... إلا اصطَفاهُ بِمَوتٍ أو بِهِجرانِ

وقد هاجَني علىٰ الكِتابِ إليكَ مُعتَلَجاتُ[2] الهُموم، مُبِثًّا[3] لكَ بَعضَ ما في صَدري، استِراحَةَ المَكروب، ونَفثَ المَصدور[4]، فقد أصبَحتُ رَصَدًا للمَهلَك[5]، وبمَدرَجَةِ العَطَب[6]، وبمَشرَبِ السُّموم، وبمَحَجَّةِ الحَتف[7]، ومُجتَنَىٰ[8] المَوت.

وأحسَبُ هُلكَ أبي فُلانٍ رَحمَةُ الله عليه ورِضوانُه وأتاهُ الله الرِّفعَة، والشَّرَفَ الأعلىٰ لَدَيهِ قد نَمىٰ إليكَ وبَلَغَك، وإنّا لله وإنّا إليه راجِعون، تأدُّبًا بأمرِه، وتَعَرُّضًا لموعودِه. ولا حَولَ ولا قوَّةَ إلا بالله.

وقَد رأيتُ تَعريفَكَ كُنهَ خَبَرِه، فافهَم، رَحِمَكَ الله، واجتَهِد في أنْ تكونَ[9] السَّعيدَ المَوعوظَ بِغَيرِه/ .

---

(١) في الحاجري ص٢٠: بكتابي.

(٢) معتلجات: اعتلج: التطم، واعتلج الهمّ في صدره كذلك علىٰ المثل. (اللّسان: علج).

(٣) البثّ: من أبثّ بمعنىٰ أظهر، والبثّ في الحزن والغمّ. (اللسان: بثث).

(٤) المصدور: الذي يشتكي صدره، وشبّه المهموم الذي قد بُرِّحَ بما كتمه، وضاق ذرعًا بما طواه، بمن أصاب صدره بما نفثه. (انظر: التوحيدي، البصائر والذخائر: ١/ ٤١٧، واللّسان: صدر).

(٥) رصدًا للمهلك: للهلاك. (اللّسان: هلك).

(٦) العطب: المهالك. (اللّسان: عطب).

(٧) ساقطة من الحاجري.

(٨) في الحاجري ص٢٠: وبحسي.

(٩) في الأصل (يكون) وما أثبت من الحاجري ص٢٠.

وقد كُنتُ عايَنتُ شَكوَه، وفارَقته عِلَّته[1] في غُرَّةِ شَهرِ رَمَضان، ثُمَّ تَزَيَّدُ في جَهدِ العِلَّةِ وحِدَّتِها، وكانَ اليأسُ منه والخَوفُ علَيهِ أقوىٰ من الرَّجاء له، والطَّمَعُ في سَلامَتِه. ثُمَّ انحَدَرَت العِلَّة، وأطمَعَ في الإفاقَة، وتَزَيَّدَ في الأطماع، وتَحَلَّلَ السُّقم، وشِدَّةَ المَرَض، فاستَبشَرَ[2] مُؤَمِّلوه العافيةَ له بِبُرئه.

فلَم يَزَل يَتَزَيَّدُ في صَلاحِ الحال، ورُجوعِ القوىٰ، حتّىٰ إذا كانَ[3] أكَلَ ما اشتَهىٰ، ورَكِبَ ومَشىٰ، وخَرَجَ إلىٰ البُستان، وثابَت نُفوسُنا من الإشفاق، وزالَ عنه القَلَقُ والحِذار، وَعاوَدَه الأمَلُ والاغتِرار. وقال لي، في بَعضِ مُناجاتِه، واستِجلابِه العافية، واستِلذاذِه مُعاوَدَةَ الصِّحَّة: «أخالُني[4] قد نَجَوت، وأراني قد أقبَلتُ مُبتَهِجًا مَسرورًا[5]». كما قال الشّاعِر:

إذا بَـلَّ مِـن داءٍ بـه خـالَ أنّـهُ ... نَجا، وَبِهِ الدّاءُ الذي هوَ قاتِلُه[6]

---

(١) في الحاجري ص٢٠: عليه.

(٢) في الأصل (فاستنشر)، وهو تصحيف.
وما أثبت من الحاجري ص٢٠.

(٣) ساقطة من الحاجري.

(٤) في الحاجري ص٢١: إخالني.

(٥) في الحاجري ص٢١: وأراني قد أقبلت.

(٦) بلّ: برأ وصحّ.
ورد البيت في الحيوان: ٦/ ٥٠٧، والبصائر والذخائر: ٣/ ٢٥٥، وجمهرة اللّغة ١/ ٣٧ مادّة بلل، ومقاييس اللّغة: ١/ ١٨٩، وابن السّكّيت، إصلاح المنطق: ٢١٣، وابن الوردي، تاريخ ابن الوردي: ١/ ١٩٧، وأساس البلاغة: ٥٢ مادّة بلل، وتاج العروس: مادة بلل، والصّحاح: مادّة بلل، واللسان: مادة بلل، دون نسبة.

علىٰ أنَّه يَرحَمُه الله في ذلك كمِدُ اللَّون، نَحيفُ الجِسم، مُضطَرِبُ المِزاج، مُتَغَيِّرٌ عن الاعتِدال، وهو مَعَ ذلك يَخرُجُ إلىٰ مَسجِدِه، ويَجلِسُ بفِنائه. ثُمَّ تَغَيَّرَت به العِلَّة، فدَخَلتُ[١] عَلَيه؛ فإذا نَفسُه قَوية، وطَبيعَتُه جَيِّدَة، وعِلَّتُه غَيرُ مُنكَرَة، فَسألتُه فَرَدَّ جَوابَ فَسيحِ الأمَلِ[٢]، قَوِيَّ الرَّجاء، بغَيرِ انكِسافِ بال، ولا وَجَلٍ مِن وَشكِ ارتِحال، فَظَلَّ[٣] يومَه ذلك علىٰ حالِه من الصَّلاح. فَلَمّا أصبَحَ دَعا بِسواكِه فاستَنَّ به، فَبَينا/ هو يُمِرُّ السِّواكَ علىٰ ثَغرِه؛ أنكَرَت أُمُّه ضَعفَ يَدِه، فقالَت: «مالَكَ؟». فَقال: «ما أدري إنّي لَمُنكِرٌ نَفسي، بادِروني بالنُّزول». فَبودِرَ به فلَمّا صارَ علىٰ الدَّرَجِ مُنحَدِرًا علىٰ قَدَمَيه، عَنَّ له المَوتُ مُطِلا، وطَرَقَه ما كانَ يَهرُبُ منه طَويلاً، وفاجأه الذي راغَ منه مُجتَهِدًا وبَغَتَه ما لم يَجِد عنه مَوئِلاً. فسَقَطَ سَقطَةً لم يَكُن[٤] بَعدَها إقالَةٌ، فَشَخَصَ لَها بَصَرُه، واضطَرَبَت جَوارِحُه، واحتُمِلَ إلىٰ قَرارِ مَنزِلِه علىٰ تِلك الحالِ الهائلَة، لا يَسمَعُ الدُّعاء، ولا يَحفِلُ بالبُكاء، [ولا يَرُدُّ الجَواب][٥]، ولا يَعبأُ بالأحباب، فدَخَلتُ[٦] عليه وهو كَما قالَ الشّاعِر[٧]:

وَيُنادونَـهُ وقـد صُـمَّ عَـنهُم ثُـمَّ قـالوا وللنِّسـاءِ نحيـبُ

ما الذي عاقَ أنْ تُحيرَ جوابًـا أيُّها المِقوَلُ الخطيـبُ الأريـب

---

(١) في الحاجري ص٢١: قد خلت.

(٢) في الحاجري ص٢١: الأجل.

(٣) في الحاجري ص٢١: وظلّ.

(٤) في الحاجري ص٢١: تكن.

(٥) ما بين المعقوفين من الحاجري ص٢١.

(٦) في الحاجري ص٢١: قد خلت.

(٧) هو مطيع بن إياس.

فبُعِث إلىٰ أهلِ الطِّبِّ والمَعرِفَة، فأتَوا فَرأوا حالاً فاتَت التَّلافي، وخَرَجَت من العِلاج، وسَبقَتِ الاستِدراك، فَعَلَّلوهم وانصَرَفوا، ولم يَقضوا فيه قَضاءً.

وهو في ذلك مَشغولٌ بجَهدِ نَفسِه، وكَربِ غَيرِه، ونَزعِه وشِدَّةِ نَفسِه.والمَوتُ يَقبِضُه ويَبسُطُه كالثَّوبِ عندَ الطَّيِّ والنَّشر، صريعًا مُستَسلِمًا، أسيرًا، مُنخَذِلاً، قد خَذَلَه الوَلَدُ والوالِد، والحَميمُ والصَّديق، فأكثَرُ ما عِندَهُم الحَسرَةُ والتَّلَهُّف، والاستِكانَةُ[١] والنَّشيج[٢]، فمَكَثَ يَومَه ذلك/، ثُمَّ حُمَّ حُمَّىٰ مُدفيةً[٣]، وفاظَ في آخِرِها[٤]، ووَرَدَ حَيثُ وُعِد، وزَهَقَ الباطِل، فَعَجّوا وضَجّوا، وهَتَفوا ووَلوَلوا، جَهدٌ لَعَمرُكَ قَليلُ الرَّدّ:

* وَلَن يُرجِعَ المَـوتىٰ حَنـينُ المـآتِمِ *[٥]

فَيا لله مُغتَبِطًا ما أغَضَّ وأطرىٰ، وأيُّ فَتىٰ رَحَلَ عَنّا، كَما قالَ الهُذَلي:

فِـراقٌ كَقَّـيضِ السِّـنِّ فالصَّـبرَ إنَّهُ لكُلِّ أُناسٍ عَثـرَةٌ وجُبـورُ[٦]

---

(١) الاستكانة: الخضوع والذل. (اللّسان: سكن).

(٢) النّشيج: ترديد الصوت في الصدر دون إخراجه. (اللّسان: نشج).

(٣) مدفية: دفّف علىٰ الجرح: أجهز عليه، ومدفيّة: مهلكة قاتلة. (اللّسان: دفّف).

(٤) فاظ: خرجت روحه ومات. يقال: فاظت نفسه، وفاظ الميت نفسه، وأفاظ الله تعالىٰ نفسه. (انظر: معاطي بن زكريا، الجليس الصالح: ٢/ ١١٩، اللّسان: فيظ).

(٥) عجز البيت للفرزدق، وصدره:

فَما ابناك إلا من بني الناس فاصبري ....

ورد البيت في ديوان الفرزدق: ٢/ ٢٠٦، والكامل للمبرد (تحقيق عبد الحميد الهنداوي): ١/ ٢٩٠، والمبرّد، التّعازي والمراثي: ص٢٠١، ٨٠، وحماسة البحتري: ص١٥٦.

(٦) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، ورد عند: الأونبي، سمط اللآلئ: ٢/ ٦٥٦، والصّحاح: مادّة قيض، واللسان: مادة قيض.

ثُمَّ دَخَلنا لنُغَسِّلَه وهو شِلوٌ علىٰ سَريرِه[١]، طَريحٌ علىٰ مُغتَسَلِه، لَقَىً لِوَجهِه[٢]، تَقلِبُه الرِّجالُ بأكُفِّها ظَهرًا لبَطن، كَما قال[٣]:

رَفَّعــوني وَقــالوا أيُّـــما رَجُـــلِ ... وأدرَجــوني كــأنّي طَــيُّ مِخــراقِ

قد رَجّلوني وما رُجِّلتُ مِن شَـعَثٍ ... وألبَســوني ثيابًــا غَــيرَ أخــلاقِ

ثُمَّ أُخرِجَ واللهِ مِن طارِفِه[٤] وتَليدِه[٥] صِفرًا، ولو رَدّوه ما كانَ له فيه غِنًىٰ، ولا قُبِلَ عنه فِداءً. ثُمَّ أُدرِجَ في لَفائِفِه، وحُمِلَ علىٰ نَعشِه، يِنقُلُه إخوانُه وخُلَصاؤه[٦]، وأحِبّاؤه وأصفياؤه، وأنا أحَدُهُم، يا أبا مُحَمَّد. فَما رأيتُ كذلك المَنظَرِ مَنظَرًا، ولَو اعتَبَرَ به النّاسُ جَميعًا لَكانَ عندي غنىٰ[٧]، فكَيفَ بِنا ونَحنُ أهلُ خاصَّتِه ومَوَدَّتِه.

ولَو رأيتَ أُمَّه اليائسَةَ مَرفوعَةَ الحِجاب، ظاهِرَةً للرِّجال، قد عَزَّها الجَزَعُ فَما أبقىٰ، ورَماها فَما أشوىٰ[٨]، وجَلَّ الخَطبُ عَن[٩] أنْ يَتَعَزّىٰ، حَيرىٰ ثَكلىٰ أمَّ واحِد/ ،

---

(١) شلو علىٰ سريره: مرفوع علىٰ سريره. (اللّسان: شلا).

(٢) لقىٰ لوجهه: الملقىٰ علىٰ وجهه لهوانه. (اللّسان: لقا).

(٣) البيتان ليزيد بن خذاق العبدي: شاعر جاهلي كان معاصراً لعمرو بن هند.
في الأصل (كأنني) بدل (كأنّي)، (ورجّلوني) بدل (قد رجّلوني)، (لبّسوني) بدل (ألبسوني).
رجّلوني: سرّحوا شعري. الشّعث: الشّعر المتلبّد. مخراق: المنديل يلف ليضرب به والجمع مخاريق. ورد البيتان في بهجة المجالس: ٢/ ٣٢٠، والعقد الفريد: ٣/ ٢٤٠، وسمط اللآلئ: ٢/ ٧١٣، وعيون الأخبار: ٢/ ٣٣٢.

(٤) الطارف: المال المستحدث. (اللّسان: طرف).

(٥) التليد: المال القديم الأصلي الذي يورث عن الآباء. (اللّسان: تلد).

(٦) في الحاجري ص٢٢: وخلصانه. خلصاؤه: المخلصون له. (اللّسان: خلص).

(٧) في الحاجري ص٢٢: عيّ.

(٨) رمىٰ فما أشوىٰ: أي ما أصاب مقتله. (انظر: الثعالبي، فقة اللغة: ص١٨٥، واللّسان: شوي).

(٩) ساقطة من الحاجري.

ومَفجوعَةٌ فاقِد؛ لأنه رحمه الله كانَ مِن أَشَدِّ النّاسِ علَيها حُنوًّا، وألطَفِهِم بِها بِرًّا، حتّىٰ لو عَدَدتُه لَمَلأ الكِتاب، ولما استُكثِرَ مَعَه بِرُّ طَلَق[1] بن حَبيب[2]، ولا محمَّد بن طَلحَةَ السَّجّادِ[3] بأبيه.

ولو رأيتَ حُرَمَه اللّاتي كانَ يَستُرُهُنّ، مِن جاريةٍ نَفيسَة، وأُمٍّ[4] محبوسَة، وحُرمَةٍ مَقصورَة، قد هَتكنَ أستارَهُنّ، وبَدَتْ خُدّامُهنّ[5]؛ كَقَومٍ حَلَّ بِهِم السَّباء، وكُتِبَ عَليهِم الجَلاء[6]، كَما قال[7]:

---

(١) في الحاجري ص٢٣: طارق.

(٢) طلق بن حبيب: العنزي، بصري زاهد كبير، كان صالحاً عابداً، شديد البر بأمّه، طيب الصّوت في القرآن، وهو ثقة، توفي سنة (١٠٠ هـ).
(انظر: ابن سعد، كتاب الطبقات: ٩/ ٢٢٦، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/ ٤٨٣، والمزّي، تهذيب الكمال: ١٣/ ٤٥١، والذهبي، ميزان الاعتدال: ٣/ ٤٧١).

(٣) محمّد بن طلحة السّجّاد: محمّد بن طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو، وأبوه طلحة من العشرة المبشّرين بالجنّة، كان محمّدٌ عابدًا زاهدًا، ولد في حياة الرّسول، ولقّب بالسّجّاد لعبادته، قتل شابًا.
(انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣١٩، وابن سعد، الطبقات: ٧/ ٥٦، وابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق: ٧/ ٦٨، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص١٣٨).

(٤) في الحاجري ص٢٣: وأمه.

(٥) خدّامهنّ: جمع خَدَمه وهو الخلخال. (اللّسان: خدم).

(٦) الجلاء: الخروج من البلد. (اللّسان: جلا).

(٧) هو ربيع بن زياد العبسي، أحد دهاة العرب وشجعانهم ورؤسائهم في الجاهليّة والإسلام، له شعر جيّد، اتّصل بالنّعمان بن المنذر، ونادمه مدّة، توفي سنة (٣٠ ق هـ).
(انظر: الزركلي، الأعلام: ٥/ ٢٦١).

قَـد كُـنَّ يَخبـأنَ الوجـوهَ تَسَـتُّرا فـالآن حـين بَـرَزنَ للنُّظّـارِ[١]

ولو رأيتَ ابنتَه وبِها ذُلُّ اليُتم، وخُشوعُ الاستِكانَة، مُتَبَذِّلَةً[٢] غيرَ[٣] مَصونَة، مَكشوفَةً غيرَ مَحجوبَة، ظاهِرَةَ الوَجهِ والقَدَمَين.

ولَو رأيتَ أباه وأنَّ دُموعَه لَمُراقَة، وإنَّ يَدَيهِ[٤] لَتَرعَدُ كأنَّ به أفكَلاً[٥] مِن شِدَّةِ الجَزَع. فأمّا عِلَّةُ قَلبِه، ونارُ صَدرِه؛ فلا أحسِبُها تُطفأُ غابِرَ الأيّام، ولو لم يَكُن ذلك للوَلَدِ لَكانَ للكِفايَةِ[٦] والحَزمِ في أمرِه، والصِّيانَةِ والبِرِّ به.

ولَو رأيتَ ابنَه لَرأيتَ عَبرَةً لا تَرقأ، ودُموعًا لا تَغيض، سَخينَ العَين، حَرّانَ الصَّدر، فائضَ الدَّمعَة، مَسلوبَ الصَّبر، ما يُحابِسُ[٧] دُموعَه، ولا يتَجَلَّدُ للشّامِتِين.

ولو رأيتَ نُدَماءه[٨] ومُؤَمِّليهِ حَيارىٰ لا يَدرونَ علىٰ أيِّ خِلالِه يأسَفون؛ أعَلى/

---

(١) ورد البيت في جمهرة اللّغة: ٣/ ٢٠٢ مادّة بدأ، والخصائص (تحقيق عبد الحميد الهنداوي): ٢/ ٢٩٩، وابن نباته، مطلع الفوائد ومجمع الفرائد: ص١٣٦، والأصفهاني، التّنبيه علىٰ حدوث التّصحيف: ص٨١، والمبرّد، الفاضل في اللغة والأدب: ص١١٢، وجمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام: ١/ ٤٨٧، ومرآة الجنان: ١/ ٣٢٨، والمعجم المفصل في شواهد العربية: ٣/ ٤١٧ وفيه: (فاليوم حين بدون للنظار).

(٢) متبذلة: التي تخلع ثيابها نتيجة اليتم.(اللّسان: بذل).

(٣) في الأصل (عن) وهو تصحيف، والتّصويب من حاشية الأصل.

(٤) في الحاجري ص٢٣: يده.

(٥) أفكلاً: الرّعدة من برد أو خوف. (اللّسان: أفكل).

(٦) في الحاجري ص٢٣: للقائه.

(٧) في الحاجري ص٢٣: يخالس.

(٨) في الحاجري ص٢٤: ندماه.

حُسنِ عِشرَتِه وكَرَمِ مجلِسِه، أم علىٰ طيبِ خُلُقِهِ وصِدقِ صَفائه، أم علىٰ نَجدَتِهِ وشَهامَتِه، أم علىٰ مُداراتِه وتَوَدُّدِه[١]، أم علىٰ عِلمِه وأدَبه[٢]؟

وَما رأيتُ سَريرًا شَيَّعَه من المُتَرَحِّمِ[٣] والباكي، والمُتَفَجِّعِ والدّاعي، والمُؤمِنِ والمُثني ما صَحِبَه، حتّىٰ لسَهَّلَ[٤] عليَّ بَعضَ الحُزن، ما سَمِعتُ مِن حُسنِ الثَّناء، وطيبِ الثَّناء؛ فمِن باكٍ علىٰ شَبابِه ونضارَةِ لَونِه، وجَمالِ وَجهِه، وامتِلاءِ جِسمِه، وحَداثَةِ سِنِّه، ومِن مُلبَسٍ[٥] بالحَنين، مَكروبٍ بالأسَف، مُسَجّىٰ[٦] بالغُصَّة، غَصّانٍ بِسُرعَةِ الاختِرام، ومُعاجَلَةِ المَنية.

وما سَمِعتُ مُراجِعًا خَيرَه بَعدَ مَوتِه في مِثلِ سِنِّه، أجمَعَ لِكُلِّ مَكرُمَة، وآخَذَ لِكُلِّ صالِحَة، وأضَمَّ لِكُلِّ شارِدَة، وأحفَظَ لِكُلِّ ضائعَة، وأرعىٰ لِكُلِّ مُهمَلَة، وأضبَطَ لِكُلِّ مُنفَلِتَةٍ من الأخلاقِ البَوارِعِ والفَواضِل، والأفعالِ النَّفائسِ الجَسيمَةِ منه. وكذلك كان، رَحِمَهُ الله، فَمَضىٰ.

كأن لم يَقل يومًا مقالا فَتَنثَني إلىٰ قوله الأسماعُ وهي رَواغِمُ[٧] ثُمَّ وُضِعَ سَريرُه

---

(١) في الحاجري ص٢٤: ومروءته.

(٢) في الحاجري ص٢٤: أم علىٰ حلمه ومودّته وأدبه.

(٣) في الأصل (الترحم) وهو تصحيف، وما أثبت من الحاجري ص٢٤.

(٤) في الحاجري ص٢٤: أسهل.

(٥) في الحاجري ص٢٤: ملتث.

(٦) في الحاجري ص٢٤: مشجّىٰ.

(٧) ورد البيت في المعجم المفصّل في شواهد العربيّة: ٣/ ٤٧٣.

بِفِناءِ مَسجِدِ الوَصيّ[١]؛ فَصَلَّىٰ عليهِ جعفَرُ بنُ القاسِم[٢]، ومَن حَضَرَه من النُّسّاكِ والعُبّادِ والأشراف، تَحفِزُه مُعِللٌ غَيرُ واحِدَة، أصغَرُها الرَّحمَةُ له، ثُمَّ انطُلِقَ بِنَعشِه إلىٰ حُفرَتِه خوّارَ/ [٣] العود، قَليلَ الامتِناع، كَما قال[٤]:

خُـذاني فَجُـرّاني بِـبُردي إلَـيكُما فقد كُنتُ قَبل اليَوم صَعبًا قيادِيا[٥]

ثُمَّ نُضِدَ عليهِ اللَّبِن، وسُدَّت خِلالُه[٦]، وأُهيلَ من جَوانِبِه التُّراب، بعَينِ الشَّفيق، ومَحَبَّةِ[٧] الوادّ، ومَسَرَّةِ الصَّديق، ومَحضَرِ الوامِق. ثُمَّ لَم يَلبَثوا أنْ وَدَّعوه وانصَرَفوا، وقالَ قائلُهم: حتّىٰ مَتىٰ تَقِفوا[٨]. وأنا أقولُ قَولاً أخرُجُ من النَّوحِ به، ولا أخشىٰ الكَذِبَ من الإغراقِ فيه.

---

(١) مسجد الوصي: هو المسجد الذي بُني من جرائد النخل، والوصي هو علي بن أبي طالب. (اللّسان: وصي).

(٢) جعفر بن القاسم: ابن جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي، ولي إمارة البصرة للواثق، وكان فصيحًا خطيبًا.

(انظر: الصّفدي، الوافي بالوفيات: ١١/ ٩٦، والسيد محسن الأمين، أعيان الشيعة: ١٤/ ٥٩).

(٣) الخوار: الضعيف. (اللّسان: خور).

(٤) هو مالك بن الرّيب، المازني التميمي، شاعر أموي من المبدعين، توفي سنة (٦٩ هـ).

(انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٢١٢، والأصفهاني، الأغاني: ٢٢/ ٤٦٤، والزركلي، الأعلام: ٥/ ٢٦١).

(٥) ورد البيت في العقد الفريد: ٣/ ٢٤٣، وأمالي اليزيدي: ص٤١، وجمع الجواهر: ص١٦٤، وجمهرة أشعار العرب في الجاهليّة والإسلام: ٢/ ٧٦٢.

(٦) خلاله: فُرَجُهُ. (اللّسان: خلل).

(٧) في الحاجري ص٢٤: ومحنة.

(٨) في الحاجري ص٢٥: تقف.

لئن كانَتِ المَنايا جَعلَته غَرَضًا للانتِضال[1]، لَقد جَعَلَ القيمَةَ غَرَضًا لصالِحِ الأعمال. ولئن أصبَحَ شَملُه مُبَدَّدًا مُقتَسِمًا[2]، لَقَد أصبَحَ شَملُ حَمدِه مَجموعًا. ولئن كانَ ابتكَرَ[3] الإزعاج؛ لَقد ابتكَرَ الهِمَمَ الرَّفيعَةَ بالانتِهازِ والابتِدار. ولئن شُهِرَ مَوتُه في المِصر؛ لَقد شُهِرَت مَكارِمُه في الجَمع.

ولئن خَفي جِسمُه في التُّرَب[4]، لَقَد خَفي نَظيرُه في الأرض. ولئن اعتَبَطَه المَوت[5]؛ لَقد كانَ ودُّه لِصَديقِه غَضًّا. ولئن واثَبَه المَوتُ مُغافِصًا[6]؛ لَقد واثَبَ المَعالي مُفتَرِسًا. ولئن انقَطَعَ أثَرُنا عن زيارَتِه، لَقد بَقي عندنا مِن أثَرِ نِعمَتِه. ولئن كانَ علىٰ قَلبِ الصَّديقِ خَفيفًا، لَقد كانَ علىٰ كاهِلِ عَدوِّه ثَقيلاً. ولئن خَرِبت مَجالِسُنا مِن شَخصِه، لَقَد عَمَرَت قُلوبُنا بِذِكرِه. ولئن انقَطَعَت مَسائلُنا له ما انقَطَعَت/ [مَسائلُنا فيه][7].

وقيل: «مَن استَوىٰ يَوماه فهو مَغبون، ومَن كانَ يَومُه خَيرٌ مِن غَدِه فهو مَفتون، ومَن كانَ غَدُه خَيرٌ مِن يَومِه فَذاكَ السَّعيدُ المَغبوط، وفي هذا المَعنىٰ قالَ الشّاعِر[8]:

---

(١) غرضًا للانتضال: للرّمي. (اللّسان: نضل).

(٢) في الحاجري ص٢٥: مقسّماً.

(٣) في الحاجري ص٢٥: ابتكره.

(٤) في الحاجري ص٢٥: التراب.

(٥) اعتبطه الموت: مات شابًا. (اللّسان: عبط).

(٦) مغافصاً: أخذه علىٰ غرّة فركبه بمساءة. (اللّسان: غفص).

(٧) ما بين المعقوفين من الحاجري ص٢٥.

(٨) هو زياد الأعجم. أبو سليم، مولىٰ عبد القيس، من شعراء الدّولة الأموية، جزل الشّعر، فصيح الألفاظ، كانت في لسانه عجمة فلقّب بالأعجم، كان هجّاءً، توفي سنة (١٠٠ هـ).

(انظر: الذهبي، العبر: ١/ ٩٣، والأصفهاني، الأغاني: ١٥/ ٢٥٥، والزّركلي، الأعلام: ٣/ ٥٤).

ورد البيتان في رسائل الجاحظ، (تحقيق عبد السلام هارون): ١/ ١٤٠ (خير) بدل (سلت)، =

رأيتُكَ أمسِ سُدتَ بني مَعَدٍّ ... وأنتَ اليومَ خيرٌ مِنكَ أمسِ
وأنتَ غَدًا تَزيدُ الضِّعفَ خَيرًا ... كَذاكَ تَزيدُ سادةُ عبدِ شَمسِ

وقال آخَر [في معن[1]][2]:

أنتَ امرؤٌ همُّكَ المعالي ... ودَلْوُ معروفِكَ الرَّبيعُ
وأنتَ من وائلٍ صميمٌ ... كالقلبِ تُحنَىٰ له الضُّلوعُ
في كلِّ عامٍ تزيدُ خيرًا ... يُشيعه عنكَ مَن يُشيعُ»

[٢٤] فصل[3]

ولَعَمري إنَّ الذي أقولُ في أسمائكُم وأسماءِ آبائكُم[4]، وكُناكُم وكُنىٰ آبائكُم

= وفي فصول مختارة، اختيار عبيد الله بن حسّان بلا نسبة (خير) بدل (سدت)، وزهر الآداب: ٢/ ٥٥٢، والعقد الفريد: ٢/ ١١٠، وخلاصة الذهب المسبوك: ص٣٦، والمؤتلف والمختلف للآمدي: ص١٠، واللسان: مادة أمس).

(١) معن بن زائدة الشيباني، أبو الوليد، من أشهر أجواد العرب، أدرك العصرين الأموي والعباسي، دافع عن المنصور يوم الهاشمية عندما ثار عليه جماعة من خراسان، ولاه المنصور اليمن، توفي سنة (١٥١ هـ).

(انظر: الذهبي، العبر: ١/ ١٦٦، والزركلي، الأعلام ٧/ ٢٧٣).

(٢) ما بين المعقوفين من عبيد الله ١/ ٩٨، وهارون ١/ ١٤٠.

وردت الأبيات في عبيد الله بلا نسبة، وفي رسائل الجاحظ (تحقيق عبد السلام هارون): ١/ ١٤٠ بلا نسبة.

(٣) وردت الفقرة الأولىٰ من هذا الفصل في هارون: ٤/ ٢٢٠ بعنوان: رسالته في استنجاز الوعد، والمورد: ص١٩٣ بعنوان: فصل من صدر رسالته في استنجاز الوعد.

(٤) في هارون ٤/ ٢٢٠، والمورد ص١٩٣: وأظهر في أسمائكم وأسماء آبائكم.

وأجدادِكُم[١]، مِن بُرهانِ الفألِ[٢] [الحَسَنِ][٣]، ونَفي طيرَةِ السّوء[٤]، ما [جَمَعَ][٥] لكُم به صُنوفَ الأمَلِ، وصَرَفَ إلَيكم وجوهَ المَطالِب، فاجتمَعَ فيهِ ظاهِرُ القَوام[٦]، وبَراعَةُ الجَمال، والبِشرُ عندَ اللِّقاء، ولينُ الكَنَفِ للخُلَطاء، وقِلَّةُ البَذخِ بالمَرتَبَةِ الرَّفيعَة، والزِّيادَةُ في/ الإنصافِ عندَ النِّعمَةِ الحادِثَة[٧].

هذا إلىٰ صِدقِ اللَّهجَة، وإنجازِ العِدَة[٨]، واحتِمالِ الكَلّ، والنُّهوضِ بالثِّقَل، والطَّريقَةِ المُستَقيمَة، وقِلَّةِ التَّكَفي في الأخلاق، والتَّلَوُّنِ في المُعاملَة، واستِطرافِ الأصدِقاء، ومَلالَةِ النُّدَماء.

فصِرتُم علىٰ أيِّ حالٍ صادَفوكُم، وعلىٰ أيِّ سَبيلٍ ألِفوكُم، لا يَلقَونهم، إلا بِما يَستَبشِرونَ بِه، ويَسكُنونَ إلَيه، ويَتَحابّونَ عِندَهُ. فَجَعَلوا وعدَكُم مِن أكبَرِ الوَعد، وعَقدَكُم مِن أكرَمِ العَقد، وأطماعَكُم أصَحُّ من الإنجاز.

---

(١) في هارون ٤/ ٢٢٠، والمورد ص١٩٣: وفي كناكم وكنىٰ إخوانكم.

(٢) الفأل: لا يردّ المريد عمّا يريد، إنّما يقوّي مُنّته ويَسُرُّ مهجته.

(انظر: الحصري، زهر الآداب: ٢/ ٤٩٤).

(٣) ما بين المعقوفين من هارون: ٤/ ٢٢٠، والمورد: ١٩٣.

(٤) في هارون ٤/ ٢٢٠، والمورد ص١٩٣: ونفىٰ الطيرة السيئة.

طيرة السوء: مضادة للفأل، وكانت العرب ترجع إلىٰ ما تمضيها، وكان الذي يهمّ بشيء إذا رأىٰ ما يتطيّر منه رجع عنه.

(انظر: الحصري، زهر الآداب: ٢/ ٤٩٣ – ٤٩٤، واللّسان: طير).

(٥) ما بين المعقوفين من هارون: ٤/ ٢٢٠، والمورد: ١٩٣.

(٦) في هارون ٤/ ٢٢٠، والمورد ص١٩٣: فاجتمع فيكم تمام القوام.

(٧) إلىٰ هنا انتهاء ما ورد في هارون والمورد.

(٨) إنجاز العدّة: ما أعدّ لأمر يحدث مثل الأهبة. (اللّسان: عدو).

[٢٥] فصل[١]

وقد عَلِمَ المُتَصَفِّحونَ أنَّكُم تُؤيِّسونَ في مَوضِعِ اليأس، وتُطمِعون في مَوضِعِ[٢] الإطماع[٣]، وتُضَمِّنونَ في مَوضِعِ الضَّمان. وتَعلَمونَ كَيفَ تُستَبقىٰ النِّعمَة، وكَيفَ الشُّكرُ علىٰ أداءِ حَقِّها بالبِشرِ عِندَ المَسألَة، وقِلَّةِ التَّضَجُّرِ عِندَ المُعاوَدَة.

وتَوكيدُ الضَّمانِ عِندَ العِدَة، وانتِهازُ الفُرصَةِ عندَ المَقدِرَة، ويكونُ النُّجحُ المُعَجَّلُ عندَ سؤالِ السّائل، أحَبَّ إلَيكُم من العُذرِ المُصَدَّق/ . وتَرَونَ أنْ حَقَّه علَيكُم في بَذلِ وَجهِه أكثرُ مِن حَقِّكُم عَليه في تَحقيقِ أمَلِه فيكُم.

وتَعلَمونَ أنّ الأُمورَ عِندَكُم مَوزونَةٌ مُعَدَّلَةٌ مُحَصَّلَة. هذا مَعَ الصَّولَةِ والتَّصميمِ في مَكانِ التَّصميم، والتّقيةِ إذا كانَت التّقية أحزَم، والصَّفحِ إذا كانَ الصَّفحُ أكرَم، والرَّحمَةِ لِمَن استَرحِم، والعِقابِ لِمَن صَمَّم، والمَعرِفَةِ [بِفَرق][٤]ما بَينَ اعتِزامِ الغُمر[٥]، واعتِزامِ المُستَبصِر، وفَصلِ[٦] ما بَينَ اعتِزامِ الشُّجاعِ البَطَل، وبَينَ إقدامِ الجاهِلِ المُتَهَوِّر.

[٢٦] فصل[٧]

وقد عَلِمَ النّاسُ بما[٨] شاهَدوه منكُم، وعايَنوه مِن تَدبيرِكُم، وعَرَفوه مِن

---

(١) ورد هذا الفصل في هارون: ٤/ ٢٢٠ بعنوان: من رسالته في استنجاز الوعد.

(٢) في هارون ٤/ ٢٢٠: مواضع.

(٣) في هارون ٤/ ٢٢٠: الضّمان.

(٤) ما بين المعقوفين من هارون: ٤/ ٢٢٠.

(٥) اعتزام الغمر: الرّجل الذي لا تجربة له بحرب ولا أمر ولم تحنكه التّجارب. (اللّسان: غمر).

(٦) في الأصل (فضل) وهو تصحيف، وما أثبت من هارون: ٤/ ٢٢٠.

(٧) هذا الفصل تابع لما قبله، ورد الفصل في هارون ٤/ ٢٢٠ بعنوان: من رسالته في استنجاز الوعد: ٤/ ٢٢٠ - ٢٢٢.

(٨) في الأصل (ما) وما أثبت من هارون: ٤/ ٢٢٠.

تَصَرُّفِ حالاتِكُم، أنّي لم أتزَيَّد لَكُم، ولم أتَكَلَّف فيكُم ما لَيسَ عِندَكُم، وخَيرُ المَدحِ ما وافَقَ حالَ المَمدوح، وأصدَقُ الكِتابِ[١] ما شاكَلَ مَذاهِبَ المَوصوف، وشَهِدَ له العِيانُ القاهِر، والخَبَرُ المُتَظاهِر.

ومَتىٰ خالَفَ هذه الصِّفَةَ[٢] ضَرَّ المادِح، ولم يَنفَعِ المَمدوح. هَذا إلىٰ الثَّباتِ علىٰ العَهد، وإحكامِ العَقد، مع الوَفاءِ العَجيب، والرّأيِ المُصيب/ ، وإتمامُ ذلك وكَمالُه، وسَناؤه، وبَهاؤه، كَثرَةُ الشُّهودِ لكم، واجتِماعُ النّاسِ علىٰ ذلك فيكم. ومَن يَقبَلُ[٣] في نَفسِه مَديحًا لا يَعرِفُه، كانَ كَمَن مَدَحَ نَفسَه. ومَن أثابَ الكَذّابينَ علىٰ كَذِبِهم كانَ شَريكَهم في إثمِهم، وشَقيقَهم في سُخفِهم، بل كانَ المُحتَقِبَ[٤] لكَثرَةِ جَهلِه[٥]، والمُحتَمِلَ لِعَظيمِ وِزرِه[٦]؛ إذ كانَ المُثيبَ عليه، والدّاعيَ له[٧].

مَعاذَ الله أنْ نَقولَ إلاّ مَعروفًا غَيرَ مَجهول، ونَصِفَ إلاّ صَحيحًا غيرَ مَدخول، أو نَكونَ مِمَّن يَتَوَدَّدُ الكِرامَ بالمَلَق، ويتَقَحَّمُ علىٰ أهلِ الأقدارِ بالتَّزَيُّد[٨]، شَرَهًا إلىٰ مَنال[٩]، وحِرصًا علىٰ تَقريب، فأبعَدَ الله الحِرصَ والجَشَع[١٠]، وأخزىٰ الله الشَّرَهَ والطَّمَع.

---

(١) هكذا في الأصل، وحقّها أنْ تكون الصّفات لتناسب الموصوف، وهي في هارون ٤/ ٢٢١: الصّفات.

(٢) في هارون ٤/ ٢٢١: القضيّة.

(٣) في هارون ٤/ ٢٢١: قبل.

(٤) المحتقب: الحامل. (اللّسان: حقب).

(٥) في هارون ٤/ ٢٢١: لكِبَرِه مع إسقاط جهله.

(٦) في هارون ٤/ ٢٢١: المحتمل لوزره.

(٧) في هارون ٤/ ٢٢١: إليه.

(٨) ساقطة من هارون.

(٩) في هارون ٤/ ٢٢٢: مال.

(١٠) ساقطة من هارون.

[٢٧] فصل[١]

ولو[٢] لم يَكُن فيكم مِن خِصالِ الحُرّية، وخِلالِ النَّفسِ الأبية، إلاّ أنّكم لا تَدينونَ بالنِّفاق، ولا تَعتَذِرون[٣] بالكَذِب، ولا تَستَعمِلون الموارَبَةَ[٤] في مَوضِعِ الاستِبانَةَ[٥]، وبحَيثُ تُحِبُّ السّلامَة. ولا يَكونُ حَظُّ الأحرارِ منكُم/[٦] المَواعيدَ صِرفًا، ولا تَتَّكِلونَ علىٰ مَلالَةِ[٧] الطّالِب، ولا علىٰ عَجزِ الرّاغِب، واستِفراغِ مجهودِ الأمَل[٨]، إذا استُنفِدَت أيّامُه، وعَجَزَت نَفَقَتُه، وماتَت أسبابُه.

بَل يُعَجِّلونَ[٩] لهم راحَةَ اليأسِ[١٠] عند تَعَذُّرِ الأمورِ عَليكم، وتَحقيقَ أطماعِهِم عندَ إمكانِ الأُمورِ لَكم، بَل تُلَقِّنونَ الشَّفيعَ البَطي، وَتَبسُطونَ السّائلَ الغَبي[١١]، وتُعنفونَ مَن يَلبَسُ أثوابَ الغَدر.

وأَحَبُّ الإخوانِ إلَيكم مَن نَبَّهَكم عندَ مَوضِعِ التَّقصير، وعذَلَكم عندَ سوءِ

---

(١) هذا الفصل تابع لما قبله، هارون ٤/ ٢٢٥ بعنوان: من رسالة استنجاز الوعد.

(٢) في هارون ٤/ ٢٢٥: والله لو.

(٣) في هارون ٤/ ٢٢٥: ولا تعدّون.

(٤) الموارية: المداهاة والمخاتلة. (اللّسان: ورب).

(٥) في هارون ٤/ ٢٢٥: الاستقامة.

(٦) ساقطة من هارون.

(٧) ملالة: الشيء الذي برمت به. (اللّسان: ملل).

(٨) جملة «واستفراغ مجهود الأمل» ساقطة من هارون.

(٩) في هارون ٤/ ٢٢٥: تعجّلون.

(١٠) في هارون ٤/ ٢٢٥: الرّاحة.

(١١) يبسطون السّائل الغبي: البسطة: السّعة والزّيادة. (اللّسان: بسط).

التَّضييع، ثُمَّ أنتُم بَعدَ هَذا، حِسانُ الجُسوم، بل قد قارنَ[١] حُسنَ الوَجه، وحُسنَ الجِسمِ كَرَمُ الضَّريبَة[٢]، وشَرَفُ العِرق، وأعيانَ[٣] الأعراقِ الكَريمَة، والأخلاقِ الشَّريفَة.

إذا استَجمَعَت هَذا الاستِجماع، واقتَرَنَت هَذا الاقتِران، كانَ أَتَمَّ للنِّعمَة، وأبرَعَ للفَضيلَة، وكانَت الوَسيلَةُ نَحوَها أقرَب[٤]، والأسبابُ أمتَن.

[٢٨] فصل[٥]

قد اتَّفَقَ لكُم الأعراقُ الكَريمَة[٦]، والعاداتُ الجَسيمَة، حادِثٍ يَشهَدُ لِقادِمٍ[٧]، وطارِفٍ يَدُلُّ علىٰ تالِد. فإن/ كانَ الرَّئيس، إنَّما كَبُرَ بالحَسَب[٨]، فالحَسَبُ ثاقِب، والمَجدُ راسِخ.

وإن كانَ الشّأنُ في صِناعَةِ الكِتابَة[٩]، وفي القِدَمِ والرّياسَة، وفي[١٠] خَلَفٍ

---

(١) في هارون ٤/ ٢٢٥: قارن.

قان: زان. (اللّسان: قين).

(٢) كرم الضّريبة: السّجيّة والطبيعة. (اللّسان: ضرب).

(٣) في الأصل (أعان) وهو تصحيف، وما أثبت من هارون ٤/ ٢٢٥.

(٤) في هارون ٤/ ٢٢٥: أسهل.

(٥) ورد هذا الفصل في هارون ٤/ ٢٢٣ بعنوان: من رسالته في استنجاز الوعد.

(٦) في هارون ٤/ ٢٢٣: بعد أنْ يتوافىٰ إليه معاني الكرم بالأعراق الكريمة.

(٧) في الأصل (قادم) وهو تصحيف، وما أثبت من هارون ٤/ ٢٢٣.

حادث: الحديث نقيض القديم. (اللّسان: حدث).

متقادم: القديم. (اللّسان: قدم).

(٨) الحسب: المال والكرم، والشّرف الثّابت في الآباء. (اللّسان: حسب).

(٩) في هارون ٤/ ٢٢٣: الكلام.

(١٠) في الأصل (في) وما أثبت من هارون ٤/ ٢٢٣.

يأثِرُه[١] عَن سَلَف[٢]، آخِرُ يَتَلَقّىٰ عن أوَّل، فَلَكُم فيه ما لا يَذهَبُ عنه جاهِل[٣]، ولا يَستَطيعُ جَحدَه مُعانِد.

[٢٩] فصل[٤]

ورأيتُ النّاسَ يَستَحِبّون أنْ يَسمعَ الباغي[٥] يا واجِد[٦]، والمَريضُ يا سالم[٧]، والـمُتَشوِّقُ يا قادِم[٨]. وأسماؤكُم وكُناكُم بَينَ فَـرَجٍ وَنُجح، وسَلامَةٍ[٩] وفَضل. ووجوهُكم وَفقَ أسمائكم. وأخلاقُكم وَفقَ أعراقِكم، فَلَم يَضرِب التَّفاوتُ فيكُم بِنَصيب، ولا شَرَعَ فيكُم بحَظٍّ[١٠].

---

(١) في الأصل (ثائر) ولا وجه لها، وما أثبت من هارون ٤/ ٢٢٣.

(٢) الخلف: الولد الصّالح يبقىٰ بعد الإنسان. (اللّسان: خلف).

السّلف: الجماعة المتقدّمون من الآباء والأقارب. (اللّسان: سلف).

(٣) في هارون ٤/ ٢٢٣: جاحد.

(٤) ورد هذا الفصل في هارون ٤/ ٢٢٣ بعنوان من رسالته في استنجاز الوعد.

(٥) الباغي: الذي يخرج علىٰ الإمام.

(انظر: ابن بابويه القمّي، أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١هـ/ ١٠٠٣م)، معاني الأخبار، (تحقيق محمّد مهدي السّيّد حسن الخراسان)، منشورات المطبعة الحيدريّة، النّجف، ١٩٧١م: ١/ ٢٠٥).

(٦) واجد: الذي يجد ما يقضي به دينه. (اللّسان: وجد).

(٧) يا سالم: من السّلامة والعافية. (اللّسان: سلم).

(٨) ابتداء ما جاء في هارون ٤/ ٢٢٣.

(٩) في هارون ٤/ ٢٢٣: بني سلامة.

(١٠) ساقطة من هارون.

[٣٠] فصل[١]

وبَـعد[٢]؛ فإنّي [قد][٣] تَـصَفَّحتُ أخلاقَـك، وتـذَكَّرتُ[٤] أعراقَـك[٥]، وتأمَّـلتُ[٦] شيمَـك، ووَزَنتُـكَ فَعَـرَفتُ مقـدارَك، وقَـوَّمتُـكَ فعَـلِمتُ قيمَتَـك، فوَجَدتُـكَ قد ناهَزتَ الكَمال، وأوفَيتَ علىٰ التَّمام، وتوَقَّلتَ[٧] في دَرَجِ الفَضائل، وكِـدتَ تَـكونُ مُـنـقَطِعَ القَـرين، وقارَبتَ أنْ تُـلفَىٰ/ عَديمَ النَّـظَير[٨]، لا يَـطمَعُ فاضِلٌ أنْ يَفوقَك[٩]، ولا يأنَفُ شَريفٌ أنْ يَقصُرُ دونَك، ولا يَخشَعُ عالِمٌ أنْ يأخُذَ عنك.

---

(١) ورد هذا الفصل في عبيد الله: ١/ ٩٧ بعنوان: رسالة في كتمان السرّ وحفظ اللّسان، وهارون: ١/ ١٣٩، بعنوان: كتاب كتمان السر وحفظ اللسان، والحاجري: ص١٩٨ بعنوان: رسالة في كتمان السرّ وحفظ اللّسان.

(٢) في عبيد الله ١/ ٩٧، وهارون ١/ ١٣٩: أما بعد.

(٣) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص١/ ٩٧، وهارون ١/ ١٣٩.

(٤) في عبيد الله ١/ ٩٧، وهارون ١/ ١٣٩، والحاجري ص١٩٨: تدبرت.

(٥) الأعراق: الشرف، والّذي له عرق في الكرم. (اللّسان: عرق).

(٦) في الأصل (وأملت) وهو تصحيف.

وما أثبت من عبيد الله ١/ ٩٧، وهارون ١/ ١٣٩، والحاجري ص١٩٨.

(٧) التوقل: الصعود، وقيل الإسراع في الصعود. (اللّسان: وقل).

(٨) في الأصل (النظر). وما أثبت من عبيد الله ١/ ٩٧، والحاجري ص١٩٨.

(٩) في عبيد الله ١/ ٩٧، وهارون ١/ ١٣٩، والحاجري ص١٩٨: يفوتك.

[٣١] فصل[١]

قد عَرَفتُكَ [أكرمك الله][٢] في أيّامِ الحَداثَة، وحيثُ سُلطانُ اللَّهوِ[٣] المُخلِقِ[٤] للأعراض، أغلَبُ على نُظَراتك[٥]. وسُكرُ الشَّبابِ والجِدَةِ[٦] المُتَحيفَينِ[٧] للدّينِ والمُروءَة، يستَولي[٨] على لِداتك[٩]. واختَبِرتَ[١٠] أنتَ وهُم بِبَسطِ القُدرَة[١١]، وحُمَيّا الحَداثَة، وطولِ[١٢] الجِدَة[١٣]، مع ما تَقدَّمَتهم فيه[١٤] من الوَسامَةِ في الصّورَة، والجَمالِ في الهَيئة.

---

(١) ورد هذا الفصل في عبيد الله: ١/ ٦٩ – ٧١ بعنوان: رسالة المعاش والمعاد أو الأخلاق المحمودة والمذمومة كتب بها إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد، وهارون: ٤/ ٦٩ – ٧٢ بعنوان: رسالة المعاش والمعاد أو الأخلاق المحمودة والمذمومة كتب بها إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد، والحاجري ص١٢٢ – ١٢٥ بعنوان: رسالة المعاد والمعاش.

(٢) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص١/ ٦٩، وهارون: ٤/ ٦٩، والحاجري ص١٢٢.

(٣) في هارون ٤/ ٦٩: الهوىٰ.

(٤) في هارون ٤/ ٦٩: المخلّط.

(٥) في عبيد الله ١/ ٦٩: نظراتك.

(٦) الجدة: الغنىٰ.

(٧) المتحيفين: تحيفت الشيء أي تنقصته.

(٨) في عبيد الله ١/ ٦٩، وهارون ٤/ ٦٩، والحاجري ص١٢٢: مستول.

(٩) لداتك: أترابك الذين ولدوا معك. (اللّسان: ترب).

(١٠) في عبيد الله ١/ ٦٩، والحاجري ص١٢٢: فاختبرت.
وفي هارون ٤/ ٧٠: ففقتَهم.

(١١) في عبيد الله ١/ ٦٩، وهارون ٤/ ٧٠، والحاجري ص١٢٢: ببسطة المقدرة.

(١٢) في هارون ٤/ ٧٠: فضل.

(١٣) في هارون ٤/ ٧٠: الجدة.
الحدّة: النّشاط والسّرعة في الأمور. (اللّسان: حدّد).

(١٤) في هارون ٤/ ٧٠: به.

وهذه كُلُّها[١] أسبابٌ تَكادُ توجِبُ[٢] الانقيادَ للهَوىٰ، ولُجَجِ المَهالِك[٣]، التي لا يَسلَمُ منها إلا المُنقطِعُ القَرين، في صِحَّةِ الفِطرَة، وكَمالِ العَقل. فاستَعبَدتهم الشَّهَواتُ حتّىٰ أعطَوها أزِمَّةَ أديانِهم، وسَلَّطوها علىٰ مُروءتِهم[٤]، وأباحوا أعراضَهم، فآلَت بأكثَرِهم الحالُ إلىٰ ذُلِّ العَدَم، وفَقدِ عِزِّ الغِنىٰ في العاجِل، مع النَّدامَةِ الطَّويلَة، والحَسرَةِ في الآجِل.

وخَرَجتَ نَسيجَ وَحدِك، أوحَديًّا[٥] في نَفسِك، حَكَّمتَ وكيلَ الله عندَك وهو/ عقلك علىٰ هَواك، وألقَيتَ [إليه][٦] أزِمَّةَ أمرِك، فسلَكَ بِك طُرُقَ[٧] السَّلامَة، وأسلَمَكَ إلىٰ العاقِبَةِ[٨] المَحمودَة، وبَلغَ بكَ مِن نَيلِ اللذّاتِ إلىٰ[٩] أكثَرَ مِمّا بَلَغوا، وصَرَّفَكَ من صُنوفِ الشَّهَواتِ[١٠] في أكثَرَ مِمّا تَصَرَّفوا، ورَبَطَ عَليكَ من نِعَمِ الله التي خَوَّلكَ[١١] ما

(١) ساقطة من هارون.

(٢) في هارون ٤/ ٧٠: أنْ توجب.

(٣) في عبيد الله ١/ ٦٩، والحاجري ص١٢٢: ولجج من المهالك.

وهارون ٤/ ٧٠: تلجج في المهالك.

(٤) في عبيد الله ١/ ٦٩، وهارون ٤/ ٧٠، والحاجري ص١٢٢: مروءاتهم.

(٥) أوحدياً: جُعِل واحد زمانه. (اللّسان: وحد).

(٦) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٧) في عبيد الله ١/ ٧٠، وهارون ٤/ ٧٠، والحاجري ص١٢٣: طريق.

(٨) في الأصل (العافية).

وما أثبت من عبيد الله ١/ ٧٠، وهارون ٤/ ٧٠، والحاجري ص١٢٣.

(٩) ساقطة من عبيد الله والحاجري.

(١٠) في عبيد الله ١/ ٧٠، وهارون ٤/ ٧١، والحاجري ص١٢٣: النعم.

(١١) في الأصل (خولوك) وهو تصحيف.

وما أثبت من عبيد الله ١/ ٧٠، وهارون ٤/ ٧١، والحاجري ص١٢٣.

أطلَقَه مِن أيديهم، إيثارُ اللَّهو وتَسليطُهم الهَوىٰ [علىٰ أنفُسِهم][١]، فخاضَ بِهم تلكَ اللُّجَج[٢]، واستَنقَذكَ مِن تلك المَعاطِب، فأخرَجَكَ سَليمَ الدّينِ [وافِرَ][٣] المُروءَة، نَقي العِرض، كَثيرَ الثَّراءِ[٤] من[٥] الجِدَة[٦]، وذلك سَبيلُ مِن كانَ مَيلُه إلىٰ [الله][٧] أكثَرَ مِن مَيلِه إلىٰ هَواه.

فَلَم أزَل أبقاكَ اللهُ[٨] في أحوالِكَ كُلِّها، بفَضيلَتِكَ عارِفًا، ولكَ بنِعمَةِ[٩] الله عندَكَ غابِطًا، أرىٰ ظَواهِرَ أُمورِكَ المَحمودَة، فتَدعوني إلىٰ الانقِطاعِ إليك، وأسأَلُ عَن بَواطِنِ أحوالِك، فتَزيدُني رَغبَةً في الاتِّصالِ بك، ارتيادًا منّي لِمَوضِعِ الخيرَةِ في الأُخوَّة، والتِماسًا منّي[١٠] لإصابَةِ المُصطَفىٰ[١١] في المَوَدَّة، وتَخيُّراً لمُستَودَعِ الرَّجاءِ في النّائبَة.

فلَـمّا مَـحَصَتكَ[١٢] الخِبرَة، وكَشَفَكَ[١٣] الابتِلاءُ عن المَحمَدَة، وقَضَت لَك

---

(١) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص١/ ٧٠، وهارون: ٤/ ٧١، والحاجري ص١٢٣.

(٢) في عبيد الله ١/ ٧٠: فخاض لهم سبل تلك اللجج.

(٣) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص١/ ٧٠، وهارون: ٤/ ٧١، والحاجري ص١٢٣.

(٤) في هارون ٤/ ٧١: الشراء.

(٥) في عبيد الله ١/ ٧٠، وهارون ٤/ ٧١: بين.

(٦) في الحاجري ص١٢٣: كثير البر آمن الجدة.

(٧) في الأصل (إليّ) وما أثبت من عبيد الله ١/ ٧٠، وهارون ٤/ ٧١.

(٨) الجملة المعترضة ساقطة من الحاجري.

(٩) في عبيد الله ١/ ٧٠، وهارون ٤/ ٧١، والحاجري ص١٢٣: بنعم.

(١٠) ساقطة من عبيد الله وهارون.

(١١) في عبيد الله ١/ ٧٠، وهارون ٤/ ٧١، والحاجري ص١٢٣: الاصطفاء.

(١٢) في الأصل (محضتك) وما أثبت من هارون ٤/ ٧١.

(١٣) في هارون ٤/ ٧١: كشف.

التَّجارِبُ بالتَّقدِمَة، وشَهِدَت لكَ قُلوبُ العامَّةِ بالقَبولِ والمَحَبَّة، وقَطَعَ الله عُذرَ/ مَن كانَ يَطلُبُ الاتِّصالِ بك؛ طَلَبتُ الوَسيلَةَ إليك، والاتِّصالَ بحَبلِك، ومَتَتُّ[1] بحُرمَةِ الأدَبِ وذِمامِ كَرَمِك.

فكَانَ[2] مِن نِعمَةِ الله عندي أنْ جَعَلَ أبا فُلانٍ[3] حَفِظَه الله وسيلَتي إلَيك، فوَجَدتُ المَطلَبَ سَهلاً، والمَرامَ[4] محمودًا، وقَضَيتَ[5] إلىٰ ما يَجوزُ الأُمنية، ويُقَرِّبُ[6] الأمَل. فوَصَلتَ إخائي بمَوَدَّتِك، وخَلَطتَني بنَفسِك، وأسَمتَني[7] في مَراعي ذَوي الخاصَّةِ بك، تَفَضُّلاً لا مُجازاةً، وتَطَوُّلاً لا مُكافاةً، فأمِنتُ الخُطوب، واعتَلَيتُ علىٰ الزَّمان؛ فاتَّخَذتُكَ[8] للأحداثِ عُدَّةً، ومِن نَوائبِ الدَّهرِ حِصنًا مَنيعًا.

فلَمّا حُزتُ[9] المُؤانَسَة، وتَقلَّبتُ مِن فَضلِكَ في صُنوفِ النِّعمَة، وزادَ بَصَري في مَذاهِبكَ[10] في السُّرورِ والحَبرَة[11]؛ أرَدتُ خِبرَةَ المُشاهَدَة، فبَلَوتُ[12] أخلاقَك،

---

(١) في الحاجري ص١٢٤: فمتت. متت: تقربت إليك. (اللّسان: متت).

(٢) في هارون ٤/ ٧٢، والحاجري ص١٢٤: وكان.

(٣) أبو فلان مجهول.

في عبيد الله ١/ ٧٠، وهارون ٤/ ٧٢، والحاجري ص١٢٤: أبو عبد الله. وقال هارون في الحاشية: الظّاهر أنّه أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد.

(٤) في عبيد الله ١/ ٧٠، وهارون ٤/ ٧٢، والحاجري ص١٢٤: المراد.

(٥) في عبيد الله ١/ ٧٠، وهارون ٤/ ٧٢، والحاجري ص١٢٤: وأفضيت.

(٦) في عبيد الله ١/ ٧٠، وهارون ٤/ ٧٢، والحاجري ص١٢٤: ويفوت.

(٧) أسمتني: من سامت الإبل بمعنىٰ رَعَت، والمقصود هنا جعله علىٰ أمور الخاصة. (اللّسان: سوم).

(٨) في هارون ٤/ ٧٢، والحاجري ص١٢٤: واتخذتك.

(٩) في هارون ٤/ ٧٢: جرت.

(١٠) في هارون ٤/ ٧٢، والحاجري ص١٢٤: زاد تصرفي في مواهبك.

(١١) الحبرة: السّرور. (اللّسان: حبر).

(١٢) بلوت: اختبرت. (اللّسان: بلا).

وامتَحَنتُ شيمَك، وعَجَمتُ[١] مَذاهِبكَ علىٰ حينِ غَفَلاتِك، وفي الأوقاتِ التي يَقِلُّ فيها تَـحَفُّظُك، أُراقِبُ[٢] حَرَكاتِك، وأُراعي[٣] مَخارِجَ أمرِكَ ونَهيك، وأرىٰ[٤] مِن استِصغارِكَ لِعَظيمِ النِّعمَةِ[٥] التي تَنعُمُ بِها، واستِكثارِكَ[٦] لقَليلِ الشُّكرِ/ مِن شاكِرِيك؛ ما أعرِفُ به ما[٧] قد بَلَوتُ مِن غَيرِك، وما قد شَهِدت به لي[٨] التَّجارِب. أنّ ذلك مِنكَ غَيرُ تَكَلُّف[٩]، هَيهاتَ ما يَكادُ ذو التَّكَلُّفِ يَخفىٰ[١٠] علىٰ الغُباة. فكَيفَ علىٰ مِثلي من المُتَصَفِّحين؟

[١١] فَزادَتني المُؤانَسةُ فيكَ رَغبَةً، وطولُ العِشرَةِ لَكَ مَحَبَّةً، وامتِحانُ أفاعيلِكَ لكَ تَفضيلاً[١٢]، وبطاعَتِكَ دَينونَةً[١٣].

وكانَ تَمامُ شُكري لِرَبّي ولِي كُلّ نِعمَة، والمُبتَدِئ بكُلِّ إحسان، الشُّكرَ لك، والقيامَ بِمُكافأتِك، بما أمكَنَ مِن قَولٍ وفِعل؛ لأنَّ الله [تَبارَكَ وتَعالىٰ][١٤] نَظَمَ الشُّكرَ له

(١) عجمت: امتحنت. (اللّسان: عجم).

(٢) في عبيد الله ١/ ٧١، وهارون ٤/ ٧٢، والحاجري ص١٢٤: أراعي.

(٣) في عبيد الله ١/ ٧١، وهارون ٤/ ٧٢، والحاجري ص١٢٤: أراقب.

(٤) في عبيد الله ١/ ٧١، وهارون ٤/ ٧٢: فأرىٰ.

(٥) في عبيد الله ١/ ٧١، وهارون ٤/ ٧٢: النعم.

(٦) في عبيد الله ١/ ٧١: استنكارك.

(٧) في عبيد الله ١/ ٧١، وهارون ٤/ ٧٢، والحاجري ص١٢٤: وبما.

(٨) في عبيد الله ١/ ٧١، وهارون ٤/ ٧٢، والحاجري ص١٢٤: لي به.

(٩) جملة (أنّ ذلك منك غير تكلّف) ساقطة من عبيد الله.

(١٠) في عبيد الله ١/ ٧١: أنْ يخفىٰ.

(١١) انتهاء ما جاء في هارون وما تبقّىٰ غير موجود.

(١٢) في عبيد الله ١/ ٧١: وامتحاني أفاعيلك تفضيلا.

(١٣) دينونة: عادة. (اللّسان: دين).

(١٤) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص١/ ٧١، وساقطة من الحاجري.

بالشُّكرِ لِذَوي[١] النِّعَمِ مِن خَلقِه، وأبىٰ إلا[٢] أنْ يَقبَلَهُما مَعًا[٣]؛ لأنَّ أحَدَهُما دَليلٌ علىٰ الآخَرِ ومَوصولٌ[٤] به، فَمَن ضَيَّعَ شُكرَ ذي نِعمَةٍ [من الخَلق][٥]، فأمرَ الله ضَيَّع، وبِشَهادَتِه[٦] استَخَفّ[٧].

لقد جاءَ بذلك الخَبرُ عن الطّاهِرِ الصّادِقِ ﷺ[٨]: «مَن لَم يَشكُرِ النّاسَ لَم يَشكُرِ الله»[٩].

ولَعَمري إنّ ذلك لَمَوجودٌ في الفِطرَة، قائمٌ في العَقل؛ أنّ مَن كَفَرَ بنِعَمِ الخَلق، كانَ لنِعَمِ الله أكفَر؛ لأنَّ الخَلقَ يُعطي بَعضُهم بَعضًا بالكُلفَةِ والمَشَقَّةِ وثِقَلِ[١٠] العَطيةِ علىٰ القُلوب، والله يُعطي بلا كُلفَة. ولهذه العِلَّةِ جَمَعَ بَينَ الشُّكرِ/ له، والشُّكرِ لذَوي النِّعَمِ مِن خَلقِه.

---

(١) في عبيد الله ١/ ٧١: لذي.

(٢) ساقطة من عبيد الله والحاجري.

(٣) في عبيد الله ١/ ٧١: إلا معا.

(٤) في عبيد الله ١/ ٧١: وموصول.

(٥) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص١/ ٧١، والحاجري ص١٢٥.

(٦) في عبيد الله ١/ ٧١: وبشاهده.

(٧) إلىٰ هنا انتهاء ما ورد في الحاجري.

(٨) في عبيد الله ص١/ ٧١ «فقال ﷺ».

(٩) الحديث «التّحدّث بنعمة الله شكرٌ، وتركها كفرٌ، ومَن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير، ومَن لا يشكر النّاس لا يشكر الله، والجماعة بركة، والفرقة عذاب».

(انظر: المتّقي الهندي، كنز العمّال: ٣/ ٢٥٥، الحديث رقم ٦٤١٨، والهيتمي، مجمّع الزّوائد: ٨/ ٣٣١، الحديث رقم ١٣٦٣٩).

(١٠) في عبيد الله ١/ ٧١: وثقل.

فَلَمّا وَجَبَت عليَّ الحُجَّةُ بشُكرِك، وقُطِعَ عُذري في مُكافأتِك، اعتَرَفتُ بالتَّقصيرِ عن [تَقَصّي][١] بَعضِ ذلك؛ إلاّ أنّي [بَسَطتُ لِساني][٢] بتَقريظِكَ ونَشرِ محاسِنِك، مَوصولٌ ذلك عندي[٣] لآذانِ[٤] السّامِعين، بالاعتِرافِ بالعَجزِ عَن إحصائها.

وقد رويَ عنِ النَّبي[٥] ﷺ أنَّهُ قال: «مَن أودِعَ عُرفًا فَليَشكُره، فإن لم يُمكِنه فَليَنشُره، فإذا نَشَرَه فقَد شَكَرَه، وإذا كَتَمَه فقد كَفَرَه»[٦].

[٣٢] فصل[٧]

[وأنتَ][٨] واللهِ تَعلمَ عِلمَ الاضطِرار[٩]، وعِلمَ الاختيار[١٠] [وعِلمَ

(١) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص١/ ٧١.

(٢) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل. جملة «إلاّ أنّي بسطت لساني» ساقطة من عبيد الله.

(٣) في عبيد الله ١/ ٧١: مني.

(٤) في عبيد الله ١/ ٧١: عند.

(٥) في عبيد الله ١/ ٧١: عن رسول الله.

(٦) الحديث «من أولىٰ معروفاً فليذكره، فمن ذكره فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره».
(انظر: المتقي الهندي، كنز العمّال: ٦/ ٤٦٥، الحديث رقم ١٦٥٧١، والهيتمي، مجمع الزّوائد: ٨/ ٣٣٢، الحديث رقم ١٣٦٤٢).

(٧) ورد الفصل في هارون: ٣/ ١٠٠ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير، وبيلا: ص٧١، والمبرّد: ص٤٨ –٤٩، ٨٦ –٨٧ بعنوان: رسالة التربيع والتدوير.

(٨) ما بين المعقوفين من هارون: ٣/ ١٠٠، والمبرّد: ص٨٦.

(٩) الاضطرار: الاحتياج إلىٰ الشيء وقد اضطر إليه. (اللّسان: ضرر).

(١٠) جاء في البصائر والذخائر «من الاضطرار يكون الاختيار، وليس من الاختيار أنْ يكون الاضطرار، وكأنّ الاضطرار موجبٌ للاختيار في كونه اختيارًا، وليس الاختيار موجبًا للاضطرار في كونه اضطرارًا، لأنّ الاضطرار من سِنخ العالم وسُوسه، والاختيار من حشو العالم وغروسه».
(انظر: التوحيدي، البصائر والذخائر: ٣/ ١٥٢).

الأخبار][١]، أنّي لَم أرَ أنفَذَ[٢] عَقلاً[٣]، وأظهَرَ حَزمًا[٤]، وألطَفَ كَيدًا، وأكثَرَ عِلمًا، وأوزَنَ حِلمًا، وأخَفَّ روحًا، وأكرَمَ عَينًا، وأقَلَّ عَيبًا[٥]، وأحسَنَ قَدرًا[٦]، وأبعَدَ غَورًا، وأجمَلَ وَجهًا، وأنصَعَ طَرفًا، وأكثرَ مُلَحًا[٧]، وأضحَكَ سِنًّا[٨]، وأنطَقَ لِسانًا، وأحسَنَ بَيانًا، وأوضَحَ بُرهانًا[٩]، وأجهَرَ جَهارَةً، وأتَمَّ إشارَةً منك[١٠].

فَلا تَعجَب أيُّها السّامِع؛ فإنّي أصِفُه لَكَ في الجُملَةِ والتَّفاريق؛ فأمّا في التَّفاريق، فكأنَّ عُنُقَه إبريقُ فِضَّة، وقَدَمَه لِسانُ حَيَّة، وكأنَّ عَينَه ماوية، وبَطنَه قِبطية، وساقَه/ بَردية، ولسانَه وَرَقَة، وأنفَه حَدُّ سَيف، وكأنَّ حاجِبَه خُطَّ بقَلَم، وكأنَّ لَونَه الذّهب، وكأنّ عَوارِضَه البرَد[١١]. وكأنّ فَمَه خاتَم، وجَبينَه هِلال. وكأنّ وَجهَه دينارٌ هِرَقلي[١٢]. فأمّا في الجُملَة، فكأنه الشَّمس، وكأنه القَمَر، وكأنه دارَةُ

---

(١) ما بين المعقوفين من هارون: ٣/ ١٠٠، وبيلا ص٧١، والمبرّد: ٨٦.

(٢) في بيلا ص٧١: أشد.

(٣) جملة (أني لم أر أنفذ عقلاً) ساقطة من هارون وبيلا والمبرّد.

(٤) في هارون ٣/ ١٠٠: أظهر منك عزمًا.

والمبرّد ص٨٦: أظهر منك حربا.

(٥) في هارون ٣/ ١٠٠: أقل غثًا.

والمبرّد ص٨٦: وأقل غشا.

(٦) في هارون ٣/ ١٠٠، والمبرّد ص٨٦: أحسن قدّاً.

(٧) المِلح: الملاحة. (اللّسان: ملح)..

(٨) جملة (وأضحك سنّا) ساقطة من هارون وبيلا والمبرّد.

(٩) جملة (وأوضح برهانًا) ساقطة من هارون وبيلا والمبرّد.

(١٠) في هارون ٣/ ١٠٠، والمبرّد ص٨٦: وأحسن شارة.

(١١) البرد: حب الغمام أو السّحاب. (اللّسان: برد).

(١٢) دينار هرقلي: المثقال من الذّهب يسمّىٰ دينارًا، والدّينار الهرقلي ذهبه من أحسن الذّهب، وكان يضرب المثل بجمال الدّنانير الهرقليّة، وهرقل ملك الرّوم أوّل من ضرب الدّنانير المنسوبة إليه. =

القَمَر[١]، وكأنه المُشتَري، وكأنه الزُّهَرَةُ[٢] والدُرَّة، وكأنه غَمامة، وكأنه صَفيحَةٌ[٣] يمانية، وسَيفٌ هِندواني[٤]، وكأنه رُمحٌ رُدَيني[٥]، وكأنه غُصنُ بان[٦]، وكأنه قَضيبُ خَيزُران[٧]، وكأنه جَدلَةُ عِنان[٨]، وكأنه خوطُ[٩] بان، وكأنه خُرصُ آس[١٠]، وكأنه جانّ[١١][١٢].

= (انظر: الأب أنستاس الكرملي، رسائل في النّقود العربيّة والإسلاميّة وعلم النّميّات: ص٣٠، ١٧٧).

(١) دارة القمر: التي حول القمر، وهي الهالة. (اللّسان: دور).

(٢) الزّهرة: نور كلّ نبات، وقيل هو النّور الأبيض. (اللّسان: زهر).

(٣) الصفيحة: السيوف العريضة. (اللّسان: صفح).

(٤) سيف هندوانيّ: مصنوع في بلاد الهند، والهند مدينة في جزيرة العرب تُنسب إليها السّيوف. (اللّسان: هند).

(٥) رمح ردينيّ: الرّمح المنسوب لإمرأة يقال لها ردينة. (اللّسان: ردن).

(٦) غصنبان: البان: شجر يسمو ويطول في استواء، وله هدب شديد الخضرة، وثمرتها تشبه قرون اللوبياء إلا أنْ خضرتها شديدة، وهنا دلالة علىٰ طول الممدوح. (اللّسان: بين).

(٧) الخيزران: نبات لين القضبان أملس العيدان. (اللّسان: خزر).

(٨) عنان: حبل. (اللّسان: عنن).

(٩) الخوط: الغصن الناعم. (اللّسان: خوط).

(١٠) خرص: غصن. (اللّسان: خرص).

آس: ضرب من الرّياحين وخضرته دائمة أبدًا. (اللّسان: أسس).

(١١) جان: حيّة كحلاء العينين تضرب إلىٰ الصّفرة، لا تؤذي، تعيش في بيوت النّاس. (اللّسان: جنن).

وردت هذه الفقرة في هارون ٣/ ٦٤، وبيلا ص٢١، والمبرّد ص٤٨ – ٤٩ كالتالي: «والنّاس وإن قالوا في الحسن: كأنّه طاقة ريحان، أو خُوط آس، وكأنّه قضيب خيزران، وكأنّه غُصن بان، وكأنّه رمح ردينيّ، وكأنّه صفيحة يمان، وكأنّه سيف هندوانيّ، وكأنّه جان، وكأنّه جَدل عنان، فقد قالوا: كأنّه المُشتري، وكأنّه وجهه دينار هرقليّ، وما هو إلا البحر، وما هو إلا الغيث. وكأنّه الشّمس، وكأنّها دارة القمر، وكأنّها الزّهرة، وكأنّها دُرّة، وكأنّها غمامة، وكأنّها مهاة».

(١٢) إلىٰ هنا انتهاء ما جاء في هارون والمبرّد.

هذا مَبلَغُ ما قَسَمَ الله له من المَحبَّة، ومَنحه من المِقة[١]، وألبَسه من الجمال، وسَلَّمَه من المَذَمَّة، وقد والله عافىٰ الله بك، وابتَلىٰ وأنعَمَ وانتَقم، فتَرَجّىٰ لِمَن زَهِدَ فيك، وسُقيًا لمن رَغِبَ فيك، والوَيلُ لِمَن جَهِلَ فَضلَك، بل الوَيلُ لِمَن أنكرَ قَدرَك.

[٣٣] فصل[٢]

كَيفَ يَقَعُ الاستِثقالَ علىٰ مَن هو أرَقُّ من النَّسيم، وأخَفُّ/ من الهَواء، وأدَقُّ مَسلَكًا من النّار، وأعذَبُ من الماءِ الزُّلال. وهو مَعدِنُ الفِطنَة، ويَنبوعُ المَعرِفَة، ومُستَنبَطُ الذَّكاء، وداهيةُ الدَّهياء.

ومَن لا يَقولُ قَطُّ بعدَ مُخاصَمَتِه، وطولِ مُنازَعَتِه: لَو كُنتُ قُلتُ كذا لكانَ أمثَل، ولَو لَم أكُن قُلتُ كذا لكانَ أفضَل، ومَن تَتَجلّىٰ له أواخِرُ حُجَّتِه مع أوّلِ خَواطِرِه، ومَن لا تَزالُ مَوارِدُه علىٰ وَزنِ مَصادِرِه، وآخِرُ فِكرِه كأوَّلِ بَداهَتِه.

وكَيفَ يَجهَلُ مَواضِعَ الاستِثقالِ مِن مَواضِعِ الاستِخفاف[٣]، مَن يُعرَفُ بالتَّجرِبَة، ومَن قد جَمَعَ الفَخامَـةَ والحَلاوَةَ والنُّسُكَ والفُتوَّةَ والظَّرف، ومَن يُعطي الانقِباضَ[٤] نَصيبَهُ الأوفر، كَما يُعطي الاستِرسالَ حَقَّهُ الموظَّف، ويُعطي صَديقَه النّافِلَة، ولا يَسألَهُ الفَريضَة؛ ولذلِكَ يَستَحِقُّ كُلَّ تَفَضُّلٍ في الخَلقِ والخُلُق، وفي العَزيمَةِ والفَضل.

---

(١) المقه: الحب. (اللسان: مقه).

(٢) ورد هذا الفصل في هذه الدّراسة ص١٢٥.

(٣) من قوله «كيف يقع الاستقال علىٰ من هو أرق من النسيم...» إلىٰ قوله «عن مواضع الاستخفاف» وردت في ص١٢٦ من هذا الكتاب وهي من الفقرات التي تكرّرت.

(٤) الانقباض: سرعة الانكماش. (اللّسان: قبض).

[٣٤] فصل[١]

فأمّا التَّعَجُّبُ مِن مَناقِبك[٢]، فقد نَسَخَه تَواتُرها[٣]، فَصارَت كالشَّيءِ القَديم، قد بُئي به[٤]، لا كالبَديعِ[٥] يُتَعَجَّبُ منه. وأما ما يَحدُثُ لَكَ ولا نَخلو منه؛ إذ كُنّا نَعتَدُّ بسَعادَةِ/ جَدِّك، وإن كُنتَ كَما تَقولُ العامَّةُ لا يَكذِبُ المُثني عَليك.

[٣٥] فصل[٦]

وأما ذِكرُ فَضائلِ والِدِك، وأباكَ الذي أشرَقَ بفضلِه قَلبي إشراقًا، وسَقَطَ الشَّكُّ فيه عَن نَفسي، فإنّي لَو وَصَلتُ بألسُنِ البَشَرِ لِذِكرِه، لتَناهىٰ في الفَراغِ من الثَّناء عليه، فأنا مُرتَطِمٌ[٧] في لُجَّةِ بَحرِ التَّقصيرِ عِن كُنهِه[٨]، وليسَ إقراري بِما أقرَرَتُ به منَ العَجزِ عَن دَرَكِ بُلوغِه، بمانِعيّ مِن تَتابُعِ الإطنابِ فيه بقَدرِ طاقَتي، واجتِهادي مِن نَشرِ مَناقِبه.

وكَيفَ وإنّي السَّبيلُ إلىٰ تَفضيلِه بالكَرَم، ولَستُ رائيا مَنزِلَةَ فَضلٍ أنسِبُها إليه، إلا وَجَدتُها في الفَضلِ دونَه، ووَجَدتَني مُذَبذَبًا حَيرانَ بَينَ مَسالكِ فَضائله، ولا أنا نائلٌ صِفَةَ باهِرِ فَضلِه، ولا طَيِّبَةٌ نَفسي عَنِ الإمساكِ عَن تَفريطٍ فيه.

---

(١) هذا الفصل جديد لم ينشر من قبل.
(٢) مناقبك: أخلاقك. (اللّسان: نقب).
(٣) نسخه: النّسخ هو أنْ تزايل أمرًا كان من قبل يُعمل به ثمّ تنسخه لحادث غيّره. (اللّسان: نسخ).
تواترها: تتابعها. (اللّسان: وتر).
(٤) بئي به: فخر به. (اللّسان: بأي).
(٥) البديع: المحدَث والنبتدع. (اللّسان: بدع).
(٦) هذا الفصل جديد لم ينشر من قبل.
(٧) مرتطم: أي أوحله في أمر لا يخرج منه. (اللّسان: رطم).
(٨) الكنه: جوهر الشيء. (اللّسان: كنه).

فَلَمّا ميَّلتُ الرّأيَ بَينَ النُكوصِ[١] عَن مَديحِه، وبَينَ التَّشَجُّعِ الّذي لا توضَعُ الكُتُبُ إلاّ به، أحبَبتُ أنْ أُحَلّي كِتابي مِن كَلِماتٍ أُتَمِّمُ بِهِنَّ مَناقِبَه، وإن كُنتُ مُقصِّرًا عَن كُنه فَضائلِه.

وماذا عَسىٰ أنْ أقولَ فيمَن تُنازِعُني مُتَناظِراتُ مَحاسِنِه؛ حتّىٰ بَقيتُ لا أدري بادي مَعنًىٰ مِنها أبداً؛ مِن/ صِفَتِه مع خَوفي أنْ لا يَقَعَ قَولي مِن سامِعِه مَواقِعَ التَّصديق؛ إذ كُنتُ واصِفًا مَن لا يُمكِنُهم في الأُنسِ وجودُ مِثلِه، وأينَ؟ ولا أينَ لهم أنْ يَجِدوا نَظيرَه، وهو الذي تَسَربَلَ[٢] النُّهىٰ، وارتَدىٰ بالتُّقىٰ، وتَعَطَّفَ[٣] بالحِجىٰ، وائتَزَرَ بالحِكَم، وتَتَوَّجَ بالوَقار، وتَطَبَّعَ بالجود، وتَنبَّلَ في المَجد، واغتَذىٰ بالكَرَم، ووَشَّحَ باللُّبّ، وحَكَمَ بالفَصل، ونَطَقَ بالعَدل، ورَسَخَ في الفَضل؛ فماءُ الحَياءِ مُنحَدِرٌ مِن أسِرَّةِ وَجهِه، وأغصانُ الدَّماثَةِ مُشتَمِلَةٌ علىٰ أعطافِ شَمائلِه، وسَماءُ السَّخاءِ مَطيرَةٌ مِن فُروجِ أنامِلِه، ولآلئُ العِلمِ مُتَناثِرَةٌ مِن بلاغاتِ مَنطِقِه؛ تَراهُ مُتَبَسِّمًا عَن سِنِّ المَوَدَّة، وقَلبُه باكٍ بعَينِ الرَّأفَةِ والرَّحمَة. لَيسَت له دونَ النَّزاهَةِ بُهمَةٌ[٤]، ولا في عَينِ المُسالَمَةِ رَغبَة، تَسامىٰ عَن اللَّذّاتِ بالصّيانَة، وتَعَطَّلَ عَن الشَّهَواتِ بالزَّهادَة.

واشتَمَلَ بِكُلِّ مَكرُمَةٍ فأصبَحَ نَسيجَ وَحدِه، لا يُقرَنُ به نَظير، ولا يُعرَفُ له شَبيه. قد لَقِيَ كُلَّ خِلافٍ بضِدِّه، وأعَدَّ لكُلِّ داءٍ دَواءَه، ولبِسَ لِكُلِّ دَهرٍ لِباسَه، ووَضَعَ لكُلِّ أمرٍ مَوضِعَه، وفتَحَ أقفالَ المُشكِلاتِ بحَقائقِ البَيان/، وكَشَفَ أغاليطَ الجَدَلِ ببَراهينِ الحُجَج، وأوضَحَ مُتَشابِهاتِ الفَلسَفَة بدَلائلِ الحِكمَة. مُفهِمٌ إذا قال، فَهِمٌ إذا

---

(١) النكوص: الإحجام والرجوع عن الأمر. (اللّسان: نكص).

(٢) تسربل: لبس. (اللّسان: سربل).

(٣) تعطّف: ارتدىٰ. (اللّسان: عطف).

(٤) بهمة: مستبهمة من الكلام، أي منغلق. (اللّسان: بهم).

سَمِع، يَسبِقُ بالفَهمِ السَّمع، حتّىٰ كأنَّ فَهمَه سَمعُه. إنْ خاطَبَه أَحَدٌ بغَيرِ ما في قَلبِه استَدَلَّ علىٰ ما في ضَميرِه بظاهِرِ حَرَكاتِه.

قد قَيَّدَ الكَلامَ بالبِشر، ونَجَرَ[1] عاديَةَ اللَّومِ بالتَّذَكُّر، وتأمَّلَ أحاديثَ غَد، واستَقبَلَ صَولَةَ القُدرَة، وسَطوةَ الإغمارِ بنَجابَةِ الرّأي، وإيثارِ التَّثَبُّت، وعارَضَ خَواطِرَ السّوءِ بالنَّظَرِ الثّاقِب، وأيقَنَ بما بَقي له من الذِّكر، ويُحرَزُ له من الأجر، ويُسبَغُ له من الشُّكر.

فأيُّ غايَةٍ في العِلمِ لَم يأتِ عَليها، أم أيُّ مَنزِلَةِ فَضلٍ لَم يَستكمِلها، أم أيُّ مَرتَبَةِ مُروءَةٍ لَم يَبلُغَها، أم أيُّ دَرَجَةِ مَدحٍ لَم يَعلُها، أم أيُّ مَزيةٍ قَصَّرَ عَنها، أم أيُّ أُحدوثَةِ صِدقٍ لَم تُنسَبُ إليه، أم أيُّ خُطَّةِ فَضلٍ لَم يَفِ بِها، أم أيُّ جادَّةِ بِرٍّ لَم يَسلُكَها، أم أيُّ عَطيةِ خَيرٍ مَنَعَها؟

وهو الّذي عَرَفَ الله حَقَّ مَعرِفَتِه، واستَشعَرَ خيفَتَه، واعتَصَمَ بطاعَتِه، فتَزَهَّدَ في النَّفيسِ من المَتاع، ورَضِي من الأقواتِ بالمَسك[2]، وحالَفَ العَفاف، وقَنِعَ بالكَفاف، واجتَزأ/ باليَسيرِ من الكِساء، وارتَوىٰ بالظَّماء، وقَمَعَ الهَوىٰ، وآثَرَ الآخِرَةَ علىٰ الدُّنيا، ومَلَكَ الغَيظَ وكَظَمَه، ولَفَظَ الحِرصَ وكَعَمَه[3]، هو بأمرِ أصغَرِ وَلَدِه، أعنىٰ مِنه بخاصَّةِ نفسِه، إنْ أوعَروا به أسهَل، وإن تَصَعَّبوا له تَذَلَّل، وإنْ خَشُنوا عليهِ لان، وإن شاغَبوه سَكَن. يَتكَلَّمُ وكأنَّ المُتكَلِّمَ غَيرُه في سُكونِ حَرَكَتِه، وهُدوءِ جَوارِحِه، ولينِ كَنَفِه، وانخِفاضِ جَناحِه، وأصالَةِ عَقلِه.

---

(١) نجر: ضرب. (اللّسان: نجر).

(٢) المسك: ما يُمسك الأبدان من الطّعام والشّراب. (اللّسان: مسك).

(٣) الكعم: شيء يُجعل علىٰ فم البعير ويُشدّ به فوه في هياجه لئلاّ يعضّ أو يأكل. (اللّسان: كعم).

فأحمَدُ المُنعِمَ عَليَّ برُؤيتِه التي قد كانَ إفراطُ السُّرورِ بها يُنَغِّصُ عَليَّ ما أوقَعَ مِن حادِثِ توديعي إياه، وفِراقي له، وتَخَوُّفي كَونَ الفَجيعَةِ به، ولا زالَ مِن تَراخي عُمرِه ومُهلَةِ بَقائه، وتَنفيسِ أجَلِه، ودَركِ أمَلِه في صَلاحِ عَمَلِه، ومُماطَلَةِ الأيّامِ به، في سلامَةِ روحِه وبَدَنه، إلىٰ انقِضاءِ الدَّهر، ومُرافَقَةِ الصّالِحِينَ في جَنَّتِه، الّتي وَعَدَ الرَّحمٰنُ عِبادَه بالغَيب.

ولا زالَ رَخي البال، كَثيرَ الصَّديق، قَليلَ العَدوّ، سَليمَ الدّين، نَقي العِرض، مَحمودَ الفِعال، جَميلَ الأُحدوثَة، في حَياتِه وبَعدَ وَفاتِه، ووَصَلَ له الكَرامَةَ العاجِلَة، بالنِّعمَةِ الآجِلَة.

والحَمدُ لله الّذي بَلَّغَني مُدَّةَ زَمانِه، وقَرَّبَ مَكاني مِن مَكانِه/، وجَعَلَني مِن إخوانِه وأعوانِه، وأوقَعَ ناظِري علىٰ شَخصِه، وأمَسَّ كَفي بكَفِّه، وأصارَني في المُتأسّينَ به، والمُتأسِّفينَ عليه، والمُقتَبِسينَ منه، والآخِذينَ عنه.

فأنا الّذي تَرأيتُ في ديني تَباشيرَ السَّعادَة، وتَعَجَّلتُ في دُنيايَ هذه الأُمنية، وقد أشبَهتَ أبقاكَ الله [شَيخَكَ][1] في خَلقِه وخُلُقِه، وفِعلِه وعَزمِه، مع الشَّهادَةِ الكامِلَة، والنَّفسِ التّامَّة. ومَرجِعُ الأفعالِ إلىٰ الطَّبائع. ومَدارُ الطَّبائعِ علىٰ جَودَةِ النَّفس، وقوَّةِ المنة، وبها تَتِمُّ العَزيمَة، وتَتَّقِدُ البَصيرَة.

[٣٦] فصل[2]

اعلَم أنّ المَدحَ لا يكونُ مَدحًا حتّىٰ يكونَ صِدقًا، ولا يكونُ صِدقًا حتّىٰ يكونَ حقًّا، ولا يكونُ نافِعًا حتّىٰ يكونَ محفوظًا مَدروسًا، موَثَّقًا مَقبولاً، ولا يَلتَزِقُ بالمَمدوح،

---

(١) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٢) ورد هذا الفصل في البرصان والعرجان: ص٢٠٢ - ٢٠٧، والدّروبيّ: ص٧٥ -١٠٠.

ولا يَلتَحِمُ بالمَذكورِ حتّىٰ يكونَ له موافِقًا، وبه لائقًا، ولا يكونُ أيضًا تامًّا كامِلاً، ولكُلِّ خِصالِ الخَيرِ جامِعًا، حتّىٰ تكونَ مَناقِبُ المَمدوحِ لعُيونِ النّاسِ ظاهِرَةً، وخِصالُ الموصوفِ لِعُقولِهِم مُتَجلّيَةً.

ومَتىٰ كانَ فَضلُ المَرءِ مُستَنبَطًا، ومَعنىٰ كَرَمِهِ مُستَخرَجًا، احتُمِلَ التّأويلُ فيه، وجازَ فيه الاختِلاف/، وغَرِقَ في الخُصومَة، واستَهلكَتهُ المُجاذَبات[1]، واحتيجَ في شُهودِهِ إلىٰ المَسألَة، وفي مُدَّعيه إلىٰ نَفيِ الطَّلَبَة. ولَستُ واجِدًا ذلك إلا فيه، ولا قادِرًا عليه إلا عندَه؛ فإنَّ فَضلَهُ قد قَهَرَ المُعانِد، وغَمَرَ الحاسِد، واضطَرَّ الغَني إلىٰ مَعرِفَتِه، والبَكيء[2] إلىٰ حُسنِ وَصفِه.

كانَ النّابِتي يَذُمُّه، فإذا ذُكِرَ ذلك الخارِجي أعانَه، وإن فَوَّضَ إلىٰ الرّافِضي صوَّبَ رأيَه، وإنْ مالَ إلىٰ الحاسِدِ الجَماعي يُبايعُه. فلَمّا أوسَعَهم خَيرًا، ومَلأَ صُدورَهم سُرورًا، وعَمَّ الآفاقَ نَفعُه، وشاعَ في النّاسِ رِفدُه، وصارَ عائبُه لا يَجِدُ مُستمِعًا، والمُستَمِعُ لا يَجِدُ عائبًا، قَطَعَهم اليأس، وأماتَ خَواطِرَهم ظُهورُ الفَضل، وصارَ الذّامُّ مادِحًا، والصّامِتُ ناطِقًا، والسّاخِطُ راضيًا، والنّاهي داعيًا، والذي كانَ يَحسِدُه صارَ يَغبِطُه، والذي كانَ يَعدو عَليهِ [صار][3] يَعدو مَعَه، ثُمَّ صارَ إحسانُه عِلَّةً لحُبِّه، وحُبُّه عِلَّةً لاستِحسانِ قَولِه.

فلَمّا غَلَبَ الحَقُّ وظَهَرَ الحُكم، وصارَ الباطِلُ مَستورًا، ولِسانُ الحَقِّ مَبسوطًا، لَم

---

(١) المجاذبات: المنازعات. (اللّسان: جذب).

(٢) البكيء: هو الّذي قلّ كلامه خِلقَةً (أي انقطع)، وبكئ الرّجل: لم يصيب حاجته. (اللّسان: بكأ).

(٣) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السّياق ساقطة من البرصان والعرجان والدّروبيّ.

يَبقَ علىٰ ظَهرِها خَطيبٌ مِصقَع، ولا شاعِرٌ مُفلِق[١]، ولا عابِدٌ مُخبِت[٢]، ولا فَقيهٌ مُقَدَّم، ولا رَئيسٌ مُقَدَّر، ولا مُعَلِّمٌ/ مُرشِد، ولا رَيِّضٌ[٣] مُستَرشِد، ولا بَكيءٌ مُفحِم[٤]، ولا خَطِلٌ[٥] مُهذِر، ولا جاهِلٌ غَبيّ، ولا عاقِلٌ ذَكيّ، ولا خاصّيّ ولا عامّيّ، إلا وهو مُقِرٌّ لِحَقِّه، ناطِقٌ بِفَضلِه، مُجتَهِدٌ في وَصفِه، مُرتَغِبٌ إلىٰ الله في طولِ بَقائه، ودَوامِ نَعمائه.

وكَيفَ لا يَعدِلُ جَميعَ أهلِ عَصرِه مَن هذا صِفَةُ قَدرِه، وكَيفَ لا يَفي بالجَميعِ مَن هذا أثَرُه في الجَميع، وكَيفَ لا يَعدِلُ جَميعَهم، ويَفي بأكثَرِهم، ولَيسَ علىٰ ظَهرِها أحَدٌ يَتوَقَّعُ الفَرَجَ إلا مِن قِبَلِه، ولا يَستَريحُ إلا إلىٰ ذِكرِه، [ولا][٦] يَرجو النُّجحَ إلا علىٰ يَدَيه، ولا يَفزَعُ في المُهِمِّ إلا إليه، وكَيفَ ولَيسَ علىٰ ظَهرِها يَدٌ باسِطَةٌ بالخَيرِ إلا يَدُه، ولا لِسانٌ يُشيرُ بالعُرفِ إلا لِسانُه، ولا مالٌ مَوهوبٌ إلا مالُه، ولا جاهٌ مَبذولٌ إلا جاهُه.

وقد كانَ الجودُ يَتَنافَسُ فيه، والمَعروفُ يَتَسابَقُ إليه، وكانَ التَّباري لهم عَونًا، وحُبُّ التَّغالُبِ لهم رِفدًا، وشُكرُ الرِّجالِ لهم باعِثًا، وخَوفُ الذَّمِّ لهم رادِعًا، ومأثورُ الحَديثِ لهم زاجِرًا، و[٧] هُم اليَومَ في زَمانٍ قد تَخَلّىٰ أهلُه من المُباراةِ والتَّسابُقِ إليه، بل قد زَهِدوا فيه، وأضرَبوا عنه، وأجمَعوا علىٰ تَركِه، وتَواصَوا/ أنْ يَسمَعَ أنينَه، فما قالَ

---

(١) مفلق: مجيد، يجيء بالعجائب في شعره. (اللّسان: فلق).

(٢) مخبت: المتواضع والخاشع. (اللّسان: خبت).

(٣) الرّيّض: الذي لا يحسن تدبيراً. (اللّسان: روض).

(٤) مفحِم: هو الّذي يفحم خصمه، أمّا المُفحَم هو العيّي. (اللّسان: فحم).

(٥) خطل: كلام فاسد مضطرب. (اللّسان: خطل).

(٦) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السّياق ساقطة من البرصان والعرجان والدّروبيّ.

(٧) من هنا ابتداء ما جاء في الدّروبيّ ص٧٦.

حَسّ[١]؛ حتّىٰ دَلّوه علىٰ مَوضِعِ نَصلٍ قد كانَ بَقيَ في ساقِه، فلَمّا وُضِعَ الدَّهَقُ[٢] علىٰ ذلك المَوضِع، أنَّ أنينَ الكِرام.

وهو الذي قال في ابنِ الأشعَث[٣]: «غَلَبَ علىٰ النَّصر، فغَلَبَ علىٰ الصَّبر، خَرَجَ كَريمًا، وقُتِلَ كَريمًا»[٤].

ونَظَرَ يَومًا الحريشُ بنُ هِلال [٥] إلىٰ وَلَدِ المُهَلَّبِ والي شَدّاتِهم في تلكَ الحُروب،

---

(١) حسّ: رأىٰ. (اللّسان: حسس).

(٢) في الأصل (الدّهن) وهو تصحيف، وما أثبت من الدّروبيّ ص٧٦.

الدهق: خشبتان يُغمَز بهما السّاق. (اللّسان: دهق).

(٣) ابن الأشعث: عبد الرّحمن بن محمّد بن الأشعث بن قيس الكندي، بعثه الحجّاج علىٰ سجستان، فثار هناك، وقاتل الحجّاج في وقعة دير الجماجم، توفّي سنة (٨٤ هـ).

(انظر: ابن كثير، البداية والنهاية: ٩/ ٣٧، الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٩١، والذهبي، العبر: ١/ ٦٨، ١٤٩، والنووي، تهذيب الأسماء واللّغات: ص١٩٩ – ٢٠٠).

(٤) قال أحمد بن عمر بن رُسته في الأعلاق النَّفيسة ص٢٢٩: «أعرق النّاس في الغدر عبد الرّحمن ابن محمّد بن الأشعث بن قيس بن معدي كرب، غدر بالحجّاج فقتل غادراً»، وجاء في لطائف المعارف ص٦٩-٧٠: تحت عنوان «أعرق النّاس في الغدر»: «عبد الرّحمن بن محمّد بن الأشعث بن قيس بن معدي كرب، فإن عبد الرّحمن غدر بالحجّاج بن يوسف لمّا ولاه البلاد، وخرج عليه وواقعه زُهاء ثمانين وقعة، وكانت أُخراها بدائرة السّوء عليه التي قتل فيها» وتحدّث تحت العنوان نفسه عن غدر والده وجدّه.

(٥) في الأصل (الجريش بن هذيل)، وهو تحريف.

الحريش بن هلال: أبو قدامة، السعدي القريعي، كان من فرسان بني تميم وسيد من ساداتها، فارس شجاع داهية، وشاعر فصيح، قاتل الخوارج إلىٰ جانب المهلّب، وله أيّام بخراسان.

(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ١/ ٧٢١، ابن حجر، الإصابة: ٢/ ١٧٧، والطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٣/ ٣١٠، ٣١٥، وابن دريد، الاشتقاق: ص٢٥٧، والمبرّد، نسب عدنان وقحطان: ص٢٦).

فقال: «لَولا شَفَقَةُ أبيهم عليهم ما احتاجَ إلَينا». وقال بَعضُ النّاس: «ما يَخافُ آلُ المُهَلَّبِ إلا الله».

وهُم قَومٌ لَيسَ في الأرضِ مِثلُهم، لَم يَقِف مُهَلَّبي قَطُّ إلا علىٰ زَرّادٍ[١] أو وَرّاق[٢]، وبذلكَ أوصىٰ المُهَلَّب، وجَرَتِ به العادَة.

ولم تُر أمَةٌ قَطُّ مِن إمائهم في حَوضٍ كإماءِ العَرَبِ عندَنا، ولا غُلاماً قَطُّ مع الصِّبيان. ولا قالَ مُهَلَّبي قَطُّ: فَعَلتُ وفَعَلت، وأنا وأنا[٣]، حتّىٰ إذا استَوىٰ علىٰ ظَهرِ فَرَسِه رأيتَ أمرًا يَخلَعُ القَلب، ويَجوزُ الوَصف[٤]، ولَم يُكَلِّموا مُنهَزِمًا، ولا زاروه[٥]، ولا قَضَوا له حَقًّا، حتّىٰ يَموتَ وَحشَةً وكَمَدًا.

وليسَ في الأرضِ مع هذه الشِّدَّةِ والصَّرامَةِ والشَّكيمَةِ أحسَنُ جِوارًا مِنهم، لم يَسألوا نازِلاً فيهِم «قَطُّ مِمَّن أنت؟»، إنْ كانَ عَربيا أمسَكوا عَن ذِكرِ جَميعِ العَرَب، ما كانَ حاضِرًا، مَخافَةَ أنْ يَسوءَه بَعضُ ما يَكون منهم. يَتَواصَونَ بالصَّبر، ويُدَرِّسونَ أولادَهُم/ أشعارَ الحَرب، ويُجرونَ[٦] علىٰ مَن يُعَلِّمُهم الكِتابَة، ويُعَلِّمونَهم مآثِرَ آبائهم، والأشعارَ التي قيلَت فيهم، كَما يُعَلِّمونَهم التَّشَهُّد.

والبيوتاتُ [في الإسلامِ][٧] ثلاثَة[٨]:

---

(١) زرّاد: صانع الزّرد، وهي الحلق التي تصنع منها الدرع. (اللّسان: زرد).

(٢) ورّاق: الذي حرفته الوراقة، وهو الذي يورّق ويكتب. (اللّسان: ورق).

(٣) في الدّروبيّ ص٧٦: ولا أنا وأنا.

(٤) في الدّروبيّ ص٧٦: الصف.

(٥) في الدّروبيّ ص٧٦: زأروه.

(٦) يجرون: يدفعون المال بانتظام. (اللّسان: جري).

(٧) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٨) كانت العرب تعد البيوتات المشهورة بالكبر والشرف من القبائل؛ بعد بيت هاشم بن عبد مناف في قريش ثلاثة بيوتات: بيت آل حذيفة بن بدر الفزاري: بيت قيس، وبيت آل زرارة بن عُدس =

بَيتُ المَسامِعَةِ[١] في رَبيعَةَ[٢]، ثُمَّ في بَني[٣] قَيسِ بن ثَعلَبَةَ[٤]، وبَيتُ مُسلِمِ بن عَمرو[٥] في قَيسِ عَيلان[٦].

= الدارميين: بيت تميم، وبيت آل ذي الجدّين ابن عبد الله بن همّام: بيت شيبان، وبيت الدّيّان من بني الحارث بن كعب: بيت اليمن، أمّا كندة فلا يُعدّون من أهل البيوتات، إنّما كانوا ملوكًا.

(انظر: البغدادي، خزانة الأدب: ٦/ ٣٨٤، وابن رشيق، العمدة: ٢/ ٢٠٩).

(١) المسامعة: أبناء مِسمَع بن مالك، من بني عَبّاد بن ضبعة بن قيس بن ثعلبة، من قبيلة بكر بن وائل.

(انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٣٢٠، وابن دريد، جمهرة اللّغة: ص٢٨٩، والمبرّد، نسب عدنان وقحطان: ص٢٣).

(٢) ربيعة: من أكبر قبائل العرب، جدّها ربيعة بن نزار، من العدنانيّة، نسله بنو أسد ووائل.

(ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٢٩٢، وعمر رضا كحّالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: ٢/ ٤٢٠).

(٣) ساقطة من الدّروبيّ.

(٤) قيس بن ثعلبة: بطن عظيم من بكر بن وائل، من العدنانيّة، وهم بنو قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، كانوا من أشعر قبائل العرب.

(انظر: ابن دريد، الاشتقاق: ص٣١٢، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٣١٤).

(٥) مسلم بن عمرو: الباهلي، من قيس عيلان، سيد شجاع داهية فصيح، قائد عربي، والد القائد قتيبة بن مسلم الباهلي، كان من المقرّبين عند معاوية، وكان يقوم بسفاراته الخاصة، توفي فيها سنة (٧٢ هـ).

(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٥/ ١٦٦، والطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٣/ ٢٨٠-٢٨١، ٢٩٠).

(٦) قيس عيلان: ابن مضر بن نزار، من عدنان، جدّ جاهلي، بنوه قبائل كثيرة منها هوازن وغطفان وفهم وباهلة، قال رسول الله ﷺ رحم الله قيساً، فقيل: يا رسول الله تترحّم علىٰ قيس؟ قال: نعم، إنّه كان علىٰ دين أبينا إسماعيل بن إبراهيم خليل اللهّ، يا قيس حيّ يمناً، يا يمن حيّ قيسًا، أنْ قيس فرسان الله في الأرض.

(انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص١٠، ٢٤٣، والزّركلي، الأعلام: ٥/ ٢٠٧).

ثُمَّ في باهِلَـة[١]، وبَيتُ المُـهَلَّبِ في الأزد[٢]، ثُمَّ عَتيك[٣]. ولم يَبلُغ بَيتُ الجارود[٤]، وبَيتُ بَني بَدرٍ[٥] في الإسلام ما بَلَغَتهُ هذه البُيوت، ولم تكُن رَيّا[٦] مِثلَ المُهَلَّب».

---

(١) باهلة: قبيلة عظيمة من قيس بن عيلان، من العدنانيّة، وهم بنو سعد مناة بن مالك، كانوا يقطنون باليمامة، ومن مشاهدهم يوم جبلة.

(انظر: عمر رضا كحّالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: ١/ ٦٠، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٢٤٥).

(٢) أزد: من أعظم قبائل العرب وأشهرها، تنتسب إلىٰ الأزد بن غوث بن نبت بن مالك بن كهلان، من القحطانيّة، ينقسمون إلىٰ: أزد عُمان وأزد السّراة وأزد شنوءة، ومن نسلهم قبائل غسّان وخزاعة وأسلم والأوس والخزرج.

(انظر: عمر رضا كحّالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: ١/ ١٥، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٣٣٠).

(٣) عتيك: من أبناء الأزد ابن عمران بن عمرو، من أزد بن غوث، ومن بطون العتيك: آل المهلّب، وآل بُغام بن الحارث. (انظر: ابن دريد، الاشتقاق: ص١٣٧، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٣٦٧، وابن عبد ربه، العقد الفريد: ٣/ ٣٧٥).

(٤) الجارود: أبو غيّاث، بشر بن محمود بن حنش بن المعلّىٰ، سيّد بني عبد القيس، من أسد ربيعة، وفد علىٰ الرّسول وأسلم، وصارت له مكانة عالية في صدر الإسلام، سكن البصرة، وتوفي سنة (٢٠هـ).

(انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٢٩٦).

(٥) بدر: بطن من فزارة من قيس عيلان، من العدنانيّة كانت فيهم رياسة بني فزارة في الجاهليّة، يرأسون جميع غطفان، وتدين لهم قيس، ومنهم بنو حذيفة ومالك وعوف.

(انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٢٥٦، وعمر رضا كحّالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: ١/ ٦٨).

(٦) ساقطة من الدّروبيّ.

وكانَ قَيسُ بنُ عاصِمٍ[(١)] أغدَرَ النّاس[(٢)]، وأبخَلَهُم، أسَرَه عَبّادُ بنُ مرثِدِ بنِ عَمرو بن مرثد[(٣)]، وسَبَىٰ أُمَّهُ يَومَ أبرَقَ الكِبريت[(٤)]، فَمَنَّ عَليهِم ورَدَّهُم بغيرِ فِداء، فأخفَرَهُم[(٥)] ولم يَشكُر يَدَه، وكانَ يُسَمَّىٰ الكَذّاب[(٦)].

---

(١) قيس بن عاصم: أبو علي، ابن سنان المنقري، أحد أمراء العرب، سيّد بني تميم، كان فارساً شجاعاً وشاعراً اشتهر وساد في الجاهلية، وهو ممن حرّم الخمر علىٰ نفسه، أدرك الإسلام وأسلم، صحب النّبي وعمّر بعده، استعمله النّبي علىٰ صدقات قومه، نزل البصرة أواخر أيّامه، يضرب به المثل في الحلم، له أخبار كثيرة في الحلم والمروءة، توفي سنة (٢٠ هـ).
(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٤/ ٤١١، وابن حجر الأصابة: ص٤٨٣، والأصفهاني، الأغاني: ١٤/ ٣٠٠)

(٢) يقال في المثل «أغدر من قيس بن عاصم».
(انظر: الميداني، مجمع الأمثال: ٢/ ٤٢٩، والزمخشري، المستقصي في الأمثال: ١/ ٢٥٩، والعسكري، جمهرة الأمثال: ٢/ ٨٧، وحمزة الأصفهاني، الدرة الفاخرة: ص١٨٦).

(٣) ذُكر في نسب عدنان وقحطان: رهط المراثد، وهم آل مرثد، ومنهم عبّادة بن مرثد بن عمرو بن مرثد، وهو زوج أخت طرفة، أسره قيس بن عاصم وسبىٰ أمّه وأختيه يوم أبرق الكبريت، ثمّ منّ عليهم فأطلقهم بغير فداء.
(انظر: ابن حزم، جمهرة رسائل العرب: ص٣٢٠، والمبرّد، نسب عدنان وقحطان: ص٢٦، والأصفهاني، الأغاني: ١٤/ ٣١٢).

(٤) في الأصل (الكثيب) وهو تصحيف.
أبرق الكبريت: موضع كان به يوم من أيام العرب. (انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ١/ ٦٩).

(٥) في الدّرّوبيّ ص٧٦: فاحقره.
أخفرهم: منعهم وأجارهم.(اللّسان: خفر).

(٦) يقال في المثل «أكذب من قيس بن عاصم».
(انظر: الميداني، مجمع الأمثال: ٢/ ١٦٩، والزمخشري، المستقصي في الأمثال: ١/ ٢٩٣، والأصفهاني، الأغاني: ١٤/ ٣١٣، والعسكري، جمهرة الأمثال: ٣/ ٧٢، وحمزة الأصفهاني، الدرة الفاخرة:ص ٢٠٦).

وفي ذلك يَقولُ زَيدُ الخَيل[١]:

فَلَستُ بِوَقّافٍ[٢] إذا الخيل أحجَمَت ولستُ بكذابٍ كقَيسِ بنِ عاصمِ[٣]

وكانَ أيضًا يُلَقَّبُ العَرّ[٤]، وكانَ يُقالُ له من البِدغ[٥]، والبِدِغُ المُتَلَطِّخ بخُرئه. وغَدَرَ بجارٍ له. وجاوَرَه ليتعَزَّزَ خارٌ[٦]، فأقبَلَ يَضرِبُه، وشَرِبَ خَمرَه، وقد سَكِر، وهو يَقول[٧]:

وَتــاجر فــاجرٍ جــاءَ الإلــه بِــه كأنّ عُثنونَهُ[٨] أذنــابُ أجمــالِ[٩]

---

(١) زيد الخيل: أبو مُكنَف، ابن مهلهل بن زيد بن منهب، من طيء، جاهلي مخضرم، أدرك الإسلام وأسلم، وحسن إسلامه، أثنىٰ عليه رسول الله وسمّاه زيد الخير، كان شاعراً محسناً، خطيباً لسناً، شجاعاً، كان موصوفاً بالكرم، وله مهاجاة مع كعب بن زهير.
(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٢/ ٣٧٦، ابن حجر، الإصابة: ٢/ ٥١٣، وابن قتيبة، الشّعر والشّعراء: ص١٧٤، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٢٢١، ٤٠٣، والبغدادي، خزانة الأدب: ٥/ ٣٨٠، وابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق: ٦/ ٣٦).

(٢) في مجمع الأمثال ٣/ ٧٢: بفرّارٍ.

(٣) ورد البيت في مجمع الأمثال: ٣/ ٧٢، وجمهرة الأمثال: ٢/ ١٧٤، والمستقصي في الأمثال: ١/ ٢٩٣، والأغاني: ١٤/ ٣١٣.

(٤) في الدّروبيّ ص٧٩: الغر.
العر: الأجرب. (اللّسان: عرر).

(٥) في الأصل (البدع) وهو تصحيف. وما أثبت من الدّروبيّ ص٧٩.

(٦) في الدّروبيّ ص٧٩: ليتقدر.

(٧) هو قيس بن عاصم.

(٨) عثنونه: ما نبت علىٰ الذقن وأسفله من الشعر. (اللّسان: عثن).

(٩) ورد البيت في جمهرة الأمثال: ٢/ ٨٧، ومجمع الأمثال:٢/ ٦٥، والكامل للمبرد(تحقيق عبد الحميد الهنداوي):٢/ ١٩٧، والدّرة الفاخرة: ص١٨٦، والعقد الفريد: ٦/ ٣٤٦، والمستقصي في الأمثال: ١/ ٢٥٩، وابن قتيبة، الأشربة: ص٢٥، والأغاني: ١٤/ ٣٠٣، ٣١٠.

وسَكِرَ فوَثَبَ علىٰ ابنَتِه فافتَضَّها[١]، فَلَمّا أصبَحَ آلا ألاّ يَشرَبَ[٢] الخَمر[٣]، فَنَعىٰ عليه ذلك مالكُ بنُ نوَيرَة[٤]، فَقال/ :

مَجوسيةُ سَعد بـن زيـد[٥] وينتهـي إلىٰ بنت قَيسٍ غَدرها وفُجورهـا[٦]

وهذا الشِّعر مِثلُ قَولِ أوسِ بن حَجر:

والفارسـيَّةُ فـيهم غـيرُ مُنكَـرَةٍ فكُلُّهُم لأبيـهِ ضَـيزَنٌ سَـلِفُ[٧]

---

(١) انظر الخبر في البداية والنهاية: ٨/ ٣٩٩، والأشربة لابن قتيبة: ص٢٥ – ٢٦، والأغاني: ١٤/ ٣٠٣ – ٣٠٩.

(٢) في الدّروبيّ ص٨٠: آلىٰ أنْ لا يشرب.

(٣) في أمالي القالي: ١/ ٢٩٤ «وقيس بن عاصم ممّن حرّم علىٰ نفسه الخمر في الجاهليّة».

(٤) مالك بن نويرة: أبو حنظلة، ابن جمرة بن شدّاد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع، كان فارسًا شاعرًا، من أرداف الملوك في الجاهلية، وكانت به خيلاء، أدرك الإسلام وأسلم، وولاه الرّسول علىٰ صدقات قومه بني يربوع، ولمّا صارت الخلافة إلىٰ أبي بكر اضطرب مالك في أموال الصّدقات وفرّقها، وارتّد عن الإسلام، فتوجّه إليه خالد بن الوليد وقبض عليه وقتله في حروب الرّدة سنة (١٢هـ).
(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٥/ ٤٨، وابن قتيبة، الشعر والشعراء: ص٢٣٢، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص١٩٣، ٢٢٤، والمرزباني، معجم الشّعراء: ص٢٥٩، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ٦/ ١٣، والأصفهاني، الأغاني: ١٥/ ١٩٩).

(٥) سعد بن زيد: مناة بني تميم، ولد علىٰ عهد الرسول، وروىٰ عن عمر بن الخطاب، وتوفي آخر أيام عبد الملك بن مروان. (انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٢/ ٤٣٧، ابن حجر، الإصابة: ٣/ ٥٢، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٢٠٧، ٢١٣).

(٦) ورد البيت في الأنوار والمحاسن: ١/ ٩٥.

(٧) الضيزن: الذي يزاحم أباه في امرأته، الفارسيّة: عنىٰ بها الملّة الفارسية (المجوسية)، السلف: الرجلان يتزوجان الأختين.
ورد البيت في ديوان أوس بن حجر: ص٧٥، والبيان والتبيين: ٣/ ١٦١، والبطليوسي، =

وقال أبوعُبَيدَة: قالَ قَيسُ بنُ عاصِم: «وأدتُ بِنتًا في الجاهِليَّة، فلَكأنّي أسمَعُ صَوتَها يابه يابه»[١]. وأرادَ أنْ يَئِدَ بِنتًا له أُخرىٰ فأخَذَها مِنه جَدُّ الفَرَزدَقِ صَعصَعَةُ بنُ ناجية[٢].

ورَوَوا أنّه ارتَدَّ عن الإسلام[٣]، وكانَ علىٰ الصَّدَقات[٤]، فعَمِدَ إلىٰ ما قَبَض فقَسَمَه في الرِّدَّةِ بَينَ بَني مِنقَر، وكانَ يَهجو أبا بَكرٍ وعُمَرَ والمُهاجِرينَ والأنصارَ [رضي الله عنهم، فقال][٥]:

حَبَوتُ بِـما صَـدَّقتُ في العـامِ مِنقَـرًا ... وأيأستُ مِنها كُـلَّ أطلَـسَ طـامِعِ[٦]

= الاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب: ٣/ ٢٣٣، وجمهرة اللغة: ٣/ ٤ مادّة ضزن، ومقاييس اللّغة: ٣/ ٤٠٠، وتاج العروس: مادّة ضزن، والصّحاح: مادّة ضزن، واللسان: مادة ضزن.

(١) انظر خبر وأده لابنته في الأغاني: ١٤/ ٣٠٠.

(٢) صعصعة بن ناجيّة: ابن عقال بن سفيان بن مجاشع، من تميم، من الأشراف في الجاهليّة والإسلام، وفد علىٰ النبيّ ﷺ وأسلم، وصار صحابياً، كان يشتري البنت ممّن يريد وأدها، فأحيا ستاً وتسعين موؤودة إلىٰ زمن النبيّ، توفي بعد (٩هـ)، وهو جد الفرزدق وفيه قال:

وجدّي الذي منـع الوائـدات ... وأحيـا الوئيـد، فلـم يـوأد

(انظر: ابن حجر، الإصابة: ٣/ ٣٤٧، والمزّي، تهذيب الكمال: ١٣/ ١٧٥، والبغدادي، خزانة الأدب: ٩/ ١١٦، والصفدي، الوافي بالوفيات: ١٦/ ١٧٩، والأصفهاني، الأغاني: ٢١/ ١٨٣).

(٣) انظر خبر ارتداده عن الإسلام وإيمانه بسجاح في الأغاني: ١٤/ ٣١٢.

(٤) ولي قيس بن عاصم صدقات بني مقاعس. (انظر: الأصفهاني، الأغاني: ١٤/ ٣٠٤).

(٥) ما بين المعقوفين من الدّروبيّ ص٨١.

(٦) أطلس طامع: الذئب الأمعط. (اللّسان: طلس).

ورد البيت في مجمع الأمثال: ٢/ ٦٦، والدّرة الفاخرة: ص١٨٦، والمستقصي في الأمثال: ١/ ٢٥٩، وجمهرة الأمثال: ٢/ ٨٧، والأغاني: ١٤/ ٣٠٤.

ولمّا تَنَبّأت سَجاحُ اليَربوعية(١)؛ آمَـنَ بِها قَيسُ بنُ عاصِم، وخَرَجَ مَعَها إلىٰ اليَمامَة(٢)، إلىٰ مُسَيلمَة(٣)، فآمن به أيضًا، وصَدّقَه، وكانَ مِمَّن شَهِدَ نِكاحَ مُسَيلمَةَ بسَجاح(٤).

وتَزعُمُ تَميم، مع هذا كُلِّه، أنّ رَسولَ الله ﷺ قالَ لمّا رأىٰ قَيسًا: «هَذا سَيِّدُ أهلِ الوَبَر»(٥). فإن كانوا قد صَدَقوا علىٰ قَيس، وصَدَقوا عن النَّبي ﷺ(٦) فيه، فَهُم شَرُّ

---

(١) سجاح: أم صادر، بنت أوس بن حريز بن أسامة بن العنبر بن يربوع، التميمية، كانت شاعرة أديبة، عارفة بالأخبار، رفيعة الشّأن في قومها، تزوّجها مسيلمة الكذّاب، وتنبّأت معه، وعادت بعد قتله إلىٰ الإسلام وحسن إسلامها، وعاشت إلىٰ خلافة معاوية.

(انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٢٢٦، وابن قتيبة، المعارف: ص٤٠٥، والزركلي، الأعلام: ٣/ ٧٨).

(٢) اليمامة: مدينة في الرياض، فتحها خالد بن الوليد وقتل مسيلمة الكذّاب سنة (١٢هـ) وكانت تسمّىٰ قديمًا جوّا، وهي من أحسن بلاد الله أرضًا، وأكثرها خيرًا وشجرًا ونخلاً.

(انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٥/ ٤٤٢، والبلاذري، فتوح البلدان: ص٩٧).

(٣) في الأصل (مسيلة) وهو تصحيف.

مسيلمة: أبو ثمامة، مسيلمة بن حبيب الحنفي، من أهل اليمامة، ادّعىٰ النّبوة بمكّة قبل الهجرة، وصنع أسجاعاً عارض فيها القرآن بزعمه، وقد قوي باليمامة بعد وفاة الرّسول، فأرسل أبو بكر خالد بن الوليد في جيش لمقارعته، فانتصر جيش المسلمين وقتل مسيلمة وأتباعه.

(انظر: اليافعي، مرآة الجنان: ١/ ٩٦، وابن قتيبة، المعارف: ص٤٠٥).

(٤) انظر خبر تنبؤ سجاح ومسيلمة وارتدادهم عن الاسلام وزواجهما في (التّنبيه والإشراف ص٢٤٨، وابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح: ١/ ٢٧.

(٥) انظر تسميّة قيس بن عاصم بسيّد أهل الوبر.

(الجاحظ، البيان والتبيين: ٢/ ٢٣، وابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٣٩٩، ونشوان الحميري، الحور العين: ص١١٦، والحصري، زهر الآداب: ١/ ٩، والأصفهاني، الأغاني: ١٤/ ٣٠٣).

(٦) في الدّروبيّ ص٨٢: الكلام.

الأشرار، إذ كانَ قَيسٌ شَرَّ الخَلق؛ إذ كانَ مِن صِفاتِه: الكَذِبُ والغَدرُ واللُّؤمُ والفُجورُ والسَّفَه، فإذا كانَ قَيسٌ شَـرَّ الـخَلق، فكيفَ يكونُ مَن قَيسٌ سَيِّـدُه إنْ كانَ النَّبيُّ صَلّىٰ الله/ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه وسَلَّم[1]، قد قال ما حَكَوا؟

وكانَ الأحنَفُ بنُ قَيسٍ[2] رَجُلاً ما لو عَدَدتُه لكَ من الطَّيشِ والسُّخف، واللَّفظِ الفاحِش، واللَّفظِ القَبيحِ السّاقِط، ثُمَّ كَتَبتَه وجَمَعتَه، ثُمَّ قَرأتَه مَنظومًا مجموعًا، يُخَيَّلُ إليكَ أنّه كانَ سَفيهًا، فَضلاً أنْ يكونَ مِن أوساطِ النّاس.

وأدَّعَت تَميمٌ[3] أنّه كانَ يُحِبُّ السَّلامَة، ويَكرَهُ الفِتنَة، والذي ظَهَرَ للعُيونِ مِن أمرِه، وتَجَلّىٰ لأهلِ الرّأي، والّذي يَقضي به العاقِل، يَدُلُّ علىٰ الوَهنِ والعَجز، وعلىٰ الخَوفِ والاستِسلام. وكَيفَ لَهُمُ أنْ يَصِفوا الأحنَفَ بالوَرَعِ والتَّوَقّي، والأحنَفُ رأسُ كُلِّ فِتنَة، وقائدُ كُلِّ ضَلالَة.

فَهَلا تَوَرَّعَ عن الإغراءِ بالزُّبَير[4]، حتّىٰ قَتَلَه مَن قَتلَه[5]، بسَبَبِ كَلامِه وتَهجينِه،

---

(١) ساقطة من الدّروبيّ.

(٢) الأحنف بن قيس: أبو بحر، الضّحاك، وقيل صخر، بن معاوية بن حصين، الأمير العالم، كان سيّد تميم، أسلم في حياة النّبي، كان ثقة مأمونًا، مات في إمرة مصعب بن الزبير علىٰ العراق، سنة (٦٧هـ) وقيل (٧٢هـ).

(انظر: ابن العماد، شذرات الذهب: ٥/ ١١٩، وابن الأثير، أسد الغابة: ١/ ١٧٨، ابن حجر، الإصابة: ١/ ٣٣١، والذهبي، العبر: ١/ ٥٨، وابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق: ٧/ ١٣-٢٧).

(٣) في الدّروبيّ ص٨٣: قيس.

(٤) الزّبير: أبو عبد الله، الزّبير بن العوّام، حواري الرّسول وابن عمّته، أحد السّتة أهل الشورىٰ، أحد المبشّرين بالجنّة، وأول من سلّ سيفه في سبيل اللهّ، قتله ابن جرموز سنة (٣٦هـ).

(انظر: ابن حجر، الإصابة: ٢/ ٤٥٧، وابن العماد، شذرات الذّهب: ١/ ٧٣، والذهبي، العبر: ١/ ٢٧، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٦).

(٥) قتله عمرو بن جرموز. خبر قتل الزبير في تاريخ الأمم والملوك: ٢/ ٥٧٧، والأخبار الطّوال: ص٢١٣، والفتوح: ٢/ ٤٧١، ومرآة الجنان: ١/ ١٣١ - ١٣٢.

وعلىٰ أنه لَمْ يُغزِ به إلا وهو ماضٍ إلىٰ أهلِه، تارِكٌ لأعدائه. وإنَّ في انقِطاعِه إلىٰ مُصعَب، وعَونِه له، وفي تَركِه مَعونَةَ عَلِيّ، وفي تَثبُّطِه عن طَلحَةَ[1] والزُّبَيرِ وعائشَة، دَليلٌ علىٰ أنّه لم يكُن صاحِبَ دين.

ولو كانَ صاحِبَ وَرَعٍ ونَظَرٍ لاعتَقَدَ رأيَه علىٰ النّاسِ يَومَ الأزارِقَة[2]، ولَم يَتَمَشَّ إلىٰ المُهَلَّبِ يَسألُه ذلك، بل إذا كانَ يَومُ هَيجٍ[3] وعَصَبية، وحَربُ ضَلالَة، فهو رَئيسٌ مَتبوع، وإذا كانَ دِفاعٌ عنِ الحُرمَةِ والحَريم، وحَربُ هُدًىٰ، فهوَ تابعٌ مَغمور.

وهو الذي نَمَي في قَومِه[4] ليعينَ/ عُثمانَ ويَنصُرَه، ثُمَّ أطاعَ عائشَة، وتَرَكَ رأيَه والذي قَدِمَ له، وفارَقَ عَليًا، بَعدَ أنْ غَدَرَ بطَلحَةَ والزُّبَير، وبَعدَ أنْ أعطاهُما صَفقَتَه، خذَلَهما وعائشَة، وهم جيرانُه، وفي مِصرِه وحَريمِه. وكانَ إياسُ بنُ الجَونِ[5] يَحلِفُ بالله وبالعِتقِ لَما قَتَلَ الزُّبَيرَ غَيرُه.

---

(١) طلحة: أبو محمّد، طلحة بن عبيد الله بن عثمان التميمي القرشي، أحد العشرة المبشّرين بالجنّة، وأحد الستّة أصحاب الشورىٰ، وأحد الثمانية السّابقين إلىٰ الإسلام، ويقال له: طلحة الجود، وطلحة الخير، وطلحة الفياض، وكل ذلك لقبّه به رسول الله، شهد أحداً وثبت مع رسول الله وشهد الخندق، قتل سنة (٣٧هـ) ودفن بالبصرة. (انظر: الذّهبي، سيرأعلام النّبلاء: ٣/ ١٥، والذّهبي، العبر: ١/ ٣٧).

(٢) يوم الأزارقة: هو اليوم الذي هزم فيه المهلّب أتباع نافع بن الأزرق الحنفيّ، وشتّتهم في وقعة دولاب بالأهواز سنة (٦٥هـ).

(انظر: ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ٧/ ١٧ –٢٨، ٥/ ١٧٧).

(٣) يوم هيج: يوم إثارة للقتال والشر. (اللسان هيج).

(٤) نمي في قومه: ارتفع شأنه. (اللّسان: نمي).

(٥) إياس بن الجون: ابن قتادة العبشمي، انحاز والده للزبير بن العوّام.

(انظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٣/ ٤١).

وكانَ يَرىٰ التَّحكيم، وعلىٰ ذلك قَدِمَ البَصرَةَ مع مِسعَر بنِ فَدَكي[١] وسَعيدِ بنِ قَيسٍ الهَمَداني[٢]، أخي المُهَلَّبِ لأمِّه. وقد كانَ يَطعَنُ علىٰ الحَكَمَين، وأبىٰ أنْ يُسوَّدَ اسمُه.

وقالَ في مَجلِسِه، وذَكَرَ قَطَريًّا[٣]: «إنَّه[٤] أبا نَعامَة[٥]، إنْ رَكِبَ بَناتِ شَحّاج[٦]، وبَناتِ أعوَج[٧]، وتَعَشّىٰ بأرض، وتَغَدّىٰ بأُخرىٰ، طالَ أمرُه»؛ ليبلُغَ ذلك الرّأيُ قَطَريًّا فيَستَعمِلَه.

---

(١) مسعر بن فدكي: ابن أعبد بن أسعد بن منقر التميمي، كان في عسكر علي، كان أبوه فارس بني سعد في الجاهلية.

(انظر: الذهبي، العبر:١/ ٣٢، والطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٣/ ١١٦، ونصر بن مزاحم، وقعة صفّين: ص٥٦٠، ٥٧٢، ٥٨٨).

(٢) في الأصل (الحداي) وهو تصحيف.

سعيد بن قيس الهمداني: ابن زيد بن حرب، من همدان، فارس من الدّهاة الأجواد، من سلالة ملوك همدان، كان خاصّاً للإمام علي بن أبي طالب، وكان إليه أمر همدان بالعراق، توفي سنة (٥٠هـ).

(انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٤٣٦، والزّركلي، الأعلام: ٣/ ١٠٠).

(٣) قطري بن الفجاءة: جَعوَنَة بن مازي التميمي المازني، أحد زعماء الخوارج وخطبائهم، كانت له كنيتان: كنية في السلم هي أبو محمّد، وكنية في الحرب هي أبو نعامة، له خطبة طويلة مشهورة، البطل المشهور، حارب الحجّاج نيف عشرة سنة، إلىٰ أنْ حاربه سفيان بن الأبرد وانتصر عليه وقتله سنة (٧٩هـ)، وحمل رأسه إلىٰ الحجّاج.

(انظر: الجاحظ، البيان والتبيين: ١/ ٢٣٠، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٦٧، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ٤/ ٩٣).

(٤) في الدّروبيّ ص٨٥: إيه، إنَّ.

(٥) كنية قطري بن الفجاءة.

(٦) بنات شحّاج: البغال. (انظر: ابن الأثير، المرصّع: ص٢١٤، واللّسان: شحج).

(٧) بنات أعوج: الخيول، وهي فرس مشهورة لكندة، ويقال لها أيضاً بنات صهّال. (اللّسان: عوج).

فإن كانَ إنَّما قالَ ذلك لأنّه كانَ خارِجيًا أزرَقيًا، مِثلَ قَطَرِيّ، فَهذا. وإن كانَ إنَّما أرادَ أنْ يَكيدَ المُهَلَّب حَسَدًا وبَغيًا، وعامَّةَ جُندِه، وأصحابَه وبَني عَمِّه، فهذا عَجيب!

وقال لامرأةٍ مِن قَومِه أتَته بِمجمَرَة[1]، وقالَت: «ضَع هذه تَحتَك»، حينَ أبطأ عَن مُناهَضَةِ الأزد؛ لتَوَبِّخَه بذلك: «استُ المَرأةِ أحَقُّ بالمِجمَرَة».

وبَرزَ لِملاطَمَةِ[2] زَيدِ بنِ جَبلَة[3]، فقيلَ له في ذلك، فقال: «ذلك لأنّي قد عَلِمتُ حيلَه»، فَكانَ عُذرُه أعجَبَ مِن فِعلِه.

وقالَ للحُتاتِ[4] وهو ينازِعُه: «أتُكلِّمُني يا آدَر[5]»، فكَشَفَ الحُتاتُ عن زُبِّه ثُمَّ قالَ: «أسألُكُم إلاّ نظَرتُم؛ لتَعرِفوا كَذِبَه، كَما سَمِعتُم سَفَهَه»/ .

---

(١) المجمرة: التي يوضع فيها الجمر مع الدُّخنة وقد اجتمر بها. (اللّسان: جمر).

(٢) الملاطمة: ضرب الخد باليد. (اللّسان: لطم).

(٣) زيد بن جبلة: ابن زيد بن رؤاس التميمي كان شريفاً في قومه، وكان فصيحاً حكيماً داهية، قال عنه الأحنف بن قيس: «كان يعلمنا في الجاهليّة المروءة»، من سادات العرب في الجاهلية، وأعيان البصرة في الإسلام، من زعماء الوفود عند عمر بن الخطاب، وقد وفد علىٰ معاوية في الشام، اختاره عبد الله بن عامر والياً علىٰ شرطة البصرة فأبىٰ.
(انظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار: ١/ ٣٥١).

(٤) الحتات: ابن يزيد بن علقمة التميمي المجاشعي، أحد سادات تميم في الجاهلية والإسلام، وفد علىٰ الرسول في وفد تميم، آخىٰ الرّسول بينه وبين معاوية، فمات في خلافته فورثه بالأخوّة، ووفد علىٰ معاوية.
(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ١/ ٦٨٧، ابن حجر، الإصابة: ٢/ ٢٥، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٢٣١، وابن دريد، الاشتقاق: ص٢٤١).

(٥) الأدرة: فتق في إحدىٰ الخصيتين. (اللّسان: أدر).

فَقال غَيلانُ بنُ خَرَشَةَ الضَّبِّي[١]: «أما[٢] تَرىٰ بأسًا؟»، فَقال له الأحنَف: «ما لَكم لَعَنكم اللهُ، كَلٌّ[٣] في الجاهِلِيَّة، أتباعٌ في الإسلام»، يَعني ضَبَّةَ[٤] لبَني تَميم.

وقالَ لامرأتِه: «أنتِ طالِقٌ عَدَدَ النُّجوم». وقيلَ له في زَبراءَ[٥] جاريته، وكانَ لا يَزي[٦] بِها شَيئًا، وكانَ يُطيعُها، ومِن أجلِها قالَ النّاس: «هاجَت زَبرا»، فَقال: «كَيفَ لا أُطيعُ مَن لي إليه كُلَّ يَومٍ حاجَة؟».

وواضَعَ رَجُلٌ ناسًا[٧] من السُّفَهاء أنْ يَلطِمَ سَيِّدَ بَني تَميم، فأتىٰ الأحنَفَ فلَطَمَه،

---

(١) غيلان بن خرشة: ابن عمرو ضرار الضّبّي، سيد بني ضبّة بالبصرة، كان من البلغاء، وكان أحد أصحاب أبي موسىٰ الأشعري، سكن البصرة، وكان ممّن آمن بسجاح اليربوعية وصدّقها.

(انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٢٠٤، وابن دريد، الاشتقاق: ص١٩٤، والطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٢/ ٢٧١، ٦٠٤).

(٢) في الأصل (ما نرىٰ) وهو تصحيف.

(٣) كلّ: الكَلّ هو الرّجل الذي لا خير فيه. (اللّسان: كلل).

(٤) ضبّة: من العدنانيّة، بنو ضبّة بن أُد بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، كانت منازلهم بجوار بني تميم.

(انظر: عمر رضا كحّالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: ٢/ ٦٦١).

(٥) في الدّروبيّ ص٨٨: زبرا.

زبراء: جارية الأحنف بن قيس، وكان لها مطيعًا، وكان إذا أراد حربًا قال النّاس «قد غضبت زبراء».

(انظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار: ٢/ ٧٥، وابن قتيبة، المعارف: ص٤٢٤، وابن نباتة، سرح العيون: ص١٠٦).

(٦) يزي: يقابل أو يساوي. (اللّسان: وزي).

(٧) ساقطة من الدّروبيّ.

واضع: اتّفق في أمر ما. (اللّسان: وضع).

فلَمّا فَعَلَ قال له: «لم تَصنَعَ شَيئًا، إنَّما واضَعوكَ علىٰ أنْ تَلطِمَ سَيِّد بَني تَميم، وهو جاريةُ ابنُ قُدامَة»[١]، فأتاه الرَّجُلُ فلَطَمَه، فأخَذَه جاريةُ فَقَطَعَ يَدَه، وذاكَ كانَ أراد.

وكانَ فيمَن زَفَّ سَجاحَ إلىٰ مُسَيلَمَة. وحَسَدَ ابن إياسِ بنِ قَتادَة[٢] لقيامِهِ بالحَمالَة[٣]، وأرادَ أنْ يُحَوِّلها إليه، وكانَ هَوَىٰ دَخَلَه فيها، حتّىٰ هَجاه إياسٌ هِجاءً كَثيرًا.

كانَ الأحنَفُ بنُ قَيسٍ من الأشراف، ومن السّادَة، مِمَّن قَدَّمَته العَشائرُ طَوعًا، ورأسَته الخُلَفاءُ اختيارًا، ويَحفَظُ النّاسُ كَلامَه، [ودَوَّنوا ألفاظَه، واقتَبَسوا عِلمَه][٤] وضَرَبوا به المَثَل، وأفشَوا ذِكرَه بالحِلم[٥].

[٦] وفي طولِ ما مَدَحَ الله به عِبادَه الصالِحينَ من الأسماءِ[٧] الكَريمَة، ووَصَفَهم

---

(١) جارية بن قدامة: ابن زهير بن الحصين بن زراح بن أبي سعد بن ربيعة بن محرّق، من سادات تميم في الجاهليّة والإسلام.

(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ١/ ٥٠٢، ابن حجر، الإصابة: ١/ ٥٥٥، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٢٢١، وابن دريد، الاشتقاق: ص٢٥٣، والثعالبي، ثمار القلوب: ص١٦٢).

(٢) اياس بن قتادة: ابن أوفىٰ بن عتبة بن عميرة بن عبشمس المجاشعي، ابن أخت الأحنف، وهو الذي حمل ديّات الأزد أيّام حرب مسعود وعبدة بن الطيّب، كان علىٰ شرطة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن أيّام قيامه بالبصرة، ثم صار من صحابة المنصور، كانت تربطه بخاله الأحنف علاقة سيئة، اعتزل النّاس ولزم بيته في أواخر حياته.

(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ١/ ٣٤٠، ابن حجر، الإصابة: ١/ ٣١٣، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٢١٥).

(٣) الحمالة: الديّة والغرامة التي يدفعها قوم عن قوم. (اللّسان: حمل).

(٤) ما بين المعقوفين من البرصان والعرجان ص٢٠٢، والدّروبيّ: ص٨٨.

(٥) في الأصل (بالعلم) وهو تصحيف، وما أثبت من الدّروبي ص٨٨.

(٦) قوله «وفي طول ما مدح الله...» ابتداء ما جاء في البرصان والعرجان.

(٧) في البرصان والعرجان ص٢٠٢: بالأسماء.

به من الخِصالِ الشَّريفَة[1]، لَم يَمدَحهم بشَيءٍ أكثَرَ[2] مِن ذِكرِه [لهم][3] بالحِلم، وقد وصفَ النّاسُ بالحلم عادًا في الجُملَة[4]، ولم نَجِد ذلك إلا في مَوضِعَينِ من القُرآن[5].

وذَكَروا في الأشعارِ[6] حِلمَ لُقمان[7]، ولُقَيمَ بنِ لُقمان[8]، وقد ذَكَروا حِلمَ/ [9] قَيسِ بنِ عاصِم، ومُعاويةَ بنِ أبي سُفيان[10]، وحِصنَ بنِ حُذَيفَة[11]، وزُرارَةَ بنِ

---

(١) في البرصان والعرجان ص٢٠٢: ووصفهم بالخصال الشريفة.

(٢) في الدّروبيّ ص٨٨: أقل.

(٣) ما بين المعقوفين من البرصان والعرجان ص٢٠٢.

(٤) ساقطة من البرصان والعرجان.

(٥) في البرصان والعرجان ص٢٠٢: ولم نجد ذلك في القرآن إلا في موضعين. ذكر الحلم في القرآن أولاً في صفة إبراهيم ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]، وثانياً في صفة شعيب عيله السلام ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، واستدرك عبد السلام هارون موضعاً ثالثاً في صفة اسماعيل عليه السلام ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصّافات: ١٠١].

(انظر: الجاحظ، البرصان والعرجان: ص٢٠٢، الحاشية ١، والدّروبيّ، ص٨٨، حاشية ٢٦٠).

(٦) في البرصان والعرجان ص٢٠٢: الشعر.

(٧) لقمان: ابن عاد الأكبر بن ملطاط، من بني وائل من حمير، كان يوصف بالبيان والخطابة، والحكمة والدّهاء، معمّر جاهلي قديم، ملك من ملوك حمير، يلقّب بالرّائش الأكبر، زعم أصحاب الأساطير أنّه عاش عمر سبعة نسور، وهو غير لقمان الحكيم.

(انظر: الجاحظ، البيان والتبيين: ١/ ٢٤٤، والثعالبي، ثمار القلوب: ص٨٩، ٣٠٧، والسّجستاني، المعمّرون والوصايا: ص٤).

(٨) لقيم: هو ابن لقمان بن عاد. (انظر: الثعالبي، ثمار القلوب: ص٨٩).

(٩) ساقطة من البرصان والعرجان.

(١٠) من قوله «وحصن بن حذيفة..» إلىٰ قوله «..حاجب بن زرارة» ساقطة من البرصان والعرجان.

(١١) حصن بن حذيفة: أبو عيينة، ابن بدر الغطفاني، أدرك النّبي، ثم ارتّد، وعاد إلىٰ الإسلام علىٰ يد أبي بكر الصّدّيق. =

عُدَس[١]، وحاجِبَ بنِ زُرارَةَ[٢]، ورِجالاً كَثير[٣]، ما رأينا أحَدًا مِمَّن ذَكَرنا حَظِيَ بذِكرِ الحِلمِ كَما حَظِي به الأحنَفُ بنُ قَيس[٤]، ولا رأينا هذا الاسمَ التَزَقَ والتَحَمَ وظَهَرَ علىٰ الألسِنَةِ[٥]، كَما رأيناه تَهَيّأ للأحنَفِ بنِ قَيس.

ثُمَّ[٦] كانَ مع ذلك رَئيسًا في أكثَرِ تلك الفِتَن، فلَم نَرَ حالَه عندَ الخاصَّةِ والعامَّة، وعندَ النُّسّاكِ والفُتّاك، وعندَ الخُلَفاءِ الرّاشِدين، والمُلوكِ المُتَغَلِّبين، ولا حالَه في حَياتِه، ولا حالَه بَعدَ مَوتِه، مُستَويين[٧].

= (انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٢/ ٩١، وابن دريد، الاشتقاق: ص٢٨٤، وابن حزم، جمهرة رسائل العرب: ص٢٥٦، وابن سعيد، نشوة الطرب: ٢/ ٥٥٢).

(١) زرارة بن عدس: ابن زيد بن عبد الله بن دارم، جد جاهلي، بنوه بطن من بني دارم، كان حكيماً من قضاة تميم.

(انظر: ابن دريد، الاشتقاق: ص٢٣٥، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٢٣٢، وابن سعيد، نشوة الطرب: ١/ ٤٥٠).

(٢) حاجب بن زرارة: ابن عدس الدارمي التميمي، من سادات العرب في الجاهليّة، من رؤساء جبلة، أدرك الإسلام وأسلم، حضر يوم شعب جَبَلة، رهن قوسه عند كسرىٰ علىٰ مال عظيم، ووفىٰ به، من رهط الفرزدق، وكثيراً ما افتخر به، توفي سنة (٣ هـ).

(انظر: ابن سعيد، نشوة الطرب: ١/ ٤٥٠، والصّفدي، الغيث المسجم: ٢/ ٣٤٦، والزركلي، الأعلام: ٢/ ١٥٣).

(٣) في البرصان والعرجان ص٢٠٢: ورجالاً كثيراً.

(٤) عبارة «ما رأينا... حظي به الاحنف بن قيس» ساقطة من البرصان والعرجان.

(٥) في البرصان والعرجان ص٢٠٢: الالسن.

(٦) ساقطة من البرصان والعرجان.

(٧) جاء في الأصل قبل مستويين «ولا» ولا وجه لها.

في البرصان والعرجان ص٢٠٢: مستوياً.

فيَنبَغي أنْ يكونَ قد سَبقَت له مِن النَّبيِّ ﷺ دَعوَة، وقالَ فيه خَيرًا، كَما قد رَوَوه وذَكَروه، أو يكونَ قد أضمَرَ[1] مِن[2] حُسنِ النية، ومِن شِدَّةِ الإخلاص، ما لم يكُن عَليه أحَدٌ مِن نُظَرائه.

فإن قال قائل: فأنتُم تَزعُمونَ أنّ عَبدَ المُطَّلِبِ كانَ أحلَمَ النّاس، وكانَ[3] العَبّاسُ بنُ عَبدِ المُطَّلِبِ[4] حَليمَ[5] البَطحاء[6]، قُلنا: إنَّ الأحنَفَ كانَ الحِلمُ سَيِّدَ عَمَلِه، فَبانَ حِلمُه[7] مِن سائرِ أعمالِه.

---

(١) في البرصان والعرجان ص٢٠٢: أو كان قد ظهر منه.

(٢) ساقطة من الدّروبيّ.

(٣) في البرصان والعرجان ص٢٠٣: كذلك.

(٤) العبّاس بن عبد المطّلب: أبو الفضل، ابن هاشم بن عبد مناف، من أكابر قريش في الجاهليّة والإسلام، جد الخلفاء العبّاسيين، قال الرّسول في وصفه: «هذا بقيّة آبائي»، وهو عمّه، كان سديداً الرّأي، واسع العقل، مولعاً بإعتاق العبيد، كارهاً للرّق، وكانت له سقاية الحجّاج وعمارة المسجد الحرام، أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه، وإمام بمكة يكتب إلىٰ رسول الله ﷺ أخبار المشركين، ثم هاجر إلىٰ المدينة شهد وقعة حنين، وكان ممّن ثبت حين انهزم النّاس، وشهد فتح مكّة، وعمي في آخر عمره، وكان إذا مرّ بعمر في أيّام خلافته ترجّل عمر إجلالاً له، توفي سنة (٣٢هـ).

(انظر: ابن حجر، الإصابة: ٣/ ٥١١، والصفدي، الوافي بالوفيات: ١٦/ ٣٦٠، والطبري، تاريخ الأمم والملوك: ١/ ١٥٨، ١٥٩).

(٥) في الأصل (ظليم) وهو تصحيف.

(٦) عبارة «حليم البطحاء» ساقطة من البرصان والعرجان.

البطحاء: المقصود مكّة المكرّمة.

(انظر: السّندوبيّ، رسائل الجاحظ: ص٧٦، ٨٤، والحاجري، مجموع رسائل الجاحظ: ص٥٢، والطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٣/ ١٠٨٣، واللّسان: بطح).

(٧) ساقطة من البرصان والعرجان.

ومَحـاسِنُ عَبدِ المُطَّلِبِ وخِصالُ العَبّاسِ بن عَبدِ المُطَّلِبِ في المَجدِ والشَّـرَفِ كانَت مُتَكافِئَةً مُتَساويةً، كُلُّ خَصلَةٍ مِنها تَنتَصِفُ مِن صاحِبَتُها[١]، وكأنَّهما[٢] كَما قالَ الشّاعِرُ[٣]:

جـاءَت تَهُـضُّ الأرضَ أيَّ هَـضِّ
تَـدفَعُ مِنهـا بَعضَـها بِـبَعضٍ/
مِثلَ العَذارىٰ شِمنَ عَينَ المُـغضي[٤]

وإذا كانَتِ الخِصالُ كذلِكَ، لَم تَغلِب علىٰ صاحِبِها[٥] اسمٌ دونَ اسم، ورَجَعَ الأمـرُ فيها إلىٰ أنْ يُسَمّىٰ سَيِّدًا، وما أشبَـهَ ذلك من الأسماءِ الجامِـعَة. فأمّا الأنبياءُ صَلَواتُ الله عَليهم فالتَّسميةُ [لَـهُم][٦] بالـرِّسالَة[٧]، والنُّبـوَّةِ تأتي علىٰ الغايات، وتَجوزُ[٨] النِّهايات.

---

(١) في البرصان والعرجان ص٢٠٣: أختها.

(٢) في الأصل (وكأنّه).

في البرصان والعرجان ص٢٠٣: وكانت.

(٣) هو ركّاض الدّبيري. والبيت في اللّسان مادة هضض:

جاءت تهض المشي أيّ هـضّ   يدفع عنها بعضها عـن بعـض

(٤) شمن عين المغضي: استَلَلنها. (اللّسان: شمن).

(٥) في البرصان والعرجان ص٢٠٣: صاحبه.

(٦) ما بين المعقوفين من الدّروبيّ ص٩٣.

(٧) عبارة «من الاسماء الجامعة... التسمية لهم بالرسالة» ساقطة من البرصان والعرجان.

(٨) في الأصل (تحور) وهو تصحيف.

وقالوا[١]: «كانَ الأحنَفُ أحنَفَ مِن رِجليه جَميعًا، ولم يكُن له إلا بَيضَةٌ واحِدَة، وكانَ قد ضُرِبَ علىٰ رأسِه بخُراسان، فَماهَت[٢] إحدىٰ عَينَيه»[٣].

وقال الحُتات: «إنَّكَ لَضَئيل، وإنَّ أمَّكَ لَوَرهاء[٤]»[٥]. وقال الحَسَن[٦]: «وُلِدَ الأحنَفُ مُرتَتَق[٧] حِتارِ الإست[٨]، حتّىٰ فُتِقَ[٩] وعولِجَ»[١٠].

فإن كانَت هذِه الخِصالُ كَذِبًا وباطِلاً، فإنّا لا نَشُكُّ أنّ الحَسَدَ الذي قد[١١] أخرَجَ مِن أعدائه هذه الأُمور، لم يكُن إلا علىٰ نِعمَةٍ سابِغَةٍ غامِرَة، وإلا علىٰ خِصالٍ غالِيَةٍ[١٢] فاضِلَة، ثُمَّ لم يَضُرَّه ذلك، ولا وَضَعَ منه، ولا زادَته الأيّامُ إلا رِفعَةً، والحالاتُ إلا رياسَةً.

---

(١) ساقطة من البرصان والعرجان.

(٢) ماهت: كثر ماؤها وبرزت. (اللّسان: موه).

(٣) ورد القول في البيان والتبيين: ١/ ٥٠، ولطائف المعارف: ص١٠٥، وسرح العيون: ص١٠٥، والمعارف: ص٥٨٦.

(٤) في الأصل (وإنّك لورهاء) وهو تصحيف، وما أثبت من البرصان والعرجان ص٢٠٣.
ورهاء: حمقاء. (اللّسان: وره).

(٥) ورد القول في البيان والتبيين: ١/ ٥٠.

(٦) في الدّروبيّ ص٩٥: أبو الحسن.

(٧) في الأصل (من شقّ) وما أثبت من حاشية الأصل.
مرتتق: الرّتق ضد الفتق، وهو إلحام الفتق وإصلاحه. (اللّسان: رتق).

(٨) حتار الإست: أطراف جلدتها، وهو حروف الدّبر. (اللّسان: حتر).

(٩) فتق: شُقَّ. (اللّسان: فتق).

(١٠) انظر الخبر في المعارف: ص٤٢٣.

(١١) ساقطة من البرصان والعرجان.

(١٢) في البرصان والعرجان ص٢٠٥: عالية.

وإن كانَت هذه الخِصالُ قد كانَت فيه، وكانَت مَعروفَةً، فلَم تُنقِص مِن قَدرِه غُرزَةً[١]، ولا فَسَخَت[٢] مِن مَعاقِدِ رِئاسَتِه عُقدَةً، فلْيَعلَمِ الطّاعِنُ عليه آنّه يُريدُ[٣] أنْ يَطمِسَ عَينَ الشَّمس، ويَرُدَّ هُبوبَ الرِّيح.

وكانَ الأحنَفُ[٤] أبيَنَ النّاسِ في كُلِّ حال، وأخطَبَهم في يَومِ مَحفِل[٥]، والمصنَع[٦] وفي يَومِ أُنسٍ/ واستِرسال، وهو صاحِبُ الزُّحوفِ[٧] بخُراسان[٨]، وقد انغَمَسَ بيَدَيه[٩] في حَومَةِ الحَربِ ثَلاثَ مَرّات، وقال[١٠]:

إنّ عــلىٰ كُــلِّ رَئــيسٍ حَقّــا أنْ يَخضِبَ الصَّعدَةَ أو تَنـدَقّا[١١]

---

(١) في البرصان والعرجان ص٢٠٥، والدّرويّ ص٩٥: عروة.

(٢) في البرصان والعرجان ص٢٠٥: فتحت.

(٣) في البرصان والعرجان ص٢٠٥: إنما يريد.

(٤) ساقطة من البرصان والعرجان.

(٥) في البرصان والعرجان ص٢٠٥: حفل.

(٦) في الأصل (يصنع) دون إعجام، وهو تصحيف، وما أثبت من البرصان والعرجان ص٢٠٥. المصنع: ما فيه مستملح. (اللّسان: صنع).

(٧) في البرصان والعرجان ص٢٠٥: الراية.

(٨) انظر عبارة «الأحنف» صاحب الزّحوف في خراسان: في عيون الأخبار: ١/ ٢٦٧.

(٩) في البرصان والعرجان ص٢٠٥: وقد انغمس دون يديه.

(١٠) في البرصان والعرجان ص٢٠٥: وهو يقول. هو الأحنف بن قيس.

(١١) كان الأحنف في سريّة فسمع صوتاً في جوف اللّيل فانطلق يقول هذا البيت. الصّعدة: القناة.
ورد البيت في عيون الأخبار: ١/ ٢٦٨، والمعارف لابن قتيبة: ص٤٢٥، وسير أعلام النبلاء: ٥/ ١٢٢، وسرح العيون: ص١٠٨، والبرصان والعرجان: ص٢٠٥، واللسان مادة صعد.

وسارَ تَحتَ لِوائه الأقرَعُ بنُ حابِس[١]، وكانَ والَيه علىٰ الجوزَجان[٢]، ومَشىٰ مع جَنازَته مُصعَبُ بنُ الزُّبَير[٣] بغَيرِ حِذاءٍ ولا رِداء[٤]، مع عِلمِه بِما قال النّاسُ في شأنه، وفي شأنِ ابنِ جُرموز[٥].

---

(١) الأقرع بن حابس: ابن عقال بن محمّد بن سفيان بن مجاشع بن دارم، التميمي، صحابيّ من سادات العرب في الجاهليّة، وكان حكماً في الجاهليّة، قدم علىٰ رسول اللهفي وفد من بني دارم، فأسلموا، وشهد حنيناً وفتح مكّة والطّائف، وسكن المدينة، كان من المؤلّفة قلوبهم، ورحل إلىٰ دومة الجندل في خلافة أبي بكر، وكان مع خالد بن الوليد في أكثر وقائعه، واستشهد بالجوزجان سنة (٣١هـ).

(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ١/ ٢٦٤، ابن حجر، الإصابة: ١/ ٢٥٢، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٢٣٠، والنووي، تهذيب الأسماء والصفات: ص٢٠٠ - ٢٠١).

(٢) الجوزجان: اسم كورة واسعة من كُوَر بلخ بخراسان، وهي بين مرو الرّوذ وبلخ، فتحت الجوزجان سنة (٣٣هـ).

(انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ١/ ١٨٢).

(٣) مصعب بن الزّبير: أبو عيسىٰ وقيل أبو عبد الله، ابن العوّام القرشي الأسدي، أمير العراقين، كان فارساً شجاعاً وسيماً، بايعه أهل البصرة بالخلافة، وكان يسمّىٰ من سخائه آنية النّحل، قتل سنة (٧٢هـ) وله أربعون سنة.

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٥٩، والذهبي، العبر: ١/ ٥٩، ١١٣).

(٤) انظر الخبر في الكامل، ت محمد الدالي: ٣/ ١٤٥٦.

(٥) عمرو بن جرموز: ابن قيس بن الذّيّال بن ربيعة بن كعب، قتل الزّبير بن العوّام، وقدم علىٰ علي ابن أبي طالب وأخبره بقتله للزبير، فقال له علي: «أبشر بالنّار» سمعت رسول الله يقول «بشّر قاتل ابن صفيّة بالنّار».

(انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٢٢١، والبغدادي، خزانة الأدب: ٤/ ٢١٩، وابن دريد، الاشتقاق: ص٢٥٣).

وهو الذي قال لَـمّا طَمِعَ [فيه][١] عَبدُ المَلكِ للجَفوَةِ التي كانَت بَينَه وبَينَ مُصعَب، وجَرَّدَ إليه رَسولاً، قال الرَّسول: «أبلِغ صاحِبَكَ [إنّه][٢] إنْ لَم يَغزُنا لم نَغزُه، وإنْ أتانا لَم نُقاتِله». فعندَها قَوِيَ عبدُ المَلِكِ في نَفسِه.

ومِمّا يَدُلُّ علىٰ تَواضُعِه، وحُسنِ نيتِه، وعلىٰ أنّه يُعَمُّ[٣] بالرّأي ولا يُخَصّ، ما رَوَوا مِن شأنِ الرَّجُلِ الذي قالَ له: «يا أبا بَحر[٤]، ما يَمنَعُكَ مِن دُخولِ المَقصورَة[٥]؟»، قال: «فأنتَ ما يَمنَعُكَ مِن ذلك[٦]؟»، قال: «ألا أُترَك»، قال: «فَلذلكَ لا أدخُلُها».

وتَكَـلَّمَ النّاسُ عندَ مُعاويةَ في تَوكيدِ البَيعَـةِ ليَزيد[٧]، والأحنَفُ ساكِت، فقال مُعاوية: «لِـمَ لا تَتـكَلَّم يا أبا بَحر؟»، فَقال: «أخافُكَ إنْ صَدَقتُك، وأخافُ الله إنْ كَذَبتُك»[٨].

وأطرىٰ رَجُلٌ مِن قُرَيشٍ يَزيدَ بنَ مُعاويةَ عندَ مُعاوية، فلَمّا خَرَجَ مَع النّاسِ أقبَلَ علىٰ الأحنَف، فَقال: «إنّي والله ما[٩] قُلتُ الذي قُلتُه رَغبَةً أو رَهبَةً، فإنّه [ما

---

(١) ما بين المعقوفين من الدّروبيّ ص٩٧.

(٢) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٣) في البرصان والعرجان ص٢٠٦: لم يعم، ولا وجه لها.

(٤) ساقطة من البرصان والعرجان.

أبو بحر: هي كنية الأحنف بن قيس.

(٥) المقصورة: الدّار الواسعة التي لا يدخلها سوىٰ الرّجال. (اللّسان: قصر).

(٦) في البرصان والعرجان ص٢٠٦: من دخولها.

(٧) في البرصان والعرجان ص٢٠٦: في توكيد بيعة يزيد.

(٨) جاء الخبر في البيان والتبيين: ١/ ١٤٥، ومرآة الجنان: ١/ ١٧٨، والعقد الفريد: ٢/ ٤٤٩، ٤/ ٢٣١، وزهر الأكم: ٣/ ١٦.

(٩) في البرصان والعرجان ص٢٠٦: وإن.

عَلِمتُ][1] لَكذا، وأنَّ ابنَه لكذا[2]»، فَقال له الأحنَف: «اسكُت، فإنَّ ذا الوَجهَين/ لا يكونُ عندَ الله وَجيهًا»[3].

وشَهِدَ مُصعَبًا يَومًا، وهو يوَبِّخُ رَجُلاً ويُقَرِّعَه، ويَقول: «أبلَغَني عَن قَولِكَ[4] الثِّقَة، وأبلَغَني عَنكَ الثِّقَة»، فَقالَ له[5]: «كَلا [أيها الأمير][6] أنْ الثِّقَةَ لا يُبَلِّغ».

وهَذا الذي كَتَبتُ لكَ قَليلٌ [مِن كثير][7]، فلَقَد جاءَتِ الأخبارُ[8] عَن بَلاغَةِ لِسانِه، وعَن كَبيرِ مَعونَتِه[9]، بِما لا يُحصىٰ، وإنَّما أرَدتُ أنْ تَعرِفَ حُسنَ نيتِه.

وقد كَتَبَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ رَضي الله عنه[10]، إلىٰ سَعدِ بنِ أبي وَقّاص[11]: «يا

---

(١) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٢) في البرصان والعرجان ص٢٠٦: «فإنه ما علمت للذي..... وإن ابنه ما علمت للذي....».

(٣) جاء الخبر في الكامل، تحقيق محمد الدالي: ١/ ٦٦، ومرآة الجنان: ١/ ١٧٨، وزهر الأكم: ٣، ١٦، والثعالبي، الإعجاز والإيجاز: ص٢٨.

(٤) في البرصان والعرجان ص٢٠٧: ابلغني عنك.

(٥) المقصود الأحنف.

(٦) ما بين المعقوفين من البرصان والعرجان: ص٢٠٧، والدّروبيّ ص٩٨.

(٧) ما بين المعقوفين من البرصان والعرجان: ص٢٠٧، والدّروبيّ: ص٩٩.

(٨) في البرصان والعرجان ص٢٠٧: ولم ترد الأخبار.

(٩) في والبرصان والعرجان ص٢٠٧، والدّروبيّ ص٩٩: وعن كبر معرفته.

(١٠) ساقطة من البرصان والعرجان.

(١١) سعد بن أبي وقّاص: أبو إسحاق، سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف الأمير القرشي المكّي، وهو أول من رمىٰ بسهم في سبيل الله، روىٰ عن النّبي، أمّه حمنة بنت سفيان بن أميّة، أسلم وهو ابن (١٧) سنة، توفي سنة (٥٥ هـ) وكان ابن (٨٢) سنة.
(انظر: ابن حجر، الإصابة: ٣/ ٦١، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ٥٨، وابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق: ٦/ ٩٥).

سَعد، يا[١] سَعدَ بني وُهَيب، إنّ الله إذا أحَبَّ عَبدًا حَبَّبه إلىٰ خَلقِه، فاعتَبِر مَنزِلَتكَ من الله بمَنزِلَتِكَ من النّاس، واعلَم أنّ ما لَكَ عندَ الله مِثلُ ما لَكَ عندَ النّاسِ[٢]»[٣].

فَنحنُ نَظُنُّ أنْ هذه المَنزِلَةَ التي صارَت للأحنَفِ في قُلوبِ النّاسِ بمَنزِلَةِ[٤] الإسلامِ مِن قَلبِه. وهو الذي لمّا دَخَلَ في الوَفدِ علىٰ مُسَيلِمَةَ الكَذّاب، فخَرَجَ مِن عندِه، قالَ له بَعضُ رُؤَساءِ القَوم: «كَيفَ رأيتَه؟»، قال: «والله ما هو بِنَبيٍّ صادِق، ولا بمُتَنبِّئٍ[٥] حاذِق»[٦].

وهو الذي لمّا وَفَدَ علىٰ عُمَر، وتَنازَعوا الكَلامَ عندَه، أمسَكَ حتّىٰ كانَ عُمَرَ هوَ الذي استَنطَقَه[٧]، وخَصَّ القَومُ بالكَلامِ عُمَر[٨]، وذَكَروا لِسانَ أنفُسِهم. وتكَلَّمَ الأحنَفُ عَمَّن غابَ عَن مَجلِسِهم، فتكَلَّمَ في مَصلَحَةِ العِبادِ والبِلاد/ .

[٣٧] فصل[٩]

زَعَمتَ أنّي أسرِقُ الألفاظ، وأنتَحِلُ الكَلام، وكَيفَ وأنا ابنُ البَلاغَة، وأنا تِربُ[١٠]

---

(١) ساقطة من البرصان والعرجان.

(٢) في البرصان والعرجان ص٢٠٧: «واعلم أنْ ما لك عند الله مثل ما لله عندك».

(٣) انظر القول في البيان والتبيين: ١/ ١٧٨ .

(٤) في البرصان والعرجان ص٢٠٧: لمنزلة.

(٥) في البرصان والعرجان ص٢٠٧: ولا متنبئ.

(٦) عبارة «ما هو بنبيّ صادق ولا بمتنبئ حاذق» وردت في (الميداني، مجمع الأمثال: ٤/ ٦٥).

(٧) في البرصان والعرجان ص٢٠٧: كان عمر هو المستنطق له الكلام.

(٨) ساقطة من الدّروبيّ.

(٩) ورد هذا الفصل عند الدّروبيّ: ص١٠٠ – ١٠٥ .

وقد سبق هذا فصلٌ من سطرين: رأيتك أبقاك الله قد كرهت قربي وهويت بعدي، واستثقلت روحي، واستطلت عمري، وأيّام مقامي.

(١٠) ترب: المثل والملازم. (اللّسان: ترب).

الكِتابَة، وأنا جَهبَذُ[١] الكَلام، ونَقّادُ المَعاني، وأنا ابنُ لِسانِ الحُمَّرَة[٢]، وأنا ابنُ دَغفَل العَلاّمَة[٣].

قد والله خَرَجتُ عَليكَ من الكَمين، ومِن سَربِ[٤] الزُّبا[٥]، وغَرَّقتُكَ في نَهرِ الحَيرَة، ودَهدأتُ بكُم[٦] في قُلَّةِ[٧] قاف[٨]، فابتَغِ في السَّماءِ سُلَّمًا، أو في الأرضِ مَهرَبًا، هَيهاتَ!.

---

(١) جهبذ: نقاد خبير. (اللّسان: جهبذ).

(٢) ابن لسان الحمّرة: عبد الله بن حصن بن ربيعة بن صغير بن كلاب، أعرابي من بني تيم الله بن ثعلبة، كان من علماء زمانه، قال عنه ابن قتيبة «كان أنسب العرب وأعظمهم بصراً»، وهو الذي قال: «نلت العلم بلسان سؤول وقلب عقول»، وفي الأمثال قولهم (أنسب من لسان الحمّرة).
(انظر: ابن دريد، الاشتقاق: ص٢١٣، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٣١٥، وابن قتيبة، المعارف: ص٥٣٥، والميداني، مجمع الأمثال: ٣/ ٣٩٦، والبغدادي، خزانة الأدب: ٦/ ٣٧٣).

(٣) دغفل العلاّمة: دَغفل بن حنظلة الشيباني، وهو نسّابة علامة، قال أنْ العلم أربعة: «آفة، ونكداً، وإضاعة، واستجاعة؛ فآفته النّسيان، ونكده الكذب، وإضاعته وضعه في غير موضعه، واستجاعته أنّك لا تشبع منه» (الجاحظ، البيان والتبيين: ١/ ١٨٧)، ويقال في المثل (أنسب من دغفل) (الميداني، مجمع الأمثال: ٣/ ٣٩٦)، أدرك الرّسول ولم يسمع منه، غرق يوم دولاب في قتال الخوارج سنة (٦٥ هـ).
(انظر: ابن سعد، كتاب الطبقات: ٩/ ١٤٠، والمزّي، تهذيب الكمال: ٨/ ٤٨٦، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٣١٩، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ٤/ ٨٦).

(٤) في الدّروبيّ ص١٠١: بين، وأشار في الحاشية إلىٰ أنها غير واضحة في الأصل.
السرب: الطّريق. (اللّسان: سرب).

(٥) الزُّبا: جمع زبية، وهي الرّابية لا يعلوها ماء. (اللّسان: زبب).

(٦) في الدّروبيّ ص١٠١: «رد يا هذا بابك»، وأشار في الحاشية إلىٰ أنْ أداة النداء زيادة يقتضيها السياق.
دهدأت: قذف الحجارة من أعلىٰ إلىٰ أسفل دحرجة. (اللّسان: دهده).

(٧) قلّة: قمة الجبل. (اللّسان: قلل).

(٨) قاف: اسم جبل عظيم، قيل إنه أصل الجبال كلها وهو محيط بالدنيا، وهو من زبرجدة خضراء، وقيل إنه قريب من السماء، وإن وراءه عوالم وخلائق لا يعلمها.
(ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٤/ ٢٩٨، والدميري، حياة الحيوان: ٢/ ٣١٥).

أنا السُّمُّ السّاري، والأَسَدُ الضّاري[١]، والمَوتُ الغادي، وأنا الدّاءُ الذي لا دَواءَ له، وأنا حَدُّ السَّيفِ القاطِع، وطَبَعُ المُديَة[٢]، وأنا صاحِبُ تَقاطيع[٣]، وصِناعَتي جَودَةُ الخَطّ، وصِناعَتُكَ جَودَةُ المَحو. وأنا عالِمٌ، وأنتَ جاهِل. وأنا أقولُ بالسُّنَّة، وأنتَ تَقولُ بالشُّبهَة. وأنا أجمَع، وأنتَ تُفَرِّق، وأنا نَبيل، وأنتَ ذَميم. وأنا رَكين[٤]، وأنتَ عَجول. وأنا حَليم، وأنتَ سَفيه. وأنا أُدَبِّرُ[٥] لِنَفسي، وأُقيمُ أودَ[٦] غَيري، وأنتَ تَعجِزُ عَن نَفسِك. وأنا مِنطيق، وأنتَ سِكّيت. وأنا في إقبال، وأنتَ في إدبار.

وأنتَ أُسُّ[٧] الخَطأ، ومَعدِنُ اللَّحن، ويَنبوعُ السُّخف، ومُستَنبَطُ الخُرق[٨]، وعَينُ العي[٩]، لَيسَ لكَ يَومٌ مَشهود[١٠]، إلا وقد عُدَّ فيه[١١] مِن سَقَطاتِك، وأُحصي فيه[١٢] مِن فلَتاتِكَ أكثَرُ مِن قَطرِ[١٣] السَّماء، ونَباتِ الأرض، ورَملِ عالِج/ [١٤].

---

(١) الضّاري: المعتاد إسالة الدماء. (اللّسان: ضري).

(٢) طبع المدية: ختم السكين. (اللّسان: طبع).

(٣) صاحب تقاطيع: صاحب قدّ حسن. (اللّسان: قطع).

(٤) ركين: وقور، رزين بيّن الرّكانة. (اللّسان: ركن).

(٥) في الدّروبيّ ص١٠٢: أعدو.

(٦) أود: اعوجاج. (اللّسان: أود).

(٧) أسّ: أساس. (اللّسان: أسس).

(٨) الخرق: الغباوة والحمق. (اللّسان: خرق).

(٩) العي: فساد اللسان. (اللّسان: عيي).

(١٠) في الدّروبيّ ص١٠٢: مشهود.

(١١) ساقطة من الدّروبيّ.

(١٢) ساقطة من الدّروبيّ.

(١٣) في الدّروبيّ ص١٠٣: مطر.

(١٤) العالج: موضع بالبادية فيه تجمّع الرّمال. (اللسان: علج).

إنّي [والله مِمَّن][1] أُلّي[2]، غيرَ فاخِر. لَئن أنسأ الله في أجَلي، وأربىٰ في عُمري، لآخُذَنَّكَ أخذَ اللَّيثِ للثعلَب، والصَّقرِ للأرنَب، ولأدمَغَنَّ[3] رأسَكَ كَما تُدمَغُ رأسُ الحَيَّة، ولأختَطِفَنَّ روحَكَ كَما يَختَطِفُ البازي[4] حُشاشَ[5] الطَّير، ولأستأصِلَنَّكَ كَما تُستأصَلُ الشّأفَةَ[6]، ولآخُذَنَّ منكَ بالمِخنَق[7]، ولأغمِزَنَّكَ غَمزَةً، أجمَعُ بِها الأطباءَ[8] بَينَ قَصرَيَيك[9]، ولأطحَنَنَّكَ طَحنَ الرَّحَىٰ، ولأضغَطَنَّكَ ضَغطَ القَبر، ولأدَعَنَّكَ[10] خَميرَةً مُمَرَّثَة[11].

ثَكِلَتكَ أُمُّك، لَيسَ يُنجيكَ مني مَعقِل، ولا مَغار[12]، ولا قَعرُ بَحر، ولا رأسُ

---

(١) ما بين المعقوفين من الدّروبيّ ص١٠٣.

(٢) أُلّي: أحلف. (اللّسان: ألا).

(٣) أدمغن: الدمغ هو الشّج حتىٰ تبلغ الشّجة الدماغ. (اللّسان: دمغ).

(٤) البازي: جنس من الصقور الصغيرة والمتوسطة، تميل أجنحتها إلىٰ القصر، وأرجلها وأذنابها إلىٰ الطّول.

(الدميري، حياة الحيوان: ١/ ١٠٦).

(٥) حشاش: بقيّة الروح. (اللّسان: حشش).

(٦) الشّأفة: ورم يخرج في اليد والقدم، والشأفة تكوىٰ فتذهب. (اللّسان: شأف).

(٧) المخنق: موضع الخنق من الرّقبة. (اللّسان: خنق).

(٨) في الدّروبيّ ص١٠٣: الأطِبَّاء، ولا وجه لها.

والأطباء: جمع طبي، وهو ثدي البقرة. (اللّسان: طبي).

(٩) في الدّروبيّ ص١٠٣: قصريك.

قصرييك: القصريان هما ضلعان يليان التّرقوتين. (اللّسان: قصر).

(١٠) في الدّروبيّ ص١٠٣: لأجعلنك.

(١١) في الدّروبيّ ص١٠٣: حمرية.

ممرّثة: منقوعة حتىٰ تصبح كالحساء. (اللّسان: مرث).

(١٢) المغار: البيوت المنحوتة من الصخر. (اللّسان: غور).

طَود، ولا حُسَيني[١]، ولا سَهلٌ ولا جَبَل، ولَيسَ يُنجيكَ إلا المَوضِعُ الذي منه خُلِقت، ومنه خَرَجت.

فإن احتَرَزتَ احتِرازَ الضَّبِّ في جُحرِه، والضَّبُعِ في وِجارِها[٢]، أمِنتَ مَعَرَّتي[٣]، وإن أبَيتَ[٤] فأنتَ أوَّلُ هالِك، قد هَيَّجتَ أسَدًا خادِرًا[٥]، وضَرَيتَ ذِئبًا عاديًا[٦]، لا يَقصِرُ دونَ نَهشِ عِظامِك، وهَيضِ[٧] جَناحِك.

هَبِلَتكَ[٨] أمُّك، خَدَعَكَ شَيطانُك، ومَنَّتكَ نَفسُك، وضَلَّ حِلمُك؛ إذ لا تكونُ في مَسكِ الرِّجال[٩]، وتَوازُنِ الأبطال. والله ما فيكَ مَوضِعُ هِجاء، ولا مَحَلُّ سَبّ، وإنَّ الذَّليلَ لَمَن هَجا أمثالَك، ونازَلَ أشباهَك. وقَبيحٌ أنْ أُفسِدَ في مِثلِكَ طُرًّا[١٠]، وما مِثلُكَ إلا كَما قال جَرير:

وكُنـــتَ إذا حَلَلـــتَ بِـــدارِ قَـــومٍ ... رَحَلتَ بخِزيَةٍ، وتَرَكتَ عارا/[١١]

(١) الحُسيني: الجبل العالي. (اللّسان: حسي).
(٢) وجار الضبع: جُحرها. (اللّسان: وجر).
(٣) في الدّرّوبيّ ص١٠٤: مخري.
معرّتي: أذاي. (اللّسان: عرر)
(٤) في الدّرّوبيّ ص١٠٤: وإن أبيت إلا.
(٥) خادرا: رابضاً في خدره. (اللّسان: خدر).
(٦) ضريت ذئبًا عاديًا: الذّئب الظالم الذي يفترس النّاس. (اللّسان: عدا).
(٧) هيض: كسر. (اللّسان: هيض).
(٨) هبلتك: ثكلتك. (اللّسان: هبل).
(٩) مَسك الرجال: الصلابة والوزن. (اللّسان: مسك).
(١٠) في الأصل (طنزا) وهو تصحيف. وما أثبت من الدّرّوبيّ ص١٠٤.
الطر: الحاشية من الورقة. (اللّسان: طرر).
(١١) ورد البيت في ديوان جرير ص٣٤٢، وثمار القلوب: ص٦٣٦ (نزلت بدار)، وشذرات =

[٣٨] فصل[١]

جُعِلتُ فِداك، قَرأتُ كِتابَكَ فَلَم أشُكَّ أنه[٢] جونَةُ[٣] عَطّار، وأنّه حانوتُ[٤] بَزّاز[٥]، وأنّه تابوتُ لآل، وأنّه مَعدِنُ الإبريز[٦]، وأنّه الأصلُ وسائرُ العُلومِ الفَرع، وأنّه آدَمُ الكُتُب، وإبراهيمُ الأدَب، بَل لَم أشُكَّ في أنَّكَ قد أوتيتَ ما لَم يُؤتَ أحَدٌ من العالَمين.

فَيا عَقيدَ[٧] الفَلَك، ويا قوَّةَ الهَيولىٰ[٨]، ويا أسَنَّ مِن لُبَد[٩]، مَن هذا الذي لا

= الذهب ١/ ٣٣٧، ولباب الآداب: ص٣٧، وزهر الآداب: ١/ ٣٢٢، وربيع الأبرار: ١/ ٧١، واللسان مادة (خزا)، والمعجم المفصّل لشواهد العربية ٣/ ٧٦.

(١) ورد هذا الفصل عند الدّروبيّ: ص١٠٥ – ١١١.

(٢) في الدّروبيّ ص١٠٥: أنه في.

(٣) جونة: سلة مستديرة مغشاه أدماً تكون مع العطّارين ويعد منها الطيب ويحرز. (اللّسان: جون).

(٤) حانوت: دكّان. (اللّسان: حنت).

(٥) بزّاز: بائع الثّياب. (انظر: الثعالبي، فقة اللغة: ص٢٧٨، واللّسان: بزز).

(٦) الإبريز: الذهب الخالص. (اللّسان: برز).

(٧) عقيد: حليف. (اللّسان: عقد).

(٨) الهيولىٰ: مادة الشيء التي تصنع منها.

(انظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون: ٤/ ٧١، ونشوان الحميري، الحور العين: ص١٣٧).

(٩) لبد: اسم آخر نسر من نسور لقمان بن عاد، سمّاه بذلك لأن لَبِدَ فبقي ولا يموت كاللبد من الرجال اللازم لرحله، وكان كلّما مات واحد اتخذ مكانه نسر آخر، فعمّر سابعها زمناً طويلاً (اللّسان: لبد)، ويقال في المثل «أكبر من لبد» وأيضاً «أتىٰ أبد علىٰ لُبد». قال النّابغة:

أضحت خلاءً وأضحىٰ أهلها احتملوا ... أخنىٰ عليها الذي أخنىٰ علىٰ لبد

(انظر: ابن قتيبة، المعارف: ص٦٢٧، والميداني، مجمع الأمثال: ٣/ ٧٣).

يَسُرُّه أنْ تكونَ الشَّمسَ أو [١] القَمَرَ، أو النّارَ أو[٢] الثَّلج، أو بُرجًا من البُروج، أو قِطعَةً من الغَيم، أو تكونَ المَجَرَّةَ بأسرِها، أو مِكيالاً من الماء، أو مِقدارًا من الهَواء. فَسُبحانَ الله العَظيم، ثُمَّ سُبحانَ الله، كأنَّكَ تَغرِفُ مِن بَحر، أو وَقَعتَ[٣] علىٰ مَطمورَة[٤].

هذا والله العِلمُ لا ما أَلَّفَه صَخرٌ صاحِبُ سُلَيمان[٥]، ولا ما نَسَقَته سَحَرَةُ بابِل[٦]، ولا ما وَضَعَه أرِسطاطاليس[٧]. هذا والله العِلمُ لا ما جاءَ به مُسَيلمَةُ الكَذّاب، وطَلَحَةُ[٨] المُرتاب[٩]. هذا العِلمُ لا مَخاريقُ العُرّاف، وتَزاويقُ الكُهّان، بَل تَبطُلُ فيه رُقىٰ الهِند،

---

(١) في الدّروبيّ ص١٠٦: ولا.

(٢) في الدّروبيّ ص١٠٦: و.

(٣) في الدّروبيّ ص١٠٦: وقفت.

(٤) المطمورة: الحفرة تحت الأرض هيئ خفيًّا يُطمر فيه الطّعام والمال. (اللّسان: طمر).

(٥) صخر صاحب سليمان: هو جنيّ، وانظر قصّته مع سليمان في سراج الملوك: ٢/ ٦٤٢.

(٦) بابل: اسم ناحية منها الكوفة والحِلّة، ينسب إليها السحر، أوّل من نزلها وعمّرها هو نوح عليه السلام.
(ياقوت الحموي، معجم البلدان: ١/ ٣٠٩).

(٧) أرسطاطاليس: ابن نيقوماخس بن ماخازن، كان أبوه متطبّباً لأبي الاسكندر، وهو من تلامذة أفلاطون، وعن رأيه كان الاسكندر يمضي الأمور، لقب بالمعلم الأول، لأنّه أول من وضع التعاليم المنطقية، توفي في أواخر أيّام الاسكندر.
(انظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار: ١/ ٦١، والنّديم، الفهرست: ص٣٠٧، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء: ص٧٤، وابن نباتة، سرح العيون: ص٢١٠ – ٢١٢، وابن فضل العمري، مسالك الإبصار: ٩/ ٢١ – ٢٣، والقفطي، تاريخ الحكماء: ٢١).

(٨) في الدّروبيّ ص١٠٦: طليحة.

(٩) طليحة بن خويلد: الأسدي، تنبأ في خلافة أبي بكر، وكان قد ارتدّ عن الإسلام، تغلّب عليه خالد بن الوليد سنة (١١هـ)، وعاد طليحة إلىٰ الإسلام، وحسن إسلامه، وكان يُعدّ بألف فارس، استشهد بنهاوند سنة (٢١ هـ). =

ويَضِلُّ عندَه السُّمُّ المُجهَز[1]، ويَقصُرُ عنه، لُعابُ الأفاعي، فَتُقِرُّ له النَّفّاثاتُ في العُقَد[2].

فَيا لَها عَداوَةً ما أبعَدَ غَورَها، ويا لَها مُعانَدَةً ما أوخَمَ[3] عاقِبَتُها. والله لَو دَبَّرَها السَّفّاحُ[4] علىٰ مَروان[5]، وأبو جَعفَرٍ[6] علىٰ أبي مُسلِم[7]، أو المأمونُ[8] علىٰ المَخلوع[9]،

= (انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٣/ ٩٤، ابن حجر، الإصابة: ٣/ ٤٤٠، وابن العماد، شذرات الذهب: ١/ ٥٢، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص١٩٦، وابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق: ٧/ ٩٣).

(١) السم المجهز: السريع القتل. (اللّسان: جهز).

(٢) إشارة إلىٰ الآية ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ [الفلق: ٤].

(٣) أوخم: أسوأ عاقبة. (اللّسان: وخم).

(٤) السّفاح: أبو العبّاس، عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله، أول خلفاء الدّولة العبّاسيّة، ولد سنة (١٠٤هـ)، وقام بدعوته أبو مسلم الخراساني، بويع بالخلافة سنة (١٣٢هـ)، كان جواداً، فصيحاً، عالماً، توفي سنة (١٣٦هـ).

(انظر: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول: ص٢٠٦ – ٢٠٨).

(٥) مروان: مروان بن محمّد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، الخليفة الأموي، كان بطلاً شجاعاً داهيةً، ولد سنة (٧٢هـ) كان أديباً بليغاً، بويع بالخلافة سنة (١٢٧هـ)، قتل سنة (١٣٢ هـ) وانتهت خلافة بني أميّة.

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٦/ ٣٠٧).

(٦) أبو جعفر: أبو جعفر المنصور، الخليفة العبّاسي.

(٧) أبو مسلم: عبد الرّحمن بن مسلم الخراساني، قائد مشهور، ولد سنة (١٠٠هـ)، صاحب الدّعوة، وقام بتأسيس الدّولة العبّاسيّة، قتله أبو جعفر المنصور سنة (١٣٧هـ).

(انظر: الذّهبي، سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٨٧، والذّهبي، ميزان الاعتدال: ٢/ ٥٩٠).

(٨) المأمون: أبو العبّاس، عبد الله بن هارون الرّشيد، الخليفة العبّاسي.

(٩) المخلوع: أبو عبد الله، محمّد الأمين بن هارون الرّشيد، الهاشمي العباسي، أمّه زبيدة بنت جعفر بن المنصور، ولد سنة(١٧١ هـ)، كان ذا قوة وشجاعة، وأدب وفصاحة، توفي سنة (١٩٨هـ). =

أو المُعتَصِمُ[١] علىٰ بابَك[٢]، أو المُعتَـزُّ[٣] علىٰ المُستَعين/[٤]، لكانَ ذلك مِن تَدبيرِهِم بارِدًا، ومِن حيَلِهم بَديعًا.

ولو دَبَّـرَها الفَرَزدَقُ علىٰ جَرير، والأخطَلُ[٥] علىٰ الرّاعي[٦]، وحَمّادٌ[٧] علىٰ

= (انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٨/ ٢١٣، والذهبي، العبر: ١/ ٢٥٤، وابن عبد ربّه، العقد الفريد: ٥/ ١٠٧).

(١) المعتصم: أبو إسحاق، محمّد بن هارون الرّشيد، الخليفة العبّاسي.

(٢) بابك: هو بابك الخرّمي.

(٣) المعتز: أبو عبد الله، محمّد بن المتوكل جعفر بن المعتصم محمّد بن هارون الرّشيد، ولد سنة (٢٣٢هـ)، كانت دولته مستضعفة مع الأتراك، وتجمّع الأتراك لخلعه، مات سنة (٢٥٥ هـ) وهو ابن (٢٣) سنة.

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٣٦٣، وابن العماد، شذرات الذهب: ٢/ ١٣٠، والصّفدي، الوافي بالوفيات: ٢/ ٢٩١، والذهبي، العبر: ١/ ٣٦٥).

(٤) المستعين: أبو العباس محمّد بن أحمد بن المعتصم بن هارون الرّشيد، الخليفة، ولد سنة (٢٢١هـ) وبويع سنة (٢٤٨هـ)، اختلّت الخلافة بولايته واضطربت الأمور، خلع نفسه سنة (٢٥٢ هـ) ثم قُتل في السنة نفسها.

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٥٩، والذهبي، العبر: ١/ ٣٦٠).

(٥) الأخطل: أبو مالك، غيّاث بن غوث، النّصراني، من بني تغلب، مدح بني أميّة، شاعر مشهور، ومات قبل (١١٠هـ).

(انظر: ابن قتيبة، الشّعر والشعراء: ص٣٥٤، والذّهبي، سير أعلام النّبلاء: ٥/ ٤٧٤).

(٦) الرّاعي: عبيد الله بن الحصين بن جندل بن قطن بن ربيعة بن نمير، لقّب بالرّاعي لكثرة وصفه الإبل والرّعاء في شعره، شاعر فحل مشهور من شعراء الإسلام، كان أعور، امتدح عبد الملك بم مروان، وهو من أهل البصرة، عاصر جريراً والفرزدق، توفي سنة (٩٠هـ).

(انظر: والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٥/ ٤٨٠، والدارقطني، المؤتلف والمختلف: ص١٢٢).

(٧) حمّاد: حمّاد بن عمر من أهل الكوفة، مولىٰ لبني سُواءة بن عامر بن صعصعة، كان معلّماً وشاعراً، =

بَشّار(١)، لَكانَ مِن مَكائدِهِم شاذًّا غَريبًا:

مـا ضَرَّ تَغلِـبَ وائـلٍ أهَجَوتَهـا　　　أم بُلتَ حَيثُ تَناطَحَ البَحرانِ(٢)

هل يَضُرُّ القَمَرَ نُباحُ الكَلب؟ أم هَل يُزَعزِعُ النَّخلَةَ سُقوطُ البَعوضَةِ عَليها؟ فَلا أبقىٰ الله عليكَ إنْ أبقَيت، ولا عَفا عنكَ إنْ عَفَوت، أقولُ كَما قالَ أخو بَني مِنقَر(٣):

فَـما بُقيـا عَـلَيَّ تَـرَكتُماني　　　وَلَكِن خِفتُما صَرَدَ النِّبالِ(٤)

= رُمي بالزندقة، من مخضرمي الدّولتين الأموية والعبّاسية، كانت بينه وبين بشار بن برد مهاجاة فاحشة، قتل سنة (١٦١ هـ) علىٰ الزندقة.

(انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ص٥٦٤، والدارقطني، المؤتلف والمختلف: ص١٥٧، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٧/ ١٢٢).

(١) بشّار: أبو معاذ، بشار بن برد، مات سنة (١٦٧هـ) وبلغ التّسعين.

(انظر: ابن قتيبة، الشّعر والشّعراء: ص٥٥٠، والذّهبي، سير أعلام النبلاء: ٧/ ٢٢، والأصفهاني، الأغاني: ٣/ ٩١).

(٢) البيت للفرزدق في ديوانه، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٦٦م: ٢/ ٣٤٤. تناطح البحران: تقابلا تغلب وائل: قوم الأخطل، ورد البيت في البيان والتبيين: ٣/ ١٥٧، والحيوان: ١/ ١٣، ٣١٨، ورسائل الجاحظ، تحقيق عبد السّلام هارون: ١/ ٣٦٩، والشّعر والشّعراء: ص١٥٢، وخزانة الأدب: ٦/ ٩، وعيون الأخبار: ٢/ ٦٥، وزهر الآداب: ١/ ٢٧.

(٣) أخو بني منقر: هو اللّعين المنقري، منازل بن أمعز المنقري.

(٤) ورد البيت في اللسان مادة (صرد) و(نبل) و(بقي)، وخزانة الأدب: ٣/ ٢٠٨، والقلعي، تهذيب الرّياسة وترتيب السّياسة: ص٣٤٠، وخلاصة الذهب المسبوك: ص١٦٢، والمحاسن والمساوئ: ص٥١١، وأساس البلاغة: ص٤٨ و٤٥١، وتاج العروس: مادة صرد، والصّحاح: مادة بقي.

احذَر البَغي؛ فإنَّ مَصرَعَه وَخيم، واتَّقِ الكَلام[١]؛ فإنَّ مَرعاه وَبيل، وإياكَ أنْ تَعرِضَ لِجَريرٍ إذا هَجا، ولِلفَرَزدَقِ إذا فَخَر، ولِهَرثَمَةَ[٢] إذا دَبَّر، ولِقَيسِ بنِ زُهَيرٍ[٣] إذا مَكَر، ولِطاهِرِ بن الحُسَينِ[٤] إذا صال[٥].

وعليكَ الجادَّة، فإنّه خَيرٌ لَك، وَدَع بُنَيّاتِ الطَّريق[٦]، فإنّه أمثَلُ لَك، وَدَع ما

---

(١) في الدّروبيّ ص١٠٩: الكمال.

(٢) هرثمة: هرثمة بن أعين بن نصر الجبلي، أمير من القادة الشّجعان والدّهاة، قائد عبّاسي، ولاه الرّشيد مصر سنة (١٧٨هـ) ثم إفريقيّة لإخضاع عصاتها فهابه أهلها وأصلح أمورها، ثم عقد له على خراسان، ثم قاد الجيوش للمأمون، توفي سنة (٢٠٠ هـ) في مرو.
(انظر: الطّبري، تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٥٠٤، والكندي، الولاة والقضاة: ص١٠٥).

(٣) قيس بن زهير: أبو هند، ابن رواحة العبسي، أمير عبس وبطلها، وأحد السّادة القادة في غرب العراق، كان داهية أديباً، شاعراً شجاعاً خطيباً، كان يلقّب بقيس الرّأي؛ لجودة رأيه، وهو صاحب داحس التي راهن عليها حذيفة بن بدر صاحب الغبراء، توفي سنة (١٠ هـ).
(انظر: الزركلي، الأعلام: ٥/ ٢٠٦).

(٤) طاهر بن الحسين: ابن طلحة الخزاعي بن مصعب بن زريق الأمير، من كبار رجال دولة بني العبّاس، كان أديباً شجاعاً حكيماً، عالماً مفوّهاً شاعراً، هو الذي وطّد الأمر للمأمون، وهو الذي قتل الأمين، وعقد البيعة للمأمون، ولاه المأمون شرطة بغداد ثم خراسان، لقّب بذي اليمينين لأنه ضرب رجلاً فقدّه نصفين، وكانت الضّربة بشماله، وقيل لأن المأمون كتب إليه «يمينك يمين أمير المؤمنين وشمالك يمين»، وقيل لأنّه ولي العراق وخراسان، حاول اقتطاع خراسان لكنّه مات قبل ذلك سنة (٢٠٧ هـ).
(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١/ ٤٢٧).

(٥) صال: وثب. (اللّسان: صول).

(٦) بنيّات الطريق: الطرق الصغار تتشعب من الجادة. (اللّسان: بني).
وهو مثل يضرب عند أمر الرجل أنْ يقصد معظم الشّأن ويدع صغار الأمور.
(انظر: اليوسي، زهر الأكم: ٢/ ١٩١، الميداني، مجمع الأمثال: ١/ ٤٧٣، والقالي، الأمالي: ١/ ٢٣٢).

لَستَ منه، وعليكَ بِما لا بُدَّ منه، فإنَّ فيما أورِدُه عليكَ شُغلاً شاغِلاً.

قد جَمَعتُ لكَ في هذا الكِتابِ ما لا تَنتَفِعُ به إنْ غَفَلتَ، ولا تَتَّعظُ به إنْ فَهِمت، وخَلَعتُ عليكَ رأيي، وحَبَوتُكَ بِما حَبَوتُ به أحسَنَ إخواني، وقَضَيتُ حَقَّكَ بِما أشبَهَك، والسَّلامُ علىٰ مَن لَستَ إياه، ورَحمَةُ الله علىٰ مَن أنتَ غَيرُه/ .

[٣٩] فصل[١]

رأيتُكَ أبقاكَ الله قد كَرِهتَ قُربي، وهَوَيتَ بُعدي، واستَثقَلتَ روحي ونَفسي، واستَطَلتَ عُمري، وأيّامَ مُقامي[٢]، فأيُّ شَيءٍ أبقَيتَ للعَدوِّ المُكاشِف، والمُنافِقِ[٣] المُلاطِف، وللمُتعَمِّدِ المُصِرّ، [وللقادِرِ المُدِلّ][٤]؟ ولِمَن[٥] عاقَبَ علىٰ الصَّغيرِ بعُقوبَةِ الكَبير، وعلىٰ الهَفوَةِ بعُقوبَةِ الإصرار، وعلىٰ الخَطأ بعُقوبَةِ العَمد، وعلىٰ مَعصيةِ المُسِرّ[٦] بعُقوبَةِ مَعصيةِ[٧] المُعلِن[٨]؟

---

(١) ورد هذا الفصل مكرّرًا في الأصل.

ورددت بعض فقر هذا الفصل عند هارون: ٤/ ٨٤– ٨٦ بعنوان: رسالة الجد والهزل، وعبيد الله: ١/ ١٦٦ – ١٦٨ بعنوان: رسالة في الجد والهزل، والحاجري: ص٩٦– ١٠٣ بعنوان: رسالة الجد والهزل.

(٢) من بداية هذا الفصل إلىٰ هنا ساقطة من هارون.

(٣) في هارون٤/ ٨٤: وللموافق.

(٤) ما بين المعقوفين من هارون: ٤/ ٨٤.

(٥) في هارون٤/ ٨٤: ومن.

(٦) في هارون٤/ ٨٤: المتستر.

(٧) ساقطة من هارون.

(٨) من بداية هذا الفصل إلىٰ قوله «... بعقوبة معصية المعلن» ساقطة من عبيد الله.

ولا أعلَمُ نارًا أبلَغُ في إحراقِ أهلِها مِن نارِ الغَيظ، ولا حَرَكَةً أنقَصُ[1] لقوىٰ الأبدانِ من طَلَبِ الطَّوائل[2]، [مع قِلَّةِ الهُدوء، والجَهلِ بنافِعِ الجِمام، وإعطاءِ الحالات أقسامَها من التَّدبير][3].

ولا أعرِفُ [4] تِجارَةً أكثَرَ خُسرانًا، ولا أخَفَّ ميزانًا، مِن عَداوَةِ العاقِلِ العالِمِ، وإطلاقِ لِسانِ الجَليسِ المُداخِل[5]، والشِّعارِ[6] دونَ الدِّثار[7]، والخاصِّ دونَ العامّ.

وبَعد[8]، فأنتَ علىٰ يَقينٍ مِن مَوقِعِ أَلَمِ الغَيظ، والغَيظُ عَذاب، ولَرُبَّما زادَ التَّشَفي في الغَيظِ ولَم يُنقِص منه، ولَستُ علىٰ يَقينٍ مِن نُفوذِ سَهمِكَ في صَيدِك، كَما أيقَنتُ بمَوضِعِ الغَيظِ مِن صَدرِك. والحازِمُ لا يَجتَلِبُ شِفاءَ غَيظِه باجتِلابِ ضَعفِه، ولا يُسَدُّ إلاّ والغَرَضُ مُمكِن، والغايَةُ قَريبَة، ولا يَهرُبُ والهَرَبُ مَعجِز.

والغَضَبُ أبقاكَ الله في طِباعِ شَيطان، والهَوىٰ مُتَصَوِّرٌ في صورَةِ امرأة. ولا يُبصِرُ مَساقِطَ العَيب، ومَواقِعَ السَّرف/، إلا كُلَّ مُعتَدِلِ الطِّباع، ومُعتَدِلِ الأخلاط[9]، ومُستَوِيِّ الأسباب.

---

(١) في هارون ٤/ ٨٤، وعبيد الله ١/ ١٦٦: أنقض.

(٢) الطوائل: الثأر. (اللّسان: طول).

(٣) ما بين المعقوفين من هارون: ٤/ ٨٤، وعبيد الله ١/ ١٦٦.

(٤) في هارون ٤/ ٨٥، وعبيد الله ١/ ١٦٦: أعلم.

(٥) في هارون ٤/ ٨٥، وعبيد الله ١/ ١٦٦: والمداخل.

المُداخل: المُباطن. (اللّسان: دخل).

(٦) الشّعار: ما ولي شعر جسد الإنسان دون غيره من الثياب. (اللسان شعر).

(٧) الدِّثار: ما كان من الثياب فوق الشعار. (اللّسان: دثر).

(٨) من قوله «وبعد...» إلىٰ قوله «... ومستوي الأسباب» ساقطة من هارون.

(٩) الأخلاط: جمع خلط، الأمزجة. (اللسان: خلط).

جُعِلتُ فِداك، إنَّ هذا الحُزنَ[١] وإن كانَ قاتِلاً؛ فإنّه داءٌ مُماطِل، وسُقمَه سُقمٌ مُطاوِل، ومَعَه من التَّمهيلِ[٢] بِقَدرِ قِسطِهِ منأناةِ المِرَّةِ السَّوداء[٣]. وداءُ الغَيظِ سَفيهٌ طائِش[٤]، وعَجولٌ فَحّاش، يَعجِزُ[٥]عن التَّوبَة، ويَقتَطِعُ عن الوَصية[٦][٧]، ومَعَه من الخُرقِ بقَدرِ قِسطِهِ مِن التِهابِ المِرَّةِ الحَمراء. والعَجولُ يُخطِئُ وإن ظَفِر، فكَيفَ إذا أخفَق؛ علىٰ أنّ إخفاقَه لا يَزيدُ في حَقيقَةِ خَطئه، كَما أنّ ظَفَرَه لا يُنقِصُ مِن مِقدارِ زَلَـلِه.

والله لَو كُنتُ احتَلتُ[٨] علىٰ مَوتِ المُعتَـصِم، وغَضِبتُ لِـمَصرَعِ الأفشين[٩]،

---

(١) في هارون ٤/ ٨٦، وعبيد الله ١/ ١٦٧: أنْ داء الحزن.

(٢) في هارون ٤/ ٨٦، وعبيد الله ١/ ١٦٧: التّمهل.

(٣) المرة السوداء: مرّة غير طبيعية تسمىٰ بالسوداء المحترقة، وبالسوداء الاحتراقية، وهي من الأخلاط بالدّم.

(التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون: ٤/ ١٢٢، والخوارزمي، مفاتيح العلوم: ص١٠٦).

(٤) في هارون ٤/ ٨٦، وعبيد الله ١/ ١٦٧: طيّاش.

(٥) في هارون ٤/ ٨٦، وعبيد الله ١/ ١٦٧: يعجل.

(٦) في هارون ٤/ ٨٦، وعبيد الله ١/ ١٦٧: يقطع دون الوصيّة.

(٧) من هنا إلىٰ نهاية الفصل ساقطة من هارون، باستثناء فقرة سيتم الإشارة إليها.

(٨) في عبيد الله ١/ ١٦٨: أعنت.

(٩) الأفشين: أبو الحسن، حيدر بن كاوس، أصله من أشروسنّة، من قوّاد جيش المعتصم، وهو الذي قضىٰ علىٰ بابك الخرّمي وحركته، كان طاغية واتّهم بالخيانة، تمرّد علىٰ المعتصم فقتله المعتصم وصلبه سنة (٢٢٦ هـ).

(انظر: الطّبري، تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٢٠٩ – ٢٧٢، والمسعودي، التنبيه والاشراف: ص٣٠٦، وابن الوردي، تاريخ ابن الوردي: ١/ ٢١٣، وابن العبري، تاريخ مختصر الدّول: ٢٤٢، وابن ظافر، أخبار الدولة المنقطعة: ٢/ ٣٥١، والنويري، نهاية الأرب: ٢٢/ ٢٥٨، والكندي، الولاة والقضاة: ص١٤٣).

واستَجَبتُ للدّيكِ الأفرَق[١]، وأحببتُ صالِحَ بنَ حُنَين[٢]، وأخرَجتُك[٣] إلىٰ الريش[٤]، وكانَ الشَّمّاخُ[٥] صَديقي، والفارِسيّ[٦] مِن شيعَتي، ورَفَستُ[٧] حَمزَةَ[٨] رَفسَةً شَديدَةً،

---

(١) في عبيد الله ١/ ١٦٨: الأبيض الأفرق.
الدّيك الأفرق: الأفرق المفروق العرف، كانت العامّة في زمن الجاحظ يتبرّكون بالّديك الأبيض الأفرق، ويزعمون أنّه يطرد الشّيطان من البيت.
(انظر: الجاحظ، الحيوان: ٢/ ٢٠٧).

(٢) في الأصل جبير.
صالح بن حنين: ذكره الجاحظ في البخلاء، ويفهم من الخبر أنّه كان من البخلاء البغضاء الثّقلاء، وكان نديماً من ندماء صالح بن الرّشيد، وكان مضحكًا سخيفًا بارداً النّادرة.
(انظر: رسائل الجاحظ، ت عبد السّلام هارون: ١/ ٢٣٦، الحاشية: رقم ٢).

(٣) في عبيد الله ١/ ١٦٨: وأحوجتك.

(٤) حاتم الريش: من ندماء صالح بن الرشيد. (انظر: الأصفهاني، الأغاني: ٦/ ١٠٤).

(٥) الشّمّاخ: معقل بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني، شاعر مخضرم، أدرك الإسلام وأسلم، وهو شاعر مجيد وهو من طبقة لبيد والنّابغة، كان أرجز النّاس علىٰ البديهة، ولقّب بالشّمّاخ، توفي سنة (٢٢هـ).
(انظر: ابن قتيبة، الشّعر والشّعراء: ص٢١٥، والدّارقطني، المؤتلف والمختلف: ص١٣٨).

(٦) الفارسي: هو سلمان الفارسي، أبو عبد الله، سلمان الخير، مولىٰ رسول الله، أصله من فارس، توفي في المدائن في ولاية عمر سنة (٣٥هـ).
(انظر: النووي، تهذيب الأسماء والصفات: ص٣٣).

(٧) الرفس: ضرب الرجل في صدره بالرِّجل. (اللّسان: رفس).

(٨) حمزة: أبو عمارة، ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، القرشي الهاشمي المكّي، الإمام الضّرغام، أسد الله، عمّ الرسول وأخوه في الرّضاعة، وهو سيّد الشّهداء، توفي سنة (٣ هـ) في غزوة أحد، قتله عبدٌ أسود يدعىٰ وحشي، وحمل كبده إلىٰ هند في نذر نذرته حين قتل أباها يوم بدر، وقيل أنّ النّبيّﷺ رأىٰ حمزة قتيلاً بكىٰ، ولّما رأىٰ ما مُثّل به شهق.
(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٢/ ٢٠١، ابن حجر، الإصابة: ٢/ ٣٦، ١٠٩، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ١١٠، والذهبي، العبر: ١/ ٦).

ورَكَلتُ عُمَرَ رَكلَةً صَعبَةً، لَكانَ ما رَكَّبتَني به سَرَفًا، لَكُنتَ في هذا العِقاب مُعتَديًا.

جُعِلتُ فِداكَ، لا تَتَعَرَّض لعَداوَةِ عُقَلاءِ الرِّجال، ولضَغينَةِ حُفّاظِ المَثالِب[1]، ولِلِسانِ مَن قد عَرَفَ القَصد. وكُلُّ ذَنبٍ كانَ سَبَبُه الدّالَّة[2]، وضيقُ صَدر، وعُلوّ طِباع، وحِدَّةُ مُرار، أو مِن جِهَةِ الغِلَظِ في المَقادير، أو مِن طَريقِ فَرطِ الأَنَفَة[3]، وغلبَةِ طِباعِ الحَميَّة. فإذا كانَت ذُنوبُه/ مِن هذا الشَّكل، وعلىٰ هذه الأسباب، وفي هذه المَجاري، فلَيسَ يَقِفُ عَليها كَريم، ولا يَلتَفِتُ لَفتَها حَليم، ومِن العَدلِ المَحض. والإنصافِ الصَّحيح، أنْ تَحُطَّ من الحَسودِ نِصفَ عِقابِه، وأن تَقتَصِرَ منه علىٰ بَعضِ مِقدارِه؛ لأنَّ أَلَمَ حَسَدِه لكَ قد كَفاكَ منه شَطرَ غَيظِكَ عَليه.

فأمّا الوادُّ فَلا تَعرِض له أَلبَتَّة، ولا تَلتَفِتُ [إليهِ][4] لَفتَةً، ولَو أتىٰ علىٰ الحَرثِ والنَّسل، وجَنىٰ علىٰ الرّوحِ والقَلب، ولا تَغتَرَّ بقَولِه إنّي وادّ، وانظُر أنتَ في حَديثِه، وإلىٰ مَخارِجِ لَفظِه، وفي لَحنِ قَولِه.

جُعِلتُ فِداك، لَيسَ يَومي منكَ واحِدًا، وأنا في عِقابِكَ واحِد، ولَيسَ يُنجّيني منكَ مَعقِلُ وَعل[5]، ولا مَغارُ سَبُع، ولا قَعرُ بَحر، ولا رأسُ طَود، ولا حُسَيني، ولا دَغلٌ ولا وَحل، ولا لَثَقٌ[6]، ولا بَعَق[7]، ولا مَغارَةٌ ولا مَطمورة.

ولا واللهِ إنّ بي قوَّةً علىٰ الثُّعبان، فكَيفَ التِّنّين، ولا علىٰ القُـرَّةِ[8] فكَيفَ

---

(١) إلىٰ هنا انتهاء ما ورد في عبيد الله باستثناء فقرة سيتم الإشارة إليها لاحقاً.المثالب: العيوب. (اللّسان: ثلب).

(٢) الدّالة: المنّة. (اللّسان: دلل).

(٣) الأنفة: هو ما لا يصيبه الضّيم. (اللّسان: أنف).

(٤) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السّياق.

(٥) الوعل: تيس الجبل. (اللّسان: وعل).

(٦) لثق: اللزج المبتل. (اللّسان: لثق).

(٧) بعق: مندفع بالماء، وهو السّيل الدّفّاع. (اللّسان: بعق).

(٨) القرّة: الضفدعة. (الدميري: حياة الحيوان الكبرىٰ: ٢/ ٧٦).

الأَصَلَة[١]. اعفِني مِن جَبَه المُهَلَّب، ثُمَّ أقِلني مِن أي قَتلَة شِئت. إنْ احتَرَستُ منكَ، ألفَيتُ لِنَفسي كَدًّا شَديدًا، وغَمًّا طَويلاً، وطالَ اغتِرابي لألآفي، وتَعَرَّضتُ لِلعَدوّ، وتَحَرَّستُ لِلسِباع. وإنْ استَرسَلتُ إليك، لَم تَرَ أنْ تَقتُلَني إلا شَرَّ قِتلَةٍ وآلَمِها، ولَم تُعَذِّبَني إلا بِأشَدِّ النِّقَمِ وأطوَلِها/. ولو أرَدتُ لاختَرتُ الكَليلَ علىٰ المُرهَف، والتَّطويلَ علىٰ التَّدقيق، حتّىٰ كأنّي عَمِلتُ عَليكَ شاه مات[٢]، أو أكَلتُ عَشَرَة، وأطعَمتُكَ واحِدَةً.

[٣] لَقَد جَمَعَ هذا التَّدبير لَطافَةَ الشَّخص، وبُعدَ الغَور، ودِقَّةَ المَسلَك[٤]، واللهِ لَو دَبَّرَها الإسكَندَرُ[٥] علىٰ دارا بن دارا[٦]، أو استَخرَجَها[٧] المُهَلَّبُ علىٰ سُفيان بن

---

(١) الأصلة: الحيّة العظيمة، وهي حيّة كبيرة الرّأس قصيرة الجسم تثب علىٰ الفارس فتقتله. (اللّسان: أصل، والدميري: حياة الحيوان الكبرىٰ: ١/ ٢٨).

(٢) هذا في لعبة الشّطرنج.

(٣) من هنا ابتداء ما ورد في الحاجري.

(٤) انظر القول في الحيوان: ١/ ٣٣٦: «يقال: دبّت إليه دويهيّة الدّهر، وذلك حين أرادوا لطافة المدخل ودقة المسلك».

(٥) الاسكندر: هو الاسكندر المقدوني، لقّب بذي القرنين، ولكنّه ليس المذكور في القرآن، عندما توفي كان عمره (٣٦) سنة، وكان ملكه (١٦) سنة.
(انظر: حمزة الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء: ص٣٩، وابن الوردي، تاريخ ابن الوردي: ١/ ٦٢، وابن الزّحيف، مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار ويسمّىٰ اللّواحق النّديّة بالحدائق الورديّة: ١/ ١٨٩).

(٦) دارا بن دارا: كان دارا يتقاضىٰ إتاوة علىٰ من بالمغرب من قبط وبربر، ومن بالشمال من الروم والصقلب، ومن بالشام وفلسطين من الجرامقة والجراجمة، فلمّا استولىٰ الاسكندر علىٰ الملك وورد عليه من قبل دارا من يتقاضاه الإتاوة، قال: قولوا له أنْ الدّجاجة التي كانت إلىٰ الآن تبيض قد انقطعت عن البيض، وصار ذلك سبباً لالتحام الشّر بين دارا والاسكندر حتىٰ قُتِل فيه دارا.
(انظر: حمزة الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء: ص٣٨، وابن قتيبة، المعارف: ص٦٥٣، والدينوري، الأخبار الطّوال: ص٧٢ – ٧٤، وابن هذيل، عين الأدب والسّياسة: ص١٧٠).

(٧) في الحاجري ص٩٦: واستخرجها.

الأبرَد[١]، وفُتِحَت علىٰ هَرثَمَةَ[٢] في مَكيدَةِ خازِم بن خُزيمة[٣]. ولو دَبَّرَها لَقيم بن لُقمان علىٰ لُقمان بِن عاد، وادّعاها[٤] قَيسُ بنُ زُهَير علىٰ حِصنِ بنِ حُذَيفَة، وتَوجَّهتُ[٥] لِكُهّانِ بَني أسَد علىٰ دُهاةِ قُرَيش، كانَ[٦] ذلك مِن تَدبيرِهم نادِرًا بَديعًا، وشاذًّا غَريبًا[٧]. وإنَّما لَـتَرتَفِع عَن قَصيرٍ[٨] في كَيدِ الزَّبّاء[٩]، وعَن جَذيمَة[١٠] في

---

(١) سفيان بن الأبرد: ابن أبي أمامة بن قابوس بن سفيان، الأصم الكلبي، من قوّاد بني أميّة.
(انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٤٥٧).

(٢) هرثمة بن أعين.

(٣) خازم بن خزيمة: ابن عبد الله بن حنظلة بن مطلق بن صخر بن نهشل، صاحب شرطة بني العبّاس، ولي خراسان وعمان، ومات ببغداد في خلافة أبي جعفر المنصور.
(انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٢٣٠، والطبري، تاريخ الأمم والملوك:٤/ ٣٠٩، ٣١)

(٤) في الأصل (أذاعها) وهو تصحيف. وما أثبت من حاشية الأصل. في الحاجري ص٩٦: ولو أذاعها. (اللّسان: راغ).

(٥) في الحاجري ص٩٦: ولو توجّهت.

(٦) في الحاجري ص٩٦: لقد كان.

(٧) في الحاجري ص٩٦: ولكان في مكائدهم شاذاً غريباً.

(٨) قصير: ابن سعد بن عمرو بن جذيمة بن قيس بن هلال بن نهارة، كان صاحب جذيمة الأبرش ومن خلصائه، وكان صاحب رأي ودهاء، وهو أحد رجال القصّة المشهورة في انتقام عمرو بن عدي من الزّبّاء في الجاهليّة.
(انظر: البغدادي، خزانة الأدب: ٧/ ٢٩٣، والزّركلي، الأعلام: ٥/ ١٩٩).

(٩) الزّبّاء: بنت عمرو بن الظّرب بن حسّان بن أذينة بن السّميدع، كانت من أحزم النّساء، صاحبة تدمر، وملكة الشّام والجزيرة، كانت غزيرة المعارف، بديعة الجمال، مولعة بالصّيد والقنص، تحسن أكثر اللّغات الشّائعة في عصرها، وليت تدمر بعد مقتل والدها، وطردت الرّومان وحاربتهم، وامتدّ حكمها من الفرات إلىٰ بحر الرّوم، ومن صحراء العرب إلىٰ آسية الصّغرىٰ، توفيت سنة (٣٥٨ ق.هـ).
(انظر: ابن سعيد، نشوة الطرب: ١/ ٥٨ – ٦٠، وابن نباتة، سرح العيون: ص٨٤– ٨٥).

(١٠) جذيمة: ابن مالك بن فهم بن عمرو بن الأزد، كان ثاني ملوك الحيرة، وأوّل ملوكها أبوه =

مشاوَرَةِ[١] قَصير[٢]، وتَدِقّ[٣] علىٰ ابن العاص[٤]، وتَغمُضُ علىٰ ابن هِند[٥]، ويَكِلُّ[٦]

= مالك بن فهم، جاهلي، عاش عمراً طويلاً، وهو أوّل من غزا بالجيوش المنظّمة، وأوّل من عملت له المجانيق للحرب من ملوك العرب، سمّي الوضّاح؛ لوضح ما كان به أي برص، وكذلك يسمّىٰ الأبرش، كان من أفضل الملوك رأياً، وأشدّهم نكايةً.

(انظر: البغدادي، خزانة الأدب: ٧/ ٢٩٣، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ٦/ ١٨).

(١) في الأصل (مساوره) وهو تصحيف.

(٢) قام جذيمة الأبرش بقتل عمرو بن الظّرب، وبعد أنْ تملّكت الزّبّاء ابنته، قرّرت أنْ تأخذ بثأر أبيها، وأشارت أختها عليها أنْ تعلمه برغبتها بالزّواج منه، وبعد أنْ تظفر به تقتله، فكتبت إليه بذلك، فشاور جذيمة أصحابه، ووافقوه، إلا قصير وقال: «هذا رأي فاتر، وغدر حاضر»، ولم يوافق جذيمة، ولكن جذيمة رحل إليها، فلمّا دخل عليها أمرت بقطع عروق ذراعه، ونزف دماً إلىٰ أنْ مات، فاحتال قصير وابن أخت جذيمة واسمه عمرو بن عدي حتّىٰ دخل قصير قصر الزّبّاء، وعرف خططها، وهم عمرو بقتلها، فامتصّت سمّاً قاتلاً من خاتمها، وقالت: «بيدي لا بيدي عمرو».

(انظر: البغدادي، خزانة الأدب: ٧/ ٢٩٣ ٢٩٥).

(٣) في الحاجري ص٩٦: وما إخالها إلا وتدق. في الأصل (ندق) وهو تصحيف.

(٤) ابن العاص: أبو عبد الله، عمرو بن العاص بن وائل السّهمي القرشي، فاتح مصر، ولد سنة (٥٠ ق. هـ) وأحد عظماء العرب ودهاتهم وأولي الرّأي والحزم والمكيدة فيهم، كان في الجاهليّة من الأشدّاء علىٰ الإسلام، أسلم في هدنة الحديبية، ولاه النبيّ ﷺ إمرة جيش ذات السّلاسل، ثم كان من أمراء الجيوش في الجهاد بالشّام في زمن عمر، وهو الذي افتتح قنّسرين، ولمّا كانت الفتنة بين علي ومعاوية، كان مع معاوية، فولاه معاوية علىٰ مصر سنة (٣٨ هـ) وكان عمر بن الخطّاب إذا رأىٰ رجلاً يتلجلج في كلامه قال: «خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد!»، توفي سنة (٤٣ هـ).

(انظر: الزّركلي، الأعلام: ٥/ ٧٩).

(٥) ابن هند: هو معاوية بن أبي سفيان.

(٦) يكل: يضعف. (اللّسان: كلل).

عَنها أخو ثَقيف(١)، ويَستَسلِمُ لَهَا ابن سُمَيَّة(٢)، هذا [والله](٣) التَّدبير لا مَخاريقُ العُرّاف(٤)، وتَزاويرِ الكُهّان(٥)، وتَهاويلُ الجانّ(٦)، ولا ما سَجاها(٧) صاحِبُ الدّين، بَل تَضِلُّ فيها رُقىٰ الهِند، وتُقِرُّ بُها(٨) سَحَرَةُ بابِل.

ولو كُنتَ إذا أَرَدتَ ما أَرَدت، وحاوَلتَ ما حاوَلت، وَقَعتَ(٩) قَبلَ كُلِّ شَيءٍ بالمُؤانَسَة(١٠)، ثُمَّ أعمَلتَ الحِرمان، ثُمَّ صَرَّحتَ بالجَفوَة، ثُمَّ أَمَرتَ بالحِجاب، ثُمَّ صَرَمتَ الحَبل(١١)، لكُنتُ واحِدًا مِمَّن يَصبِر [أو يجزع](١٢)، ولكِن فُجاءاتِ الحَوادِث،

---

(١) أخو ثقيف: هو الحجّاج بن يوسف الثّقفي.

(٢) ابن سميّة: زياد بن أبيه، وأمّه سميّة جارية الحارث بن كلدة الثّقفي، ولد سنة (١هـ)، ألحقه معاوية ابن أبي سفيان بنسبه سنة (٤٤هـ) أبوه عُبيد الرّومي، وقيل أبو سفيان، ولي البصرة والكوفة، أمير من دهاة القادة الفاتحين، من أهل الطّائف، أدرك النّبي ﷺ ولم يره، توفي سنة (٥٣هـ).
(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٢/ ٣٣٦، والبغدادي، خزانة الأدب: ٦/ ٤٩، والذهبي، العبر: ١/ ٤١، والنووي، تهذيب الأسماء: ص٢٨٧).

(٣) ما بين المعقوفين من الحاجري ص٩٦.

(٤) مخاريق: الأكاذيب المختلقة. (اللّسان: خرق).
العراف: جمع عرّاف وهو الكاهن. (اللّسان: عرف).

(٥) في الحاجري ص٩٦: وتزاوير الكاهن.

(٦) في الحاجري ص٩٦: وتهاويل الحاوي.

(٧) في الحاجري ص٩٦: ينتجها.

(٨) في الحاجري ص٩٦: وتقرّبها.

(٩) في الحاجري ص٩٦: رفعت.

(١٠) جاء بعد هذه العبارة في الحاجري ص٩٦: «ثمّ أبيت المؤاكلة، ثمّ قطعت البرّ، ثم أذنت مع العامّة».

(١١) جاء بعد هذه العبارة في الحاجري ص٩٦: «ثمّ عاديت واقتصدت، ثم من بعد ذلك كلّه أسرفت واعتديت».

(١٢) ما بين المعقوفين من الحاجري ص٩٦. =

وبَغَتات البَلاء، لا يَقومُ لَها الحَجَرُ القاسي، ولا الجَبَلُ/ الرّاسي، [فلم تَدَع غايةً في صَرفِ ما بين طبقاتِ التّعذيبِ إلا أتيتَ عليها، ولا فُضول ما بين قواصِم الظّهرِ إلا بلَغتَها][(١)] فقد مُتُّ الآن. ومَن يَعيش فقد قَتَلَني[(٢)]، ومَن الآنَ تُعاشِر.

والله لو أنتجتُ في كُلِّ عامٍ ألفَ شَيديز[(٣)]، وأحبَلتُ في كُلِّ ليلَةٍ أربعَةَ آلافِ رَبرَب[(٤)]، وأحبَلتُ[(٥)] ابنَ القُرِّ[(٦)] مَع إفراطِ الشَّبَق، لَمّا كانَ يَنبَغي لكَ أنْ تَقتُلَنا هذه القِتلَةَ[(٧)]، ولَو اقتَصرتَ مَع العُقوبَةِ علىٰ كُلِّ شَيءٍ لكانَ أمثَلَ[(٨)].

فلا تَقِف ـ جَعَلَني الله فِداكَ ـ بَعدَ مَضيّك[(٩)] التِماسًا للعَفوِ عنّي، ولا تُقَصِّر في[(١٠)]

= وجاء بعد هذه العبارة «فلعلّي كنت أعيش بالرّفق، وأتبلّغ بحُشاشة النّفس، وأعلّل نفسي بالطّمع الكاذب».

(١) ما بين المعقوفين من الحاجري ص٩٧.

(٢) عبارة «من يعيش فقد قتلني» ساقطة من الحاجري.

(٣) شيديز: اسم فرس لكسرىٰ أبرويز، وكان لا يشبهه فرس. (انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٢/ ٣١٩).

(٤) الرّبرب: القطيع من بقر الوحش. (اللّسان: ربب).

(٥) في الحاجري ص٩٨: واحتلت.

(٦) في الحاجري ص٩٨: الغر. ابن القرّ: ابن الفرّوجة أو الفرّوج. (اللّسان: قرر).

(٧) في الحاجري ص٩٨: «لما كان ينبغي لك أنْ تعاملنا بهذه المعاملة ولا كان ينبغي أنْ تقتلنا هذه القتلة».

(٨) في الحاجري ص٩٨: «ولو اقتصرت من العقوبة علىٰ شيء دون شيء لكان أعدل، ولو عفوت البتّة لكان أمثل».

(٩) في الحاجري ص٩٩: بعد مضيك في عقابي.

(١٠) في الحاجري ص٩٩: عن.

إفراطِكَ مِن طَرِيقِ الرَّحمَةِ لي، لكِن[١] قِف وِقفَةَ مَن يَتَّهِمُ الغَضَبَ علىٰ عَقلِه، والشَّيطانَ علىٰ دينِه، وتَعلَمَ أنّ لِلعَقلِ خُصومًا، ولِلكَرَمِ أعداءً، أو من النَّصفَةِ[٢] أنْ تَنتَصِفَ لِعَقلِكَ مِن خَصمِه، ولكَرَمِكَ[٣] مِن عَدوِّه، وتُمسِكَ إمساكَ مَن لا يُبَرّئ نَفسَه من الهَوىٰ، ولا [يُبَرِّئ][٤] الهَوىٰ من الخَطأ، ولا تُنكِرَ لنَفسِكَ أنْ تَزِلّ، ولا لعَقلِكَ أنْ يَهفو، فقد زَلَّ آدَمُ وهَفا، وقد عَصىٰ وغوىٰ، وغَرَّه عَدوُّه، وخَدَعَه خَصمُه، وعِيبَ باختِلالِ عَزمِه، وسُكونِ قَلبِه، إلىٰ خِلافِ ثِقَتِه.

هذا وقد خَلَقَه بيدِه، وأسكَنَه دارًا آمنة، وأسجَدَ له مَلائكَتَه، ورَفَعَ فَوقَ العالَمِين دَرَجتَه، وعَلَّمَه جَميعَ الأشياء، بجَميعِ المَعاني.

هذا وآدَمُ هو الشَّجَرَةُ وأنتَ الثَّمَرَة، وهو سَماوي وأنتَ أرضي، وهو الأصلُ وأنتَ الفَرع، والأصلُ أحَقُّ بالقوَّة، والفَرعُ/ أولىٰ بالضَّعف، فَلَستُ أسأَلُكَ إلا رَيثَما تَسكُنُ [إليكَ نَفسُك][٥]، ويَرتَدُّ إليكَ ذِهنُك، وحَتّىٰ توازِنَ بينَ شِفاءِ الغَيظ، والانتِفاعِ بثَوابِ العَفو.

جُعِلتُ فِداك، اعلَم أنّي قد أحصَيتُ جَميعَ أسبابِ التَّعادي، وحَصَّلتُ جَميعَ عِلَلِ التّضاغُن، إلا عِلَّةَ عَداوَةِ الشَّيطانِ للإنسان؛ فإنّي لا أعرِفُ مَجازَها[٦] في الجُملَة، ولا

---

(١) في الحاجري ص٩٩: ولكن.

(٢) في الحاجري ص٩٩: وأنّ من النَصَفِ.

(٣) في الحاجري ص١٠٠: وتنتصف لكرمك.

(٤) ما بين المعقوفين من الحاجري ص١٠٠.

(٥) ما بين المعقوفين من الحاجري ص١٠١.

(٦) في الحاجري ص١٠٢: إلا مجازها.

أَحَقَّ خاصَّتِها علىٰ التَّحصيل، وعلىٰ [كُلِّ][1] حال؛ فقد عَرَفتُها مِن طَرِيقِ الجُملَة، وأنَّ جُملَتَها[2] مِن طَرِيقِ التَّفَضُّل.

فأمّا هَذا التَّجَني فلَم أعرِفُه في عامٍّ ولا خاصّ[3]. ولكِن اشتَدَّ تَعَجُّبي منكَ اليَومَ وأنا بفَرغانَة[4]، وأنتَ بالأندَلُس. وأنا صاحِبُ الكَلام، وأنتَ صاحِبُ نِتاج. وصِناعَتُكَ جَودَةُ الخَطّ، وصِناعَتي جَودَةُ المَحو. وأنتَ كاتِبٌ [وأنا][5] أُمّي، وأنتَ خَراجيّ[6]، [وأنا][7] عَشريّ[8]، وأنتَ زَرعيّ[9]، وأنا نَخليّ[10]. فلو كُنتُ مِن تَميم، وكُنتَ[11] مِن بَكر[12]، كانَ لكَ في العَداوَةِ[13] سَبَب، وإلىٰ المُنافَسَةِ سُلَّم.

---

(١) ما بين المعقوفين من الحاجري ص١٠٢.

(٢) في الحاجري ص١٠٢: جهلتها.

(٣) في الحاجري ص١٠٢: ولا خاص ولا عام.

(٤) فرغانة: مدينة وكورة واسعة بها وراء النهر، كثيرة الخير، بها الجبال الممتدة، مليئة بالأعناب والجوز والفستق والتفاح وسائر الفواكه، والورد والبنفسج وأنواع الرياحين.
(انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٤/ ٢٥٣).

(٥) ما بين المعقوفين من الحاجري ص١٠٣.

(٦) خراجي: الّذي يدفع خراج أرضه الّتي تؤخذ عنوة. (اللّسان: خرج).

(٧) ما بين المعقوفين من الحاجري: ص١٠٣.

(٨) عشري: الّذي يدفع العُشر عن أرضه. (اللّسان: عشر).

(٩) زرعي: الّذي يزرع القمح والحبوب والخضار. (اللّسان: زرع).

(١٠) نخلي: زارع النّخيل. (اللّسان: نخل).

(١١) في الأصل (كنت) والواو لازمة هنا.

(١٢) في الحاجري ص١٠٣: «فلو كنت إذ كنت من بكر كنتُ من تميم».

(١٣) في الحاجري ص١٠٣: كان لك إلىٰ العداوة.

أنتَ[١] أطالَ الله بَقاءكَ[٢] شاعِر، وأنا راوية. وأنتَ طَويل، وأنا قَصير. وأنتَ أصلَع، وأنا أنزَع[٣]. وأنتَ صاحِبُ بَراذين، وأنا صاحِبُ حَمير. وأنتَ رَكين[٤]، وأنا عَجول. وأنتَ تُدَبّرُ لنفسِك[٥]، وتُقيمُ أوَدَ غَيرِك، وتَتَّسِعُ لجَميعِ الرَّعية، وتَبلُغُ بتَدبيرِكَ أقصىٰ الأُمَّة، وأنا أعجَزُ عَن تَدبيري[٦] وتَدبيرِ أمَتي وعَبدي. [وأنتَ مَلِك، وأنا سوقَة[٧]][٨]. وأنتَ مُنعِم، وأنا شاكِر[٩]. وأنتَ مُصطَنِع، وأنا صَنيعَة. وأنتَ تَفعَل، وأنا أصِف. وأنتَ مُقَدَّم/[١٠]، وأنا تابع. وأنتَ إذا نازَعتَ الرِّجال، وناهَضتَ الأكفاء، لَم تَقُل بَعدَ فَراغِك، وانقِطاعِ كَلامِك؛ لَو كُنتُ قُلتُ [كَذا][١١] لكانَ أجوَد، ولَو تَرَكتُ [قولَ كَذا][١٢] لكانَ أحسَن. وأمضَيتَ الأُمورَ علىٰ حَقائقِها، وسَلَّمتَ إلَيها أقاسيطَها[١٣] علىٰ مَقاديرِ حُقوقِها، فَلَم تَندَم بعدَ قَول، ولَم تأسَف بعدَ سُكوت،

---

(١) هذه الفقرة وردت في عبيد الله ص١/ ١٨٧، وهارون: ٤/ ٨٩.

(٢) في عبيد الله ١/ ١٨٧، وهارون ٤/ ٨٩، والحاجري ص١٠٣: أبقاك الله.

(٣) في الأصل (أقرع) وما أثبت من هارون ٤/ ٨٩، والحاجري ص١٠٣.

النّزع: هو انحسار مقدّم شعر الرّأس عن جانبي الجبهة. (اللّسان: نزع).

(٤) ركين: وقور ورزين. (اللّسان: ركن).

(٥) في هارون ٤/ ٨٩: نفسك.

(٦) في عبيد الله١/ ١٨٧: عن نفسي.

(٧) سوقة: العامة. (اللّسان: سوق).

(٨) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص١/ ١٨٧، والحاجري ص١٠٣.

(٩) في هارون ٤/ ٨٩: «وأنت منعم وأنا شاكر، وأنت ملك وأنا سوقة».

(١٠) في هارون ٤/ ٨٩: وأنت متقدّم.

(١١) ما بين المعقوفين من هارون: ٤/ ٩٠، والحاجري ص١٠٣.

(١٢) ما بين المعقوفين من هارون: ٤/ ٩٠، والحاجري ص١٠٣.

(١٣) في هارون ٤/ ٩٠، والحاجري ص١٠٣: أقساطها.

وأنا وإنْ حَكَمتُ[١] نَدِمت، وإن جارَيتُ هَرَبت[٢]، ورأيي كُلُّه دَبَري[٣]. وأنتَ في[٤] الشِطرَنجِ زَبرَب[٥]، وأنا في الشِطرَنجِ لا أحَد [٦].

أنتَ جَعَلَني الله فِداكَ تُريدُ أنْ تَتَعَلَّمَ بي عُقوبَةَ الأعداء، لا والله لَكأنَّكَ وَقَعتَ علىٰ مَطمورَة، أو ظَفِرتَ برأسِ خاقان[٧].

جُعِلتُ فِداك، مِزاجُ أخلاطِكَ هو الحُجَّة، واعتِدالُ طَبائِعِكَ هوَ النِّهايَة، وَطَبيعَتُكَ هي المُستَكِنَّة. وزَعَمتَ أنّ مَنظَرَكَ يُغني عَن مَخبَرِك، وأنَّ أوَّلَكَ يَحكي عَن آخِرِك، وشَدَدتَ عَلَيَّ شَدَّةَ المُهرِ الأرِن[٨]، وتَسَرَّعتَ إلَيَّ تَسَرُّعَ الغِرِّ النَّزِق[٩]، وألححتَ إلحاحَ اللَّجوجِ[١٠] الحَنِق[١١].

---

(١) في الأصل (حملت).

وما أثبت من هارون ٤/ ٩٠، والحاجري ص١٠٣.

(٢) في الحاجري ص١٠٣: أبدعت.

(٣) دبري: الرأي الدّبري: الذي يمعن النّظر فيه ويكون بعد فوات الحاجة أو الأمر. (اللّسان: دبر).

(٤) في الحاجري ص١٠٣: وأنت تعد.

(٥) لم أجد له ترجمة، لعلّه ممّن شُهِرُوا بلعبة الشّطرنج.

(٦) من «رأيي كله دبري... الشطرنج لا أحد» ساقطة من هارون. إلىٰ هنا انتهىٰ ما ما جاء في الحاجري والباقي غير موجود.

(٧) يقال (جاء برأس خاقان)، وخاقان هذا كان ملكاً من ملوك الرّوم خرج من ناحية باب الأبواب، وظهر علىٰ أرمينيّة، وقتل الجرّاح بن عبد الله عامل هشام بن عبد الملك، وغلظت نكايته في تلك البلاد، فبعث هشام إليه سعيد بن عمرو الحرشي، فأوقع سعيد بخاقان، ففض جمعه واجتز رأسه وبعث به إلىٰ هشام، فعظم أثره في المسلمين، ففخر بذلك حتّىٰ ضرب به المثل.

(انظر: الميداني، مجمع الأمثال: ١/ ٣٠٢).

(٨) الأرن: النشيط. (اللّسان: أرن).

(٩) النزق: الخفة والطيش وكثرة الكلام. (اللّسان: نزق).

(١٠) اللجوج: المتمادي في الخصومة. (اللّسان: لجج).

(١١) الحنق: شدة الاغتياظ. (اللّسان: حنق).

وقد تَقَدَّمَت إليَّ التَّجرِبَةُ أنّ الحَديدَ لا يكونُ حَقودًا، فقَصَدتَ علىٰ رأسي إلىٰ المُمتَحِنِ فأفسَدتَه، وإلىٰ الطَّبائعِ المُعتَدِلَةِ فنَقَضتَها، وإلىٰ القَضايا الصَّحيحَةِ فرَدَدتَها، وأنتَ لو مَشَيتَ الخُيَلاء، وحَقَّرتَ العُظَماء، وأرغَمتَ الشُّعَراء، وأعطَيتَ الخُطَباء، ليكونَ القَولُ مِنهم مَوصولاً غَيرَ مَقطوعٍ/ ، ومَبسوطًا غَيرَ مَقصور، لكُنتَ بعدُ مُقَصِّرًا في أمرِ نَفسِكَ مُفرِطًا.

[٤٠] فصل[١]

سألتَ أبقاكَ الله أنْ أصِفَ لكَ فُلانًا، واعلَمْ[٢] أنّي دَخَلتُ علىٰ رَجُلٍ ضَخمٍ فَدم، غَليظِ اللِّسان، غَليظَ المَعاني، عَليه من الكَلامِ أشَدُّ المَؤونَة، وفي مَعانيهِ اختِلاف. لَيسَ منه شَيءٌ يواتي صاحِبَه ولا يُعاوِنُه، بَل لا يُتارِكُه ويُسالِمُه حتّىٰ يَرىٰ إرادَتَه في شِقٍّ، ولِسانَه في شِقٍّ، وحَتّىٰ يُظَنَّ أنّ كَلامَه كَلامُ مَحمومٍ أو مَخمور، وإنْ كانَ واحِدٌ مِن هَذا يَقطَعُ نِظامَ المَعاني، ويَخلِطُ بينَ الأسافِلِ والأعالي.

وكُنتُ كأنّي رَجُلٌ من النَّظّارَة، وكانَ يَظُنُّ الظَّنّ، ثُمَّ يَقيسُ عَليه، ويَنسىٰ أنّ بَدءَ أمرِه إنَّما كانَ ظَنًّا، فإذا اطَّرَدَ له واتَّسَقَ جَزَمَ عليه، وحَكاه علىٰ صاحِبِه المُستَبصِرِ حِكايَةً[٣] في صِحَّةِ مَعناه، ولكِنَّه كانَ يَقول: «لا سَمِعتُ ولا رأيت»، وكانَ كَلامُه إذا خَرَجَ مَخرَجَ الشَّهادَةِ القاطِعَة، لَم يَشُكَّ السّامِعُ أنّه إنَّما يَحكي ذلك عَن سَماعٍ قد امتَحَنَه، ومُعايَنَةٍ قد قَهَرَها.

ورأيتُه يَزعُمُ أنّ مُنكَرًا أفضَلُ مِن نكير، وأنّ يأجوجَ أشرَفُ مِن مأجوج، وأنّ

---

(١) ورد هذا الفصل عند الدّروبيّ: ص١١١ - ١١٦.

(٢) في الدّروبيّ ص١١١: فاعلم.

(٣) في الدّروبيّ ص١١٢: علىٰ صاحبه حكاية المستبصر.

هاروتَ خَيرٌ[١] مِن ماروت[٢]، حتّىٰ زَعَمَ أنّ الجانِبَ[٣] الأيمَنَ أفضَلُ من الجانِبِ الأيسَر، واعتَلَّ بأنَّ الكَبِدَ لِلشِّقِ الأيمَن، فقلتُ له: «فإنّ الطِّحالَ للشِّقِّ/ الأيسَر»، فَقال: «الكَبِدُ أرفَعُ مَنزِلَةً من الطِّحال»، فَقُلت: «فإنّ الفُؤادَ الذي هو سَيِّدُ الأعضاءِ مُرَكَّبُه[٤] في الجَوفِ مِمّا يَلي اليَسارِ دونَ اليَمين، فَهذِه فَضيلَةٌ[٥] لليَسارِ علىٰ اليَمين»، فانقَطَع، وخَرَجتُ عنه.

فلَمّا رَجَعتُ إلىٰ مَنزِلي وَرَدَت له عَلَيَّ رُقعَةٌ مَكتوبٌ علىٰ عُنوانِها: «هذه مَسائلُ مِن فِقَرِ الحِكمَةِ ومَكنونِ عِلمِ الفَلسَفَة»، ففَكَكتُها[٦] وإذا فيها: «خَبِّرنا عَن تَعادي الأضداد، وحَرَكاتِ الكَونِ والفَساد، إذا استَحوذت[٧] علىٰ الأجرامِ الجِسميَّة[٨]،

---

(١) في الدّروبيّ ص١١٣: أفصل.

(٢) هاروت وماروت: ذُكرا في القرآن الكريم ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ [البقرة ١٠٢]، ملكان كانا يُعلّمان النّاس السّحر، قال قيس بن الملوح:

وهاروت لاقىٰ من جوىٰ الحُبِّ ... وماروتُ فاجاه البلاءُ المُصَمَّمُ

(انظر: الدميري، حياة الحيوان الكبرىٰ: ٢/ ٢٦٣، والثعالبي، ثمار القلوب: ص٦٧، ديوان قيس بن الملوح: ص٧٣).

(٣) في الأصل (الحاجب)، وما أثبت من الدّروبيّ ص١١٣ لموافقة السياق.

(٤) في الدّروبيّ ص١١٣: مركب.

(٥) في الأصل (قضيه) وهو تصحيف. وما أثبت من الدّروبيّ ص١١٣.

(٦) في الأصل (ففككته)، وهو خطأ لأن رقعة مؤنّثة.

وما أثبت من الدّروبيّ ص١١٣.

(٧) في الأصل (استحررت) وهو تصحيف.وما أثبت من الدّروبيّ ص١١٣.

(٨) الأجرام الجسمية: الأجرام جمع جرم، يطلق علىٰ الفلك وما فيه من الأجسام الصافية كالكواكب، والجسم يطلق علىٰ ما تحت الفلك من العناصر، فلا فرق بين الأجرام والأجسام إلا في الإطلاق.

(الأحمد نكري، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: ١/ ٤٠).

فَتَلاشَت القوىٰ الطَّبيعية[١]، هَل تكونُ[٢] للحَرَكاتِ العُنصُرية[٣] أعراضٌ بَدَنية، أو جَواهِرُ وَهمية، أو أعيانٌ عَقلية؟

وخَبِّرَنا[٤] عَن استِقصاتِ[٥] الأجسام، واصطِكاكِ[٦] تَضامُنِ الأركان: هَل تَدخُلُ في الفِقدان، وتَخرُجُ مِن بابِ الإمكان؟

وخَبِّرنا عن الحَرَكاتِ الطَّبيعية[٧]، والصّوَرِ الهَيولانيَّة[٨]، وهل هي خارِجَةٌ مِن بابِ الإمكان، أو داخِلَةٌ في بابِ الكَيان؟

وخَبِّرنا عَن تَلاشي شَبيهِ الفِقدانية: هَل يُخَصُّ بالخَواصِّ الكيانية، أو يُحَدُّ بالحُدودِ الطَّبيعية؟

---

(١) القوىٰ الطبيعية: مبدأ الحركة علىٰ نهج واحد من غير إرادة، كالقوة المدبرة لبدن الإنسان من غير إرادة ولا شعور.

(انظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون: ٢/ ١١٢٧).

(٢) في الأصل (يكون)، وهو خطأ لأن الحركات مؤنثة.

(٣) الحركات العنصرية: أصل الحسب. (اللّسان: عنصر).

(٤) في الدّروبيّ ص١١٤: وأخبرنا.

(٥) في الدّروبيّ ١١٣: استقصاءات.

استقصات: الاسطقس: الشّيء البسيط الّذي منه يتركّبُ المُركّب كالحجارة. (الخوارزمي، مفاتيح العلوم: ص٨٢).

(٦) اصطكاك: صك الشيء مع الآخر. (اللسان صكك).

(٧) الحركات الطبيعية: انتقال الأجسام من مكان إلىٰ مكان آخر.

(التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون: ١/ ٤٦٢).

(٨) الصور الهيولانية: الصور الجسمية الطبيعية الجوهرية الممتدة في الجهات.

(الأحمد نكري، دستور العلماء: ٢/ ٤٧٩).

وخَبِّرنا عَن فِقدانِ الوجدان، وامتِناعِ عَدَمِ الإمكان: هَل يَدخُلُ في بابِ الجِسمِ الكياني، أم في العَرَضِ الكياني؟

وخَبِّرنا عَن تَلاشي الشَّبيهِ وبُطلانِ عَدمِ الأينية(١): هَل تكونُ صورَتُه علىٰ ما أدرَكَتِ الحَواسُ الخَمس، أو علىٰ ما باشَرَه/ الحَيُّ النّاطِقُ باللَّمس؟

وخَبِّرنا عن اللَّدَدِ(٢) الجَدَلية، والحقائقِ الكيلية(٣)، والصَّنائعِ الرُّهبانية، مِن عِلمِ الفَلسَفات، والسَّوائرِ المُستَوَيات(٤)، هل(٥) لَها أشخاصٌ ثابِتَة، وأعيانٌ مُتأمَّلَة؟

وخَبِّرنا عن النَّواميسِ الخَفيةِ والشَّرائعِ الإلَهية، هل لَها أسرارٌ طَبيعية، أو رُسومٌ عَقلية؟

فلَمّا وَرَدَت عَلَيَّ ونَظَرتُ فيها، عَلِمتُ أنّه لَم يَتأتَّ له هذا الكَلام إلا بخِذلانِ الله [تَعالىٰ](٦)، وأنَّ أحَدًا(٧) مِن أهلِ إقليمِ بابِل لا يَطَّرِدَ لِهاجِسِه من الكَلامِ المُحالِ ما له، وأيقَنتُ بأنَّه قد نَسي أنّه أنفَذَ إلَيَّ الرُّقعَة، وأنّه لا يَذكُرُ شَيئًا مِمّا كُتِب.

---

(١) الأينية: الانتقال من مكان إلىٰ مكان تدريجياً وتسمىٰ النقلة، والانتقال من كم إلىٰ كم آخر تدريجياً تسمىٰ الكميّة، والانتقال من كيفية إلىٰ كيفية أخرىٰ تدريجياً وتسمىٰ الكيفية، وقد تكون وصفية في أنْ يكون للشيء حركة علىٰ الاستدارة.

(انظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون: ١/ ٤٦٨).

(٢) اللدد: الخصومة الشديدة مع الميل عن الحق. (اللسان لدد).

(٣) هكذا في الأصل ولعلّها الكُليّة من مصطلحات الفلاسفة.

(٤) في الدّروبيّ ص١١٥: المسنونات.

(٥) في الدّروبيّ ص١١٥: فهل.

(٦) ما بين المعقوفين من الدّروبيّ ص١١٥.

(٧) في الأصل (لهذا)، وما أثبت من الدّروبيّ ص١١٥.

فرَجِعتُ عليه سائلاً، والتَمَستُ منه الإجابَة عنها، فوَقَعَ تحتَ كُلِّ مَسألَةٍ مِمّا قد كَتبتُ لكَ منها: «مَسألَتُكَ هذه لَها وَجهان، فإن أرَدتَ مِن بابِ التَّغييرِ[١] فلا، وإنْ أرَدتَ مِن بابِ التَّصويرِ[٢] فنعَم، آخِرُ جَوابِ هذا الكَلامِ علىٰ أمرَينِ[٣]: فإن أرَدتَ إثباتَهُ[٤] مِن بابِ تَضامُنِ التَّغايُرِ[٥] فمُحال، وإن أرَدتَ إثباتَه عن طَريقِ وجدانِ غَيبَتِه بالمَقاييسِ فنعَم.

آخِرُ جَوابِ هذا الكَلامِ علىٰ أمرَينِ: إنْ أرَدتَ مِن طَريقِ التَّقارُبِ في حالِ تلاشي العَقلِ[٦]، فَهذا كَلامٌ يستَحيل، وإن أرَدتَ مِن طَريقِ فِقدانِ وجدانِ عَدَمِ الإمكانِ فصَحيح»/ .

[٤١] فصل[٧]

وَفَّقَنا الله وإياكَ لِطَلَبِ المَنافِعِ، وإيثارِ الفَواد، وأعانَنا علىٰ دَركِ النُّجح، بلَطيفِ الصُّنع، وجعَلَنا مِمَّن لا يَفثأُهُ[٨] عَن حُسنِ الاختيار، ولا يُثنيهِ عَن حَزمِ الرّأي، الاستِحياءُ من العَجَزَة[٩]، ومُراقَبَةُ الجَهَلَة، ومُحاذَرَةُ الحَسَدَة.

---

(١) في الدّروبيّ ص١١٦ : التيقن.

(٢) في الدّروبيّ ص١١٦ :التصور.

(٣) عبارة (آخر جواب.... أمرين) ساقطة من الدّروبيّ.

(٤) ساقطة من الدّروبيّ.

(٥) في الدّروبيّ ص١١٦ : المغاير.

(٦) في الدّروبيّ ص١١٦ : الفعل.

(٧) ورد الفصل عند الدّروبيّ: ص١١٦ - ١١٨ .

(٨) يفثأه: يكسر غضبه ويسكته. (اللّسان: فثأ).

(٩) في الدّروبيّ ص١١٦ : الفجرة.

قَرأتُ كِتابَكَ فَرأيتُه[١] كِتابَ رَجُلٍ قد تَمَكَّنَ في قَلبِه الصَّوابُ عندَ نَفسِه، واستَقَرَّ في وَهمِه الهُدىٰ في ظَنِّه، واطَّرَدَ له نِظامُ القَول، فَصالَ[٢] به صَولَةَ المُحِقّ[٣]، وأقدَمَ مَعَه[٤] إقدامَ المُغالِب، واقتَدَرَ اقتِدارَ العالِمِ.

ولو اتَّهمتَ نَظَرَك، فاستَرَبتَ بتَسويلِ النَّفس، وغُرورِ الشَّيطان، واستَمسَكتَ بعُروَةِ الحُجَّة، واحتَرَستَ مِن استِحواذِ الشُّبهَة، كُنتَ قد هُديتَ لرُشدِك، ويُسِّرتَ لنَيلِ بُغيَتِك، والله الموفِّق.

ذَكَرتَ أنّ الله خَصَّ بالمُعاتَبَةِ أولي الألباب، وخاطَبَ بالاحتِجاجِ أهلَ العُقول؛ إذ لَم يَكُن في حِكمَةِ الحَكيمِ أنْ يُعاتِبَ مَن لا يَعي فَهمُه، ولا يَحيَىٰ قَلبُه، ولا يُلقي السَّمعَ وهوَ شَهيد[٥]، فيَذهبَ العِتابُ لَغوًا، وتَطيشَ الحُجَّةُ صَفحًا، وأنّي لَم أكُن عندَكَ مِمَّن يوثَـقُ بعَقلِه، ويُرجىٰ فَهمُه، لَم يَضِعِ القَولَ في مُعاتَبَتي، ويَهجُنُ الرّأيُ بمُخاطَبَتي.

فإنّ العاقِلَ لا يَبذُرُ في الأرضِ التي لا تُنبِت، ولا يَغرِسُ الشَّجَرَ الذي لا يُثمِر، ولا هو أنْ لَم يُثمِر لا يُنتَفَعُ به وبعودِه ووَرَقِه، فَيكونُ فيهما عِوَضٌ من الثَّمَرِ سيما[٦]. والحُكَماءُ علىٰ مُحكَمِ/ أقوالِهِم أشَحُّ منهُم علىٰ غَرسِ الشَّجَر.

ومِقدارُ الاستِحقاقِ مَنسوبٌ إلىٰ التَّطويلِ والاستِحسان، وأفضَلُ القَولِ علىٰ

---

(١) في الدّروبيّ ص١١٦: وجدت.

(٢) في الدّروبيّ ص١١٧: وصال.

(٣) في الدّروبيّ ص١١٧: المحقق.

(٤) في الدّروبيّ ص١١٧: حق.

(٥) إشارة إلىٰ الآية ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

(٦) سيما: علامات. (اللّسان: سوم).

مِقدارِ الحاجَةِ إلىٰ الهَذرِ مَحصولٌ علىٰ السُّخف، ومَردودٌ إلىٰ سوءِ الرَّويةِ والتَّقدير، ومُكتَسَبٌ به عاجِلُ الضَّرَر، وآجِلُ العِقاب.

فقد قالَت الحُكَماء، وروي في الآثارِ مِن حَمدِ الصَّمت[١]، وذَمِّ الهَذر، وفُضولِ القَول، ما لا يَدفَعُه عالِم، ولا يَـرُدُّه إلا جاهِل. فَوَقَعَ الذَّمُّ[٢] علىٰ فُضولِ القَولِ دونَ أُصولِه، وعلىٰ ما يَفضُلُ منه علىٰ المِقدار، ويُجاوِزُ حَدَّ الانتِفاع.

[٤٢] فصل[٣]

وَهَبَ الله لَكَ حُسنَ الاستِماع، وأشعَرَ قَلبَكَ حُسنَ[٤] التَّـثَبُّت، وجَعَلَ أحسَنَ الأُمورِ في عَينِك[٥]، وأجلاها[٦] في صَدرِك، وأبقاها أثَرًا عَليكَ في دينِكَ ودُنياك، عِلمًا تُقَيِّدُه[٧]، وضالاً تُرشِدُه، وبابًا مِن الخَيرِ تَفتَحُه.

وأعاذَكَ من التَّكَلُّف، وعَصَمَكَ من التَّلَوُّن، وبَغَّضَ إليكَ اللَّجاج، وكَرَّهَ إلَيكَ الاستِبداد، ونَـزَّهَكَ عن الفُضول، وعَرَّفَكَ سوءَ عاقِبَةِ المِراء.

---

(١) كان الرّسول طويل الصّمت، دائم السّكوت، يتكلّم بجوامع الكلم، لا فضل ولا تقصير، وكان يبغض الثّرثارين المتشدّقين.

(انظر: الجاحظ، البيان والتبيين: ١/ ١٨٥، وعبيد الله بن حسّان، فصول مختارة: ٤/ ١١٣، والبستي، روضة العقلاء: ص٦٠).

(٢) في الدّرويّ ص١١٨: فوقع القول الذم.

(٣) ورد هذا الفصل في البرصان والعرجان: ص١ – ٥.

(٤) في البرصان والعرجان ص١: حب.

(٥) في البرصان والعرجان ص١: عينيك.

(٦) في الأصل (وأحلاها).

أجلاها: من الجلاء والوضوح. (اللّسان: جلا).

(٧) في البرصان والعرجان ص١: تفيده.

وجَعَلَكَ مِمَّن يَجعَلَ مُحاسَبَةِ نَفسِه صِناعَةً[١]، يَعتَقِدُها[٢]، ويَعقِدُ حالاتِه عُقدَةٌ يُرجَعُ إليها، حتّىٰ تَخرُجَ أفعالُكَ مَقسومَةً مُحَصَّلَةً، وألفاظُكَ مَوزونَةً مُعتَدِلَةً[٣]، ومَعانيكَ مُصَفّاةً مُهَذَّبَةً، ومَخارِجُ أُمورِكَ مَقبولَةً مُحَبَّبَةً[٤].

فإنَّكَ[٥] مَتىٰ كُنتَ كذلك، كانَت رِقَّتُكَ علىٰ الجاهِلِ الغَبيّ/ ، بقَدرِ غِلظَتِكَ علىٰ المُعانِدِ الذَّكيّ، وبحُبِّ الجَماعَةِ بقَدرِ بُغضِكَ لِلفُرقَة، وتَرغَبُ في الاستِخارَةِ والاستِشارَة، بقَدرِ زُهدِكَ في الاستِبدادِ واللَّجاجَة.

وتَبدأ من العِلمِ بِما لا يَسَعُ جَهلَه [قبل التَّطَوّع بِما يَسَعُ جَهلَه][٦]. ولا تَلتَمِسَ الفُروعَ إلا بَعدَ إحكامِ الأُصول، ولا تَنظُر في الطُّرَفِ والغَرائب، وتُؤثِر رِوايَةَ المُلَحِ والنَّوادِر، وكُلَّ ما خَفَّ علىٰ قُلوبِ الفُرّاغ، وأُذُنِ[٧] أسماعِ الأغمار، إلا بَعدَ إقامَةِ العَمود[٨]، والبَصرِ بِما يَثلِمُ[٩] ذلك[١٠] العَمود.

---

(١) في البرصان والعرجان ص٣: فاجعل محاسبة نفسك صناعة.

(٢) في الأصل (ويعتقدها) ولا وجه لوجود الواو.

(٣) في البرصان والعرجان ص٣: معدلة.

(٤) في البرصان والعرجان ص٣: مهذبة.

(٥) ساقطة من البرصان والعرجان.

(٦) ما بين المعقوفين من البرصان والعرجان: ص٣.

(٧) في البرصان والعرجان ص٣: وراق.

(٨) في الأصل (العود) وهو تصحيف، وما أثبت من البرصان والعرجان ص٣.

(٩) يثلم: يكسر حرفه. (اللّسان: ثلم).

(١٠) في البرصان والعرجان ص٣: من ذلك.

وأنا أُحذِّرُكَ اللَّجاجَ والتَّتايُع(١)، وأرغَبُ إلىٰ الله [لك](٢) في السَّلامَةِ من البَلوىٰ(٣) والتَّزَيُّد، ومن الاستِطرافِ والتَّكَلُّف، فإنَّ الإفراطَ(٤) في اللَّجاجِ لا يكونُ إلا مِن خَلَلٍ في القوَّة، وإلا مِن نُقصانٍ [قَد دَخَل علىٰ](٥) التَّمَكُّن، واللَّجوجَ في مَعنىٰ المَغلوب، والمُتصرِّفَ في مَعنىٰ الغالِبَ والمُتكَفي، لا(٦) يكونُ إلا والعُقدَةُ مُنحَلَّة، والنَّفسُ مَنقوصَة، ثُمَّ لا بُدَّ أنْ يتَّصِلَ ضَعفَ المُنَّةِ بقَلَّةِ المَعرِفَة(٧)، ومَتىٰ نَقَصَتِ المَعرِفَةُ ولَم تكُنِ المُنَّةُ فاضِلَةً، كانَ الفاعِلُ إمّا لَجوجًا مُتَتايعًا(٨)، وإمّا ذا بَدَواتٍ(٩) مُتَلَوِّنًا.

فاعرِف فَضلَ ما بينَ التَّصَرُّفِ والتَّلَوُّن(١٠)، ولَيسَ الاعتِراض(١١) مِن صِفَةِ اللَّجاجِ [وقد يَكون الاعتِراض مَحمودًا وَمَذمومًا، ولا يكونُ اللَّجاجُ](١٢) إلا مَذمومًا. والتَّلَوّنُ أنْ تَكونَ سُرعَةُ رُجوعِهِ عن الصَّواب، كَسُرعَةِ رُجوعِه عَن الخَطأ واللَّجاج،

(١) التتايع: التهافت في الشر والإسراع إليه. (اللّسان: تيع).

(٢) ما بين المعقوفين من البرصان والعرجان: ص٤.

(٣) في البرصان والعرجان ص٤: التلون.

(٤) ساقطة من البرصان والعرجان.

(٥) ما بين المعقوفين من البرصان والعرجان: ص٤.

(٦) في البرصان والعرجان ص٤: ولا.

(٧) في الأصل (ثمّ لا يصل إلاّ ضعف المنّة بقلّة المعرفة) والعبارة قلقة، وما أثبت من البرصان والعرجان ص٤.

(٨) في البرصان والعرجان ص٤: مسارعاً.

(٩) بدوات: ذو آراء تظهر له فيختار بعضها ويسقط بعضها. (اللّسان: بدا).

(١٠) التّلون: عدم الثبات علىٰ خُلُق واحد. (اللّسان: لون).

(١١) في الأصل (الاعتزام) وهو خطأ، وما أثبت من البرصان والعرجان ص٤، وجاء قبلها (يوجد) ولا وجه لها.

(١٢) ما بين المعقوفين من البرصان والعرجان: ص٤.

وأن يكونَ ثَباتُ عَزمِه علىٰ إمضاءِ الخَطأ الضّارّ/ ، كَثَباتِ[١] عَزمِه علىٰ إمضاءِ[٢] الصَّوابِ النّافِع.

والذُّهولُ عن العَواقِبِ مَقرونٌ باللَّجاج، وضَعفُ العُقدَةِ مَقرونٌ بالبَدَوات. قيلَ لبَعضِ العُلَماء: مَن أسوأُ النّاسِ حالاً؟ قال: مَن لا يَثِقُ بأحَدٍ لسوءِ ظَنِّه، ولا يَثِقُ به أحَدٌ لِسوءِ فِعلِه وقال عُمَرُ بنُ الخَطّاب: «لَن تَنتَفِعَ بعَقلِ الرَّجُلِ حتّىٰ تَنتَفِعَ بظَنِّه»[٣]. وقال مُحَمَّدُ بنُ حَرب[٤]: «صَوابُ الظَّنِّ البابُ الأكبَرُ من الفِراسَة».

وقال بَلعاء[٥]:

وأبغي صَوابَ الظَّنِّ وأعلَمُ أنَّه ... إذا طاشَ ظَنُّ المَرءِ طاشَت مَقادِرُه[٦]

ولَيسَ سوءُ الظَّنِّ في الجُملَةِ بمَذموم[٧]، ولا حُسنُ[٨] الظَّنِّ بالمَحمود، وإنَّما

---

(١) في البرصان والعرجان ص٥: كثبوت.

(٢) في الأصل (القضا) وهو تصحيف، وما أثبت من البرصان والعرجان ص٥.

(٣) ورد القول في الحيوان: ٣/ ٥٩.

(٤) محمّد بن حرب: الهلالي، من أعلام متكلمي الخوارج، وكان من البلغاء الأبيناء، وكتب للأمين، روىٰ الجاحظ عنه في البيان.
(انظر: النديم، الفهرست: ص٢٥٨، ١٨٢).

(٥) بلعاء: بن قيس، رأس بني كنانة في أكثر حروبهم ومغازيهم، وهو شاعر محسن، كان أبرص، قال له قائل: «ما هذا بك يا بلعاء؟ فقال: سيف الله جلاه»، مات قبل يوم الحريرة.
(انظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار: ٤/ ٦٣، وابن قتيبة، المعارف: ص٥٨٠، والجاحظ، البرصان والعرجان: ص٣٢، ١٥٥، ٣١٢، والآمدي، المؤتلف والمختلف: ص١٥٠).

(٦) ورد البيت في الحيوان: ٣/ ٦١، وزهر الآداب: ١/ ٦٤، والمؤتلف والمختلف للآمدي: ص١٥٠.

(٧) في البرصان والعرجان ص٥: بالمذموم.

(٨) في البرصان والعرجان ص٥: بحسن.

المَحمودُ مِن ذلك الصَّواب، لا[1] علىٰ قَدرِ الأسبابِ القَويةِ والضَّعيفَة».

[٤٣] فصل[2]

إنّا نَعوذُ بكَ مِن الشَّيطانِ الرَّجيم[3]، ونَسألُكَ الهِدايَةَ إلىٰ الصِّراطِ[4] المُستَقيم، وصَلّىٰ الله علىٰ مُحمَّدٍ خاصَّةً، وعلىٰ أنبيائه عامَّةً، ونَعوذُ بالله أنْ تَدعونا بالمَحَبَّةِ[5] لإتمامِ هذا الكِتاب، إلىٰ أنْ نَصِلَ الصِّدقَ بالكَذِب، ونُدخِلَ الباطِلَ في تَضاعيفِ الحَقّ، ونَتكَثَّرُ بقَولِ الزّور، ونَلتَمِسَ تَمويهَ[6] ما فيه باللَّفظِ الحَسَن، وسَترَ قَبيحِه بالتّأليفِ المونِق، أو نَستَعينَ علىٰ إيضاحِ[7] الحَقِّ إلا بالحَقّ، وعلىٰ إيضاحِ الحُجَّةِ إلا بالحُجَّة، أو نَستَحِثَّ علىٰ دِراسَتِه واجتِبائه[8]، ونَستَدعي إلىٰ تَفضيلِه/ والإشادَةِ بذِكرِه بالأشعارِ المَوَلَّدَة، والأحاديثِ المصنوعة، والأسانيدِ المَدخولَة، وبِما لا شاهدَ عليه إلا دَعوىٰ قائلِه، ولا مُصَدِّقَ له إلا [مَن لا][9] يوثَقُ بمَعرِفَتِه.

---

(١) ساقطة من البرصان والعرجان، ولا وجه لها.

(٢) ورد هذا الفصل في الحيوان: ٧/ ٥، وهو مقدّمة الجزء السّابع بعنوان: القول في إحساس الحيوان.

(٣) في الأصل (الرحيم) وهو تحريف.

(٤) في الحيوان ٧/ ٥: صراطك.

(٥) في الأصل (ندعو بالمحنة) وهو تصحيف.
وما أثبت من الحيوان ٧/ ٥.

(٦) في الحيوان ٧/ ٥: تقوية.

(٧) في الحيوان ٧/ ٥: إفصاح.

(٨) في الأصل (اجتنابه) وهو خطأ.
وما أثبت من الحيوان ٧/ ٥.
اجتبائه: اختياره. (اللّسان: جبا).

(٩) ما بين المعقوفين من الحيوان ٧/ ٥.

[٤٤] فصل[١]

ونَعوذُ[٢] بالله مِن فِتنَـةِ العِلمِ[٣] وخَطَلِه، ومن الإسهاب، وتَـقَحُّمِ أهلِه، والاعتِمادُ[٤] فيما بَينَنا وبَينَ كَثيرٍ مِن أهلِ هذا الزَّمان، علىٰ حُسنِ الظَّنّ، والاتّكالُ فيهم علىٰ العُذر؛ [فإنَّ كَثيرًا مِمّن يتكلّفُ قراءَةَ الكُتُب، ومُدارَسَةَ العِلم، يَقِفونَ مِن جَميعِ الكتُبِ علىٰ الكَلِمَةِ الضَّعيفَة، واللَّفظَةِ السَّخيفَة، وعلىٰ موضِعٍ من التّأليفِ قد عَرَضَ له شَيءٌ مِن استِكراه، أو نالَه بَعضُ اضطِراب][٥].

وقد تَعرِضُ في الكتُبِ أشياءُ تَعرِضُ مِن سَقَطاتِ الوَهم[٦]، وفَلَتاتِ الضَّجَر، ومِن خَطأ النّاسِخ، وسوءِ حِفظِ[٧] المُعارِض، علىٰ[٨] مَعنًىٰ لَعَلَّكَ لَو تَدَبَّرتَه بِعَقلٍ غَيرِ مَفسود، ونَظَرٍ غَيرِ مَدخول، وتَصَفَّحتَه وأنتَ مُحتَرِسٌ مِن عَوارِضِ الحَسَد، ومِن عادَةِ التَّسَرُّع، ومِن أخلاقِ مَن عَسىٰ أنْ يَتَّسعَ في القَولِ بمقدارِ ضيقِ صَدرِه، ومَن يُرسِل لِسانَه إرسالَ الجاهلِ بكُنه ما يكونُ منه.

---

(١) ورد هذا الفصل في الحيوان ٧/ ٥ - ٦ وهو مقدّمة الجزء السّابع بعنوان: القول في إحساس أجناس الحيوان، وهو تابع للفصل السّابق.

(٢) الكلام مرتبط بما قبله، وهذا الفصل تابع لما قبله في الحيوان ٧/ ٥، لكن في الأصل فصلٌ مستقل.

(٣) في الحيوان ٧/ ٥: القول.

(٤) في الأصل (من الاعتماد) ولا وجه لوجود (من).

(٥) ما بين المعقوفين من الحيوان ٧/ ٦.

(٦) في الحيوان ٧/ ٦: أو كما يعرض في الكتب من سقطات الوهم.

(٧) في الحيوان ٧/ ٦: تحفّظ.

(٨) في الأصل (وعلىٰ) ولا وجه لوجود الواو.

ولو جَعَلتَ شُغلَكَ بقَليلِ ما تَرىٰ من المَذموم، شُغلَكَ بكَثيرِ ما تَرىٰ من المَحمود، كانَ ذلك أشبَهَ بالأدَبِ المُرضي، [والخيم الصّالح][1] وأشَدَّ مُشاكَلَةً للحِكمَة، وأبعَدَ مِن سُلطانِ الطَّيشِ والعَجَلَة، وأقرَبَ إلىٰ عادَةِ السَّلَفِ وسيرَةِ الأوَّلين، وأجدَرَ أنْ يَهَبَ الله لكَ السَّلامَةَ في كُتُبِكَ والدِّفاعَ عَن حُجَّتِك، يَومَ[2] مُناضَلَةِ خُصومِك، ومُقارَعَةِ أعدائك.

[٤٥] فصل[3]

[و][4] لَيسَ هَذا الكِتابُ يَرحَمُكَ الله في إيجابِ الوَعدِ والوَعيد، فَيَعتَرِضُ عَليه/ المُرجئ، ولَيسَ[5] هو في تَفضيلِ عَلي فَيَنصِبُ له العُثمانية[6]، ولا هو في تَصويبِ الحَكَمَينِ فيَتسخَّطَه[7] الخارِجي، ولا هو في تَقديمِ الاستِطاعَة، فيُعارِضَه مِن يُخالِفُ التَّقديم[8]، ولا هو في تَفضيلِ البَصرَةِ علىٰ الكوفَة، ومَكَّةَ علىٰ المَدينَة، والشّامِ علىٰ الجَزيرَة، ولا هو [9] في تَفضيلِ العَرَبِ علىٰ العَجَم.

---

(١) ما بين المعقوفين من الحيوان ٧/ ٦.
الخيم: الطّبع والخلق والسّجيّة. (اللّسان: خيم).
(٢) في الأصل (ويوم) ولا وجه لوجود الواو.
(٣) ورد هذا الفصل في كتاب الحيوان: ص٧/ ٧ - ٨، وهو تتمّة ما سبق.
(٤) ما بين المعقوفين من الحيوان ٧/ ٧.
(٥) في الحيوان ٧/ ٧: ولا.
(٦) في الحيوان ٧/ ٧: ولا هو في تفضيل علي فينصب له العثماني.
(٧) في الأصل (فيسخطه) وما أثبت من الحيوان ٧/ ٧.
(٨) جاء بعد هذه الجملة في الحيوان ٧/ ٧ «ولا هو في تثبيت الأعراض فيخالفه صاحب الأجسام».
(٩) ساقطة من الحيوان.

وعَدنانَ[١] علىٰ قَحطان[٢]، وعَمروٍ[٣] علىٰ واصِل[٤]، فَيَرُدَّ بذلك[٥] الهُذَلي[٦] علىٰ النَّظّام[٧].

---

(١) عدنان: هو من أبناء إسماعيل بن إبراهيم، وإليه ينتسب معظم أهل الحجاز.
(انظر: السهيلي، الروض الآنف: ١/ ٣١، ٤٤، والزّركلي، الأعلام: ٤/ ٢١٨).

(٢) قحطان: ابن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح، أصل العرب القحطانيّة، وأبو بطون حمير وكهلان والتّبابعة واللّخميين والغساسنة، وأول من لبس التّاج، كتان من سكّان حضرموت.
(انظر: المقري، زهرة الأخبار: ص٨، والسهيلي، الروض الآنف: ١/ ٤٣، ٤٥، والزّركلي، الأعلام: ٥/ ١٩١).

(٣) عمرو: أبو عثمان، عمرو بن عبيد بن باب التميمي بالولاء، شيخ المعتزلة، وأحد الزّهاد المشهورين، اشتهر بزهده وعلمه، له أخبار مع المنصور العبّاسي، توفّي بحران، ورثاه المنصور، ولم يسمع بخليفة رثىٰ من دونه سواه، له عدّة كتب منها كتاب العدل والتّوحيد، وكتاب الرّد علىٰ القدريّة، توفي سنة (١٤٤هـ).
(انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال: ٥/ ٣٢٩، والذهبي، العبر: ١/ ١٤٩).

(٤) واصل: أبو حذيفة، واصل بن عطاء الغزّال، ولد سنة (٨٠هـ) كان أحد البلغاء المفوّهين، لكنّه يلثغ بالرّاء ويبدلها غيناً، فكان لاقتداره علىٰ العربيّة وتوّسعه في الكلام يتجنّب الرّاء في خطابه، وهو من رؤوس المعتزلة، ومعلّمهم الأوّل، لقّب بالغزّال لجلوسه في سوق الغزّالين ليتصدّق علىٰ النّسوة الفقيرات، وكان يجيز التلاوة بالمعنىٰ، له مؤلف في التّوحيد، وكتاب المنزلة بين المنزلتين، توفي سنة (١٣١هـ).
(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٤٢، والذهبي، ميزان الاعتدال: ٤/ ٣٢٩، والصفدي، الوافي بالوفيات: ٢٧/ ٢٤٥، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ٦/ ٧).

(٥) في الأصل (فترد ذلك)، وما أثبت من الحيوان ٧/ ٧.

(٦) الهذليّ: محمّد بن الهذيل البصري العلاف، صاحب التّصانيف، أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطّويل تلميذ واصل بن عطاء، طال عمره وجاوز التّسعين، وتوفي سنة (٢٢٧ هـ).
(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٩/ ٢١٤، والذهبي، العبر: ١/ ٣٣٢).

(٧) في الحيوان ٧/ ٧: فيرد بذلك الهذيلي علىٰ النظامي.

ولا هو في تَفضيلِ مالِكٍ[١] علىٰ أبي حَنيفَة[٢]، ولا في تَفضيلِ امرِئ القَيسِ[٣] علىٰ النّابِغَـة[٤]، وعامرِ بنِ الطُّـفَيلِ[٥] علىٰ عَمرو بن مَعديكَرب[٦]، وعَـبّادِ بنِ

---

(١) مالك بن أنس: أبو عبد اللهّ، مالك بن أنس بن مالك، شيخ الإسلام وصاحب المذهب، ولد سنة (٩٣ هـ)، من أشهر كتبه الموطأ، توفي سنة (١٧٩هـ) وهو ابن (٨٩) سنة.
(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٧/ ٣٨٢، والذهبي، العبر: ١/ ٢١٠، والمزّي، تهذيب الكمال: ٢٧/ ٩١).

(٢) أبو حنيفة: النّعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي، صاحب المذهب الحنفي، ولد سنة (٨٠هـ) كان ثقة في الحديث، كان يسمّىٰ الوتد لكثرة صلاته، توفي سنة (١٥٠ هـ).
(انظر: الذهبي، العبر: ١/ ٣١٤، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٦/ ٥٢٩، والذهبي، ميزان الاعتدال: ٤/ ٢٦٥).

(٣) امرؤ القيس: أبو وهب، وقيل أبو الحارث، ابن حُجر بن عمرو الكندي، لقّب بذي القروح، من أصحاب المعلّقات، توفي سنة (٨٠ ق. هـ). (انظر: ابن قتيبة، الشّعر والشّعراء: ص٥٥، والزّوزني، شرح المعلّقات السبع: ص٥-٦، والبغدادي، خزانة الأدب: ١/ ٢٩٩، والأصفهاني، الأغاني: ٩/ ٥٥).

(٤) النّابغة: أبو أُمامة، النّابغة الذّبياني، زياد بن معاوية، كان شريفاً، وكان مع النّعمان بن المنذر.
(انظر: الأصفهاني، الأغاني: ١١/ ٥، وابن قتيبة، الشّعر والشّعراء: ص٩٢).

(٥) عامر بن الطّفيل: ابن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، كان فارس قيس، وكان أعور عقيماً، له كنيتان؛ كنية في السّلم هي أبو علي، وكنية في الحرب هي أبو عقيل، أتىٰ النّبي فقال له: تجعل لي نصف ثمار المدينة، وتجعلني ولي الأمر بعدك وأسلم؟ فقال النّبي: «اللّهمّ اكفني عامراً واهدِ بني عامر»، فانصرف وطعن في طريقه ومات.
(انظر: ابن قتيبة، الشّعر والشّعراء: ص٢٢٩، والبغدادي، خزانة الأدب: ١/ ٤٧٣، والصفدي، الوافي بالوفيات: ١٦، ٣٣٠، والسّجستاني، المعمّرون والوصايا: ص٧٦).

(٦) عمرو بن معدي كرب: أبو ثور، الزّبيدي، من فرسان العرب المشهورين بالبأس في الجاهليّة والإسلام، أدرك الإسلام وأسلم، ثم ارتد بعد وفاة الرّسول، ثم عاد إلىٰ الإسلام، ومات غازياً بنهاوند سنة (٢١هـ). =

الحُصَينِ[١] علىٰ عَبدِ الله بنِ الحُرِّ[٢]، ولا هوَ في تَفضيلِ المبرّد[٣] علىٰ ثَعلَب[٤]، [ولا هو

= (انظر: ابن قتيبة، الشّعر والشّعراء: ص٢٦١، والمرزباني، معجم الشّعراء: ص١٥ – ١٦، والبغدادي، خزانة الأدب: ١/ ٤٣٤، وابن كثير، البداية والنهاية: ٧/ ١١٧، والأصفهاني، والأغاني: ١٥/ ١٣٧).

(١) عبّاد بن الحصين: أبو جهضم، ابن يزيد بن عمرو بن أوس بن حلّزة بن تميم، كان فارس بني تميم، وكان شجاعاً، ولي شرطة البصرة أيّام ابن الزّبير، وشهد فتح (كابل) مع عبد الله بن عامر، وأدرك فتنة ابن الأشعث وهو شيخ مفلوج، ورحل إلىٰ كابل فقتل سنة (٨٥هـ).
(انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٢٠٧، والطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٣/ ٣٧٢، ٤٦٧).

(٢) عبد الله بن الحرّ: الجعفي، قائد من قوّاد العرب، كان شاعراً فحلاً صالحاً عابداً، من أصحاب عثمان، خرج عن الطّاعة في الكوفة، وتبعته طائفة وصلت إلىٰ سبعمائة رجل، وعاث فساداً في المدائن، وسجنه مصعب بن الزّبير وأخرجه بعد شفاعة، فعاد إلىٰ فساده، وصمد لرجال مصعب، ولمّا تفرّق عنه أصحابه، خاف من الأسر ألقىٰ بنفسه في الفرات، فمات غريقاً سنة (٦٨هـ).
(انظر: ابن حجر، الإصابة: ٥/ ٦٥، وابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق: ٧/ ٣٥٧، والزركلي، الأعلام: ٤/ ١٩٢).

(٣) المبرد: أبو العبّاس، محمّد بن يزيد بن عبد الأكبر، ولد بالبصرة سنة (٢٠١ هـ)، إمام النّحو البصري، صاحب الكامل، له تصانيف كثيرة، توفي سنة (٢٨٥هـ).
(انظر: الزبيدي، طبقات النحويين والبصريين: ص١٠٨ – ١١٢، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ١١/ ١٠١).

(٤) جملة «تفضيل المبرّد علىٰ ثعلب» ساقطة من الحيوان.
ثعلب: أبو العبّاس، أحمد بن يحيىٰ بن يزيد الشيباني، إمام النّحو، ولد سنة (٢٠٠هـ)، له عدّة تصانيف، منها كتاب القرآءات، وكتاب معاني القرآن، توفي سنة (٢٩١هـ).
(انظر: الزبيدي، طبقات النّحويين والبصريين: ص١٥٥ – ١٦٧، والذهبي، سير أعلام النبلاء:١١/ ١٠٩).

في تفضيل سيبَويه علىٰ الكِسائي][1]، ولا هو في تَفضيلِ ابنِ سُرَيجٍ[2] علىٰ الغَريض[3]، ولا في تَفضيلِ الجَعدي[4] علىٰ القافلاي[5].

ولا في تَفضيلِ حِلمِ الأحنَفِ[6] علىٰ حِلمِ مُعاوية[7]، ولا تَفضيلِ عِلمِ[8] قَتادَة[9]

---

(١) ما بين المعقوفين من الحيوان ٧/ ٧.

(٢) ابن سريج: أبو يحيىٰ، عبيد الله بن سريج، مولىٰ بن نوفل بن عبد مناف، ولد سنة (٢٠ هـ)، كان من أحسن النّاس غناءً، وكان يغنّي مرتجلاً فيأتي باللّحن المبتكر، وهو من أهل مكّة، وهو أوّل من ضرب علىٰ العود بالغناء العربي، قال عنه إبراهيم الموصلي: «ما كان ابن سريج إلا كأنّه خلق من كل قلب، فهو يغنّي له ما يشتهي»، مات في خلافة هشام بن عبد الملك، سنة (٩٨ هـ).
(انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ١٣١، ١٥٤، والأصفهاني، الأغاني: ١٧/ ٣٢، والزّركلي، الأعلام: ٤/ ١٩٤).

(٣) الغريض: أبو يزيد، عبد الملك، مولّداً من مولدي البربر، من الموالي وكان يعمل خيّاطاً، لقّب بالغريض لجماله ونضارته فكان طريّ الوجه غض الشّباب، كان من رؤساء الغناء، أخذ عن ابن سريج، من أشهر المغنّين في صدر الإسلام، ومن أحذقهم في صناعة الغناء، توفي سنة (٩٥هـ).
(انظر: الزّركلي، الأعلام: ٤/ ١٥٦، والبغدادي، خزانة الأدب: ٢/ ٨٢).

(٤) الجعدي: أبو ليلىٰ، حسّان بن قيس بن عبد الله، النّابغة الجعدي، وتوفي بأصبهان سنة (٥٠هـ).
(انظر: ابن قتيبة، الشّعر والشّعراء: ص١٩٣، والأصفهاني، الأغاني: ٥/ ٥، والزّركلي، الأعلام: ٥/ ٢٠٧).

(٥) جملة «ولا في تفضيل الجعدي علىٰ القافلاي» ساقطة من الحيوان. وجاء بدلاً منها ٧/ ٧: ولا في تفضيل الجعفري علىٰ العقيلي.

(٦) يقال في المثل «أحلم من الأحنف». (انظر: الثعالبي، ثمار القلوب: ص٨٩، والميداني، مجمع الأمثال: ١/ ٣٩٠، وأحمد الهاشمي، جواهر الأدب: ١/ ٣٢٢).

(٧) انظر كلام الجاحظ عن حلم معاوية الحيوان: ٢/ ٩٢، ورسائل الجاحظ، جمع وتحقيق عبد السلام هارون: ص١٠٤.

(٨) ساقطة من الحيوان.

(٩) قتادة: ابن دعامة بن قتادة بن عزيز، حافظ العصر وقدوة المفسّرين والمحدّثين، البصري الضّرير، ولد سنة (٦٠هـ)، وكان يضرب به المثل في قوّة جفظه، قيل: هو حافظ ثقة لكنّه =

علىٰ الزُّهري[١]، فإنّ لكُلِّ صِنفٍ مِن هذِه الأصنافِ شيعَةً[٢]، ولكُلِّ رَجُلٍ مِن هؤلاء الرِّجالِ جُندًا[٣] وعَدَدًا، يُخاصِمونَ عَنهم[٤]وسُفَهاؤهم والمُتَسَرِّعونَ منهم كَثير[٥]، وعُلَماؤهم قَليل، وإنصافُ عُلَمائهم أقَلّ.

[٤٦] فصل[٦]

ثَـبَّتَكَ الله بالحُجَّة، وحَصَّنَ دينَكَ مِن كُلِّ شُبهَة، وتَوَفّاكَ مُسلِمًا، وجَعَلَكَ من الشّاكِرين.

= مدلّس، قيل كان يختم القرآن في سبع، وإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث، فإذا جاء العشر ختم كل ليلة، كان عالماً بالتّفسير وباختلاف العلماء، والفقة والحفظ، توفي سنة (١١٧هـ).

(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٦/ ٩٠، والذهبي، ميزان الاعتدال: ٥/ ٤٦٦، والذهبي، العبر: ١/ ١١٢، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ٤/ ٨٥).

(١) الزّهري: أبو بكر، محمّد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب المدني، ولد سنة (٥٠هـ)، أحد أئمة الإسلام، وتوفي سنة (١٢٤هـ).

(انظر: ابن كثير، البداية والنهاية: ٩/ ٣٤٢، وابن قتيبة، المعارف: ص٤٧٢، والذهبي، العبر: ١/ ١٢١-١٢٢).

جمع سليمان بن عبد الملك بين قتادة والزّهري، فغلب قتادة الزّهري، فقيل لسليمان في ذلك، فقال: إنّه فقيه مليح، فقال أحدهم: لا ولكنّه تعصّبٌ للقرشيّة، ولانقطاعه إليهم، ولروايته فضائلهم.

(انظر: الجاحظ، البيان والتبيين: ١/ ١٦٧).

(٢) شيعة: قوم يجتمعون علىٰ أمر. (اللّسان: شيع).

(٣) في الأصل (صدا) وهو تصحيف، وما أثبت من الحيوان ٧/ ٨.

(٤) في الأصل (ومخاصموهم) وهو تصحيف، وما أثبت من الحيوان ٧/ ٨.

(٥) في الحيوان ٧/ ٨: وسفهاؤهم المتسرّعون منهم كثير.

(٦) ورد هذا الفصل عند السّندوبيّ: ص١٤٧ – ١٤٨ بعنوان: رسالة في خلق القرآن، وعبيد الله: ٣/ ٢١٧ ٢١٨ بعنوان: من كتابه في خلق القرآن، وهارون:٣/ ٢٨٥ – ٢٨٧ بعنوان: من كتابه في خلق القرآن، وأبي النصر: ص٢٦٩ ٢٧٠.

قد أعجَبَني حَفظَكَ الله استِهداؤكَ العِلم، وفَهمُكَ له، وشَغَفُكَ بالإنصاف، ومَيلُكَ إلَيه، وتَعظيمُكَ الحَقّ، وموالاتُكَ/ فيه، ورَغبتُكَ عَن التَّقليد، وزِرايَتُكَ[١] عليه، ومواتَرَةُ كُتُبكَ علىٰ بُعدِ دارِك، وتَقَطُّعِ أسبابِك، وصَبرِكَ إلىٰ أوانِ الإمكان، وإسماحُكَ[٢] عندَ تَضايُقِ العُذر.

وفَهِمتُ [حَفظَكَ الله][٣] كِتابَكَ الأوَّل، وما حَثَثتَ عليه مِن تَبادُلِ العِلم، والتَّعاوُنِ علىٰ البَحث، وعلىٰ[٤] التَّحابِّ في الدّين، والنَّصيحَةِ لِجَميعِ المُسلِمين.

وقُلت: اكتُب لي كِتابًا تَقصِدُ فيه إلىٰ خَلَجاتِ النَّفس[٥]، وإلىٰ اصلاحِ[٦] القُلوب، وإلىٰ مُعتَلَجاتِ الشُّكوك[٧]، وخَواطِرِ الشُّبُهات، دونَ الذي عَليه أكثَرُ المُتَكَلِّمينَ من التَّطويلِ والنَّظَر[٨]، ومن التَّعميقِ[٩] والتَعقيد، ومن تَكَلُّفِ ما لا يَجِب، وإضاعَةِ ما يَجِب.

وقُلت: كُن كالمُعَلِّمِ الرَّقيق[١٠]، والمُعالِجِ الشَّفيقِ الذي يَعرِفُ الدّاءَ وسَبَبَه،

---

(١) في الأصل (رايتك) وهو تصحيف.

(٢) في عبيد الله ٣/ ٢١٧، والسّندوبيّ ص١٤٧، وهارون ٣/ ٢٨٥: واتساعك.

(٣) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص٣/ ٢١٧، والسّندوبيّ ص١٤٧، وهارون: ٣/ ٢٨٥، وأبي النصر: ص٢٦٩.

(٤) ساقطة من السّندوبيّ ومن عبيد الله وهارون.

(٥) في هارون ٣/ ٢٨٥: النفوس.

(٦) في عبيد الله ٣/ ٢١٧، والسّندوبيّ ص١٤٧، وهارون ٣/ ٢٨٥، وأبي النصر ص٢٦٩: صلاح.

(٧) معتلجات الشّكوك: اعتلج الشّكّ في صدره أي التطم واضطرب. (اللّسان: علج).

(٨) ساقطة من السّندوبيّ وعبيد الله وهارون وأبي النصر.

(٩) في أبي النصر ص٢٦٩: التعمق.

(١٠) في عبيد الله ٣/ ٢١٧، وهارون ٣/ ٢٨٥: الرفيق.

والدَّواءَ وَمَوقِعَه، ويَصبِرُ علىٰ طولِ العِلاجِ، ولا يَسأَمَ كَثرَةَ التَّرداد.

وقُلت: اجعَل تِجارَتَكَ التي إياها تُؤَمِّل، وصِناعَتَكَ التي إياها تُعَوِّل[1] إصلاحَ الفاسِد، ورَدَّ الشّارِد.

وقُلت: ولا بُدَّ مِن استِجماعِ الأُصول، ومِن استيفاءِ الفُروع، ومِن حَسمِ كُلِّ خاطِرٍ[2]، وقَمعِ كُلِّ ناجِم، وصَرفِ كُلِّ هاجِم[3]، ودفعِ كُلِّ شاغِل، حتّىٰ تَتَمكَّنَ[4] من الحُجَّة، وتَتَهنّأ[5] بالنِّعمَة، وتَجِدَ[6] راحَةَ الكِفايَة، وتُثلِجَ[7] بِبَرَدِ اليَقين، وتُفضي[8] إلىٰ حَقيقَةِ الأمر.

---

(١) في عبيد الله ٣/ ٢١٧، والسّندوبيّ ص١٤٧، وهارون ٣/ ٢٨٦، وأبي النصر ص٢٦٩: تعتمد. وفي أبي النصر وُضِعَ ثلاث نقاط بعدها وهي تدل علىٰ حذف.

(٢) في الأصل (حاط) وهو تصحيف. وما أثبت من عبيد الله ٣/ ٢١٧، والسّندوبيّ ص١٤٧، وأبي النصر ص٢٦٩.

(٣) في عبيد الله ٣/ ٢١٧، والسّندوبيّ ص١٤٧، وهارون ٣/ ٢٨٦، وأبي النصر: هاجس.

(٤) في الأصل (يتمكن) وما أثبت من عبيد الله ٣/ ٢١٧، وهارون ٣/ ٢٨٦، وأبي النصر ص٢٦٩، لأنه في سياق المخاطب.

(٥) في الأصل (يتهنأ) وما أثبت من عبيد الله ٣/ ٢١٧، والسّندوبي ص١٤٧، وهارون ٣/ ٢٨٦.

(٦) في الأصل (ويجد) وما أثبت من عبيد الله ٣/ ٢١٧، والسّندوبيّ ص١٤٧، وهارون ٣/ ٢٨٦، وأبي النصر ص٢٦٩.

(٧) في الأصل (ويثلج) وما أثبت من عبيد الله ٣/ ٢١٧، والسّندوبي ص١٤٧، وهارون ٣/ ٢٨٦، وأبي النصر ص٢٦٩.

(٨) في الأصل (ويفضي) وما أثبت من السّندوبيّ ص١٤٧، وهارون ٣/ ٢٨٦، وأبي النصر ص٢٦٩.

وإنْ كانَ لا بُـدَّ مِن عَوارِضِ العَجز، ولَواحِقِ التَّقصير/ ، فالفُروعُ لَنا أحمَل[١]، والضَّرَرُ علينا[٢] في ذلك أيسَر.

وقُلت: ابدأ بالأخَفِّ فـالأخَفّ[٣]، وبكُـلِّ ما كانَ آنَقَ في السَّمع، وأحلىٰ في الصَّدر[٤]. وبالبابِ الذي [مِنه][٥] يُؤتىٰ الرَّيِّضُ[٦] المُتَكَلِّف، والحَسودُ[٧] المُتَعَجرِف، وبكُلِّ ما كانَ أبقىٰ عَينًا[٨]، وأنفَذَ كَيدًا.

وسألتَني عَن تَـقبيحِ[٩] الاستِبداد، والعَجَلَـةِ في[١٠] الاعتِقاد، وصِفَـةِ الأناةِ ومِقدارِها، ومُقَدِّماتِ العُلومِ ومُنتَهاها.

وزَعَمتَ أنْ من اللَّفظِ ما لا يُفهَمُ مَعناه دونَ الإشارة، ودونَ مَعرِفَةِ الصّورَةِ[١١]

---

(١) في عبيد الله ٣/ ٢١٧، والسّندوبي ص١٤٧، وهارون ٣/ ٢٨٦: فالبر لنا أجمل.

(٢) في الأصل (والصور)، وما أثبت من السّندوبيّ ص١٤٧، وهارون ٣/ ٢٨٦.

(٣) في الأصل (بالاخوف فالاخوف) وهو تصحيف.

في عبيد الله ٣/ ٢١٧، وهارون ٣/ ٢٨٦: بالأقرب فالأقرب. وما أثبت من أبي النصر ص٢٦٩.

(٤) في السّندوبيّ ص١٤٧: الصدور.

(٥) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص٣/ ٢١٨، والسّندوبيّ ص١٤٧، وهارون: ٣/ ٢٨٦، وأبي النصر: ص٢٧٠.

(٦) الرّيض: الأمر الذي لم يُحكم تدبيره. (اللّسان: روض).

(٧) في عبيد الله ٣/ ٢١٨، والسّندوبيّ ص١٤٧، وهارون ٣/ ٢٨٦، وأبي النصر ص٢٧٠: الجسور.

(٨) في عبيد الله ٣/ ٢١٨، والسّندوبيّ ص١٤٧، وهارون ٣/ ٢٨٦، وأبي النصر ص٢٧٠: أكثر علماً.

(٩) في عبيد الله ٣/ ٢١٨، والسّندوبيّ ص١٤٧، وهارون ٣/ ٢٨٦، وأبي النصر ص٢٧٠: بتفتيح.

(١٠) في عبيد الله ٣/ ٢١٨، والسّندوبيّ ص١٤٧، وأبي النصر ص٢٧٠: إلىٰ.

(١١) في عبيد الله ٣/ ٢١٨، والسّندوبيّ ص١٤٨، وهارون ٣/ ٢٨٦، وأبي النصر ص٢٧٠: السبب.

والهيئَة، ودونَ إعادَتِه وتكريرِه[١]، وتحديدِه[٢] واختيارِه[٣].

وقُلت: فإن أنتَ لَم تُصَوِّر ذلك [كُلَّه][٤] بصورَةٍ تُغني عن المُشاهَدَة[٥]، ويُكتَفىٰ[٦] بظاهِرِها عن المُراسَلَة، أحوَجتَنا إلىٰ لِقائك[٧]، علىٰ بُعدِ دارِك، وكَثرَةِ أشغالِك، وعلىٰ ما يُخافُ[٨] مِن الضَّيعَة، وفَسادِ المَعيشَة.

فكَتَبتُ لكَ كِتابًا أجهَدتُ فيه نَفسي، وبَلَغتُ منه [أقصى][٩] ما يُمَكِّنُ مِثلي من[١٠] الاحتِجاجِ للقرآن[١١]، والرَّدِّ علىٰ كلِّ طعان[١٢].

---

(١) في السّندوبيّ ص١٤٨، وأبي النصر ص٢٧٠: دون إعارته وركته.
وفي عبيد الله ٣/ ٢١٨، وهارون ٣/ ٢٨٦: كرّه.

(٢) في عبيد الله ٣/ ٢١٨، وهارون ٣/ ٢٨٦: تحريره.

(٣) في هارون ٣/ ٢٨٦: واختياره.
وفي أبي النصر ص٢٧٠: واحتيازه.

(٤) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص٣/ ٢١٨، والسّندوبيّ ص١٤٨، وهارون: ٣/ ٢٨٧، وأبي النصر: ص٢٧٠.

(٥) في عبيد الله ٣/ ٢١٨، والسّندوبيّ ص١٤٨، وهارون ٣/ ٢٨٧، وأبي النصر ص٢٧٠: المشافهة.

(٦) في عبيد الله ٣/ ٢١٨، وهارون ٣/ ٢٨٧: وتكتفي.

(٧) في الأصل (القايل) وهو تصحيف.

(٨) في عبيد الله ٣/ ٢١٨، وهارون ٣/ ٢٨٧: تخاف.

(٩) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص٣/ ٢١٨، والسّندوبيّ ص١٤٨، وهارون: ٣/ ٢٨٧، وأبي النصر: ص٢٧٠.

(١٠) في عبيد الله ٣/ ٢١٨، والسّندوبيّ ص١٤٨، وهارون ٣/ ٢٨٧، وأبي النصر ص٢٧٠: في.

(١١) في الأصل (لكذا)، وما أثبت من السّندوبيّ ص١٤٨، وهارون ٣/ ٢٨٧، وأبي النصر ص٢٧٠.

(١٢) في الأصل (كذا)، وما أثبت من السّندوبيّ ص١٤٨، وهارون ٣/ ٢٨٧، وأبي النصر ص٢٧٠.

[٤٧] فصل [(١)]

وفَّقَكَ الله لطاعَتِه[(٢)]، وعَصَمَكَ من الشُّبهَة، وأفلَجَكَ[(٣)] بالحُجَّة، وخَتَمَ لكَ بالسَّعادَة. غَبَرتَ[(٤)] أكرَمَكَ الله زَمانًا[(٥)]، وأنتَ عندي[(٦)]، لا تُمْضي[(٧)] القَولَ إلا بَعدَ التَّثَبُّت، ولا تُنفِذَ[(٨)] الكِتابَ إلا بَعدَ التَّصَفُّح، وكُنتَ حَريا بتُهمَةِ الفَطِن[(٩)]، وجَديرًا أنْ تُمَثِّلَ لنَفسِكَ/ غايَةَ التَّفريط[(١٠)].

ولولا كَثرَةُ مَن ودَّ[(١١)] أيّامِ البِطالَةِ[(١٢)] عَليك، لَما ثَقُلَ عَليكَ التَّثَبُّت، ولولا طولُ إهمالِ التَّحصيل[(١٣)]، لَما [وَثِقتَ][(١٤)] بأَوَّلِ خاطِر، ولولا سوءُ العادَةِ لَما كُنتَ زائدَ

---

(١) ورد هذا الفصل في هارون: ٤/ ٩٦ رسالته في الوكلاء، والمورد: ص٢١١ ٢١٢ صدر كتابه في الوكلاء.

(٢) في المورد ص٢١١: وفّقك الله للطّاعة.

(٣) أفلجك: أظهرك. (اللّسان: فلج).

(٤) في الأصل (عبرت) وهو تصحيف. وما أثبت من المورد ص٢١١.

(٥) في المورد ص٢١١: غبرت أصلحك الله زماناً.

(٦) في المورد ص٢١١: وأنت عندي ممّن.

(٧) في المورد ص٢١١: يمضي.

(٨) في المورد ص٢١١: يخرج.

(٩) في المورد ص٢١١: وكنت حريّاً بتهيئة الرأي الفطير.

(١٠) في المورد ص٢١١: وجديراً أنْ تميل بنفسك عاقبة التفريط.

(١١) في المورد ص٢١١: مرور.

(١٢) في المورد ص٢١١: المطالبة.

(١٣) في المورد ص٢١١: ولولا قصر أيّام التّحصيل.

(١٤) ما بين المعقوفين من المورد: ص٢١١.

النَّظَرَ[١]، ويَهمُك[٢] الرَّأي، فاحذَر اعتِزامَ الغَضبان[٣]، وتَهوُّرَ الأغمار[٤]، فإنَّكَ ترىٰ الغَضبانَ[٥] أسوأ أثَرًا علىٰ نَفسِه من السَّكران، ولولا أنّ نارَ الغَضَبِ تَخبو قَبلَ إفاقَةِ المَعتوه، وضَبابَ السُّكرِ يَنكَشِفُ قَبلَ انكِشافِ[٦] عُروقِ[٧] المُدَلَّه[٨].

ولولا[٩] أنّ حُكمَ الظّاعِنِ خِلافُ حُكمِ المُقيم، وقَضيةَ المُجتارِ خلافَ قَضيةِ اللابِث[١٠]، لكانَت حالُ الغَضبانِ أسوأ[١١]، ومَغَبَّةُ جَهلِه أوبأ[١٢]، علىٰ أنْ يُحكَمَ له ألزَم، والنّاسُ له ألوَم. وما أكثَرَ ما يَقتَحِمُ الغَضبانُ في اليَومِ الواحِدِ من المَقاحِمِ التي لا يبلُغُها جِنايَةَ المَجنون[١٣]، وفَرطَ حَظِّ المَصروعُ[١٤] في الأيامِ الكَثيرَة[١٥]، وقد قال بَعضُ السَّلَف: **«أقرَبُ ما يَكونُ العَبدُ مِن غَضَبِ الله إذا غَضِب»**[١٦].

---

(١) في المورد ص٢١١: ولولا سوء العادة لما كذبك رائد النظر.

(٢) في المورد ص٢١٢: واتهمت.

(٣) في المورد ص٢١٢: واعتزام العصيان.

(٤) في الأصل (الاعمار) وهو تصحيف.

(٥) في المورد ص٢١٢: فإن العصيان.

(٦) في الأصل (انكساف) وهو تصحيف، وما أثبت من المورد ص٢١٢.

(٧) في المورد ص٢١٢: غروب عقل.

(٨) المدلّه: الذي ذهب عقله من شدّة العشق. (اللّسان: دله).

(٩) ساقطة من المورد.

(١٠) في المورد ص٢١٢: وقضية المجتاز خلاف قضية الماكث.

(١١) في المورد ص٢١٢: مغبة.

(١٢) أوبأ: أسرع. (اللّسان: أوب).

(١٣) في المورد ص٢١٢ «وما أكثر ما يقحم الغضب المقاحم التي لا يبلغها جناية المجنون».

(١٤) المصروع: الذي يتلوىٰ ويستغيث. (اللّسان: صرع).

(١٥) في المورد ص٢١٢ «وفرط جهل المضروع».

(١٦) ورد القول في العقد الفريد: ٢/ ١٦٣، ٢٥٤.

وذَكَروا عَن أبي هُريرَةَ[١] أنّ رَسولَ الله، ﷺ، قال[٢]: «لَيسَ الشَّديدُ بالصُّرعَة، إنَّما الشَّديدَ مَن يَملِكُ نَفسَه عِندَ الغَضَب»[٣].

[٤] واعلَم أنّ الغُمرَ لا يكونُ إلا عَديمَ الأَلَّة[٥]، مُنقَطِعَ المادَّة، يَرىٰ الغَيَّ رُشدًا، والغُلوَّ قَصدًا. فلَو كُنتَ إذا جَنَبتَ لَم تُعِم بالجِنايَة[٦]، وإذا عَزَمتَ علىٰ القَولِ لَم تُخَلِّده في الكُتُب، وإذا خَلَّدتَه لَم تُظهِر التَّبجُّحَ به/ ، والاستِبصارَ فيه، كانَ عِلاجُ دائك[٧] أيسَر، وَكانَت أيّامُ سُقمِكَ أقصَر.

[فأخزَىٰ الله التَّصميم إلا مع الحَزم، والاعتِزامَ إلا بَعدَ التَّثَبُّت، والعِلمَ إلا مع القَريحَةِ المَحمودَة، والنَّظَرَ إلا مع استِقصاءِ الرَّوية. وأخلِق بِمَن كانَ في صِفَتِك][٨]،

---

(١) أبو هريرة: عبد الرّحمن بن صخر الدّوسي اليماني، كنّاه الرّسول بأبي هريرة، أسلم عام خيبر وشهدها مع الرسول، حفظ عن النّبي الكثير، وكان من كبار أئمّة الفتوىٰ، توفي سنة (٥٨هـ).

(انظر: أسد الغابة: ٦/ ٣١٣، وابن حجر، الإصابة: ٧/ ٣٤٨، وابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٤٧٦، والذهبي، العبر: ٤٥، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص٣٨١ – ٣٨٢).

(٢) الحديث في الموطأ، تحقيق لطفي الصغير، وطه علي: ص١٤٠، رقم ١٣٧، والحديث المسند لموطأ مالك، ص٦٣٨، الحديث رقم ٩٩٤.

(٣) من قوله «وقال بعض السلف...» إلىٰ قوله «... الغضب» ساقطة من المورد.

(٤) ابتداء ما جاء في هارون ٤/ ٩٦، تحت عنوان «رسالة الوكلاء».

(٥) الألة: السلاح وجميع أدوات الحرب. (اللّسان: ألل).

(٦) في هارون ٤/ ٩٦، والمورد ص٢١٢: إذا جنيت لم تقم علىٰ الجناية.

(٧) في هارون ٤/ ٩٦، والمورد ص٢١٢: كان علاج ذلك.

(٨) ما بين المعقوفين من هارون: ٤/ ٩٦، والمورد: ص٢١٢.

وأحرِ بِمَن جَرىٰ علىٰ دَربِك[١]، أنْ لا يكونَ سَبَبُ تَسَرُّعِه، وعِلَّـةُ استِعجالِه[٢] إلا مِن ضيقِ الصَّدر.

وجَميعُ الخَيرِ راجِعٌ إلىٰ سَعَةِ الصَّدر؛ إذ كانَ لا بُدَّ لِلإنعامِ من الشُّكر، والشُّكرُ لا يُنالُ إلا بالصَّبر، والصَّبرُ لا يَتِمُّ إلا مع سَعَةِ الصَّدر[٣]، فقد صَحَّ أنْ سَعَةَ الصَّدرِ أصل، وأنَّ[٤] ما سِوىٰ ذلك مِن أصنافِ الخَيرِ فَرع.

[٤٨] فصل[٥]

إنّ العِلمَ[٦] طَوعُ يَدِك[٧]، والمُتَصَرِّفُ مع خَواطِرِك، والمُستَملي مِن بَديهَتِك، كَما يُستَملىٰ مِن ثَمرَةِ قَلبِك[٨]، والمُحَصَّلُ مِن رُؤيَتِك. ولَكِنَّ الرَّأيَ[٩] أنْ لا تَثِقَ بِما يَرسِمُه القَلَمُ في الخَلاء، وتَتَوَقّاه في المَلاء[١٠].

---

(١) في الأصل «وأحر بمن حرىٰ علىٰ دينك»، وما أثبت من هارون ٤/ ٩٦ والمورد ص٢١٢ لمناسبة السياق.

(٢) في هارون ٤/ ٩٦، والمورد ص٢١٢: تشحّنه.

(٣) قوله «إذ كان لا بد للإنعام من الشكر، والشكر لا ينال إلا بالصبر، والصبر لا يتم إلا مع سعة الصدر» ساقطة من هارون.

(٤) ساقطة من هارون.

(٥) ورد الفصل في هارون: ٤/ ٩٧ – ٩٨ تحت عنوان «رسالته الوكلاء»، وهو تابع لما قبله.

(٦) في هارون ٤/ ٩٧: لعمري أنْ العلم.

(٧) في الأصل (بدل) وهو تصحيف.

(٨) في هارون ٤/ ٩٧: ثمرة فكرك.

(٩) في هارون ٤/ ٩٧: الرّأي لك.

(١٠) الملاء: الناس. (اللّسان: ملأ).

فَتَوقَّف عندَ العادَة، واتَّهِم النَّفسَ[١] عندَ الاستِرسالِ والثِّقَة، وقالَ ابراهيمُ بنُ هَرمَة[٢]:

إنّ الحديثَ تغرُّ القَومَ جَلوتُـه[٣] حتّىٰ يكـون لـه عـيٌّ وإكثـارُ[٤]

وبِئسَ الشَّيءُ العُجب، وحُسنُ الظَّنِّ بالبَديهَة.

ثُمَّ[٥] اعلَم أنْ هذه الحالَ التي ارتَـضَيتَها لكِـتابِك[٦]؛ هي مُنيَـةٌ[٧] للعَدوّ، ونَهـزَة[٨] الخَصم. ومَتىٰ بَرزَ[٩] كِتابُـكَ علىٰ هذه الصّورَة، وأفـرَغتَه هَذا الإفراغ،

(١) في الأصل (النفيس) وهو تصحيف، وما أثبت من هارون ٤/ ٩٧.

(٢) إبراهيم بن هرمة: أبو إسحاق، ابن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الفهري، ولد سنة (٩٠هـ)، شاعر مجيد، عاصر جريراً، وهو أحد البلغاء من شعراء الدّولتين الأموسة والعبّاسيّة، قال عنه الأصمعي: أنْ الشّعر ختم بابن هرمة، مدح أبا جعفر المنصور، وهو آخر الشّعراء الذين يحتج بهم، توفي في عهد الرّشيد (١٥٢هـ).
(انظر: ابن قتيبة، الشّعر والشّعراء: ص٥٤٦، والجاحظ، البيان والتبيين: ١/ ٨٢/ والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٦/ ٤٠٥، والأصفهاني، الأغاني: ٤/ ٥٠٨).

(٣) في الأصل (جلوته).
جلوته: كشفته وأوضحته. (اللّسان: جلا).

(٤) في الأصل (غبا وإكبارا). ورد البيت في الحيوان: ١/ ٨٨، ٤/ ٢٠٧، والبيان والتبيين: ١/ ١٤١، وأدب الدّنيا والدّين: ص٢٧٠، وزهر الآداب: ١/ ١٢٢.

(٥) ساقطة من هارون.

(٦) في هارون ٤/ ٩٨: لشأنك.

(٧) في هارون ٤/ ٩٨: أمنية.

(٨) في هارون ٤/ ٩٨: وتهزة.

(٩) في هارون ٤/ ٩٨: أبرزت.

وسَبكتَه[١] هذا السَّبك، فلَيسَ لعَدوِّكَ حاجَةٌ إلىٰ التّكذيب[٢] وتَقَوُّلِ الزّور[٣]؛ لأنّكَ قد مَكَّنتَه مِن عِرضِك، وحَكَّمتَه في نَفسِك.

وبَعد، فَمَن يَعجَزُ/ عَن عَيبِ كِـتابِكَ[٤] لَم يُحرَس بالتَّـثَـبُّت، ولَم يُحَـصَّن بالتَّصَفُّح[٥]، ولَم يُعَب لِمُعاوَدَةِ[٦] النَّظَر، ولَم يُقلّب فيه الطَرَفُ مِن جِهَة[٧] الإشفاقِ والحَذَر.

وكَـيفَ[٨] يوَفِّـقُ الله الواثِـقَ بنَـفسِه، والـمُستَبِدَّ برأيِه، والتّارِكَ لأدَبِ رَبِّـه، وما[٩] وَصّىٰ به نَبِيَّـه، فَقال[١٠]، ﷺ، لِـرَجُلٍ خاصَمَ عندَه رَجُلاً، فَقالَ في بَعضِ خُصومَتِه[١١]: «حَسبي الله»، فَقالَ ﷺ: «أبل مِن نَفسِكَ عُذرًا، فإن غَلَبَكَ الأمرُ فَقُل: حَسبي الله»[١٢].

---

(١) في هارون ٤/ ٩٨: ثم سبكته.

(٢) في هارون ٤/ ٩٨: فليس بعدوك حاجة إلىٰ التكذيب عليك.

(٣) في هارون ٤/ ٩٨: وقول الزور فيك.

(٤) في هارون ٤/ ٩٨: كتاب.

(٥) التّصفّح: النّظر. (اللّسان: صفح).

(٦) في هارون ٤/ ٩٨: بالمعاودة.

(٧) في الأصل (جملة)، وما أثبت من هارون ٤/ ٩٨.

(٨) في هارون ٤/ ٩٨: فكيف.

(٩) في هارون ٤/ ٩٨: ولما.

(١٠) في هارون ٤/ ٩٨: حين قال النبي.

(١١) في هارون ٤/ ٩٨: كلامه.

(١٢) لم اجد تخريجًا للحديث.

[٤٩] فصل[١]

ذَكَرتَ أبقاكَ الله أمرَ هَؤُلاءِ الحُشوية[٢]، وشَكَوتَ[٣] تَهاوُني بِما كُنتَ ألقَيتَ إلَيَّ مِن شأنِهم، ومِن عَوارِفِ أمرِهِم، وذَكَرتَ أنْ الجِدالَ يُلقِحُ[٤] القِتال، وأنّ أوَّلَ كُلِّ عَسيرٍ يَسير.

وقُلت: لو كُنتَ قَمَعتَه[٥] أوَّلَ ما نَجَم، وداوَيتَه قَبلَ أنْ يَستَحكِم، وتَقدَّمتَ في حالِ المُهلَة، وأخَذتَ لَنا ولِنَفسِكَ بالثِّقَة، ولَقَد كُنتَ بالحَزمِ مُطيعًا، وبالطّاعَةِ سَعيدًا، وبالتَّوفيقِ حَقيقًا، مع خِفَّةِ المَؤونَة، وحُسنِ الأُحدوثَة، ومَحَبَّةِ القُلوب، وشُكرِ الكِرام، ومَع سَلامَةِ العَشيرَة، وسُرورِ الظَّفَر، وانقِطاعِ الشَّرّ.

ولكِنَّكَ عَمِلتَ بالرَّجاء[٦]، وتَرَكتَ الخَوف، وطَمِعتَ في السَّلامَة، وأغفَلتَ الإشفاق، وأحسَنتَ الظَّنّ، ونَسيتَ التُّهمَة، كأنَّكَ لَم تَعرِف فَسادَ عَصرِك، وأبناءَ دَهرِك، وصَولَـةَ اللِّئامِ إذا قَدِروا/ ، والسَّفَلَـةَ إذا ظَـفِروا، وحِقدَ العَبدِ علىٰ سَيِّـدِه،

---

(١) ورد هذا الفصل عند الدّروبيّ: ص١١٨ - ١١٩.

(٢) في الدّروبيّ ص١١٨: الحشوة.

الحشوية: الأراذل الذين لا يعتمد عليهم من النّاس، ويقصد بهم الطّائفة المسمّاه بالحشوية، وهو لقب كان يطلق من قبل الخصوم علىٰ أهل السّنّة والحديث.

(انظر: النّوبختي، فرق الشّيعة: ص٧، ١٥، واللّسان: حشي).

(٣) في الأصل (وسكوت) وهو تصحيف.

(٤) ملقح: مُنبت. (اللّسان: لقح).

(٥) في الدّروبيّ ص١١٨: منعته.

(٦) في الأصل (بالرجال) وهو تصحيف.

وضِغنَهَ[١] علىٰ قانِصِه[٢]، والحائلَ دونَ سَهوَتِه[٣]، مع استِثقالِهِ للرَّقيب، ولو كانَ أباه، والمُثابِرَ[٤] عليه، ولو كانَ أخاه. وإنّ ذلك إذا طالَ أورَثَ[٥] حِقدًا، والحَقودُ مُرصِدٌ كَيدًا، وطالِبُ الدَّخَلِ[٦] وَقور.

وذَكَرتَ أنَّكَ أخفَيتَ إعضالَ الدّاء [٧]، وإكداءَ[٨] الدَّواء، وتَتابُعَ [٩]القَومِ في غَيِّهم، وتَذَكُّرهما سَلَفَ إليهم واعتِدادَهم، ما نِلنا مِنهم، حتّىٰ صارَ المَهينُ طاغيًا، والحَقيرُ عابِثًا، والكَهامُ[١٠] حَديدًا[١١]، والبَليدُ جَليدًا، والجَهولُ مُتَكَلِّمًا، والمُتَوَقّي مُتَوَعِّدًا.

وقُلت: ونَحنُ بخَيرٍ ما كانَت النَّجوىٰ قائمَةً، والخُصومَةُ راكِدَةً، ولم يُشَم[١٢] سَيف، ولَم يُركَب سِنان[١٣]، ولَم يوتَر[١٤] قَوس، وقد استَحصَدنا فكأن قد.

---

(١) ضغنه: حقده وكرهه. (اللّسان: ضغن).

(٢) قانصه: صائده. (اللّسان: قنص).

(٣) في الدّروبيّ ص١١٩: شهوته.

(٤) في الأصل (المتامر) وهو تصحيف.

(٥) في الدّروبيّ ص١١٩: ورّث.

(٦) الدخل: الفساد والعيب والريبة. (اللّسان: دخل).

(٧) إعضال الدّاء: غلبته. (اللّسان: عضل).

(٨) إكداء: قلّة العطاء. (اللّسان: كدا).

(٩) في الأصل (التتابع) وهو تصحيف، والسّياق يقتضي حذف أل التعريف.

(١٠) الكهام: الجبان. (اللّسان: كهم).

(١١) حديداً: ذو بأس. (اللّسان: حدد).

(١٢) يشمم: يشهر. (اللسان شمم).

(١٣) في الأصل (سبان) وهو تصحيف.

(١٤) يوتر: يشد الوتر ليضرب به. (اللّسان: وتر).

[٥٠] فصل[١]

وفَرطُ[٢] العُجبِ إذا قارَنَ كَثرَةَ الجَهل، والتَّعَرُّض للعَيبِ إذا وافَقَ قِلَّةَ الاكتِراث، بَطُلَت المَزاجِر[٣]، وماتَت الخَواطِر.

ومَتىٰ تَفاقَمَ الدّاء، وتَفاوَتَ العِلاج، صارَ الوَعيدُ لَغوًا ومُطَرَّحًا[٤]، والعِقابُ حُكمًا مُستَعجَلاً[٥].

وللكِبرِ[٦] حَفِظَكَ الله[٧] بابٌ لا يُعَدُّ احتِمالُه حِلمًا[٨]، ولا الصَّبرُ علىٰ أهلِه حَزمًا، ولا تَركُ عِقابِهم عَفوًا، ولا التَّفَضُّلُ[٩] عَليهم مَجدًا، ولا التَّغافُلُ عَنهمُ كَرَمًا، ولا الإمساكُ عَن ذَمِّهم صَمتًا.

---

(١) ورد ها الفصل عند هارون: ٤/ ١٦٩ - ١٧٠ رسالة في النبل والتنبل، والمورد: ص١٦٢ فصل من صدر كتابه في النبل والتنبل وذم الكبر.

(٢) في هارون ٤/ ١٦٩: وإن فرط.
في المورد ص١٦٢: والجملة أن.

(٣) المزاجر: الرّدع. (اللّسان: زجر).

(٤) في هارون ٤/ ١٦٩: صار الوعيد لغواً مطرّحاً.
وفي المورد ص١٦٢: صار الوعيد لغواً مطروحاً.
مطرحًا: لا حاجة لأحد فيه. (اللّسان: طرح).

(٥) في هارون ٤/ ١٦٩، والمورد ص١٦٢: مستعملاً.

(٦) في هارون ٤/ ١٦٩، والمورد ص١٦٢: والكبر.

(٧) في هارون ٤/ ١٧٠، والمورد ص١٦٢: أعزّك الله تعالىٰ.

(٨) في المورد ص١٦٢: سلماً.

(٩) في هارون ٤/ ١٧٠، والمورد ص١٦٢: ولا الفضل.

[٥١] فصل[١]

وقد عَلِمَ النّاسُ كَيفَ كَرَمُ قُرَيشٍ وسَخاؤها/ ، وكَيفَ عُقولُها ودَهاؤها، وكَيفَ رأيُها وذَكاؤها، وكَيفَ سياسَتُها وتَدبيرُها، وكَيفَ ارتِجالُها[٢] وتَحبيرُها[٣]، وكَيفَ رَجاحَةُ أحلامِها إذا خَلَفَ الحَليم، وحِدَّةُ أذهانِها إذا كَلَّ الحَديد[٤]، وكَيفَ صَبرُها عِندَ اللِّقاء، وثَباتُها تَحتَ اللِّواء[٥]، وكَيفَ وَفاؤها إذا استُحسِنَ الغَدر، وكَيفَ جودُها إذا حُبَّ المال، وكَيفَ ذِكرُها لأحاديثِ غَد، وقِلَّةُ صُدودِها عَن جِهَةِ القَصد[٦]، وكَيفَ إقرارُها بالحَقِّ وصَبرُها عليه، وكَيفَ وصفُها له ودُعاؤها إلَيه، وكَيفَ سَماحَةُ أخلاقِها، وصَونُها أنفُسَها[٧] لأعراقِها.

وهل وَصَلوا قَديمَهم بحَديثِهم [وطريفِهم بتَليدِهم][٨]؟ وهل أشبَهَ عَلانيَتُهم سِرَّهم؟ وفِعلُهم قَولَهم؟ وهل سَلامَةُ صَدرِ أحَدِهم إلا علىٰ قَدرِ بُعدِ غَورِه[٩]؟ وهل غَفلَتُه إلا في وَزنِ صِدقِ ظَنِّه؟ وهل ظَنُّه إلا مِثلُ يَقينِ غَيرِه[١٠]؟

---

(١) ورد هذا الفصل عند الثعالبي، كتاب ثمار القلوب: ص١٣، والحصري: ١/ ٦٣ – ٦٥، والدّروبيّ: ص١٢٠ – ١٢٣.

(٢) في الحصري ١/ ٦٣: إيجازها.

(٣) تحبيرها: التّحبير هو الإطناب، ووصف قريش أنّها تجيد القول حين تشاء. (اللّسان: حبر).

(٤) كلّ الحديد: دلالة علىٰ قوة الذهن. (اللّسان: كلل).

(٥) في الحصري ١/ ٦٤: وثباتها في اللأواء.

(٦) جهة القصد: أي جهة الغرض. (اللّسان: قصد).

(٧) في الدّروبيّ ص١٢٠: نفسها. ساقطة من الحصري.

(٨) ما بين المعقوفين من الحصري ١/ ٦٤.

(٩) بعد غوره: أي متعمق النّظر. (اللّسان: غور).

(١٠) في الحصري ١/ ٦٤: وهل ظنّه إلا كيقين غيره.

بَل قد عَلِمَ النّاسُ كَيفَ جَمالُها وقَوامُها، وكَيفَ بَهاؤها وتَمامُها[١]، وكَيفَ عُقولُها وأنفُسُها[٢]، وكَيفَ ثَباتُها وجَهارَتُها[٣]، وكَيفَ تَفَكُّرُها[٤] وبَداهَتُها.

و[٥] العَربُ[٦] كالبَدَنِ وقُرَيشٌ روحُها، وقُرَيشٌ روحٌ[٧] وَهاشِمٌ سِرُّها وَلُبُّها[٨]، وقُرَيشٌ القَلبُ وهاشِمٌ حَبَّةُ القَلب[٩]، وقُرَيشٌ جِلدَةُ ما بَينَ العَينَين[١٠]، وَقُرَيشٌ[١١] قِبلَـةُ العَرَب، ومَوضِعُ الحَجِّ الأكبَر، ﴿يَأْتِينَ[١٢] مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧]، وأوبٍ[١٣] بَعيد/ [١٤].

وهاشِمٌ جِلدَةُ الوَجهِ كُلِّه[١٥]، وهاشِمٌ[١٦] مِلحُ الأرض، وصَفوَةُ الأُمَم،

---

(١) في الحصري ١/ ٦٤: وكيف نماؤها وبهاؤها.

(٢) في الحصري ١/ ٦٤: وكيف سرورها ونجابتها.

(٣) في الحصري ١/ ٦٤: وكيف بيانها وجهارتها.

(٤) في الحصري ١/ ٦٤: تفكيرها.

(٥) ابتداء ما جاء في الثعالبي.

(٦) في الحصري ١/ ٦٥: فالعرب.

(٧) ساقطة من الثعالبي.

(٨) لبّها: خالصها وخيارها. (اللّسان: لبب).

(٩) حبّة القلب: العلقة السوداء التي تكون داخل القلب، وهي مهجته وسويداؤه. (اللّسان: حبب).

(١٠) من (وقريش القلب... العينين) ساقطة من الثعالبي.

(١١) في الثعالبي ص١٣: وكونهم.

(١٢) في الأصل (ياتون) وهو تحريف.

(١٣) أوب: ناحية أو صوب. (اللّسان: أوب).

(١٤) في الثعالبي: أوب بعيد، وفج عميق.

(١٥) من قوله «وقريش القلب...» إلىٰ قوله «وهاشم جلدة الوجه كلّه» ساقطة من الحصري. وجملة «وهاشم جلدة الوجه كله» ساقطة من الثعالبي. جاء في البيان والتبيين: ٢/ ١٣٥، ١٣٧ «قال عبد الملك بن مروان: أنْ الحجّاج جلدة ما بين عينيّ، إلا أنّه جلدة وجهي كلّه».

(١٦) في الثعالبي ص١٣، والحصري ١/ ٦٥: وبنو هاشم.

وغُـرَّةُ[١] العَرَب، ولُبابُ[٢] البَشَر، ومُصاصُ[٣] بَني آدَم[٤]، وزينَةُ الدُّنيا، وحَليُ العالَم، والسَّنامُ[٥] الأضخَم، والكاهلُ الأعظَم[٦]، ولُبابُ كُلِّ جَوهَرٍ كَريم، وسِرُّ كُلِّ عُنصُرٍ شَريفٍ[٧]، والطِّينَةُ البَيضاء، والمَغرِسُ المُبارَك، والنِّصابُ[٨] الوَثيقُ[٩]، ومَعدِنُ الفَهم، ويَنبوعُ العِلم، وثَهلانُ ذو الهَضَباتِ في الحِلم، والسَّيفُ الحُسامُ في العَزم، مَع الأناةِ والحَزم، والصَّفحِ عَن الجُرم، والقِصَّةِ[١٠] بَعدَ المَعرِفَة[١١]، والصَّفحِ بَعدَ القُدرَة[١٢].

---

(١) الغرّة: المقدمة من كل شيء. (اللّسان: غرر).

(٢) اللباب: الخالص المصفّىٰ. (اللّسان: لبب).

(٣) مصاص: خاصّة الأولاد. (اللّسان: مصص، سبط).

(٤) من (وصفوة الأمم... مصاص بني آدم) ساقطة من الثعالبي والحصري.

(٥) السّنام: من كل شيء أعلاه، وسنام القوم سادتهم. (اللّسان: سنم).

(٦) في الأصل (الاعصم) وهو تصحيف، وما أثبت من الثّعالبي ص١٣.

(٧) في الثعالبي ص١٣: لطيف.

(٨) النصاب: الأصل والمرجع. (اللّسان: نصب).

(٩) في الدّروبيّ ص١٢١: الواثق.

(١٠) في الأصل (القصية) وهو تصحيف. وما أثبت من الدّروبيّ ص١٢١.

(١١) في الحصري ١/ ٦٥: القصد بعد المعرفة. وجملة «القصة بعد المعرفة» ساقطة من الثعالبي.

(١٢) في الثعالبي ص١٣: والعفو عند المقدرة.

وفي الحصري ١/ ٦٥: والعفو بعد القدرة.

ورد مثل هذا في هارون تحت عنوان رسالة في مناقب الترك ٣/ ١٧٢ «علىٰ أنْ ولاء الأتراك للباب قريش، ولـمصاص عبد مناف، وهم في سرّ هاشم، وهاشم العذار من خد الفرس، ومحل العقد من لبّـة الكعاب، وهو الجوهر المكنون، والذهب المصفّىٰ، وموضع المُخّة من البيضة، والعين في الرأس، والروح من البدن، وهم الأنف المقدّم، والسّنام الأكوم، والطّينة البيضاء، والدّرّة الزّهراء، والرّوضة الخضراء، والذّهب الأحمر».

وهم الأنفُ المُقَدَّمُ[١] الذي به يُعطَسُ ويُشمَخ، والعَينُ التي بِها يُبصَر[٢]، وكالماءِ الذي لا يُنَجِّسُه شَيء، وكالشَّمسِ التي لا تَـخْتَفِىٰ بِكُلِّ مَكان، وكالذَّهَبِ لا يُعرَفُ بالنُّقصان، وكالنَّجمِ لِلحَيران، والبَرَدِ[٣] لِلظَّمآن.

مَنهمُ الثَّقَلان[٤]، والأطيَبان[٥]، والسِّبطان[٦]، والشَّهيدان[٧]، وأسَدُ الله[٨]،

---

(١) في الثعالبي ص١٣: المتقدم.

(٢) من قوله «وهم الأنف المقدم...» إلىٰ قوله «التي يبصر بها» ساقطة من الحصري. وجملة «والعين التي يبصر بها» ساقطة من الثعالبي.

في الدّروبيّ ص١٢٠: العين التي يبصر بها. وانظر القول في الحيوان: ١/ ٣٦٦ «قريش سنام الأرض وجبلها، وعينها التي يبصر بها، وأنفها التي بها يعطس».

(٣) في الثعالبي ص١٣: الماء البارد.

وفي الحصري ١/ ٦٥: والبارد للظمآن.

(٤) الثقلان: كتاب الله وعترة الرّسول، وقد يكون الجن والإنس. (اللّسان: ثقل).

(٥) في الثعالبي ص١٣: الطّيّبان.

الأطيبان: علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما. (الحاجري، مجموع رسائل الجاحظ: ص٥٢).

(٦) السّبطان: الحسن والحسين رضي الله عنهما. (الحاجري، مجموع رسائل الجاحظ: ص٥٢، واللّسان: سبط).

(٧) الشهيدان: حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما. (الحاجري، مجموع رسائل الجاحظ: ص٥٢).

(٨) أسدالله: حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه. (الثعالبي، ثمار القلوب: ٢١، والبيهقي، المحاسن والمساوئ: ص٩٥).

وذو الجَناحَين[١]، وذو قَرنَيها[٢]، وسَيِّدُ الوادي[٣]، وساقي الحَجيج[٤]، وحَليمُ البَطحاء[٥]، والبَحرُ[٦]والحَبر[٧].

والأنصارُ مَن نَصَرَهم[٨]، والـمُهاجِرونَ مَن هاجَرَ مَعَهم أو إلَيهم[٩]، والصِّدّيقُ مَن صَدَّقَهم، والفاروق مَن فَرَقَ بَينَ الحَقِّ والباطِلِ فيهم[١٠]،

(١) ذو الجناحين: جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه. (البيهقي، المحاسن والمساوئ: ص٩٦، والحاجري، مجموع رسائل الجاحظ: ص٥٢).

(٢) ساقطة من الثعالبي.

ذو القرنين: علي بن أبي طالب رضي الله عنه. (اللّسان: قرن).

(٣) سيد الوادي: عبد المطلب بن هاشم. (الحاجري، مجموع رسائل الجاحظ: ص٥٢، والسّندوبيّ، رسائل الجاحظ: ص٦٩).

(٤) ساقي الحجيج: عبد المطلب بن هاشم. (الحاجري، مجموع رسائل الجاحظ: ص٥٢، والسّندوبيّ، رسائل الجاحظ: ص٦٩).

(٥) حليم البطحاء: العباس بن عبد المطلب. (الحاجري، مجموع رسائل الجاحظ: ص٥٢، والسّندوبيّ، رسائل الجاحظ: ص٧٦).

(٦) البحر: عبد الله بن العباس. (الحاجري، مجموع رسائل الجاحظ: ص٥٢، والسّندوبيّ، رسائل الجاحظ: ص٧٦).

(٧) ساقطة من الدّروبيّ.

الحبر: عبد الله بن العباس. (انظر: ابن ظافر، أخبار الدولة المنقطعة: ٢/ ٢٦٨، والحاجري، مجموع رسائل الجاحظ: ص٥٢، والسّندوبيّ، رسائل الجاحظ: ص٧٦).

(٨) في الثعالبي ص١٣: الأنصار أنصارهم.

(٩) في الحصري ١/ ٦٥: والمهاجرون من هاجر إليهم أو معهم.

(١٠) في الثعالبي ص١٣: منهم.

والحَواري[١] حَواريهم، وذو الشَّهادَتَينِ[٢] لأنّه شَهِدَ لهم[٣].

وهاشِمٌ تَفخَرُ علىٰ سائِرِ النّاسِ فَخرًا عَبقَريا[٤]، بالشَّرَفِ القُراح[٥]، والكَرَمِ/ الصُّراح[٦].

[٥٢] فصل[٧]

أطالَ الله لكَ البَقاءَ والعِزَّ والسَّناء، والأيدَ[٨] والعَلاء، والفَخرَ والآلاء[٩]،

---

(١) الحواري: الزبير بن العوام. (انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٢/ ٣٠٧، واللّسان: حور، والثعالبي، ثمار القلوب: ص١١٢، واليافعي، مرآة الجنان: ١/ ١٣١).

(٢) ذو الشّهادتين: أبو عمارة، الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة، الفقيه، ذو الشهادتين، من كبار جيش علي علي، وقتل معه، شهد أحدًا ومؤتة، من السّابقين الأولين، روىٰ عن النّبي، وروىٰ له أصحاب السّنن، وسمي بذي الشّهادتين لأن الرّسول أجاز شهادته بشهادة رجلين، توفي سنة (٣٧ هـ). (انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٢/ ١٧٠، ابن حجر، الإصابة: ٢/ ٢٤٠، والذهبي، سير أعلام النبلاء: ٤/ ١١٢، وابن سعد، الطبقات: ٥/ ٢٩٧، واليافعي، مرآة الجنان: ١/ ١١٢).

(٣) ما تبقىٰ من الفصل غير موجود في الثعالبي.

(٤) العبقري: منسوب إلىٰ عبقر، وهو صفة لكل ما بولغ في وصفه ولم يفقه شيء. (اللّسان: عبقر).

(٥) في الأصل القاف في الأصل غير معجمة.
القراح: الخالص من كل شيء. (اللّسان: قرح).

(٦) من قوله «وهاشم تفخر...» إلىٰ قوله «والكرم الصراح» ساقطة من الحصري. وجاء بدل منها ١/ ٦٥: «ولا خير إلا لهم أو فيهم أو معهم، أو يضاف إليهم، وكيف لا يكونون كذلك وفيهم رسول رب العالمين، وإمام الأوّلين والآخرين، ونجيب المرسلين، وخاتم النبيّين، الذي لم يتم لنبيّ نبوّةً إلا بعد التّصديق به والبشارة بمجيئه، الذي عمّ برسالته ما بين الخافقين، وأظهره الله علىٰ الدّين كلّه ولو كره المشركون».

(٧) ورد هذا الفصل عند الدّروبيّ: ص١٢٣ - ١٢٤.

(٨) الأيد: القوّة. (اللّسان: أيد).

(٩) الآلاء: النّعم. (اللّسان: ألا).

وأسبَغَ عَليكَ النّعماء، وصَرَفَ عَنكَ اللأواء[١]، وحَقَّقَ بكَ الرَّجاء، وصَدَّقَ فيكَ الثَّناء، وأسنىٰ لكَ[٢]العَطاء، وأجزَلَ لكَ الحِباء[٣]، وشَمَّخَ بكَ البِناء، وزَيَّنَ[٤] بكَ الفِناء، وصَيَّرَنا لكَ الوِقاء، ومن السّوءِ الفِداء.

مَع سُموِّ الذِّكر، وعُلوِّ القَدر، وشَرحِ الصَّدر، وشَدِّ الأزر، ورُسوخِ[٥] الأصل، وبُسوقِ الفَرع[٦]، وعُمومِ النَّفع، وبَسطِ اليَد، وكَرَمِ المُحتِد، وعِزِّ العُنصُر، وطيبِ المَغرَس، وبُعدِ الصَّوت، والبَيتِ الرَّفيع، والجَنابِ المريع[٧]، وعُصوفِ الرّيح، والحَسَبِ الزَّكي، والعَدَدِ النّامي. قَريرَ العَين، مَرقومَ[٨] الغَدَق[٩]، فائزَ القِدح[١٠]، وافِرَ الحَظّ، تامَّ القِسم[١١]، سَعيدَ الجِدّ، ماضي الحَدّ، مَغبوطَ الحال، رَخي البال.

[٥٣] فصل[١٢]

جَنَّبَكَ الله الشُّبهَة، وعَصَمَكَ من الحَيرَة، وجَعَلَ بَينَكَ وبَينَ المِعرِفَةِ نَسَبًا، وبينَ

---

(١) اللأواء: الشّدة وضيق العيش. (اللّسان: لأي).

(٢) في الدّروبيّ ص١٢٣: عليك.

(٣) الحِباء: العطاء. (اللّسان: حبا).

(٤) في الأصل (رين) وهو تصحيف.

(٥) في الأصل (رسوح) وهو تصحيف.

(٦) بسوق الفرع: تمّ طوله. (اللّسان: بسق).

(٧) في الدّروبيّ ص١٢٤: المنيع.

(٨) المرقوم: البيّن الواضح. (اللّسان: رقم).

(٩) الغدق: المطر الكثير العامر. (اللّسان: غدق).

(١٠) القدح: قطعة من خشب الميسر والأزلام يعرف بها الإنسان حظه. (اللّسان: قدح).

(١١) القسم: الحظ والنصيب. (اللّسان: قسم).

(١٢) هذا الفصل جديد لم ينشر من قبل.

الصِّدقِ سَبَبًا، وحَبَّبَ إليكَ التَّثبُّت، وزَيَّنَ في عَينِكَ الإنصاف، وأذاقَكَ حَلاوَةَ التّقوىٰ، وأشعَرَ قَلبَكَ عِزَّ الحَقّ، وأودَعَ صَدرَكَ بَردَ اليَقين، وحادَ عَنكَ ذُلّ اليأس، وعَرَّفَكَ ما في الباطِلِ من الذِّلَّة، وما في الجَهلِ من القِلَّة/ .

[٥٤] فصل[1]

وَهَبَ الله لَكَ السَّلامَة، وخَتَمَ لكَ بالسَّعادَة، وأعَزَّكَ بالحَقّ، وجَمَّلَكَ بالبِشر، وجَعَلَ لَذَّتَكَ في العِلم، ووَفَّقَكَ للعَمَلِ به، وحَبَّبَ إلَيكَ الإنصاف، وأعاذَكَ مِن الرَّغبَةِ عَنه، وعَرَّفَكَ جَميعَ مَصالِحِك، وكَفاكَ مِن أمرِ دُنياكَ كُلَّ ما شَغَلَكَ عَن أمرِ آخِرَتِك، حتّىٰ لا يُنقِصَ طِباعَكَ كَدُّ[2] الطَّلَب، ولا يوهِنَ[3] قواكَ ذُلُّ الطَّمَع، ولا يَحمِلُكَ الفَقرُ علىٰ الحِرص، ولا يَحمِلُكَ الحِرصُ علىٰ لُؤمِ المَكسَب، ولا يَحمِلُكَ لُؤمُ المَكسَبِ علىٰ مُخالَفَةُ الرَّبّ.

وأسألُه أنْ يَجعَلَكَ مِمّن يَعرِفُ للحَقِّ قَدرَه، وللعِلمِ حَقَّه، حتّىٰ يَخِفَّ عَليكَ مِنه كُلُّ ثَقيل، ويَتَيَسَّرَ لَكَ[4] كُلُّ عَسير، وحَتّىٰ لا تألَفَ إلا علَيه، ولا توالي إلا فيه، وحَتّىٰ تَصيرَ مِن جَهابِذَةِ المَعاني، ومِن نُقّادِ الألفاظ، ومن العارِفينَ بِمُنتَهىٰ دائه، ومَوضِعِ دَوائه، حتّىٰ تَعرِفَ جَواهِرَ الكَلام، وأشياخَ العُلوم، وعَواقِبَ المَقالات، وعَوارِضَ الشُّبُهات، وتَظَلُّمَ[5] المُقَدِّمات، والفَرقَ الذي بَينَ الدَّليل، وما أشبَهَ الدَّليل.

---

(١) ورد هذا الفصل عند الدّروبيّ: ص١٢٤ - ١٢٥.

(٢) في الدّروبيّ ص١٢٤: كلّ.

(٣) في الدّروبيّ ص١٢٤: يوهين.

(٤) ساقطة من الدّروبيّ.

(٥) في الدّروبيّ ص١٢٥: مظلم.

[٥٥] فصل[١]

وهَبَ الله لَكَ الإنصاف، وأعاذَكَ من الظُّلم، وباعَدَكَ من التَّكَليف، وعَصمَكَ من التَّلَوُّن، وبَغَّضَ إليكَ اللَّجاج، وكَرَّهَ/ إليكَ الاستِبداد، ونَزَّهَكَ[٢] عَن الفُضول، وعَرَّفَكَ سوءَ عاقِبَةِ المِراء[٣].

[٥٦] فصل[٤]

وهَبَ الله لكَ الإنصاف، وأعاذَكَ من الظُّلم[٥]، وشَرَحَ صَدرَكَ بالمُناصَحَة[٦]، وجَنَّبَكَ البَذاء[٧]، وبَغَّضَ إليكَ المُعانَدَة، وأَلهَمَكَ القَصد.

[٥٧] فصل[٨]

وَهَبَ الله لَكَ السَّلامَةَ والغَنيمَة، وخَتَمَ لكَ بالسَّعادَة، وأعَزَّكَ بالحَقّ، وجَعَلَ لكَ مِن عَقلِكَ واعِظًا، ورِقيبًا مِن نَفسِكَ سامِعًا ومُطيعًا[٩]، وجَعَلَ لَكَ مَع حَزمِكَ

---

(١) ورد هذا الفصل عند الدّروبيّ: ص١٢٥.

(٢) نزّهك: أبعدك عن السّوء. (اللّسان: نزه).

(٣) المراء: الجدال. (اللّسان: مرا).

(٤) ورد هذا الفصل عند الدّروبيّ: ص١٢٥

(٥) جملة «وأعاذك من الظلم» ساقطة من الدّروبيّ.

(٦) المناصحة: نقيض الغش.(اللّسان: نصح).

(٧) البذاء: الفحش، والكلام القبيح. (اللّسان: بذا).

(٨) ورد هذا الفصل في الدّروبيّ: ص١٢٦.

(٩) في الدّروبيّ ص١٢٦: سامعًا مطيعًا.

نَصيبًا مِن التَّوَكُّلِ، ومع تَوَكُّلِكَ حَظًّا من التَّخَيُّرِ[١]، حتّىٰ تَقبَلَ إذنَه في الحَذَرِ[٢]، وتُطيعَ أمرَه في التَّوَكُّلِ[٣].

[٥٨] فصل[٤]

أصحَبَكَ الله العِزَّ[٥]، وجَنَّبَكَ الأذىٰ، وخَتَمَ لكَ بالفَوزِ[٦]، وحَبَّبَ إلَيكَ العِلم، وزَيَّنَ في عَينِكَ الحَقّ، ورَغَّبَكَ في الإقرارِ به، وسَهَّلَ عَليكَ الرُّجوعَ إليه، وبَغَّضَ إليكَ البِدَع، وكَفاكَ مَوارِدَ الفِتَنِ[٧]، وزادَكَ بَصيرَةً في الخَير، ورَغبَةً في صالِحِ الآداب[٨]، وكَريمِ الأخلاق.

[٥٩] فصل[٩]

أعاذَكَ الله من الحَيرَةِ[١٠] في الدّين، والرَّغبَةِ عَن مِلَّةِ المُسلِمين/[١١]، وجَعلَكَ

---

(١) التّخيّر: الاصطفاء. (اللّسان: خير).

(٢) الحذر: التّحرّز. (اللّسان: حذر).

(٣) التّوكّل: إظهار العجز، والاعتماد علىٰ غيرك. (اللّسان: وكل).

(٤) ورد هذا الفصل عند الدّروبيّ: ص١٢٦.

(٥) العزّ: الرّفعة. (اللّسان: عزز).

(٦) ختم لك بالفوز: النّجاة من الشّرّ والظّفر بالخير. (اللّسان: فوز).

(٧) موارد: المناهل والطّرق. (اللّسان: ورد).
الفتن: الابتلاء والمحن. (اللّسان: فتن).

(٨) في الدّروبيّ ص١٢٦: الأدب.

(٩) ورد هذا الفصل عند الدّروبيّ: ص١٢٦ – ١٢٧.

(١٠) الحيرة: التّحيّر، وعدم الاهتداء إلىٰ السّبيل. (اللّسان: حير).

(١١) الرّغبة: ترك الشّيء متعمّدًا. (اللّسان: رغب).
ملّة المسلمين: الشّريعة والدّين. (اللّسان: ملل).

مِمَّن يَقبَلُ العِلمَ مِن أهلِه، ويَستَنبِطُه مِن مَعدِنِه[١]، ويَستَدِلُّ علىٰ مجهولِ الأشياءِ بمَعلومِها، وعلىٰ لَطيفِها بجَليلِها، وكانَ رادِعًا لِعَقلِكَ عَن التَّكَلّفِ لِعلمِ ما لا تُدرِكُه.

[٦٠] فصل[٢]

وفَّقَكَ الله لِلطّاعَة، وعَصَمَكَ من الشُّبهَة، وأفلَجَكَ[٣] بالحُجَّة، وجَعَلَكَ مِمَّن يَتَّعظُ بغَيرِه، ولا يُعطي السَّلامَةَ مِن نفسِه، وقَرَنَ[٤] بمَنطِقِكَ[٥] الصَّواب، وبفكرِكَ التَّوفيق.

[٦١] فصل[٦]

زَيَّنَكَ الله بالتَّوفيق[٧]، وكَفاكَ المُهِمَّ مِن أمرِ الآخِرَةِ والأولىٰ، وأثلَجَ صَدرَكَ باليَقين، وأعَزَّكَ بالقَناعَة[٨]، [وخَتَمَ لَكَ بالسّعادَة، وجَعَلَكَ من الشّاكِرين][٩]،

(١) المعدن: أصل الشيء. (اللّسان: عدن).

(٢) ورد هذا الفصل عند الدّروبيّ: ص١٢٧.

(٣) أفلجك: أظفرك. (اللّسان: فلج).

(٤) قرن: اقترن به وصاحبه ووصل به. (اللّسان: قرن).

(٥) منطقك: كلامك. (اللّسان: نطق).

(٦) ورد هذا الفصل في هارون: جزء منه في رسالة بعنوان: رسالة المعلمين: ٣/ ٢٧، والجزء الآخر في رسالة بعنوان: رسالة الأوطان والبلدان: ٤/ ١٠٩. والسّندوبيّ: ص٣١٢، ٣١٥ بعنوان: من رسائله الخاصة، والمبرّد: ص١٧ بعنوان: فصل من صدر كتابه في المعلمين، والمورد: ص١٤٩ بعنوان: كتابه في المعلّمين، والدّروبيّ: ص١٢٧ - ١٢٨، وجريس: ص٥٩ بعنوان: كتاب المعلّمين.

(٧) في هارون «رسالة الأوطان والبلدان»: ٤/ ١٠٩، والسّندوبيّ ص٣١٥: التّقوىٰ.

(٨) جملة «وأثلج صدرك باليقين، وأعزك بالقناعة» ساقطة من السّندوبيّ.

(٩) ما بين المعقوفين من هارون «رسالة الأوطان والبلدان»: ٤/ ١٠٩. انتهاء ما ورد في هارون: «رسالة الأوطان والبلدان». من بداية الفصل إلىٰ هنا ساقطة من هارون: رسالة المعلمين، والمورد ص١٤٩. ما بين المعقوفين ساقط من السّندوبيّ.

و(١) أعانَكَ(٢) على(٣) سَورَةِ(٤) الغَضب، وعَصَمَكَ مِن سَرَفِ الهَوىٰ، وصَرَفَ [عَنكَ](٥) ما أعانَكَ(٦) من القوَّةِ إلىٰ حُبِّ الإنصاف، ورَجَّحَ(٧) في قَلبِكَ إيثارَ الأناة، [فَقَد استَعمَلتَ في المُعَلِّمينَ نَوكَ(٨) السُّفَهاء، وخَطَلَ الجُهَلاء، ومُفاحَشَةِ الأبذياء، ومُجانَبَةِ سُبُلِ الحُكَماء، وتَهَكُّم(٩) المُقتَدِرين، وأمنَ المُغتَرِّين. ومَن تَعَرَّضَ للعَداوَةِ وجَدَها حاضِرَةً، ولا حاجَةَ بِكَ إلىٰ تكَلُّف ما كُفيت](١٠).

[٦٢] فصل(١١)

أعاذَكَ الله من الغِشِّ(١٢) ودِقَّةِ خَطَرِه، ومِن البَغي وسوءِ أثَرِه، ومِن الحَسَدِ ولُؤمِ

---

(١) ابتداء ما ورد في هارون ٣/ ٢٧: رسالة المعلمين، والمبرّد ص١٧، وجريس ص٥٩.

(٢) في هارون ٣/ ٢٧: رسالة المعلمين، والمبرّد ص١٧، والسّندوبيّ ص٣١٢: أعانك الله.

(٣) في السّندوبيّ ص٣١٢: من.

(٤) في السّندوبيّ ص٣١٢: سوه، ولا وجه لها.
السورة: الشدّة والحدّة. (اللّسان: سور).

(٥) ما بين المعقوفين من الدّروبيّ ص١٢٧، ساقطة من هارون: «رسالة المعلمين» والسّندوبيّ والمبرّد والمورد وجريس.

(٦) في هارون «رسالة المعلمين» ٣/ ٢٧، والسّندوبيّ ص٣١٢، والمبرّد ص١٧، والمورد ص١٤٩، وجريس ص٥٩: أعارك.

(٧) في المورد ص١٤٩، وجريس ص٥٩: رهّج.

(٨) في المورد ص١٤٩: نزق.

(٩) تهكم: تكبر وتبختر. (اللّسان: هكم).

(١٠) ما بين المعقوفين من هارون «رسالة المعلمين»: ٣/ ٢٧، والمبرّد: ص١٧، والمورد: ص١٤٩، وجريس: ص٥٩، وساقطة من السّندوبيّ والدّروبيّ.

(١١) ورد هذا الفصل عند الدّروبيّ: ص١٢٨.

(١٢) ورد في عبيد الله في كتاب بعنوان: فخر السودان علىٰ البيضان ١/ ١٢٣ «أعاذك الله من الغش» أنّك قرأت كتابي في محاجّة الصّرحاء للهجناء، ورد الهجناء، وجواب أخوال الهجناء، وأني لم أذكر فيه شيئاً من مفاخر السودان، فاعلم حفظك الله أني إنما أخّرت ذلك متعمّداً».

طَبعِه، ومِن اللَّجاجِ[1] ومَغَبَّةِ أمرِه، ومِن كَثرَةِ التَّلَوُّن، وسَخافَةِ قَدرِه، ومِن غَلَبَةِ الطَّمَعِ وقُبحِ اسمِه/ .

[٦٣] فصل[2]

أعاذَكَ الله مِن سُكرِ الثَّروَة، وبَطرِ الغِنىٰ، وأوزَعَكَ الشُّكرَ[3]، ووَهَبَ لَكَ القَناعَة، وبَغَّضَ إليكَ المُكاثَرَة[4]، وكَفاكَ ما أهَمَّك، وجَعَلَكَ كَنَفًا للأُدَباء، ومَفزَعًا لِلحُكَماء، وجَعَلَكَ مِمَّن يَنفي عنه، شُبَهَ خَلقِه، ولا يُفَرِّقُ بَينَ أحَدٍ مِن رُسُلِه، ولا يَجحَدُ كتابًا مِن عندِه، ولا يُضيفُ إليه ما لَيسَ منه، إنَّه حَميدٌ مَجيدٌ [فَعّالٌ لِما يُريد][5].

[٦٤] فصل[6]

اللّهُمَّ نَعوذُ بِكَ من التَّكَلُّفَ لِما لا يَحسُن، كَما نُعوذُ بكَ من العُجبِ بِما يَحسُن[7]، ونَعوذُ بكَ من السَّلاطَةِ[8] والهَذر[9]، كَما نَعوذُ بكَ من العِيِّ[10] والحَصر[11].

---

(١) اللجاج: الخصومة الشديدة التي لا تنتهي إلىٰ شيء. (اللّسان: لجج).

(٢) ورد هذا الفصل عند الدّروبيّ: ص١٢٨ – ١٢٩.

(٣) في الدّروبيّ ص١٢٨: شكر النعمة.

(٤) المكاثرة: كثرة الكلام. (اللّسان: كثر).

(٥) ما بين المعقوفين من الدّروبيّ: ص١٢٩.

(٦) هذا الفصل جديد لم ينشر من قبل.

(٧) انظر القول في الحيوان: ٤/ ١٠٧ «اللّهم جنّبنا التكلّف، وأعذنا من الخطل، واحمنا من العُجب، بما يكون منّا، والثّقة بما عندنا، واجعلنا من المحسنين».

(٨) السّلاطة: طول اللسان وحدّته. (اللّسان: سلط).

(٩) الهذر: الكلام الكثير الرديء أو سقط الكلام. (اللّسان: هذر).

(١٠) العي: العجز في النطق وعدم القدرة علىٰ بيان المراد. (اللّسان: عيي).

(١١) الحصر: العي في النطق وعدم القدرة علىٰ القراءة. (اللّسان: حصر).

[٦٥] فصل[1]

اللَّهُمَّ إنّا بكَ نَعوذ، وبكَ نَلوذ[2]، وعَليكَ نَتَوَكَّل، وبكَ نَعتَصِم، فَتَوَلَّ عِصمَتَنا، وقَوِّ ضَعفَنا، ووَفِّقنا لِما تُحِبُّ وتَرضىٰ.

[٦٦] فصل[3]

اللّهُمَّ جَنِّبنا فُضولَ القَول[4]، والثِّقَةَ بِما عندَنا، ولا تَجعَلنا من المُتَكَلِّفين[5]، وأعِذنا مِن كُلِّ سَبَبٍ جانَبَ الطّاعَة، ودَعا إلىٰ المَعصية، وارزُقنا التّأييدَ والعِصمَةَ/ .

[٦٧] فصل[6]

اللَّهُمَّ إنّا نَستَعينُكَ علىٰ جِهادِ الأعداء، والرَّدِّ علىٰ السُّفَهاء، ونَسألُكَ كَلِمَةَ العَدلِ في الغَضَبِ والرِّضا، وأنْ تَجعَلَنا للخَيرِ عَلَمًا[7]، وعلىٰ الحَقِّ دَليلاً.

[٦٨] فصل[8]

بكَ اللَّهُمَّ استَعَنا، وعَليكَ تَوَكَّلنا، فَتَوَلَّ عِصمَتَنا من الزَّلَل[9]، ووَفِّقنا لِصالِحِ القَولِ والعَمَل.

---

(١) ورد هذا الفصل عند الدّروبيّ: ص١٢٩.

(٢) تلوذ: نلجأ إليك ونعوذ به، وفي الدّعاء «اللهم بك أعوذ، وبك ألوذ»؛ أي لاذ به إذا التجأ إليه واستغاث. (اللّسان: لوذ).

(٣) ورد هذا الفصل عند الدّروبيّ: ص١٢٩.

(٤) فضول القول: الخيلاء والتكبّر في القول. (اللّسان: فضل).

(٥) جملة «اللّهم جنّبنا فضول القول، والثّقة بما عندنا، ولا تجعلنا من المتكلّفين» وردت في الحيوان: ٦/ ٥.

(٦) ورد هذا الفصل عند الدّروبيّ: ص١٣٠.

(٧) علماً: دليلاً. (اللّسان: علم).

(٨) ورد هذا الفصل عند الدّروبيّ: ص١٣٠.

(٩) الزّلل: الخطأ والذّنب. (اللّسان: زلل).

[٦٩] فصل[١]

بعَونِكَ اللَّهُمَّ نَقول، وعَليكَ نَتَوَكَّل، وبكَ نَستَهدي، فامنُن[٢] علَينا بتَوفيقِكَ لِما يُرضيكَ من القَولِ والعَمَل.

[٧٠] فصل[٣]

نَعوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِن فِتَنِ الأهواء، وبِدَعِ الآراء، وشُبَهِ الخَطأ، ونَرغَبُ إليكَ في صَوابِ القَول، وسَدادِ الفِعل، عندَ جَوابِ السّائلين، وقَولِ المُحَلِّفين[٤]، وسُؤالِ المُحتَدّين، ومُنازَعَةِ الخُصوم؛ فقد عَظُمَ الادّعاء، وتأَصَّرَ الهَواء[٥]، وكَثَرتِ الرِّوايَة، وقَلَّتِ الرِّعايَة، وأُعجِبَ كُلٌّ برأيِه، وأطاعَ شَيطانَه، وقَلَّدَ بُهتانَه[٦].

[٧١] فصل[٧]

اللَّهُمَّ قد اشتَدَّ البَلاء، وظَهَرَتِ النَّكراء[٨]، وكَلَّفَنا الخُصومُ أنْ نَحتَجّ، وأهلُ العِنادِ[٩] أنْ نُبَيِّن، فَتَسديدَكَ اللَّهُمَّ تَسديدَكَ/ ، وتَوفيقَكَ اللَّهُمَّ تَوفيقَك، فإنَّ المَعصومَ مَن عَصَمت، والمَخذولَ[١٠] مَن خَذَلت، ولا حَولَ ولا قوَّةَ إلا بك.

---

(١) ورد هذا الفصل عند الدّروبيّ: ص١٣٠.

(٢) امنن: أنعم وافضل. (اللّسان: منن).

(٣) ورد هذا الفصل عند الدّروبيّ: ص١٣٠ – ١٣١.

(٤) في الدّروبيّ ص١٣١: المختلفين.

(٥) في الدّروبيّ ص١٣١: وقصر الهوىٰ.

(٦) البهتان: الباطل. (اللّسان: بهت).

(٧) ورد هذا الفصل عند الدّروبيّ: ص١٣١.

(٨) النّكراء: المنكر. (اللّسان: نكر).

(٩) أهل العناد: أهل التّجبّر. (اللّسان: عند).

(١٠) المخذول: المهزوم، والّذي لا معين له. (اللّسان: خذل).

[٧٢] فصل[١]

اللَّهُمَّ قد عَظُمَتِ البَلوىٰ، وكَثُـرَت الدَّعوىٰ، وقَـلَّ الأنصار[٢]، واستَسلَمَ الأتباع، وقَلَّدَ الرُّؤَساء، وعَدَلَ[٣] كَثيرٌ من الخَلقِ عن المَحَجَّةِ البَيضاء[٤]، والطَّريقَةِ المُثلىٰ، والسَّبيلِ التي بِسُلوكِها نَجا أوائلُهم، وبلُزومِها اهتَدىٰ أسلافُهم، فتَشتَّتوا لذلكَ واختَلَفوا، وتَبايَنوا وافتَرَقوا[٥]، وعادَ الإسلامُ غَريبًا كَما بَدأ[٦]، والمُؤمِنُ خائفًا صامِتًا.

وكُلُّ ذلك بحَسَدِ أعدائكَ لأوليائك، واستِضعافِهم لأصفيائهم، وبتَركِهم التَّسليمَ لأمرِك، والرِّضا بقَضائك، وقد عَرَفنا مِن ذلك اللَّهُمَّ ما أنكَروا، وأقرَرنا بكُلِّ الذي جَحَدوا، ورَضينا بكُلِّ ما له سَخَطوا، فامدُدنا رَبِّ بمَعونَتِك، وثَبِّتنا بتَوفيقِك، وأيِّدنا بنَصرِك، وحُطنا بكَلائك[٧]، ﴿ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

---

(١) ورد هذا الفصل عند الدّروبيّ: ص١٣١ - ١٣٢.

(٢) في الدّروبيّ ص١٣١: الإنصاف.

(٣) في الأصل (وعند) وهو تصحيف، وما أثبت من الدّروبيّ ص١٣١.

(٤) المحجة البيضاء: الطريق المستقيم. (اللّسان: حجج).

(٥) في الأصل (وافنفرقوا) وهو تصحيف. وما أثبت من حاشية الأصل.

(٦) إشارة إلىٰ الحديث «أنّ الإسلام بدا غريباً وسيعود غريباً كما بدا، فطوبى للغرباء».
(صحيح مسلم: ١/ ١٣٠، رقم ٢٣٢، وسنن ابن ماجه، تأليف د.محمّد ناصر الدّين الألباني، ط١، مكتب التّربية العربيّة لدول الخليج، الرّياض، ١٩٨٦م: ٢/ ٣٦٣، رقم ٣٢٢١، واللّسان: غرب).

(٧) في الدّروبيّ ص١٣٢: بكلايتك.

[٧٣] فصل[١]

الرّاحُ[٢] كَرِيمُ[٣] الجَوهَر، وشَرِيفُ[٤] النَّفس، رَفيعُ القَدر، بَعيدُ الهَمّ. ولذلكَ صارَت صِناعَتُه المَعروفة[٥]، وبَهجَتُه[٦] المَوصوفَة، أنْ[٧] يَسُرَّ النُّفوس/، وأنْ[٨] يُحبِّبَ إلَيها الجود، [ويُزيِّن لها الإحسان، ويرغِّبَها في التَّوسُّع، ويورِثَها الغِنىٰ، وينفي عنها الفقر][٩]، ويَملأها عِزًّا، ويعِدَها خَيرًا، ويَخلَعَ عن الطَّرَبِ الأعِنَّةَ[١٠]

---

(١) وردت بعض فقر هذا الفصل في هارون: ٣/ ١١٩، ١٢٠، ١٢٤–١٢٥ بعنوان: رسالة في مدح النبيذ، والسّندوبيّ: ص٢٨٨–٢٩٠ بعنوان: من رسالته في مدح النبيذ، والمبرّد: ص١٠٧–١٠٩، ١١٢، ١١٤– ١١٥ بعنوان: من رسالته في مدح النبيذ، والمورد: ص١٨٢–١٨٤ بعنوان: من صدر رسالته إلىٰ الحسن بن وهب في مدح النبيذ وصفة أصحابه. ولكن لم تكن هذه الفقر في الكتب السابقة مرتّبة كالتّرتيب الوارد في الأصل، بل جاءت جملة هنا وجملة هناك، والدّروبيّ: ص١٣٢– ١٣٧.

(٢) الراح: الخمر. (اللّسان: روح).

(٣) في المبرّد ص١١٢، والمورد ص١٨٢: أنّه كريم.

(٤) في المبرّد ص١١٢: شريف.

(٥) في السّندوبيّ ص٢٨٩، والمبرّد ص١١٢، والمورد ص١٨٢: وكذلك طبيعته المعروفة.

(٦) في السّندوبيّ ص٢٨٩، والمبرّد ص١١٢، والمورد ص١٨٢: وسجيته.

(٧) في المبرّد ص١١٢، والمورد ص١٨٢: وأنه.

(٨) ساقطة من السّندوبيّ والمبرّد والمورد.

(٩) ما بين المعقوفين من السّندوبيّ ص٢٨٩، والمبرّد: ص١١٢، والمورد: ص١٨٣، وساقطة من الدّروبيّ.

(١٠) الأعنّة: جمع عنان، وهو اللجام. (اللّسان: عنن).

والأرسان[١]. تَراه في الكأسِ كأنَّه الشَّمس، ومُلتَجِفٌ[٢] إذا بَلَعَته العُروق، وفَتَحَت أفواهَها كأفواهِ الفِراخ[٣][٤].

وهو[٥] الذي إذا مَشىٰ[٦] في عِظامِك، والتبَسَ بأجزائك، ودَبَّ في[٧] جَنانِك، مَنَحَكَ صِدقَ الحِسّ، وفَراغَ النَّفس، وجَعَلَكَ رَخيَّ[٨] البال، خَليَّ الذَّرع[٩]، قَليلَ الشُّغل[١٠]، قَريرَ العَين، واسِعَ الصَّدر، فَسيحَ الهَمّ، حَسَنَ الظَّنّ.

ثُمَّ سَدَّ عَليكَ أبوابَ الهَمّ[١١]، وحَسَمَ عَنكَ خَواطِرَ الفِكر[١٢]، وحَجَبَ عَنكَ طَوارِقَ الغَمّ[١٣]، وكَفاكَ مَؤونَةَ الحِراسَة، وألَمَ الشَّفَقَة، وخَوفَ الحَدَثان، وذُلَّ الطَّمَع،

---

(١) الأرسان: جمع رسن، وهو الحبل الذي يربط به. (اللّسان: رسن).

(٢) ملتجف: متسع، إذ وسّعه من جوانبه. (اللّسان: لجف).

(٣) في الدّروبيّ ص١٣٢: الفروخ.
جملة «وفتحت أفواهها كأفواه الفراخ» وردت في المورد: ص٢٠٠ بعنوان: من صدر كتابه في الشارب والمشروب.

(٤) من قوله «ويخلع عن الطرب... العروق» ساقطة من المبرّد والمورد من «رسالته إلىٰ الحسن بن وهب في مدح النبيذ وصفة أصحابه».

(٥) في هارون ص١٢٠، والمبرّد ص١١٢، والمورد ص١٨٢: والنبيذ.

(٦) في المبرّد ص١١٢، والمورد ض١٨٢: تمشّىٰ.

(٧) في المورد ص١٨٢: إلىٰ.

(٨) في المورد ص١٨٢: رضي.

(٩) في المورد ص١٨٢: الذراع.
الذرع: الطاقة والقوة. (اللّسان: ذرع).

(١٠) في هارون ص١٢٠، والمبرّد ص١٠٧، والمورد ص١٨٢: الشواغل.

(١١) في هارون ص١٢٠، والمبرّد ص١٠٧، والمورد ص١٨٢: التهم.

(١٢) في هارون ص١٢٠، والمبرّد ص١٠٧، والمورد ص١٨٢: وحسّن دونك الظّنّ وخواطر الفهم.

(١٣) جملة «وحجب عنك طوارق الغم» ساقطة من هارون والمبرّد والمورد.

وكَدَّ الطَّلَب، وكُلّ ما اعتَرَض علىٰ السُّرور، وأفسَدَ[١] اللَّذَّة، وقاسَمَ الشَّهوَة، وأحَلَّ النِّقمَةَ[٢].

وكيفَ لا يَكونُ كذلك، وهو مُستَراحُ قَلبِك، ومَجالُ عَقلِك، وقَريعُ[٣] عَينِك، ومَوضِعُ أُنسِك، ومُستَنبَطُ لَذَّتِك، ويَنبوعُ سُرورِك، ومِصباحُكَ في الظَّلام، وشِفاؤكَ مِن جَميعِ الأسقام[٤].

وهو الذي جَمَعَ أُبَّهةَ الحَلالِ[٥]، ورَشاقَةَ الحَرام[٦]، ووَقارَ الماء[٧]، [وشَرَفَ الخَيرِ][٨]، ونَزَقَ[٩] الخَمر[١٠]، وعِزَّ المُجاهَرَة[١١]، [ولذةَ الاختلاس،

(١) في الدّروبيّ ص١٣٣: أذهب.

(٢) في هارون ص١٢٠، والمبرّد ص١٠٧، والمورد ص١٨٢: وأحلّ بالنّعمة.

(٣) في السندوبي ص٢٨٨، وهارون ص١١٩، والمورد ص١٨٢، والدّروبيّ ص١٣٣: مرتع. والمبرّد ص١٠٧: ومربع.

(٤) في السّندوبي ص٢٨٨، وهارون ص١١٩: الأقسام. والمبرّد ص١٠٧، والمورد ص١٨٢: وشعارك من جميع الأقسام.

(٥) في السّندوبيّ ص٢٨٨: الجلال. وفي هارون ص١١٩: أهبة الجلال. والمبرّد ص١٠٧ والمورد ص١٨٢: أبهة الجلال.

(٦) في السّندوبيّ ص٢٨٨، وهارون ص١١٩، والمبرّد ص١٠٨، والمورد ص١٨٢: الخلال.

(٧) في السّندوبيّ ص٢٨٨، وهارون ص١١٩، والمبرّد ص١٠٨، والمورد ص١٨٢: البهاء.

(٨) ما بين المعقوفين من السّندوبيّ ص٢٨٨، وهارون: ٣/ ١٢٠، والمبرّد: ص١٠٨، والمورد: ص١٨٢، وساقطة من الدّروبيّ.

(٩) في الدّروبيّ ص١٣٤: شرف.

(١٠) جملة «ونزق الخمر» ساقطة من السّندوبيّ وهارون والمبرّد والمورد.

(١١) في السّندوبيّ ص٢٨٨، والمبرّد ص١٠٨: المجاهدة.

وحَلاوَةَ الدَّبيب[١]][٢]، وحَلاوَةَ المُسارَقَة[٣].

خَيرُ الأشرِبَةِ ما جَمَعَ المَحمودَ مِن خِصالِهِ وخِصالِ غَيرِه[٤]، وشَرابُكَ [هَذا][٥] قد أخَذَ مِن الخَمرِ دَبيبُها[٦] في المَفاصِل، وتَمَشّيها في العِظام، وبَقاءها علىٰ الدَّهر، ونَشرَها الطّيب[٧]، ولَونَها الغَريب، وأخَذَ بَردَ الماء، ورِقَّةَ/ الهَواء، وحَركَةَ النّار، وحُمرَةَ خَدِّكَ إذا خَجِلت، وصُفرَةَ لَونِكَ إذا فَزِعت، وبَياضَ عَوارِضِكَ[٨] إذا ضَحِكت[٩].

قيلَ لبَعضِ الفِتيانِ صِف لَنا خَصائصَ الأشرِبَة، فَقال: «أمّا الماء، فَيَعظُمُ خَطَرُه عندَ الحاجَةِ إليه بحَسَبِ تَعَذُّرِه. وأما اللَّبَنُ فَشِبعُ الغَرثان[١٠]، وريُّ الظَّمآن. وأما

---

(١) في المبرّد ص١٠٨، والمورد ص١٨٢: الزّبيب.

الدّبيب: دبّ الشّراب في الجسم يدبّ دبيبًا أي سرىٰ. (اللّسان: دبب).

(٢) ما بين المعقوفين من السّندوبيّ ص٢٨٨، وهارون: ٣/ ١٢٠، والمبرّد: ١٠٨، والمورد: ص١٨٢، وساقطة من الدّروبيّ.

(٣) ساقطة من السّندوبيّ وهارون والمبرّد والمورد. وفي الدّروبيّ ص١٣٤: المراقة.

(٤) في هارون ص١٢٤، والسّندوبيّ ص٢٩٠، والمبرّد ص١٠٨، والمورد ص١٨٤: من خصالها وخصال غيرها.

(٥) ما بين المعقوفين من هارون: ٣/ ١٢٤، والسّندوبيّ: ص٢٩٠، والمبرّد: ص١١٥، والمورد: ١٨٤، والدّروبيّ ص١٣٤.

(٦) في المبرّد ص١١٥: زينتها.

(٧) الجملة «وبقائها علىٰ الدهر ونشرها الطيب» ساقطة من هارون والسّندوبيّ والمبرّد والمورد.

(٨) في هارون ص١٢٥: عارضيك.

والمبرّد ص١١٥: عارضك.

والعارضان: جانبا الخد. (اللّسان: عرض).

(٩) انتهاء ما جاء في هارون والسّندوبيّ والمبرّد والمورد.

(١٠) الغرثان: الجائع. (اللّسان: غرث).

السَّويقُ[١]، فَزادُ العَجلان، وتَعِلَّةُ المَريض[٢]. وأما الدّاذي[٣]، فَكالمَروي في الدِّنان[٤]، والنَّرسي[٥] في الشِّعان[٦]. وأمّا الزَّبيبُ فَنبيلُ المَنظَر، سَخيفُ المَخبَر. وأما الرّاحُ فَصَفيُّ النَّفس، وغَذيُّ الرّوح، ما ارتُضِعَ مَمزوجُه وصِرفُه، غَيرُ مأمونٍ علىٰ إنهاكِ[٧] البَدَن، وسُقمٌ يُؤَدّي إلىٰ العَطَب».

قالَ خَمّارٌ مَرَّةً[٨]: تَنازَعَ الكَلامَ قَومٌ مِن أهلِ العِلمِ والأدَبِ في مَدحِ الشَّرابِ وذَمِّه، فَقالَ القائلُ بذَمِّه، والقَدَحُ في يَدِه: «في الشَّرابِ مَصَدَّةٌ عن مَسالِكِ البِرِّ والثَّواب، وآفَةٌ مُنالَةٌ علىٰ مِنهاجِ العِفَّةِ[٩] والعَفاف، وتَرَيُّثٌ عَن السَّعي في فُنونِ الأدَب، وتَقصيرٌ[١٠] عَن مُباشَرَةِ الأُمورِ والأسباب، ومَحقٌ لِنَماءِ الذِّكرِ والاسم، ونَقصٌ للذَّكاءِ والفَهم، وحَرَكَةٌ لِسُلطانِ الدَّم، وهَيجٌ للشَّغَبِ والمِراء، وارتِعاشٌ للبَدَنِ والجِرم[١١]».

---

(١) السويق: ما يُتخذ من الحنطة والشعير. (اللّسان: سوق).

(٢) تعلّة المريض: ما يتعلّل به. (اللّسان: علل).

(٣) الداذي: نبت له عنقود مستطيل وحبّه علىٰ شكل حب الشعير يوضع منه مقدار في وعاء فتعبق رائحته ويجود إسكاره.
(اللّسان: دوذ).

(٤) في الأصل (الدثار) وما أثبت من الدّروبيّ ص١٣٥.
الدنان: جمع دن وهو من الأوعيّة التي يحفظ فيها الخمر. (اللسان: دنن).

(٥) النرسي: ضرب من التمر يكون أجوده. (اللّسان: نرس).

(٦) الشّعان: ما تناثر من ورق العشب بعد هيجه ويبسه. (اللّسان: شعن).

(٧) في الدّروبيّ ص١٣٥: انتهاك.

(٨) غير مقروءة في الأصل، وما أثبت من الدّروبيّ ص١٣٥.

(٩) في الدّروبيّ ص١٣٥: الفقة.

(١٠) في الدّروبيّ ص١٣٥: ونقص.

(١١) الجرم: الجسد. (اللّسان: جرم).

وقالَ القائلُ بمَدحِه: «لَيسَت هذِه العُيوبُ مِن خاصيَّةِ الشَّرابِ وجَوهَرِه[١]، ولكِنَّها مِن إسرافِ النّاسِ في الإصابَةِ منه/ ، وتَجاوُزِهم حَدَّ الواجِب، ومِقدارَ اللازِم مِن شُربِه. فأمّا الشَّراب، فإذا كانَ أرِجًا[٢] صافيًا، عَتيقًا ناهيًا[٣]، وأُصيبَ منه القَصد، فإنَّه يَنفي الأحزان، ويَقودُ لصِحَّةِ الأبدان، وسُرورِ الإنسان، وحُمرَةِ الألوان، ومَحَبَّةِ الإخوان، وازديادِ الفَهمِ والذَّكاء، واستِمراءِ الغِذاء، وتَصفيةِ الدَّمّ، وتَنقيةِ الجِرم، وتَحسينِ الجِسم، وشَهوَةِ الطَّعام، وطيبِ المَنام، واعتِدالِ الحَرارَة، وسُكونِ الرّياحِ والمِرَّة[٤]، وسُرعَةِ النُّهوضِ والانتِباه، ودِباغُه[٥] صِبغِ الأفواه، واطِّراحِ العَداوَة، وامتياحِ المِرَّة، واقتِضاءِ المَحَبَّة، وإهدابِ[٦] الحَرَكَة، واستِلالِ الغَمّ، والزّيادَةِ في الهِمَّةِ والأريَحية[٧]، والفِراسَةِ والألَمعيَّة[٨].

وعلىٰ الرِّجالِ أنْ يَشرَبوا منه القَصد، وعلىٰ النِّساءِ أنْ يُصِبنَ مِنه دونَ القَصد؛ لأنّه باعِثٌ مُحَرِّضٌ[٩] علىٰ شَهَواتٍ مُردية، ونَهَماتٍ كَريهَةٍ مُوَرِّطَة. فَجِماعُ مَدائحِه إذا

---

(١) في الدّروبيّ ص١٣٥: وجوهرها.

(٢) الأرج: الطيب. (اللّسان: أرج).

(٣) الناهي: الذي يروي. (اللّسان: نهي).

(٤) المرة: نوع من الأمراض. (اللّسان: مرر).

(٥) في الأصل (دعاعيّة) وما أثبت من حاسية الأصل.

في الدّروبيّ ص١٣٦: دعاعيّة.

(٦) إهداب: قطع. (اللّسان: هدب).

(٧) الأريحية: الارتياح للكرم والنشاط. (اللّسان: روح).

(٨) الألمعيّة: الذكاء المتوقد الحديد اللسان والقلب. (اللّسان: لمع).

(٩) ساقطة من الدّروبيّ.

اقتُصِرَ منه[١] علىٰ القَصد، ولَمْ يُتَجاوَز بشُربِه الحَدّ، بِضعٌ وعِشرون خُلَّةً». فَقَضىٰ المَلِكُ للمادِحِ علىٰ ما اشتَرَطَه فيه، وللقادِحِ علىٰ تَجريدِ القَولِ ونَفيِ الاشتِراطِ عنه.

وصَفَ رَجُلٌ الماء، فَقال: «هو مِزاجُ الرّوح، وصَفي النَّفس، وقَوامُ الأبدان. ومِن فَضيلَتِه أنْ كُلَّ شَراب، وإن حَلا وَرَقّ، وصَفا وطابَ وعَذُب، فَلَيسَ بعِوَضٍ منه، ولا مُغنٍ عنه، بل تَطيبُ بمُمازَجَتِه، وتَعذُبُ بمُخالَطَتِه/ ، حتّىٰ يَسري في العُروقِ بلَطافَتِه، ويَنسابَ في المَفاصِلِ برِقَّتِه مَع خاصيتِه في ري الظَّمآن، وإطفاءِ نارِ الحَشا». ولَقَد جَعَلَته العَرَبُ مَثلاً لِما تَمَكَّنَ مِن القلبِ مقتُه، فَقالَ القُطامي[٢]:

وَهُــنَّ يَنبِــذنَ مِــن قَــولٍ يُصِــبنَ بــه ... مَواقِعَ الماءِ مِن ذي الغُلَّةِ الصّادي[٣]

وقالَ الحارِثُ بنُ خالِد المَخزومي[٤]:

---

(١) ساقطة من الدّروبيّ.

(٢) القطامي: أبو سعيد، عمير بن شييم بن عمرو بن عبّاد التّغلبي، من بني جشم بن بكر، شاعر غزل فحل، كان من نصارىٰ تغلب في العراق وأسلم، وجعله ابن سلام في الطّبقة الثّانية من الإسلاميين، وهو أوّل من لقّب بصريع الغواني، توفي سنة (١٣٠هـ).
(ابن قتيبة، الشّعر والشّعراء: ص٥٢٢، والمرزباني، معجم الشّعراء: ٤٧، والأصفهاني، الأغاني: ٢٤/ ٢٠٠، والزركلي، الأعلام: ٥/ ٨٨).

(٣) انظر ديوانه ص٨١، ينبذن: يطرحن المواد الجافة في الماء الغلّة: الحرارة، أي أنْ حديثهنّ يشفي القلب المغرم كما يطفئ الماء لوعة الغليل. ورد البيت في الحيوان: ٥/ ١٤١، ورسائل الجاحظ، (تحقيق عبد السّلام هارون): ٢/ ١١٥، وفصول مختارة اختيار عبيد الله بن حسّان ٢/ ٩ ٢، والكامل للمبرد (تحقيق عبد الحميد الهنداوي): ١/ ٤٤٤، وأساس البلاغة ص٨٠٣ مادة نبذ، وأسرار البلاغة: ص١٢٦، وبهجة المجالس: ٢/ ٧، وزهر الآداب: ١/ ١٨، وروضة المحبّين: ص٣٤٣، ومجموعة المعاني ٢/ ٨٥٧، واللسان مادّة صدي.

(٤) الحارث بن خالد المخزومي: الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة، كان شاعراً كثير الشّعر، من أهل مكّة، نشأ في أواخر أيّام عمر بن أبي ربيعة، وكان يذهب مذهبه، وكان ذا خطر وقدر ومنظر في قريش، ولاه يزيد بن معاوية إمارة مكّة، وتوفي بها سنة (٨٠هـ). =

وَوَجْـدي بالأحِبَّـةِ يَـومَ بـانوا كَوَجْـدِ الظَّمـآنِ بالمـاءِ النُّقـاحِ

وقال أعرابي[١]:

أمـاني مِـن سُـعدَىٰ طِيـابٌ كـأنَّما سَقَتكَ بِها سَلمىٰ علىٰ ظَمأ بَـردا[٢]

[٧٤] فصل[٣]

ولولا أنَّ الله عَزَّ وجَلَّ أرادَ أنْ يَجعَلَ الاختِلافَ سَبَبًا للإئتِلاف[٤]، لَمَا جَعَلَ واحِدًا [طَويلاً][٥] وآخَرَ قَصيرًا[٦]، وآخَرَ[٧] حَسَنًا وآخَرَ قَبيحًا، وآخَرَ[٨] غَنيا وآخَرَ

= (انظر: البغدادي، خزانة الأدب: ١/ ٤٠٩، والطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٣/ ٢٧٢، والأصفهاني، الأغاني: ٣/ ٢١٧، والزّركلي، الأعلام: ٢/ ١٥٤).

(١) هو أبو بكر العَرزَمي: محمّد بن عبد الله بن أبي سليمان الفزاري، شاعر حضرمي، عاش في الكوفة، أكثر شعره آداب وأمثال.

(انظر: بهجة المجالس: ١/ ١٢١، والزّركلي، الأعلام: ٧/ ١٣٥).

(٢) ورد البيت في الحيوان: ٥/ ١٩٢، وعيون الأخبار: ٣/ ٢٦١، وزهر الآداب: ٢/ ٣٧٣، ومعجم الأدباء: ١٦/ ٢٣٠، وحماسة أبي تمّام: ٢/ ١٥٩، واللسان: طيب، وبهجة المجالس: ١/ ١٢١:

أمانيُّ مـن سـلمىٰ عـذاب كـأنّما سقتك بها سلمىٰ علىٰ ظمأ بـردا

(٣) ورد هذا الفصل في عبيد الله: ٣/ ١٨٥ – ١٨٨ من كتابه في حجج النبوة، وهارون: ٣/ ٢٤٢ – ٢٤٥ من كتابه في حجج النّبوّة، والسّندوبيّ: ص١٢٧ – ١٢٩ بعنوان من كتاب حجج النّبوّة.

(٤) في عبيد الله ٣/ ١٨٥، وهارون ٣/ ٢٤٢، والسّندوبيّ: ص١٢٧: للاتفاق والائتلاف.

(٥) ما بين المعقوفين من حاسية الأصل.

(٦) في هارون ٣/ ٢٤٢، والسّندوبيّ: ص١٢٧: لما جعل واحداً قصيراً والآخر طويلاً.

(٧) هكذا في الأصل، وحقّها أنْ تكون «واحداً» انسجاماً مع السّياق.

(٨) هكذا في الأصل، وحقّها أنْ تكون «واحداً» انسجاماً مع السّياق.

فقيرًا، [وواحِدًا عاقِلاً وآخَرَ مجنونًا][(١)]، وواحِدًا ذَكيا[(٢)] وواحِدًا[(٣)] غَبيًا.

ولكنَّه[(٤)] خالَفَ بَينَهم ليختَبِرَهم، وبالاختِبارِ يُطيعون، وبالطّاعَةِ يَسعَدون. ففَرَّقَ بَينَهم ليجمَعَهم، [وأحَبَّ أنْ يَجمَعَهم علىٰ الطّاعَةِ ليجمَعَهم][(٥)] علىٰ المَثوبَة. فسُبحانَه وتَعالىٰ، ما أحسَنَ ما أبلىٰ وأولىٰ، وأحكَمَ ما صَنَع، وأتقَنَ ما دَبَّر؛ لأنَّ النّاسَ كُلَّهُم[(٦)] لو رَغِبوا عَن عارِ [الحياكَةِ][(٧)] لَبَقينا عُراةً. [ولو رَغِبوا][(٨)] بأجمَعِهم عَن كَدِّ البِناءِ لرُمينا بالعَراء. ولو رَغِبوا عَن الفِلاحَةِ لذَهَبَتِ الأقوات، وبَطُلَت المَعايش[(٩)]، فَسَخَّرَهم علىٰ غَيرِ إكراه، ورَغَّبَهم/ [(١٠)] علىٰ [(١١)] غَيرِ دُعاء.

ولولا اختِلافُ الطَّبائعِ مِن النّاس[(١٢)]، وعِلَلِهم لَـما اختاروا مِن الأسماءِ[(١٣)] إلا أحسَنَها، ومن البِلادِ إلا أعدَلَها، ومِن الأمصارِ إلا أوسَطَها. ولو كانوا كَذلِك

---

(١) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص٣/ ١٨٥، وهارون: ٣/ ٢٤٢، والسّندوبيّ: ص١٢٧ .

(٢) في السّندوبيّ ص١٢٧: زكياً.

(٣) في هارون ٣/ ٢٤٢، والسّندوبيّ ص١٢٧: وآخر.

(٤) في هارون ٣/ ٢٤٢، والسّندوبيّ ص١٢٧: ولكن.

(٥) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص٣/ ١٨٥، وهارون: ٣/ ٢٤٢، والسّندوبيّ: ص١٢٧ .

(٦) ساقطة من عبيد الله وهارون والسّندوبيّ.

(٧) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص٣/ ١٨٥، وهارون: ٣/ ٢٤٣، والسّندوبيّ: ص١٢٧ .

(٨) ما بين المعقوفين من عبيد الله ص٣/ ١٨٥، وهارون ٣/ ٢٤٣، والسّندوبيّ: ص١٢٧ .

(٩) في عبيد الله ٣/ ١٨٥، وهارون ٣/ ٢٤٣، والسّندوبيّ: ص١٢٧: ولبطل أصل المعاش.

(١٠) في عبيد الله ٣/ ١٨٥: ورغبه.

(١١) في عبيد الله ٣/ ١٨٥، وهارون ٣/ ٢٤٣: من.

(١٢) في عبيد الله ٣/ ١٨٥، وهارون ٣/ ٢٤٣، والسّندوبيّ ص١٢٧: طبائع الناس.

(١٣) في عبيد الله ٣/ ١٨٥، وهارون ٣/ ٢٤٣، والسّندوبيّ ص١٢٧: الأشياء.

لَتَناجزوا[١] علىٰ طَلَبِ الواسِطَةِ[٢]، وتَشاحوا[٣] في بلادِ الغِنىٰ [٤]، ولَمَا وَسِعَهم بَلَد، ولا ثَمَرَ[٥] بَينَهُم صُلح، فَقَد صارَ بِهم التَّسخيرُ[٦] إلىٰ غايَةِ القَناعَة.

وكَيفَ لا يكونونَ كذلك، وأنتَ لو حَوَّلتَ ساكِني الآجامِ[٧] إلىٰ الفَيافي[٨]، وساكِني السَّهلِ إلىٰ الجَبَل[٩]، وساكِني الجِبالِ إلىٰ البِحار، وساكِني الوَبَر[١٠] إلىٰ المَدَر[١١]، لأذابَ قُلوبَهم الهَمّ، ولأتىٰ[١٢] عَليهِم فَرطُ النِّزاع.

ولَيسَ علىٰ ظَهرِها إنسانٌ إلا وهو مُعجَبٌ لصَوتِه[١٣]، لا يَسُرُّه أنّ له بجَميعِ مالِه جَميع[١٤] ما لِغَيرِه. ولَولا ذلك لَماتوا كَمَدًا، ولَذابوا حَسَدًا، ولكِن لكُلِّ إنسان، وإنْ كانَ يَرىٰ أنّه حاسِدٌ في شَيء، فَهو يَرىٰ أنّه مَحسودٌ في شَيءٍ آخَر[١٥].

---

(١) في الأصل غير معجمة، وما أثبت من عبيد الله ٣/ ١٨٥، وهارون ٣/ ٢٤٣، والسّندوبيّ ص١٢٧.
(٢) في عبيد الله ٣/ ١٨٦، وهارون ٣/ ٢٤٣: الأواسط.
(٣) تشاحّوا: تنازعوا. (اللّسان: شحح).
(٤) في عبيد الله ٣/ ١٨٦، وهارون ٣/ ٢٤٣، والسّندوبيّ: ص١٢٧: البلاد العليا.
(٥) في عبيد الله ٣/ ١٨٦، وهارون ٣/ ٢٤٣، والسّندوبيّ: ص١٢٧: تم.
(٦) في الأصل (السخير) وهو تصحيف.
(٧) الآجام: جمع أجم، وهو الحصن أو القصر. (اللّسان: أجم).
(٨) الفيافي: الصحراء. (اللّسان: فيف).
(٩) في هارون ٣/ ٢٤٣، والسّندوبيّ ص١٢٧: الجبال.
(١٠) الوبر: المقصود البدو. (اللّسان: وبر).
(١١) المدر: المقصود أهل الحاضرة. (اللّسان: مدر).
(١٢) في الأصل (لاىٰ) وهو تصحيف.
(١٣) في عبيد الله ٣/ ١٨٦، وهارون ٣/ ٢٤٤، والسّندوبيّ ص١٢٧: بعقله.
معجب لصوته: أي لذكره. (اللّسان: صوت).
(١٤) ساقطة من عبيد الله وهارون والسّندوبيّ.
(١٥) ساقطة من عبيد الله وهارون والسّندوبيّ.

ولولا اختِلافُ الأسبابِ لَتَنازَعوا بَلدَةً واحِدَةً، واسمًا واحِدًا، وكُنيَةً واحِدَةً. فقد صاروا كَما تَرىٰ مَع اختيارِ الأسماءِ[١] المُختَلِفَةِ إلىٰ الأسماءِ القَبيحَة، والألقابِ السَّمِجَة[٢]. والأسماءُ مَبذولَة، والصِّناعاتُ مُباحَة، والمَتاجِرُ مُطلَقَة، ووجوهُ الطُّرُقِ مُخَلاة، ولكِنَّها مُطلَقَةٌ في الظّاهِر، مُقَسَّمَةٌ في الباطِن، وإن كانوا لا يَشعُرون بالذي دَبَّرَ الحَكيمُ مِن/ ذلك، ولا المَصلَحَة[٣] فيه.

فَسُبحانَ مَن حَبَّبَ إلىٰ واحِدٍ أنْ يُسَمّيَ ابنَه مُحَمَّدًا، وحَبَّبَ إلىٰ آخَرَ أنْ يُسَمّي ابنَه[٤] شَيطانًا، وحَبَّبَ إلىٰ آخَرَ أنْ يُسَمّيَ ابنَه سَعيدًا[٥]، و[حَبَّبَ][٦] إلىٰ آخَرَ أنْ يُسَمّيهِ حِمارًا[٧]، وسَمَّىٰ واحِدٌ ابنَهُ الفَضلَ والطَّيِّبَ وطاهِرًا ويَسيرًا ويَزيد، وسَمّىٰ الآخَرَ ابنَه عِكرِشَةَ وخَرشَةَ وحَنظَلَةَ وجَندَلَةَ وبَغيضًا وغَضبانَ وعَجلانَ وحَجَرًا ورُؤبَةَ وسَريطًا وحُزامًا وكَلبًا وكُلَيبًا وذِئبًا؛ لأنَّ النّاسَ لو لَم يُخالِف بَينَ عِلَلِهم في اختيارِ الأسماءِ والكُنىٰ، لَجازَ[٨] أنْ يُجمَعوا علىٰ شَيءٍ واحِد، وإن كانَ[٩] في ذلك بُطلانُ العَلامات، وفَسادُ الدِّلالات[١٠].

---

(١) في عبيد الله ٣/ ١٨٦، وهارون ٣/ ٢٤٤، والسّندوبيّ ص١٢٨: الأشياء.

(٢) السمجة: القبيحة. (اللّسان: سمج).

(٣) في عبيد الله ٣/ ١٨٦، وهارون ٣/ ٢٤٤، والسّندوبيّ ص١٢٨: بالمصلحة.

(٤) في عبيد الله ٣/ ١٨٦، وهارون ٣/ ٢٤٤، والسّندوبيّ ص١٢٨: أنْ يسميه شيطاناً.

(٥) في عبيد الله ٣/ ١٨٦، وهارون ٣/ ٢٤٤، والسّندوبيّ ص١٢٨: أنْ يسميه عبد الله.

(٦) ما بين المعقوفين من عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٤، والسّندوبيّ: ص١٢٨.

(٧) من قوله «وسمّىٰ ابنه الفضل...» إلىٰ قوله «كليباً وذئباً» ساقطة من عبيد الله وهارون والسّندوبيّ.

(٨) في عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٥، والسّندوبيّ ص١٢٨: جاز.

(٩) في عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٥، والسّندوبيّ ص١٢٨: وكان.

(١٠) في عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٥، والسّندوبيّ ص١٢٨: المعاملات.

وأنتَ إذا رأيتَ ألوانَـهُم وشَمائلَـهُم، واختِلافَ صُوَرِهم، وسَمِعتَ لُغاتِهم ونَغَماتِهم[١]، عَلِمتَ أنْ طَبائعَهُم المَحجوبَةَ الباطِنَة، علىٰ حَسبِ أُمورِهم الظّاهِرَة.

وبَعضُهُم[٢]، وإن كانَ مُسَخَّرًا للحياكَة، فلَيسَ يُسَخَّرُ[٣] للسّفيقِ[٤] والخيانَة، ولا علىٰ الأحكامِ[٥] والصِّدقِ[٦] والأمانَة.

وقد يُسَخِّرُ الله المُلكَ لقَومٍ بأسبابٍ قَديمَةٍ وأسبابٍ حَديثَة، فَلا يَزالَ ذلك المُلكُ مَقصورًا عَليهم، ما دامَت تِلكَ الأسبابِ قائمَةً، فلَيسَ[٧] إذا كانوا للمُلكِ مُسَّخَرين، وكانَ النّاسُ لهم مُسَخَّرين، فَلا بُدَّ مِن أنْ يكونوا في كُلِّ حالٍ مُسَخَّرينَ[٨] للجَبريّة[٩] والنَّخوَة[١٠]، والفَظاظَةِ والقَسوَة، وطول الحِجابِ والاستِتار/[١١]، وسوءِ اللِّقاءِ والتَّصَنُّع[١٢].

---

(١) في عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٥، والسّندوبيّ ص١٢٨: نغمهم.

(٢) في عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٥، والسّندوبيّ ص١٢٨: وبعض الناس.

(٣) في هارون ٣/ ٢٤٥، والسّندوبيّ ص١٢٨: بمسخر.

(٤) السّفيق: يقال رجل سفيق الوجه؛ أي قليل الحياء ووقح. (اللّسان: سفق).

(٥) في عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٥، والسّندوبيّ ص١٢٨: للإحكام.

(٦) في الأصل (الصدف)، وهو تصحيف.

(٧) ساقطة من عبيد الله وهارون.

(٨) جملة «فلا بدّ من أنْ يكونوا في حال مسخّرين» ساقطة من عبيد الله وهارون والسّندوبيّ.

(٩) في الأصل (للخيريّة)، وما أثبت من عبيد الله ٣/ ١٨٧، والسّندوبيّ ص١٢٨: بالجبرية.

(١٠) النخوة: العظمة والكبر.

(١١) في عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٥، والسّندوبيّ ص١٢٨: ولطول الاحتجاب والاستتار.

(١٢) في عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٥، والسّندوبيّ ص١٢٨: التضييع.

وقد يكونُ الإنسانُ مُسَخَّرًا في أمرٍ[١]، ومُخَيَّرًا في آخَر. ولولا الأمرُ والنَّهي لَجازَ التَّسخيرُ في دَقيقِ الأمرِ[٢] وجَليلِه[٣]، وخَفيِّه وظاهِرِه[٤]؛ لأنّ النّاسَ[٥] إنَّما سُخِّروا له إرادَةَ العائدَةِ علَيهم، والنَّظَرَ لهم[٦]، وأن تَتِمَّ النِّعمَةُ علَيهم[٧]، ولَم يُسَخَّروا للعِصمَةِ[٨]، كَما لَم يُسَخَّروا للمَفسَدَة.

وقد تَستَوي الأسبابُ في مَواقِعِ[٩]، وتَتَفاوَت في مَواضِع؛ كُلُّ ذلك ليجمَعَ الله تعالىٰ لهم مَصالِحَ الدُّنيا، ومَراتِبَ[١٠] الدّين.

ألا تَرىٰ أنّ أُمَّةً مِن الأُمَمِ قد اجتَمَعَت علىٰ أنّ عيسىٰ بن مَريَمَ[١١] هو الله، وأُمَّـةٌ أجمَعَت[١٢] علىٰ أنَّـه ابنُ الله، وأُمَّـةٌ أجمَـعَت[١٣] علىٰ أنّ الآلهةَ ثَلاثَـةٌ عيسَىٰ أحَدُها.

---

(١) في عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٦، والسّندوبيّ ص١٢٨: لأمر.

(٢) في عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٦، والسّندوبيّ ص١٢٨: الأمور.

(٣) في عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٦، والسّندوبيّ ص١٢٨: وجليلها.

(٤) في عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٦، والسّندوبيّ ص١٢٨: وخفيها وظاهرها.

(٥) في عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٦، والسّندوبيّ ص١٢٨: بني الإنسان.

(٦) جملة «والنظر لهم» ساقطة من عبيد الله وهارون والسّندوبيّ.

(٧) جملة «وأن تتم النعمة عليهم» ساقطة من عبيد الله وهارون والسّندوبيّ.

(٨) في عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٦، والسّندوبيّ ص١٢٨: للمعصية.

(٩) في عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٦، والسّندوبيّ ص١٢٨: مواضع.

(١٠) في عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٦، والسّندوبيّ ص١٢٨: مراشد.

(١١) ساقطة من عبيد الله وهارون والسّندوبيّ.

(١٢) في عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٦، والسّندوبيّ ص١٢٨: وأمّة قد اجتمعت.

(١٣) في عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٦، والسّندوبيّ ص١٢٨: اجتمعت.

ثُمَّ إنَّ منهم مَن تَزندَق[١]، ومنهم مَن تَدَهَّر[٢]، ومنهم مَن تَحَوَّلَ[٣] نَسطوريًّا[٤] بَعدَ أنْ كانَ يعقوبيًّا[٥]، ومنهم مَن أسلَمَ بَعدَ أنْ كانَ نَصرانيًّا.

ولَستُ واجِدًا مِن[٦] هذه الأُمَمِ[٧] علىٰ اختِلافِ مَذاهِبِها، وكَثرَةِ تَنَقُّلِها، انتَقَلَت[٨] مَرَّةً واختَلَفَت مَرَّةً، مُتَعَمِّدَةً أو ناسيةً، في يَومِ الأحَدِ[٩]، فَجَعَلَته يَومَ السَّبت،

---

(١) في عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٦، والسّندوبيّ ص١٢٨: تبدد.

(٢) في عبيد الله ٣/ ١٨٧، وهارون ٣/ ٢٤٦، والسّندوبيّ ص١٢٨: يتدهر.

(٣) في عبيد الله ٣/ ١٨٨، وهارون ٣/ ٢٤٦، والسّندوبيّ ص١٢٨: يتحول.

(٤) النسطوريّة: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون، وتصرّف في الأناجيل بحكم رأيه، ويقول أنّ كلمة الله اتّحدت بجسد عيسىٰ عليه السّلام كإشراق الشّمس في كوّة علىٰ بلّورة وكظهور النّقش في الشّمع إذا طبع بالخاتم. ويقول أتباعه: إذا اجتهد الرّجل في العبادة وترك التّغذي باللحم، ورفض الشّهوات الحيوانيّة والنّفسانية، تصفّىٰ جوهره حتّىٰ يبلغ ماهوت السّماوات ويرىٰ الله جهرة، وينكشف له ما في الغيب، فلا تخفىٰ عليه خافية في الأرض ولا في السّماء.

(انظر: الشّهرستاني، الملل والنحل: ١/ ١٠٢، ونشوان الحميري، الحور العين: ص١٤٦، واللّسان: نسط).

(٥) اليعقوبيّة: أصحاب يعقوب، ويقول أنّ الإله انقلب لحماً ودماً فصار هو المسيح، وقالوا: أنّ المسيح هو جوهر من جوهرين، هو إله وهو مولود، وأنّ كلمة الله تداخل جسم المسيح عليه السّلام أحياناً، فتصدر عنه الآيات من إحياء الموتىٰ وإبراء الأكمة والأبرص، وتفارقه في بعض الأوقات فترد عليه الآلام والأوجاع.

(انظر: الشّهرستاني، الملل والنحل: ١/ ١٠٣، وفخر الدّين الرّازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ص١٠٠، ونشوان الحميري، الحور العين: ص١٤٥).

(٦) ساقطة من عبيد الله وهارون والسّندوبيّ.

(٧) في هارون٣/ ٢٤٦، والسّندوبيّ ص١٢٨: الأمة.

(٨) في الأصل (انتلقت) وهو تصحيف.

(٩) في عبيد الله ٣/ ١٨٨، وهارون ٣/ ٢٤٦، والسّندوبيّ ص١٢٩: واحد.

ولَم يُحطَب في يَومِ السَّبتِ فَجَعَلَته يَومَ جُمعَة[١]، ولا غَلطَت في كانونِ الأوَّلِ فجَعَلَته كانونَ الأخير[٢]، ولا بينَ الصَّومِ والإفطار؛ لأنَّ البابَ الأوَّل داخِل[٣] في بابِ الإمكان، وتَعديلِ الأسبابِ والامتِحان، والبابَ الثّاني داخِلٌ في بابِ الانتِفاع/[٤] وتَسخيرِ النُّفوسِ وطَرحِ الامتِحان.

[٧٥] فصول قصار[٥]

الجَزَعُ علىٰ ما فات، صِغَرُ هِمَّة، وضيقُ حيلَة، ومَهانَةُ نَفس، وضَراعَةُ[٦] رأي، ووَضعٌ للقَدر، وانحيازٌ إلىٰ غَيرِ مُجير. يَومُ السُّرورِ قَصير، فأعِن عليهِ بالبُكور[٧]، هو يَرضىٰ بِالخُمولِ لاستِدامَةِ العافية.

* وانبِذ بِرَملَةَ نَبذَ الجَوربِ الخَلِقِ *[٨]

ما غَرَسَ الكَلامَ حتّىٰ أثمَرَ الجَواب، يَركَبُ الجَمَلَ الثِّقال[٩]، ويَعتَمِلُ الرُّمحَ

---

(١) في عبيد الله ٣/ ١٨٨، وهارون ٣/ ٢٤٦، والسّندوبيّ ص١٢٩: فجعلته؛ وهو يوم الجمعة، يوم السبت، ولم تخطب في يوم جمعة بخطبة يوم خميس.

(٢) في عبيد الله ٣/ ١٨٨، وهارون ٣/ ٢٤٦، والسّندوبيّ ص١٢٩: الآخر.

(٣) ساقطة من عبيد الله وهارون والسّندوبيّ.

(٤) في عبيد الله ٣/ ١٨٨، وهارون ٣/ ٢٤٧، والسّندوبيّ ص١٢٩: الامتناع.

(٥) هذا الفصل جديد لم ينشر من قبل.

(٦) الضّراعة: طلب الحاجة. (اللّسان: ضرع).

(٧) البكور: الخروج في وقت الغدوة. (اللّسان: بكر).

(٨) هذا عجز البيت وصدره:

انعم بعائش عيشًا غير ذي رنق

(وجدته في الموسوعة الشعرية).

(٩) في الأصل جملة «يركب الجمل الثّفال» غير منقوطة. الثّفال: البطيء الثّقيل. (اللسان: ثفل).

الشَّطون[١]، ويَلبَسُ الشَّملَةَ[٢] الفَلوت[٣]. أعرابي في نَمِرَتِه[٤]، أَسَدٌ في ناموره[٥]، نَبَطيٌّ في حِبوَتِه[٦].

أَخَذَ بِزِمامِ الكَلامِ فَقادَه وساقَه[٧]، لا يَجتَرِئ علىٰ رُكوبَ الأبلَقِ[٨] في الحَربِ الأغمَرِ[٩]، أو مُدِلٌّ بنفسِه؛ لأنّ الفارِسَ يُشهَرُ بِرُكوبِ الأبلَق.

كانَ مِن أَشَدِّ النّاسِ تَحصيلاً لِكَلامِهم، وأَشَدِّهم مُحاسَبةً لِنَفسِه. جَمَحَ في غَيِّه، وعَضَّ علىٰ شَكيمَتِه، ولَجَّ في خِلافِه في حَمارَةِ القَيظ[١٠]، ووَقدَةَ الهَجير[١١]، ومَطلَعِ الشِّعرىٰ[١٢] العَبور[١٣].

---

(١) الشطون: الطويل الأعوج. (اللّسان: شطن).

(٢) الشملة: مئزر من صوف أو شعر يؤتزر به. (اللّسـان: شمل).

(٣) الفلوت: القصيرة التي لا ينضمّ طرفاها. (اللّسان: فلت).

جاء في البيان والتبيين: ٣/ ١٦ «وصف متمّم بن نويرة أخاه مالكاً فقال: كان يخرج في اللّيلة الصّنبر، عليه الشّملة الفلوت، علىٰ الجمل الثّفال، معتقّل الرّمح الخطل».

(٤) نمرته: الماء الزّاكي في الماشية عذبًا كان أو غير عذب. (اللّسان: نمر).

(٥) نامورة: مصيدة تربط فيها شاة. (اللّسان: نمر).

(٦) حِبوَتِه: الاحتباء حيطان العرب؛ أي ليس في البراري حيطان، فإذا أرادوا يستتروا احتبوا لأن الاحتباء ويمنعهم من السّقوط ويصير لهم كالجدار. (اللّسان: حبا).

(٧) جاء في العقد الفريد ٤/ ٥: «أخذ بمجامع الكلام فقاده بزمامه».

(٨) الأبلق: البلق هو ارتفاع التّحجيل إلىٰ الفخذين. يقال في المثل «أعز من الأبلق العقوق».

(انظر: حمزة بن الحسن، الدّرّة الفاخرة: ص١٧٠، واللّسان: بلق).

(٩) الحرب الأغمر: الحرب الشديدة. (اللّسان: غمر).

(١٠) حمارّة القيظ: الصّيف، وهو شدّة الحرّ. (اللّسان: قيظ).

(١١) الهجير: نصف النّهار عند اشتداد الحرّ. (اللّسان: هجر).

(١٢) الشعري: كوكب نيّر يقال له المِرزَم يطلع بعد الجوزاء، وطلوعه في شدّة الحر، والشعريان هما العبور والغميصاء. (اللّسان: شعر).

(١٣) العبور: مع الجوزاء وتكون نيّره، وسمّيت عبوراً لأنّها عبرت المجرّة. (اللّسان: عبر).

ثيابُهم مِن أصوافِ الغَنَم، ولُعابِ الدّود[١]، ونِعالُهم السِّبتيَّة[٢] والسَّنَديَّة. حتّىٰ تَخرُجَ الأُمورُ مَوزونَةً مُعَدَّلَةً، ومُتَساويةً، ومُخَلَّصَةً.

إذا رأيتُ فُلانًا ذَكَرتُ الجَنَّة، وإذا ذَكَرتُ/ فُلانَةً ذَكَرتُ النَّواويسَ[٣] والخَرابات[٤]، ومَعاطِنَ الإبِلِ[٥] ومَزابِلَ الحَمّامات، تَغَيَّرَ لَونُه وتَزَبَّد[٦]، وطارَ الغَضَبُ في دِماغِه، وتَمَنَّعَ وتَعَصَّر[٧] وتَغَضَّبَ وتَأبّىٰ.

رُبَّما ناظَرَني فاحتاجَ والله إلىٰ أنْ أُحضِرَ فَهمي، وأجمَعَ لُبّي، وأطرُدَ الخَواطِرَ عني؛ مَخافَةَ أنْ يَشِذَّ عليَّ شَيءٌ مِن مَعاني كَلامِه للذي أرىٰ مِن بُعدِ غَورِه، ودِقَّةِ مَذهَبِه. مَنَعَ مِن ذلك فَرطُ الكَبرَة، وإفراطُ العِلَّة، وضَعفُ المُنَّة، وانحِلالُ القوَّة؛ حتّىٰ يَعرِفَ مَقاديرَ ما استَجرَّ[٨] الله مِنها من المَنافِع، وغَشاها من البُرهانات، وألزَمَها[٩] من الأدِلَّةِ عَليها، وأنطَقَها من الحُجَّةِ له، وناسٌ مِن أهلِ التَّكليفِ[١٠] والصَّلَف[١١]، ومِن أهلِ الجَفا والغِلَظ؛ عابوا العُشّاق.

---

(١) لعاب الدّود: أي الحرير الذي تنتجه دودة القزّ.

(٢) السبتية: الجلود المدبوغة. (انظر: ابراهيم السّامرّائي، من معجم الجاحظ: ص٢٠١، واللّسان: سبت).

(٣) النواويس: مقابر النّصارىٰ، وقيل حجر منقور تجعل فيه جثّة الميت. (اللّسان: نوس).

(٤) الخرابات: الهدم. (اللّسان: خرب).

(٥) معاطن الإبل: مواضع الإبل، وهي وطن الإبل ومبركها حول الحوض. (اللّسان: عطن).

(٦) تزبّد: تزبّد الإنسان إذا غضب وظهر علىٰ صماغيه زبدتان. (اللّسان: زبد).

(٧) تعصّر: تمنّع. (اللّسان: عصر).

(٨) استجر: ملأ. (اللّسان: سجر).

(٩) الكلمة غير واضحة في الأصل، ولعلّ الصّواب ما أثبت.

(١٠) التكليف: كثرة السؤال والبحث عن الأشياء الغامضة التي لا يجب البحث عنها. (اللّسان: كلف).

(١١) الصلف: مجاوزة القدر في الظرف والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبراً. (اللّسان: صلف).

هو علىٰ قالَبِ فُلانٍ وخِرطِه[١]، وأُفرِغَ كإفراغِه، وعلىٰ عَمودِ صورَتِه. وكانَ مِمَّن نَقَب[٢] في البِلاد، وقَرأ الكُتُب. قد كَمَنَ حِقدَه في القَلب، وسَرَت عَقارِبُه. كَأن ماتَ بِجارِفِ الطّاعون، كأنَّ الرُّعافَ مِن منايا جرهم[٣].

كانَت حَديدَةَ الطَّرفِ والذِّهن، سَريعَةَ الحَرَكَةِ مَعشوقَةً، ورُبَّما جَمَعَها في نِقاب، والظَّفَرُ بَينَهُما سِجال. والرّافِضَةُ يَتَزَوَّجونَ المُتعَة[٤]، ولا يُلزِمونَ النّاسَ طَلاقَ البِدعَة/ .

لا تَدَع ظاهِرَ اللَّفظِ والعادَةَ الدّالَّةَ في ظاهِرِ الكَلامِ إلىٰ المَجازات، تُرسُ المَنارَة، وعَمودُ المَنارَة، وكُرسي المَنارَة، ومَنارَةُ السِّراج[٥]. ورُبَّما أخَذَ بيدِه السَّيفَ الهُذام[٦]،

---

(١) خرطه: دقّة جسمه. (اللّسان: خرط).

(٢) نقب: ذهب. (اللّسان: نقب).

(٣) جملة «كأن الرّعاف من منايا جرهم» وردت في الحيوان: ٦/ ١٥١، ووابن الجوزي، أخبار الحمقىٰ والمغفّلين: ص٧٦.

جرهم: حي من العرب وهم أصهار اسماعيل عليه السّلام. (الفارابي، ديوان الأدب: ٢/ ٤٩).

(٤) تجيز الشيعة الإثنا عشريّة زواج المتعة، ويستدلون بقوله تعالىٰ ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النساء ٢٤]، زواج المتعة: عقد الرّجل علىٰ المرأة إلىٰ أجل معيّن ولا يتوارث به الزّوجان، وينعقد بلفظ «زوّجتك وأنكحتك» ولا ينعقد بغيرها. ولا يجوز لمسلمة شيعيّة أنْ تعقد نكاح علىٰ غير مسلم.

(انظر: جمال بهيم، حقوق المرأة في الإسلام: ص٣٥).

(٥) المنارة: التي يؤذن عليها.

عمود المنارة: الشّمعة ذات السّراج.

منارة السّراج: التي يوضع عليها السّراج. (اللّسان: نور).

(٦) السيف الهذام: القاطع الحديد. (اللّسان: هذم).

والرَّعيبَ[١] المَتن[٢]، الحَديدَ الغَرب[٣]، التَّامَّ الطّول، الطَّويلَ السّيلان[٤].

مَعَه مِن خِصالِ الشَّرَفِ والغِنىٰ في السَّفَرِ والحَضَر، في الحَربِ والسَّلام، وفي الزّينَةِ والبَهاء، وفي العُدَّةِ والعَتادِ ما لَيسَ عندَ أحَد. لَستُ أراه مُمتَنِعًا، ولا مُحالا في القُدرَة، ولا مُمتَنِعًا في الطَّبيعَة، وأرىٰ جِوارَه مَوهومًا غَيرَ مُستَحيل، إلا أنْ قَلبي لَيسَ يَقبَلُه، ولا في كَونِه ظِلّا، ولا عَيبًا، ولا خَطأً، ولَمْ نَجِدِ القُرآنَ يُنكِرُه، ولا الإجماعَ يَدفَعُه، إلا أنّي لا أجعَل الشَّيءَ الجائزَ كَونُه كالشَّيء بَيَّنَتهُ الأدِلَّة، ويُخرِجُه البُرهانُ مِن بابِ الإنكارِ والواجِبِ في هذا الوَقف.

له مَشيٌ لا يَبلُغُه نَفَرانِ الظَّبي[٥] إذا جَمَعَ جَراميزَه[٦]، وهو مَع ذلك يَشُدُّ علىٰ العَسكَرِ حتّىٰ يَفرُقَه فَرقَ الشَّعَر، ويَطويه طَيَّ السِّجِلّ. لَمّا دَخَلَ الحَربَ أقشَعَ[٧] عنه جُندُه، وأسلَمَته صَنائعُه. فأمّا المَغموسُ فيها ومَن قد غَمَرته التُّرَّهاتُ[٨] [لم أرَ][٩]؛ أمَدَّ قامَةً، ولا أتَمَّ ألواحًا، ولا أبرَعَ جَمالاً مِنه. كانَ عَظيمَ الكِبر[١٠]، راجِحَ الحِلم. أهلُ

---

(١) الرعيب: القصير. (اللسان، رعب).

(٢) المتن: السّيف الشّديد الضّرب. (اللّسان: متن).

(٣) الغرب: الحدّة. (اللّسان: غرب).

(٤) السّيلان: ما يُدخل من السّيف في النّصاب، وهو سِنخُ قائم السّيف. (اللّسان: سيل).

(٥) نفران الظّبي: شروده. (اللّسان: نفر).

(٦) جراميزه: جمع قوائمه وجسده، وتقبّض واستعد له وعزم علىٰ قصده. (انظر: ابن سعيد، نشوة الطرب: ٢/ ٧٠٧، اللّسان: جرمز).

(٧) اقشع: تفرّق. (اللّسان: قشع).

(٨) التّرّهات: الأباطيل من الأمور. (اللّسان: تره).

(٩) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السّياق.

(١٠) الكبر: الرّفعة في الشرف. (اللّسان: كبر).

الكِتابَينِ اليَهودُ والنَّصارىٰ، والإسماعيليةِ[١] والإسحاقية/ [٢]، بما في بَدَنِه من الأعضاءِ الكَريمَةِ الشَّريفَة.

قد بَقي علىٰ الطِّباعِ الأوَّلِ مِن صورَتِه، فكانَ المُلكُ لا يَملأُ عَينَيه، مِن رَجُلٍ به بَرَصٌ[٣] لِسَيِّدٍ مُعَمَّم، أو شَريفٍ مُقَدَّم، أو فارِسٍ رَئيس، أو عالِمٍ رَئيس، أو حميلٍ[٤] رائع، أو أديبٍ جامِع، أو ناسِكٍ مَعروف، أو كَريمٍ مَوصوف، أو ظَريفٍ مَليح، أو شاعِرٍ فَصيح، أو موسِرٍ مَرزوق، أو جَوادٍ غَيرِ مَسبوق، أو داهيةٍ لا تُرام، أو خَطيبٍ لا يُجارىٰ ولا يُضام، أو مُغَنٍّ حاذِق، أو مُطرِبٍ مَطبوع.

فَمِن السّادَةِ النُّجَباء، والقادَةِ الكُرَماء. ومِمَّن بَرَعَ في عِلمِ القُرآنِ والرِّياسَة، والخُضوعِ للحَقِّ إذا نازَلَه، وإيثارِ الدّينِ علىٰ الدُّنيا، وقد عُرِضَت عَليه.

---

(١) الاسماعيلية: أصحاب اسماعيل بن جعفر، ومن مبادئهم أنْ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، وكذلك من مات ولم يكن في عنقه بيعة إمام مات ميتة جاهلية، وقالوا في الباري عز وجل: إنّا لا نقول هو موجود، ولا لاموجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، ولا نقول هو شيء ولا هو لا شيء، لأن من قال إنّه شيء فقد شبّهه، ومن قال: إنّه لا شيء فقد نفاه. (انظر: الشهرستاني، الملل والنحل: ١/ ٨٢، وفخر الدّين الرّازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ص٤٠، ونشوان الحميري، الحور العين: ص١٤٨).

(٢) الإسحاقيّة: من غلاة الشّيعة، قالوا: ظهور الرّوحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل، وقالوا في جانب الخير: ظهور جبريل ببعض الأشخاص وبصورة أعرابي والتّمثل بالبشر، وفي جانب الشّر: ظهور الشّيطان بصورة إنسان حتىٰ يعمل الشّر بصورته، وظهور الجن بصورة بشر حتّىٰ يتكلّم بلسانه.
(انظر: الشّهرستاني، الملل والنحل: ١/ ٨٠، وفخر الدّين الرّازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ص٥٢).

(٣) برص: داء وهو بياض يقع في الجسد. (اللّسان: برص).

(٤) الحميل: الكفيل. (اللّسان: حمل).

تَكَسَّرَت واللهِ قَوارِيرُك[١]؛ يُقال ذلك للرَّجُلِ إذا قُبِّحَ عليه قَولٌ قالَه لغَلَطٍ أتىٰ به.

ومن الصَّناديدِ[٢] الأنجاد، وأهلِ البأسِ والجَلَد، والجَمالِ البارِع، والخَلقِ الفارِع. كانَ نَبيلاً، شَريفَ الفِعال. وقد يضطَرِبُ عودُ الضَّعيف، ويَموجُ قَلبُه، وتَتفَسَّخُ مُنَّتُه[٣]، وتَنقُصُ قوَّتُه.

ومِن عَجيبِ نَظمِه، وغَريبِ تأليفِه، وبَديعِ طائعِه، وفَخامَةِ مَخرَجِه، وفَرطِ بَهائه، وثَباتِ جُدَّتِه[٤] علىٰ طولِ الأيّام، وسَلامَتِه مِمّا يَعتَري سائرَ الكَلام. ثَلَمَ الدِّين، واجتَلَبَ العار، وأشمَتَ/ العَدوّ، وساءَ الصَّديق.

والمَلِكُ الضَّخمُ الشّأنِ لا يَعشَقُ إلا في الرِّئاسَةِ الكُبرىٰ، وفي جَوازِ الأمر، ونَفاذِ النَّهي، وفي مُلكِ[٥] رِقابِ الأمَمِ مِن وُجوهِ الدِّيانَة. ممّا يُشغِلُ شَطرَ قوىٰ العَقلِ عَن التَّغَزُّلِ في الحُبّ، والاحتِراقِ في العِشقِ.

والأعرابي لَيسَ له صَناعٌ يَشغَلُه، ولا مُشتَغَلاتٌ تَقسِمُ بالَه؛ فلذلك يَشتَدُّ عِشقُه للذي مَعَه، مِن أصالَةِ الرّأي، وتَمامِ العَزم، والسُّلطانِ علىٰ الشَّهوَة. اسرُبَ[٦] فإنّ الدُّجىٰ قد رَقَّ عارِضُه، فتَتحَرَّكُ تِلكَ الدَّفائن، ويُثمِرُ ذلك الغَرسُ.

ولا يَعرِف اليَمينَ من الشِّمال، ولا الجَنوبَ من الشَّمال، ولا السَّماءَ من الأرض،

---

(١) انظر الحديث «إيّاك والفوارير، إيّاك والقوارير». (انظر: كنز العمّال: ١٥/ ٢١٤، الحديث رقم ٤٠٦٣٣).

(٢) الصناديد: جمع صنديد وهو السيد الشريف الشجاع. (اللّسان: صند).

(٣) تفسخت منته: تضعف قوّته ولم يظفر بحاجة. (اللّسان: فسخ).

(٤) جدّته: ثباته علىٰ الرّأي. (اللّسان: جدد).

(٥) يجوز فيها مُلك، ومَلك، ومِلك.

(٦) اسرُب: امضِ. (اللّسان: سرب).

ولا الطّولَ من العَرض، ولا يُفَرِّقُ بينَ الأعالي والأسافِل، وبينَ الأقاصي والأداني.

قد خَرَجَ مِن الأوزان، وخالَفَ جَميعَ التَّعديل. وهذا البُرهانُ صَحيحٌ ما صَحَّ النَّظم، وقامَ التَّعديل، واستَوَت الأسباب. اعرِض كَلامي علىٰ جَهابِذَةِ المَعاني، وأطِبّاءِ ذَوي العُقول.

قالَ دُهقانٌ[١] لأسَدِ بن عَبدِ الله[٢]: «إنْ كُنتَ تُعطي مَن تَرحَم فارحَم مَن تَظلِم»[٣]. من الرَّحِمِ الماسَّة، والقَرابَةِ اللازِقَة، واللُّحمةِ المُلتَحِمَة. يَتوارَثُه خَلَفٌ عَن سَلَف، وتابِعٌ عَن سابِق، وصَغيرٌ عَن كَبير، وحَديثٌ عَن قَديم/ . فلَم أشُكّ أنّها نَصيحَةُ حازِم، أو مَشورَةُ رامِق[٤]، أو رأيُ حاضِر، أو حِكمَةٌ نَبغَت[٥]، أو صَدرٌ جاشَ فلَم يَملِك، أو عِلمٌ فاضَ فلَم يُرَدّ، استَعمَلَه مَن استَعمَلَه، وتَركَه مَن تَركَه. أدنىٰ حُقوقِ الحُرمَةِ اطِّراحُ الحِشمَة[٦].

---

(١) دهقان: لقب يطلق علىٰ رئيس أهل القرية المسؤول عنها والقوي علىٰ التّصرف مع حدّة، وأيضاً التّاجر، وزعيم فلاحي العجم، ورئيس الإقليم. (اللّسان: دهقن).

(٢) أسد بن عبد الله: القسري البجلي، أمير من الأجواد الشّجعان، ولد ونشأ في دمشق، ولي خراسان سنة (١٠٨هـ) فأقام فيها زمناً، وجدّد بناء بلخ وأنزل بها جيشه ثم اختارها لإقامته، توفي سنة (١٢٠هـ).

(انظر: ابن حجر، الإصابة: ١/ ٢٩٦، وابن الأثير، الكامل: ٥/ ٧٩، والذهبي، العبر: ١/ ١٠١).

(٣) جاء في العقد الفريد ٢/ ١٣٤ : «قال دهقان لأسد بن عبد الله: أنْ كنت تعطي من يُرحم، فارحم من يُظلم، فإن السّماوات تنفرج لدعوة المظلوم»، وانظر الحديث «مَن لا يَرحم لا يُرحم».

(انظر: كنز العمّال: ٣/ ١٦٣، الحديث رقم ٥٩٧١، والهيتمي، مجمع الزوائد: ٨/ ٣٤٠، الحديث رقم ١٣٦٧٠).

(٤) الرّمق: الحسد. (اللّسان: رمق).

(٥) حكمة نبغت: أي ظهرت. (اللّسان: نبغ).

(٦) الحشمة: الحياء والانقباض. (اللّسان: حشم).

وأعلَمَني ذلك عِلمًا يَنقَطِعُ فيهِ الشَّكّ؛ فيَثبُتُ مَعَه اليَقين. وقد خَبَّرَني مَن لا أرتابُ به، ولا أرُدُّ خَبَرَه. وخَبَّرَني مَن أثِقُ بعَقلِه، وخَبَّرَني مَن أسكُن إلىٰ خَبَرِه، وخَبَّرَني كَم شِئت من النّاس؛ منهم مَن يَقشَعِرُّ من الكَذِبِ ويَتقَزَّزُ منه. وخَبَّرَني فُلانٌ وكانَ هو والكَذِبُ لا يأخُذانِ في طَريق، ولَم يكُن عليه من الصِّدقِ مَؤونَةٌ لإيثارِه، كانَ له حتّىٰ يَستَوي عِندَه ما يَضُرُّ وما لا يَضُرّ. وخَبَّرَني فُلانٌ ولو كانَ إسنادًا لذَكَرتُه، ولكِنَّ مَوضِعَ البَياضِ من الكِتابِ خَيرٌ مِمّا حَكَيتُه.

ما فَرَقَ ما بينَ المُكافأةِ والتَّحاسُد، وبينَ المُنافَسَةِ والتَّغالُب، وبينَ الحُجَّةِ والشُّبهَة، والغَدرِ والحيلَة، والذَّمِّ والشُّكر، والحَمدِ والاختيار، والإمكانِ والاضطِرار، والإيجابِ والواجِبِ المُمكِن.

لَيسَ المُجَرِّبُ كالغُمر، ولا الأديبُ كالغُفل[١]. فلولا أنْ هُناكَ سِرًّا كريمًا، وخَبَرًا عَجيبًا، وفَضلاً مُبينًا، وعِرقًا ناميًا، لكانَ كذا. فأمّا مَن/ ساعَدَتهُ الأقدار، وأجابَتهُ الدُّنيا إذا دَعاها، وكانَ في اعتِدالٍ من الأخلاط[٢]، وصِحَّةٍ من المِزاج[٣]. وكانَت لهم أجسامٌ طَويلَة، وأجوافٌ مُنكَرَة.

غَمَستُ يدَيَّ في الأمر، وغَمَسَ القَومُ أيديهم فيه. ضَرَبَ القَومُ بَعضَهُم ببَعضٍ ثُمَّ نامَ علىٰ قَفاه، ويُحِبُّ أنْ يَعرِفَ مَوضِعَ الفُرصَة، وكيفَ التَّقَدُّمُ في حالِ المُهلَة. مَتىٰ ما أُعِدُّ شَيئًا فإنّي كَعارِم[٤].

---

(١) الغُفل: مَن لا يُرجىٰ خيره، ولا يُخشىٰ شرّه. (اللّسان: غفل).

(٢) الأخلاط: الأمزجة. (اللّسان: خلط).

(٣) المزاج: هو ما لا يثبت علىٰ خلق، ويقال رجل مزّاج: وهو المخلّط الكذّاب. (اللّسان: مزج).

(٤) عارم: شديد القوّة والشّراسة. (اللّسان: عرم).

وفُلانٌ لا يَجِفُّ[١] كَبِدُه، ولا يَستَريحُ قَلبُه، ولا تَسكُنُ حَرَكَتُهُ في طَلَبِ حَوائجِ الرِّجال. عَندي الماءُ البارِد، وحَديثٌ لا يُنادىٰ وَليدُه[٢]؛ يقوله الرَّجُلُ البَخيل.

قالَ ابنُ الزُّبَير[٣] في خُطبَتِه «إنَّما بَطني شِبرٌ في شِبر، وما عَسىٰ أنْ يَكفيني».

أنعِم صَباحًا، وأنعِم ظَلامًا، وأنعِم مَساءً، عِم ظَلامًا[٤]، فَيَجيئُكَ الرَّجُلُ فيَقول: «أحيَيتُ ذلك وعِظام»؛ أي لَقد كانَ كَذا وكَذا.

لَيسَ في عَسكَري الخِلافَةِ مَثَلُ فُلان، هو يُشبِهُ أباه[٥] في القَدِّ والخَرط[٦]. هَذا قَولُ أعرابيٍّ علىٰ فطرته.

كَلامُ رَسولِ الله ﷺ يَجمَعُ العِلمَ والأدَبَ في نِقاب، هَذا كَلامٌ قد أخَذَ بَعضُه برَقَبةِ بَعض.

---

(١) يجف: ييبس. (اللّسان: جفف).

(٢) يقال: «آمر لا يُنادىٰ وليده في الخير والشرّ»، أي اشتغلوا به حتّىٰ لو مدّ الوليد يده إلىٰ أعزّ الأشياء لا يُنادىٰ عليه زجرًا. (القاموس المحيط: ولد).

(٣) ابن الزّبير: أبو بكر، عبد الله بن الزّبير بن العوّام القرشي الأسدي، ولد سنة (١هـ) فارس قريش في زمنه، شهد فتح إفريقيّة زمن عثمان، توفي سنة (٧٣هـ).

(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٣/ ٢٤١، ابن حجر، الإصابة: ٤/ ٧٨، والصفدي، فوات الوفيات: ٢/ ١٧١، والذهبي، العبر: ٥١).

(٤) انظر القول في الحيوان: ١/ ٣٢٨: «كانوا في الجاهليّة يقولون: انعم صباحاً، وانعم ظلاماً، وانعم مساءً وانعم ظلاماً، ثم تركوه وصاروا يقولون: كيف أصبحتم؟، وكيف أمسيتم؟».

(٥) الكلمة غير واضحة في الأصل ولعلّ الصّواب ما أثبت.

(٦) الخرط: دقّة الجسم. (اللّسان: خرط).

يا ألأمَ النّاسِ وأوضَعَهم؛ تَقولُ ذلك للَّئيمِ الرّاضِع[١]. لِـم تُزاحَمُ البِحار بالجَداوِل، والأجسامَ/ بالأعراض، وما لا يَتَناهىٰ بالجُزءِ الذي لا يَتجَزّأ. فلَمّا طالَ الدَّهرُ نُسيَ السَّبَب.

وكَيفَ أطلُبُ منكَ ما قَد انقَطَعَ سَبَبُه، واجتُثَّ أصلُه. فإن كُنّا قَد أصَبنا فَذاكَ أرَدنا، وإن كُنّا قَد أخطأنا فَما ذاكَ عَن فَسادِ الضَّمير. ولَعَلَّ طَبيعَةً حانَت، ولَعَلَّ عارِضًا حَدَث، ولَعَلَّ سَهوًا اعتَرَض، ولَعَلَّ شُغلاً مَنَع. فَخُذ لَنا هَذا وحَصِّلهُ واحمِله، وفَصِّلهُ وعَـرِّفنا أدناه مِن أقصاه، وأوسَطَـهُ مِن طَـرَفيه. وكانوا يَحمَدونَ الكَـيِّسَ[٢] الذي لا يُلقي بيدِه.

وقد عَرَفتُ هذا الرَّجُلَ وعَجَمتُه[٣]، وقَلَّبتُ فيه الرّأيَ حتّىٰ فَهِمتُه. تَرقَعُ بالتَّكليفِ خَرقًا لا يَقبَلُ الرَّقع، وتَرتُقُ فَتقًا يَنبو عنه، الرَّتقُ لا لفتنته، والسَّكرانُ أشَدُّ منه كَلامًا، ولَيسَ مِمَّن يَعلَقُ بحَبلٍ مِن حِبالِ الحَقّ، كَمَن تَخَلّىٰ عَن جَميعِه، ولَيسَ مَن يَثبُتُ نَسَبُه في قَومٍ كالمُعوَجِّ الذي لا يُحسِّنُه أحَد، ولا يُضافُ إلىٰ نَسَب؛ حتّىٰ كأنّه وتِدٌ بِقاعٍ أو فَقعٌ بقَرقَر[٤].

وما زالَت الأخلافُ تَـحكي عن الأسلاف، ويَـتبَعُ الآخِرُ أثَـرَ الأوَّل. كانَ مُستَصرَخًا لِلدّين، ومُستَنهِضًا للذَّبِّ عَن حُرمَةِ الإسلام. يَبغي مَعالِمَ سُنَّتِه، ويَندُبَ إلىٰ شَرائعِ مُفرَضَة، يُحرِجُهم بِألفاظِ شِدادٍ، ويَكلِمُهم بأنيابٍ حِداد، ويَسطو عَليهم بقوَّةِ أيد. رجُلٌ حَضَريّ وآخَرُ مَدَريّ.

---

(١) الرّاضع: الذي رضع اللّؤم من ثدي أمّه. (اللّسان: رضع).

(٢) الكيّس: الظّريف والفَطِن. (اللّسان: كيس).

(٣) عجمته: خبرته. (الّسان: عجم).

(٤) القرقر: القاع الأملس الذي لا شيء فيه. (اللّسان: قرر).

وإنّي قد نادَيتُكَ مِن كَثَب/ ، ودَعوتُكَ مِن قُرب، وحَشَوتُ سَمعَكَ مِن إنذاري. بأعناقِهم رِبَقٌ[١] دَلَّتْها مَغرَسَهُ[٢] رقابهم، وظُلَمًا يُجاذِبُهم إلى أوديةٍ ظَلماء، وتَدُبُّ عَليهم تَهاويلُ خَوارِجِها، وتَقصِفُ عَليهِم نكباء[٣]، ريحُها حَيٌّ[٤] نكأ الجُرح، وغَلَبَ الصَّبر، وآلَمَ أهلَ الحَقِّ طولُ عِضاضِ الحَرب[٥].

ومن زَهوٍ يَعلوك، ونَجوَةٍ تَشمُخُ بها عِرنينُك[٦]، تُرهِقُكَ أُبَّهة كِبر، ويَتَّسِقُ بك سُموُّ قَدر. اقصِد بذَرعِك[٧]، واردُد مِن نَخوَتِك، واقصِد مِن ذَرعِك. كُلُّ نَظّارٍ[٨] حَكيم، وكُلُّ بَحّاثٍ واع، وكُلُّ نَقّابٍ في البِلادِ ودَرّاسَةٌ للكُتُب[٩]. فأدتُ[١٠] عَزمي،

---

(١) ربق: خيط أو حبل فيه عرىً تشد بها البهم. (اللسان ربق).

(٢) مغرسه: مثبّته. (اللّسان: غرس).

(٣) نكباء: الرّيح النّاكبة، التي تنكب القوم عند مهاب الرّياح، وتهلك المال وتحبس القطر، وهي الرّيح التي تهب بين ريحين. (انظر: الثعالبي، فقة اللغة: ص٢٩، والغزولي، مطالع السرور: ١/ ٦١، واللّسان: نكب).

(٤) حيّ: بيّن. (اللّسان: حيا).

(٥) عضاض الحرب: داهية الحرب وشدتها. (اللسان/ عضض).

(٦) عرنينك: أنفك. (اللّسان: عرن).

(٧) في الأصل (اقصر من درعك) وهو تصحيف.

الذرع: الطّمع. يضرب مثلاً بمن يتوعد، أي اقصد الأمر بما تملكه أنت لا بما يملكه غيرك، أي توعّد بما تسعه قدرتك، ولا تطلب فوق ذلك في تهديدي. (انظر: الميداني، مجمع الأمثال: ٢/ ٩٢، واللّسان: ذرع).

(٨) في الأصل (نطار) وهو تصحيف. نظّار: الشهم الطّامح، الذي يفكر بالأمر ويتدبر. (اللّسان: نظر).

(٩) درّاسة للكتب: يقال درّست الكتاب أدرسه درسًا أي ذلّلته بكثرة القراءة حتّى خفّ عليّ حفظه. (اللّسان: درس).

(١٠) فأد: مات. (اللّسان: فود).

ونَعَيتُ[١] رأيي علىٰ كَذا وكَذا، وكَبَحتُ لِجامَ هَواي.

لهم زَرعٌ وضَرعٌ وحَدائقُ وغلاّت. تجِدُ سَبيلاً سَهلاً، ومُرتَقىٰ عَدلاً، فامشِ فيه الخَيزَلىٰ[٢] والدِّفقىٰ[٣] والحَقحَقَةِ[٤] والرَّشا[٥].

ليسَ الإمامُ المُبتَدِئ كالمُتكَلِّفِ المُحتَذي بالمَحَلِّ الرَّفيع، والشَّرَفِ المَنيع، والعُنصُرِ الجَليل، والبَيتِ النَّبيل، والقَولِ الذي يَجمَعُ خِصالَ النَّعيم. قالَ الشّاعِر:

* الماءُ والنَّومُ وأُمُّ عَمرو *[٦]

وقَولُ الآخَر[٧]:

شَتّانَ هَذا والعِناقُ والنَّوم   والمَشرَبُ البارِدُ والظِّلُّ الدَّوم[٨]

---

(١) الكلمة غير واضحة في الأصل، ولعلّ الصّواب ما أثبت.

(٢) الخيزلىٰ: السير الرُّويد والسّوق اللين، وهي مشية فيها تبختر.

(انظر: الثعالبي، فقة اللغة: ص١٧٣، والفارابي، ديوان الأدب: ٢/ ٨٠، واللّسان: خيز).

(٣) الدفقىٰ: المشي السريع. (اللّسان: دفق).

(٤) الحقحقة: شدّة السير، وهو المتعب للظهر. (اللّسان: حقق).

(٥) الرشا: مشية أولاد الظبي. (اللّسان: رشا).

(٦)

لولا ثلاثٌ هنَّ عيشُ الدّهرِ   ....

لَما خشيتُ من مَضيقِ القبرِ

ورد البيت في البيان والتبيين: ٢/ ١٣٠، ٣/ ١٤٠.

(٧) هو لقيط بن زرارة.

(٨) الدوم: الدائم.

ورد البيت في: البيان والتبيين: ٣/ ١٤٠، وشرح أبيات المفصّل: ١/ ٦٧٦، وشرح المفصل: ٣/ ٢٢، ٧٧، وجمهرة اللّغة: ٢/ ٨٧، والمقتضب: ٤/ ٣٠٥، وشذور الذّهب: ٢٩٦، ونيل =

وإنّ الله حَسَمَ عَن طِباعِه دَواعي الذُّلّ، وقَطَعَ عَنها أسبابَ/ المَهانَة، وساقَ إلَيها دَواعي النُّبل، وأسبابَ الكَرَم. وهؤلاءِ قَومٌ لا يَكادُ يَجِدُ فيهم إلا قائدٌ ابن قائِد، وفارِسٌ ابن فارِس، ومَقتولٌ ابن مَقتول، كُلُّهم قُتِلَ علىٰ ظَهرِ فَرَسِه وسَيفُه بيَدِه.

كانَ فارِسًا، خَطيبًا، شاعِرًا، شَديدَ الأنَف، بَعيدَ الغَور، شَديدَ الأسر، لَسِنانُ رُمحِ فُلانٍ أشهَرُ في العَرَبِ مِن فُلان، ويَنقُضُ كُلَّ ما أبرَمَه، ويَحُلُّ كُلَّ ما عَقَدَه. اختَرْ أيَّهُما شِئتَ فَما فيهِما حَظٌّ لِمُختار.

كانَ مِن أعظَمِ النّاسِ قَدرًا، وأجَلِهم جَمالاً، وأشجَعِهِم شَجاعَةً، وأسخاهُم سَخاءً، وكانَ مَع ذلك كَريمًا، أبيًا، أنِفًا، ذا لِسانٍ وعارِضَة، وقد ولِي الوِلايات.

منهم الأوفياءُ المَذكورونَ بالطَّوائل، والمُقنِعُ عندَ الاختِلاف، ومَواضِعِ الأمانات، ولئن تَعَرَّضتَ لِسُبابِي وشَبا[١] أنيابِي، وسُرعَةِ جَوابِي، لَتكرَهَنَّ جنابِي.

وكانَ أخطَبَ النّاسِ قائمًا وجالِسًا ومُفرَدًا، ومُناقِشًا ومُجيبًا ومُبتَدِئًا. وكانَ مُفَوَّهًا لَسِنًا، وجَزلَ الألفاظ، شَريفَ المَعاني، بَليغَ العِلم. ما رأينا أبكَرَ[٢] منه، ولا أسوَسَ منه، ولا أجزَلَ ولا أنبَل، ولا أشَدَّ إشراقًا علىٰ عَمَلِه، ولا أضبَطَ لِرَعيتِه، ولا أحيا لِلخَراج، ولا أقتَلَ لِلخارِجيِّ مِن فُلان.

الشُّكرُ نَسيمُ النِّعمَة/ ، وحاجِبُ الرَّجُلِ عامِلُه علىٰ عِرضِه. المُروءَةُ والإنصاف، وعَقدُ الأطراف، والجودُ في غَيرِ إسراف.

= الأرب في الجمع بين قطر النّدىٰ وشذور الذّهب: ٢٤٩، ومطلع الفوائد: ص٤٦٩، والأصفهاني، التّنبيه علىٰ حدوث التّصحيف: ص٥٩، واللسان: دوم.

(١) شبا: الشّبا هو حدّ كل شيء. (اللّسان: شبا).

(٢) الكلمة غير واضحة في الأصل ولعلّ الصّواب ما أثبت.
أبكر: تقدّم. (اللّسان: بكر).

لو دَقَّ بوَجهِه الحِجارَةَ لرَضَّها[١]؛ يُقالُ ذلك للرَّجُلِ إذا كانَ صُلبَ الحَدَقَة[٢].

وقد يَنبو السَّيفُ وهو حُسام، ويَكبو[٣] الطَّرفُ[٤] وهو جَواد، ويَنسَىٰ الذَّكور[٥]، ويَغفُلُ الفَطِن. ونَعوذُ بالله مِن العَمىٰ والحَيرَةِ بَعدَ لُزومِ الجَادَّة.

الضَّجَرُ أكثَرُ مِن الوَجَل، والرَّملُ أكثَرُ مِن التُّراب، والمِلحُ أكثَرُ مِن العَذب، [والبَرُّ أوسَعُ من البَحر][٦]، والسّودانُ أكثَرُ من البيضان.

الخارِجي قد يَنبُلُ بنَفسِه، والنّابِتي قد يَخرُجُ بطَبعِه، ولِكُلِّ عِرقٍ أوّل، وأوَّلُ كُلِّ قَديمٍ حادِث. له لِسانٌ أرقَم[٧]، وجَبًا مُجَدَّرَة[٨].

الأخلاقُ التي لا يُمكِنُ مَعَها السّؤدُد، مِثلُ الكِبر، ومِثلُ الكَذِب، ومِثلُ السُّخف، ومِثلُ الجَهلِ بالسّياسَة. لا يَزالَ يَخافُ كَيدَ عَدوّ، وعَينَ حاسِد، فكَم مِن يَدٍ بَيضاء، وصَنيعَةٍ غَرّاء ضَلَّت، فَلَم يَقُم بِها ناشِد، وخَفيت فلَم يَطرِها[٩] شاكِر.

---

(١) رضها: دقها. (اللّسان: رضض).

(٢) الحدقة: السّواد المستدير وسط العين، وهو في الظّاهر سواد العين وفي الباطن خرزتها. (اللّسان: حدق).

(٣) يكبو: الكبوة مثل الوقفة تكون عند الشيء الذي يكره الإنسان. (اللّسان: كبا).

(٤) الطرف: الجواد الكريم. (اللّسان: طرف).

وجاء في تسهيل النّظر ص٢٦٨: «أي عالم لا يهفو، وصارم لا ينبو، وجواد لا يكبو».

(٥) الذكور: الذّاكر. (اللّسان: ذكر).

(٦) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٧) لسان أرقم: لسان الحية. (اللّسان: رقم).

(٨) مجدرة: محاطة بالجدر. (اللّسان: جدر).

(٩) يطرها: يمدحها أو يثني عليها. (اللّسان: طري).

قد أعانَ الهَجينَ[١] حالَه، ولَحِقَ الخَليطُ[٢] بأصلِه، وحَنَّ الدّعي[٣] إلىٰ أهلِه، وسَلَّمَ الصَّريحُ[٤] غمَّه[٥]. يَزدادُ في كُلِّ قَلبُه قوَّةً، ولِسانُه شِدَّةً، ورأيُه بَصيرَةً، عندَ التَّلاقي يكونُ التَّناهي، يَشتَدُّ النُّزوع، ويقِلُّ[٦] الخُضوع/ .

دَع[٧] الحُجَّةَ تَبيتُ في قلبك، وتَختَمِرُ في صَدرِك، ولا يَكبِدَه بالفِكر. لا تكُن كَمَن سَمّىٰ الاستِسلامَ تَوَكُّلاً، وقِصَرَ الهِمَّةِ قَناعَةً. هو أعمىٰ لا يُبصِرُ عَيبَه، ومُستَهامٌ لا يَفهَم ما عَليه وله.

في لِسانِه غِلظَة، وفي لَهجَتِهِ عُجمَة، أندىٰ النّاسِ راحَةً، وأصدَعُهم بالحَقِّ. سَبَبُ المُجادَلَةِ والمُحاسَدَة، [والمُنافَسَةِ والمُنازَعَة[٨]][٩]، ثَلاثَةُ أشياء: قُربُ الجِوار، والمُشاكَلَةُ في الصِّناعَة، والتَّقارُبُ في النَّسَب.

كانَ حازِمًا حَذِرًا، ويَقظانَ مُتَحفِّظًا، وعارِفًا بالدُّهور، وبتَنَقُّلِ الأمور. فكانَ مِن أهلِ الجَلَدِ والصَّرامِة، وممَّن يُنابذُ العامَّة، ويَدعو إلىٰ المَقالَة، مِن تَحريكِ النَّفس، وتَهييجِ الهِمَّة، وبَعثِ الخَواطِر، وفَتحِ السُّرور، في فصلَيّ الزَّمانِ وصَميمِه. وفي الفُروسيةِ وثّابٌ علىٰ الأسَد.

---

(١) الهجين: الولد العربي لغير العربيّة. (اللّسان: هجن).

(٢) الخليط: هم الأوباش. (اللّسان: خلط).

(٣) الدّعيّ: المُتبَنّىٰ الّذي تبنّاه رجل ودعاه ابنه. (اللّسان: دعي).

(٤) الصّريح: الرّجل الخالص النّسب. (اللّسان: صرح).

(٥) في الأصل (عمه) ولعلّ الصّواب ما أثبت.

(٦) في الأصل (نقل) وهو تصحيف.

(٧) جاء في حاشية الأصل «ألفاظ له وقعت في رسائله».

(٨) المنازعة: المجاذبة في الأعيان والمعاني. (اللّسان: نزع).

(٩) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

الخَمرُ تُشبِهُ خَدّكَ إذا خَجِلت، ولَونَكَ إذا ذُعِرت، وعَوارِضَكَ إذا ضَحِكت. مَن يَنتَحِل الخاصَّةَ ويُنسَبُ إلىٰ العِليَة، ويَطلُبَ الرّياسَة، ويَخطُبُ السّيادَة، ويَتَحَلّىٰ بالأدَب، ويَدَّعي النَّجابَةَ والدَّماثَةَ والعِلمَ والفَخامَة.

لا شَيءَ أصعَبُ مِن مُكابَدَةِ الطَّبائع، ومُغالَبَةِ الأهواء. فإنّ الدَّولَةَ لَم تَزَل للهَوىٰ علىٰ الرّأي طول الدَّهر. ومَن حَفِظَ الله وضَبَطَ اللِّسان، ووزَنَ القَول، كانَ أحمَىٰ لأنفِه، وأمنَع لِحوزَتِه، وأدفَع عمّا/ وراءَ ظَهرِه، مِن أنْ نَحورَ[1] عليه ما يَقول.

كانَ أشَدَّ النّاسِ عَداوَةً، وأكثَرَهُم ضَغينَةً[2]، وأكثَرَهُم أموالاً، وأعَدَّهُم رِجالاً. فإذا كانَ هذا مَذهَبَه في السَّلَفِ الطَّيِّب، وفي الخيارِ الأبرار، وفي الجِلَّةِ الكِبار، فَما ظَنُّكَ لا جَرَمَ لَقَد كانَ خُشوعُه بالعَشي أقَلّ، وإنّما ثَمَرَةُ عَقلِ الغَزالِ نَتيجَةُ مُناجاةِ حائك، ومُقاوَلَةِ امرأة.

عَرَفَ النّاسُ الجَمعيينَ والكَيديينَ[3] وأينَ الصَّبر، والرأيَ والحَزمَ والعَزم. كانوا يسمّونَه الكامِل؛ لِمروءتِه وشَجاعَتِه ونُبلِه وعِلمِه. وكانَ حَمي الأنفِ مُعاوِدًا للحَرب، عالِمًا بالكَلام، فارِسًا مانِعًا لِما وراءَ ظَهرِه، بَصيرًا بمَكائدِ الأقران، لعَقلِه وفَهمِه ومُداراتِه وعِفَّتِه وتَنَزُّهه.

أنْ يكونَ الرَّجُلُ مُستكمِلاً لاسمِ الوِلايَةِ حتّىٰ يَسمَعَ الكَلِمَةِ العَوراء فيَجعَلَها مِن وراءِ أُذُنَيه، وحَتّىٰ يُحِبَّ لجَميعِ المُسلِمينَ ما يُحِبُّ لنَفسِه[4]، وحَتّىٰ يَرفَعَ جَميعَ أسبابِ

---

(١) نحور: نرد. (اللّسان: حور).

(٢) في الأصل (صعينه) وهو تصحيف.

(٣) الكيديين: الكيد: الخبث والمكر. (اللّسان: كيد).

(٤) تضمين للحديث الشّريف « لا يؤمن أحدكم حتّىٰ يحب لأخيه ما يحبّ لنفسه».

أنظر تخريج الحديث: مالك بن أنس، المسند لموطأ الإمام مالك بن أنس: ١/ ١٨٠، الحديث رقم٢٠٤.

الطَّمعَةِ بَينَه وبينَ الخَليقَة. ولو جُمِعَتِ المِحَنُ كُلُّها في نِظام، ورُكِّبَت في نِصاب؛ لَكانَت الواحِدَةُ مِن مِحَنِ فُلانٍ أغلَظَ وأمَرّ.

وكانَ قد صَرَفَ الآمالَ كُلَّها إلىٰ الله وحدَه، ووَاحِدَةٌ كافية، وحُجَّةٌ واضِحَةٌ بِظاهِرِه، وهي بَينَنا وبَينكُم حتّىٰ يُحيي لَيلَه في رَكعَةٍ واحِدَة، وفي تَرجيعِ/آيَةٍ واحِدَة، وخُراسانُ مَوضِعُ الدَّعوَة[1]، ومَهَبُّ ريحِ الدَّولَة.

وجَلَستُ إلىٰ فُلانٍ دَهرًا [لا أحفُظُ][2]طَرَفَيهِ مِن طولِه، فما رأيتُ أزمَتَ[3] منه، لا والله إنْ مَسَّ حَصاةً بيدِه قَطّ، وكانَ أسكَنَ النّاسِ طَرقًا وإطراقًا[4]، وأقَلَّهم حَرَكَةً وقَلَقًا. ومِن الرُّقَباءِ الذينَ يأخُذونَ فَوقَ يَدِ المُفسِد، ويَمنَعونَ المُستَبِدّ، وأوجَبتُم علينا أنْ نأخُذَ بأخبارِكُم التي لا أصلَ لَها ولا فَرع، بَل كأنَّها مِن أحاديثِ الحُلُم.

الدُّنيا ميراثُ الدُّوَل، وبَقيةُ القُرون، وفُضولُ الدَّهر، وأوعيةُ الفَجائع، ومُفَرِّقَةُ الأُلاّف. الهِمَّةُ جَناحُ الحَظّ، ورائدُ الجِدَّة، ولقاحُ الجَدِّ العَقيمِ من الوَقارِ والنُّبلِ والإطراقِ والسُّكون. ورُبَّ عَيشٍ لَنا بمَوضِعِ كَذا رَطِب.

ما رأيتُ قَطُّ أبَلَّ ريقًا منه، ولا أتَمَّ نَفَسًا، ولا أربَطَ جأشًا[5]. كانَ أمَدَّهُم ظِلاً، وأوطأهم رِجلاً، وأوفاهم عَهدًا، وأخلَصَهم وُدًّا. وكانَ ظَهرًا فانكَسَر، وصارَ أجرًا يَنتَظِر.

---

(١) قصد الدّعوة العبّاسيّة.

(٢) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٣) أزمت: الزّمّيت هو الحليم السّاكن القليل الكلام. (اللّسان: زمت).

(٤) الطّرق: إطراق الرّجل إذا سكت ولم يتكلم وأرخىٰ عينيه ينظر إلىٰ الأرض.

الإطراق: أنْ يقبل بصره إلىٰ صدره ويسكت ساكناً. (اللّسان: طرق).

(٥) الجأش: القلب، وأيضاً ثبات النّفس عند الفزع. (اللّسان: جأش).

فَرغانَة القُصوىٰ، والسّوس الأقصىٰ، لَوَقَدَ علىٰ قَلبي نارَ الغَيظ، فَقَد ضَرَبتُ عُنُقَه، ولا والله إنْ بَرَدَ غَليلي بَعد. هُم مِمَّن لا يُقادُ بقَتلاهم، ولا يُقتَصُّ مِن جَرحاهم.

لَو صَديت عَينُ الشَّمسِ ما كانَ يَفعَلُ كَذا المأمونُ/ أبدًا[١]، يُحِبُّ الأمرَ والوَكيل. إنْ حَضَرَ مَجلِسًا لَم يَجعَلوهُ أُسوَةَ الجُلَساء، ولَم يُكنوه، ولَم يَدعوهُ بأحَبِّ أسمائه إليه. ولا يَزيدونَه علىٰ اسمِ الوَكيل: جاءَ الوَكيل، وذَهَبَ الوَكيل.

وبَعضُ التَّعريضِ أبلَغُ مِن الإفصاح، وبَعضُ الإشارَةِ أبلَغُ مِن الكَلام. ثَمَّ تأبىٰ النَّفسُ ولكَ مِن حاجَتِها إلىٰ النَّسيمِ الذي يُحييها، والغِذاء الذي يُبقيها، ولولا ذلك لاختَلَطَ البَيانُ بالعي، والكِنايَةُ بالإفصاح، والإيجازُ بالخَطَل. ناظَرَه وجادَلَه وجافاه. فاعمَل أكرَمَكَ الله عَمَلاً يكونُ لَنا حُجَّةً، ولِسانًاعندَ الشُّبهَة، ومُعَبِّرًا عَنّا إذا سَكَتنا، ومُعينًا إذا اعتُرِضَ علينا. فإذا عَظُمَ شأنُه، وجَلَّ سُلطانُه، انقَلَبَت تَدابيرُه، واستَحالَت[٢] أُمورُه، فَعادَ وليه عَدوًّا، وعَدوُّه وَليا، وشَقي به مَن كانَ حَقيقًا أنْ يَسعُدَ به.

وفي استِصلاحِ هؤلاء راحَةٌ للقَلب، وسلامَةٌ للعِرض، وغَسلٌ للعار، وحَسمٌ للدّاء، وهُم بَعدُ خَدَمٌ لك، وكِلابٌ يَنبَحونَ بينَ يَدَيك. ضاقَ بذلكَ الأمرِ مَسكًا.

لِمَ كانَ الإخبارُ عليَّ أخَفَّ مِن الكِتمان، ولِمَ كانَ الصَّمتُ أثقَلَ عَليهم مِن الكَلام، كالشَّكِّ الذي يَستَويفيهِ الرّاغِبان، ويَتكافأ فيه الحادِثان.وهذا عَكسُ الأُمورِ/ وقَلبُ العادَة.

طابَتِ المَعيشَةُ وتَمَّتِ النِّعمَة. فكَيفَ وقَد تَرىٰ الرَّجُلَ طاهِرَ الأثواب، خاشِعَ الأطراف، خَميصَ البَطن[٣]، كَثيرَ العِلم، قد رَغِبَ عَن نَسَبِه، وادَّعىٰ غَيرَ رَهطِه.

---

(١) جاء في الحاشية «كذا» وكأنّه يشكّ فيها.

(٢) في الأصل (اسحالت) وهو تصحيف.

(٣) خميص البطن: الضامر من الجوع. (اللّسان: خمص).

الجاهلُ والعالِمُ والنّاسِكُ والفاتِكُ[١] في تَطاوُلِ الأعضاء، وكَثْرَةِ الأنصار، ولا يَقولُ هَذا مَن يَعرِف تَركيبَ الدُّنيا، ومَجاري الأُمور. ولَو أَتيتَ بَياضَ نَجد[٢]، ومَخاليفِ اليَمَن[٣]، فَسألتَهم عَن كَذا، حتّىٰ تَعرِفَ مَواضِعَ التَّخييرِ من مَواضِعِ التَّسخيرِ، بَعدَ تَمكُّنِه بالعِراق، وضَرَبَ جِرانِه[٤] بالغَور، فَخَلاّهم الله من يَدِه، وأفقَدَهُم عِصمَتَه.

ولو كانَ حينَ مَرِضَ قَلبُه اختَلَفَ إلىٰ الأطِبّاء، وطَلَبَ الدَّواء، وحَمّىٰ نَفسَه عَن كُلِّ ما زادَ في الدّاء، لَم يَثبُت أنْ يوفَّقَ ويرشُد. فأمّا اليَومَ فَقَد رَكَدَت ريحُهم، وكَبُرَ ذَنبُهم، [٥]والكَلبُ الكَلِبُ[٦]، والنمَرُ الحَرِب[٧]، والسُّمُّ القَشِب[٨]، والفَحلُ القَطِم[٩]، والسَّيلُ العَرِم[١٠].

---

(١) الفاتك: الجريء. (اللّسان: فتك).

(٢) بياض نجد: أرض بنجد لبني عامر. (اللّسان: بيض).

(٣) مخاليف اليمن: الكورة يَقدُم عليها الإنسان، والمخاليف لأهل اليمن كالأجناد لأهل الشّام. (انظر: الثعالبي، فقة اللغة: ص٣٦، واللّسان: خلف).

(٤) جرانه: عنقه. (اللّسان: جرن).

(٥) من هنا إلىٰ موضع آخر سيشار إليه لاحقاً ورد في هارون، بعنوان: رسالة الحاسد والمحسود: ٣/ ١٨ - ١٩، والمبرّد: ص١٢ - ١٤ بعنوان: رسالة الحاسد والمحسود، والمورد: ص١٤٦ - ١٤٧ بعنوان: من صدر كتابه في الحاسد والمحسود.

(٦) الكلب الكَلِب: الذي يكلب في أكل لحوم النّاس فيأخذه شبه جنون، فإذا عقر إنسانًا كَلِبَ المعقور وأصابه داء الكَلَب يعوي عواء الكَلب ويمزّق ثياب نفسه. (اللّسان: كلب).

(٧) في الأصل (الثمر الحرب).
في هارون ٣/ ١٨، والمبرّد ص١٢: النّمر النّمر.
الحرب: الذي اشتد غضبه. (اللّسان: حرب).

(٨) القشب: المخلوط. (اللّسان: قشب).

(٩) القطم: الشديد الشهوة إلىٰ الضّراب. (اللّسان: قطم).

(١٠) العرم: السيل الذي لا يطاق، والسيل الذي يعترض الوادي، قال تعالىٰ: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ﴾ [سبأ: ١٦].
=

[إن مَلَكَ قَتَلَ وسَبىٰ، وإن مُلِكَ عَصىٰ وبَغىٰ، حَياتُكَ مَوتُه[١]، ومَوتُكَ عِرسُه وسُرورُه. يُصَدِّقُ عليكَ كُلَّ شاهِدِ زور، ويُكَذِّبُ فيكَ[٢] كُلَّ عَدلٍ مَرضي. لا يُحِبُّ من النّاسَ إلا مَن يُبغِضُك، ولا يُبغِضُ إلا مَن يُحِبُّك. عَدوّكَ بِطانَةً[٣]، وصَديقُكَ عَلانيةً.

وقُلت: إنَّكَ رُبَّما غَلِطتَ في أمرِه لما يُظهَرُ لكَ مِن بِرِّه. ولو كُنتَ تَعرِفُ الجَليلَ من الرَّأي، والدَّقيقَ مِن المَعنىٰ، وكُنتَ في مذاهِبِكَ فَطِنًا نَقّابًا[٤]، ولَم تَكُ في عَيبِ مَن ظَهَرَ لَكَ عَيبُه مُرتابًا][٥]؛ لاستَغنَيتَ بالرَّمزِ عن الإشارَة، وبالإشارَةِ عَن الكَلام، وبالسِّرِّ عن الجَهر، وبالخَفضِ[٦] عن الرَّفع، وبالاختِصارِ[٧] عن التَّطويل، وبالجُملِ عن التَّفصيل، وأرَحتَنا عَن كَدِّ الطَّلَب[٨]، [ولكنّي أخافُ عَليكَ أنّ قَلبَكَ لصَديقِكَ غير مُستَقيم، وأنَّ ضَميرَ قَلبِكَ له[٩] غَيرُ سَليم، وإن رَفَعتَ القَذىٰ عَن لِحيَتِه، وسَوَّيتَ

= (انظر: الثّعالبي، ثمار القلوب: ص٥٦٨، واللّسان: عرم).

(١) في المورد ص١٤٦: حياتك موته وثبوره.

(٢) ساقطة من المبرّد.

(٣) بطانة: خلاف الظّهارة. (اللّسان: بطن).

(٤) في المبرّد ص١٣: نهابا.

النّقاب: الفطن الشديد الدخول في الأشياء المبحث عنها. (اللّسان: نقب).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، والتّتمّة من هارون: ٣/ ١٨، والمبرّد: ص١٢ – ١٣، والمورد: ص١٤٦.

(٦) في المبرّد ص١٣، والمورد ص١٤٦: وبالجهر.

(٧) في المورد ص١٤٦: والاختصار.

(٨) في هارون ٣/ ١٨، والمبرّد ص١٣، والمورد ص١٤٦: طلب التّحصيل.

(٩) ساقطة من المبرّد.

عليه[1] ثَوبَه فَوقَ مَركِبه، وقَبّلتَ صَبيَّهُ بحَضرَتِه[2]][3] ولبِستَ له ثَوبَ الاستِكانَةِ حتّىٰ اتّصَلتَ بحَبلِه [واغتفَرتَ له الزّلّة بعدَ زلّتِه، واستَحسَنتَ كلَّ ما يقبحُ من شيمَتِه وصَدّقتَه علىٰ كذِبه، وأعنتَه علىٰ فجَرَتِه. فما هذا الغَباء، وما هذا الدّاءُ العَياء، كأنّكَ لم تَقرأ المُعَوَّذَةَ ولم تسمَع مُخاطَبَةَ الله تعالىٰ نبيّه عليه السّلام في التّقدِمَةِ إليه بالاستِعاذَةِ من شَرّ حاسِدٍ إذا حَسَد][4].

أَتطلُبَ وَيحَكَ أَثرًا بَعدَ عَينٍ[5]، وعِطرًا[6] بَعدَ عروس[7]، وعِنبًا[8] [من بَعدِ][9]

---

(١) في المبرّد ص١٣: عليك.

(٢) جملة «قبّلت صبيّه بحضرته» ساقطة من المورد.

(٣) ما بين المعقوفين من هارون: ٣/ ١٩، والمورد: ص١٤٦.

(٤) ما بين المعقوفين من المورد ص١٤٦.

في هارون ٣/ ١٩، والمبرّد: ص١٤: «ولبست له ثوب الاستكانة عند رؤيته، واغتفرت له الزّلة، واستحسنت كل ما يقبح من جهته، وصدّقته علىٰ كذبه، وأعنته علىٰ فَجرته. فما هذا العناء! كأنّك لم تقرأ المعوّذة، ولم تسمع مخاطبته نبيّه ﷺ، في التّقدمة إليه بالاستعاذة من شرّ حاسد إذا حسد». وفي المورد ص١٤٦.

(٥) جاء في العقد الفريد ١/ ١٠٧ «قال علي بن أبي طالب: انتهزوا هذه الفرص، فإنّها تمرّ مرّ السّحاب، ولا تطلبوا أثراً بعد عين». أنظر ابن سعيد، نشوة الطرب: ٢/ ٧٤٠.

(٦) في هارون ٣/ ١٩، والمبرّد ص١٤، والمورد ص١٤٦: أو عطراً.

(٧) يقال في المثل «لا عطر بعد عروس».

(انظر: الميداني، مجمع الأمثال: ٣/ ١٧٧، والأبشيهي، المستطرف: ١/ ١٠٥).

ويقال «لا مخبأ لعطر بعد عروس» (انظر: ابن سعيد، نشوة الطّرب: ٢/ ٧٤٨).

(٨) في هارون ٣/ ١٩، والمبرّد ص١٤، والمورد ص١٤٧: أو تريد أنْ تجني عنباً.

(٩) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

شَوك، وحَلبًا[١] مِن حائل[٢]. [إنّك إذًا أعيا مِن باقِل[٣]، وأحمَقُ مِن الضَّبُع[٤]، وأغفَلُ مِن هَرَم[٥]، إنْ كُنتَ تَجهَلُ بَعدَما أعلَمناك، وتَعوَّجُ بَعدَما قَوَّمناك، وتَبلَّدُ بَعدَما ثَـقَّفناك[٦]، وتَضِلُّ إذ هَدَيناك، وتَنسىٰ إذا ذَكَّرناك، وتَغبىٰ عَمّا فَـهَّمناك[٧]][٨] فأنتَ كَمَن أضَلَّهُ الله علىٰ عِلمٍ فَبَطلت عندَه هذه[٩] المَواعِظ[١٠]. وأنا شُعبةٌ/مِن شُعَبه، وفِعلٌ مِن أفعالِه، وعَونٌ مِن أعوانِه، وحَدَثٌ مِن أحداثِه، لا يُعتَمَرُ رأيُه.

لَيلٌ رَقيقُ الطَّربين[١١]، فَعليكَ من كُلِّ فَنٍّ بأحسَنِه؛ لأنَّ العُمرَ قَصير، يَمُرُّ مَرَّ السَّحاب، ويَخطِفُ خَطفَ البَرق. ولَيسَ إلىٰ جَميعِ العِلمِ عَن آخِرِهِ سَبيلٌ زادَ رَيعُه، وتَضاعَفَ مَقاديرُه.

---

(١) في هارون ٣/ ١٩، والمبرّد ص١٤، والمورد ص١٤٧: أو تلتمس حلب لبن.

(٢) في المبرّد ص١٤: جمل.

الحائل: النّاقة التي انقطع حملها سنة أو سنوات حتىٰ تحمل. (اللّسان: حيل).

(٣) انظر المثل في الحيوان: ١/ ٣٩، والمستقصي: ١/ ٢٥٦، والدّرّة الفاخرة: ص١٧٨، ونشوة الطرب: ٢/ ٧٧١.

(٤) انظر المثل في مجمع الأمثال: ١/ ٣٩٨، والمستقصي: ١/ ٧٥، والدّرّة الفاخرة: ص٨٠.

(٥) انظر المثل في مجمع الأمثال: ١/ ٣٩٨.

(٦) ثقّفناك: سوّيناك، الثّقاف هو ما تُسوّىٰ به الرّماح. (اللّسان: ثقف).

(٧) عبارة «وتغبىٰ عمّا فهّمناك» ساقطة من المبرّد.

(٨) ما بين المعقوفين من هارون: ٣/ ١٩، والمبرّد: ص١٤، والمورد: ص١٤٧.

(٩) ساقطة من المبرّد والمورد.

(١٠) إلىٰ هنا انتهاء ما جاء في رسالة الحاسد والمحسود في هارون، والمبرّد والمورد.

(١١) الطّربين: الحركة. (اللّسان: طرب).

وأنا أحمىٰ أنفًا، وأعزُّ سُلطانًا مِن أنْ أُطرِفَ علىٰ غَدَي[١]، وأُخَلّي ظالِمًا وظُلمَه. عائقٌ عَن كُلِّ خَير، ومانِعٌ من كُلِّ رِفدٍ وَفيد، وغُلٌّ[٢] عن كُلِّ محبوب. لِباسُهم الذِّلَّة، وشِعارُهم المَلَق، وهَجيرهُم[٣] الخِداع، وقُلوبُهم تُمزِّقُهم، له خَولٌ[٤] مملوءَةٌ قَد سَكَنَها الرُّعب، وألِفَها الذُّل، وهُم مع ذلكَ في تكديرٍ وتَنغيص؛ خَوفًا مِن سَطوَةِ الرَّئيس، ونكالِ الأمير، وتَغيُّرِ الدَّولَة، وتَضَعضُعِ الرُّتبَة.

فَما مِن هذا ثَمَرَةُ اختيارِه، وبَينَ مَن نالَ الرِّفعَةَ بالدَّعَة[٥]، وسَلَّمَ بالبَوائق[٦]، مع كَثرَةِ الإثراء، وقَضاءُ الله آتٍ مِن غَيرِ منةٍ لأحَد، ولا نِعمَةٍ لِبَشَرٍ سِوىٰ مَن هو [من][٧] نِعَمَ المُتَفَضِّلينَ خُلّي، ومَن قَد استَرَقَه المَعروف، واستَعبَدَه الطَّمَع، ولَزِمَه ثِقلُ الصَّنيعَة، وطَوَّقَ عُنُقَه الامتِنان؛ فإنَّ الله لَم يُعَرِّفني في عاقِبَةِ حادِثَةٍ موحِشَة، وأمرٍ فَظيع؛ إلا صُنعًا جَميلاً، ولا كَشَفَ لي مَستورَ أمرٍ ألَمَّ إلا عَن عُقبىٰ حَميدَةً. وخَلَطتني فَمَن خَصَصتُ ورأيتُه مَوضِعًا لإخائك؛ فَظَنّي بكَ ولكَ/ وأمَلي أكثَرُ منه.

والأيّامُ دوَل، وفي الدَّهرِ مَهَل، حتّىٰ إذا غَصَّتِ الحُلوقُ بالرّيق، وبَلَغَت القُلوبُ الحَناجِر؛ هَبَّت لَنا ريحُ النَّصر. فَنَحنُ كالشَّوكِ في أعيُنِهم، وكالقَرحِ[٨] في أكبادِهم.

---

(١) أطرف علىٰ غدي: لا أثبت علىٰ أمر. (اللّسان: طرف).

(٢) غلّ: حاد بصره عن الصّواب. (اللّسان: غلل).

(٣) هجيرهم: الهجير: الدأب والعادة. (اللّسان: هجر).

(٤) خول: الرّعاة الحفّاظ للمال. (اللّسان: خول).

(٥) الدّعة: الخفضُ والسَّعةُ في العيش. (اللّسان: ودع).

(٦) البوائق: البائقة هي الدّاهية الشّديدة. (اللّسان: بوق).

(٧) زيادة يتطلّبها السّياق.

(٨) القرح: ألم الجراح. (اللّسان: قرح).

ولا ذَنبَ لَنا إلا ما تَرونَ مِن أَثَرِ النِّعمَةِ عَلَينا، فإن كانَت زيارَتي تأَخَّرَت فَقَد تَقَدَّمَت مَوَدَّتي، وإن أبطأَتْ بكُتُبي فَقَد طالَ لِساني بذِكرِك. فأُؤَدّي حَقَّك، وأقضي حاجَةَ الطَّرَفِ مِن رؤيَتِك.

سَهلَ الخَليقَة، رَحِبَ البَلدَة، مُنقادَ الطّاعَة، ويُرىٰ مِن كَنَفِه لينًا، ومِن كَفِّهِ جودًا [قَد هَتَكَ سِربالَ المُحاسَنَة، وخَلَعَ جلبابَ المُجامَلَةِ][1]. وَفُلانٌ شاكِرٌ نِعمَتَك، والمَعروفُ رَهنٌ بآخِرِه، وقامَ بينَ الحَوادِثِ وحي.

مَدَّ الله عَلَيكَ ظِلَّ عافيتِه، وَرأيتَ مُستَراحَ القُلوب، ومَوضِعَ الأُنسِ والثِّقَة. بَدا له الحُرمَةُ والنَّصيحَةُ والخِدمَة. وكُلُّ حَسَنٍ رأيتُه فهو يُشبِهُكَ وتُشبِهه، مُنذُ تَفَيّأ عَلَيَّ ظِلُّك. زُلفَةٌ[2] تُدنيه، وخاصَّةٌ تُقَدِّمُه، وَدالَّةٌ تَبسُطُه، ومَوَدَّةٌ تَصِلُ سَبَبَه. وعادَتُكَ الإفضال، وعادَتُنا المُعاوَدَة.

وقد عَلِمَ النّاسُ أنَّ الكَلامَ مَقصورٌ علىٰ أهلِ البَصرَة، وأنْ لَيسَ لِسائرِ الأُمَّةِ إلا ما صارَ إلَيهِم مِن فُضالاتِهِم ومِمّا نَقَلته عَنهُم. قالَ عُمَرُ: «صَلاحُ المُعانِدِ بينَ السَّيفِ والسَّوط، وصَلاحُ الجاهِلِ بَينَ التَّعليمِ والتَّقويم/ ، أرىٰ فيه مَخائلَ[3] التَّمام، وتَباشيرَ الكَلامِ مَع عِزِّ الرِّجال، وقوَّةِ الطَّمَع، وطيبِ نَفسِ الأمَل».

فلا زِلتَ في عِدادِ مَن يَسأَلُ ويَبحَث، ولا زِلنا في مَحَلِّ مَن يَشرَحُ ويوضِّح، من الأوباشِ[4] والهَمَج[5]، والرَّعاع[6]، مَن إذا عدا غَدا هامَةً، وإذا راحَ راحَ نعامَةً.

---

(١) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٢) زلفة: الدرجة والمنزلة. (اللّسان: زلف).

(٣) مخائل: التعهد والحفظ للشيء. (اللّسان: خول).

(٤) الأوباش: الأخلاط، وهم الضروب المتفرّقون. (اللّسان: وبش).

(٥) الهمج: رذال النّاس، وهم الأخلاط الذين لا خير فيهم. (اللّسان: همج).

(٦) الرّعاع: رعاع النّاس سقّاطهم وسفلتهم. (اللّسان: رعع).

ليسَ عندَه من المَعرفةِ أكثَرَ مِن أسجالِ القَولِ بالجَماعَة، قد مُزِجَ له الصَّحيحُ بالمُحال[١]، فهو يَدينُ بتَقليدِ الرِّجال. فأمّا السَّراةُ[٢] وأهلُ القُدرَة، ومَن يوصَفُ باللُّبّ، ورَصانَةَ العَقل، وصيانَةِ المُروءَة، فمَن جَهِلَ ذلك ولَم يَعرِفْه فليَسمَعَ كَلامَ اللَّهفانِ والثَّكلان، والغَضبانِ والغَيرانِ مِن قِصَّةِ الصِّبيان، والمُتَغَيِّظِ إذا دَنا، والحِلقي[٣] إذا حبي. وإياكَ أنْ تَفعَلَ كَذا حتّىٰ تَقِفَ وِقفَةً، وتُطرِقَ ساعَةً، ثُمَّ تَستَخيرَ الله وتَستَشير، وأعِد حَتمِه[٤]، واعرِف وَزنَه، واشهَد بطيبَتِه، وأرِح ساعَتَه، وأشهِر في النّاسِ يَومَه. وإن كانَ ذلك عَزيزًا، وكانَ وجودُ ذلك مُمتِعًا، ومن العادَةِ خارِجًا، ورأينا عَمودَ الدُّنيا والدّينِ إنَّما يعتَدِلُ في نِصابِه، ويَقومُ علىٰ أساسِه، والكِتابُ والحِسابُ الذين ما سَبَبُ اكتِسابِهما. مِن نَزَقِ السُّفَهاء، وخَطَلِ السُّخَفاء، ومُفاحَشَةِ الأبذياء، ومُجانَبَةِ سُبُلِ الحُكَماء/ ، وتَهكُّمِ المُقتَدِرين، وأمنِ المُغرين، من الشَّبابِ الغَضِّ والجَمالِ الرّائع، والمالِ الكَثير، والحَسَبِ الشَّريف، والمِلحِ والظَّرف.

بَلَغَ مِن فِطنَتِه وذَكائه، وصِحَّةِ لُبِّه، وصِدقِ حِسِّه، وانكِشافِ العَواقِبِ له، وإنْ لَم يكُن جَرَّبَ الأُمور، ولا فاتَحَ الرِّجال، ولا قارَعَ الخُصوم، مِن تَربيةِ الحاضِن، وتَلقينِ المُلَقِّن، ورياضَةِ السّائس؛ لِئلاّ يكونَ [لَغوًا ساقِطًا، ونَسيًا مَنسيا، أهلُ يثربَ أصحابُ النّخيلِ][٥] والإطام[٦]، والأدَبِ والإقدام، والصَّبرِ والمواساة، والإيثارِ والمُحاماةِ مِن

---

(١) المحال: المكر والحيلة. (اللّسان: حيل).

(٢) السّراة: سادة القوم. (اللّسان: سرر).

(٣) الحلقي: المتشائم أو المشؤوم. (اللّسان: حلق).

(٤) واعد حتمه: أي يُرجىٰ قَضاؤه. (اللّسان: حتم).

(٥) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

(٦) الآطام: القصور، وقيل الحصون المرتفعة. (اللّسان: أطم).

شِدَّةِ قَلبِه، وصَرامَةِ رأيه، وقوَّةِ عَزمِه، وقِلَّةِ وحشَتِه، ويُمنِ بَركَتِه وشِدَّةِ شَكيمَتِه، وصِدقِ نيتِه.

وَحدَتُه أطوىٰ لسِرِّه، وأملَكُ لعَنانِ حَديثِه. دَلَّ عليه شَرَفُ هذه الصُّحبَة، ومَوقِعُ هذه الخاصَّة، ونُبلُ هذه المُرافَقَة، وسَنا هذه الثِّقَة؛ لأنَّ الدُّنيا تكَفّأت[1] بأهلِها في عَهدِه، وماجَت[2] بساكِنيها، وتَداعَت مِن أقطارِها. جِئتَني بحِمارٍ وحشي وأرَدتَ أنْ يُهملِجَ[3] تحتَ راكِبه.

إذ أوجَعَ له الضَّربَةَ الواحِدَةَ مَلأ صَدرَه خَوفُ التَّضاعيف، رأيتَه جَيِّدَ قالَبِ الرّأس، صَحيحَ النَّظَر، ساكِنَ الطَّرف. والرّأسُ أميرُ الجَسَد، ومُجتَمَعُ آلَةِ البَدَن، وفيه الحَواسُّ الخَمس.

قد عَلِمنا أنْ داوُدَ[4] أكثَرُ النّاسِ دَمعَةً علىٰ خَطيئَتِه[5]؛ فَلَم يَذهَب/ بَصَرُه كَذَهابِ بَصَرِ يَعقوب[6]، والله أعلَمُ بالتَّدبيرِ في ذلك.

---

(١) تكفّأت: أكفأ الشيء أماله. (اللّسان: كفأ).

(٢) ماجت: اضطربت. (اللّسان: موج).

(٣) يهملج: الهملجة السّير في سرعة وتبختر. (اللّسان: هملج).

(٤) هو سيّدنا داوود عليه السّلام، وصفه الله تعالىٰ في القرآن ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧].

(انظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ١/ ٥١).

(٥) جاء في البستان الجامع: ص٧٢ «بكىٰ داود علىٰ خطيئته أربعين يوماً».

(٦) سُئل يعقوب: ما الّذي أذهب بصرك؟ فقال: البكاء علىٰ يوسف، فأوحىٰ الله إليه: «أما تستحي، تشكوني إلىٰ عبدي»، فقال: «يا ربّ ارحم الشّيخ الكبير، أذهبت بصري وقوّست ظهري، اردد عليّ ريحانتي يوسف، أشمّه ثمّ افعل بي ما شئت».

(انظر: التّنوخي، الفرج بعد الشّدّة: ص٣٢٧).

تَمُـرُّ بـه الأيـامُ تسـحبُ ذَيلَهـا　　　فتَبلىٰ بـه الأيـام وهـو جديـدُ[١]

الأرضُ وإنْ كانَت حُرَّةً[٢]، والفَرَسُ وإنْ كانَ كَريمًا، والزَّمانُ[٣] وإنْ كانَ مُعتَدِلاً، فلا بُدَّ له مِن تَعَهُّد. لا يُنتفَعُ بالماءِ السّاكِنِ في الأرض، ولا بالذَّهَبِ ما لَمْ يُستَخرَج، ولا بالعِلمِ ما دامَ مَكتوبًا. ولَسنا مِمَّن يَميلُ في شِقٍّ عَن شِقّ، ويَتعَصَّبُ لبَعضٍ علىٰ بَعض، والمُبتَدِئُ في كَذا أَحَقُّ بتَوَقُّعِ الحِدثان، وحَوادِثِ الأزمان.

فمَن قد جَرَّبَ عادَةَ الدَّهرِ عليه، وسيرَةَ الأيّام. كلامٌ رَكيك، وسَخيفٌ ضَعيف. وفيه ما يضارِعُ العُجمَة، ويُناسِبُ الضَّعَة. استَخرِج مَكنونَ مِحنَته بلينِ اللِّسانِ فإنّه يَذِلُّ لك.

حينَ مَرِضَ شَكَىٰ شَوقًا، إليه الأمرُ والنَّهي، فإنْ لَم تَجِده في مَعدِنِ الصِّحَّة، وفي جَوهَرِ الصِّدق، ونِصابِ السَّلامَةِ والبَراءَة. ولو تُرِكوا وضَعفِ الحيلَة، وقِلَّةِ المَعرِفَة، وغَلَبَةِ الشَّهوَة، وتَسليطِ الطَّبيعَةِ مَع الجَهلِ بالعاقِبَة، لأَتَت عَليهِم البَلايا ولأضناهُم الخَطأ، ولأجهَزَ عليهم الخَبَط، ولَتَوَكَّدَت الأدواء، وتَرادَفَت الأسقام، حتّىٰ تصيرَ مَنايا قاتِلَةً، وحُتوفًا مُتلِفَةً.

نَحتاجُ من الأيّامِ والأعلام، والأعاجيبِ والدَّلائل، إلىٰ القاهِرِ للعُقول/، والواضِحِ الذي يُشهَرُ مِثلُه في الآفاق، ويَستَفيضُ في الأطراف، حتّىٰ يُصدِعَ عَقلَ الغَبيّ، ويُفيقَ طَبعَ الغافِل، ويَنقُضَ عَزمَ المُعانِدِ بُنيَةً مِن طولِ الرَّقدَة. وتَخضَعُ الرِّقاب،

---

(١) البيت لأبي يعقوب الأعور، وورد البيت في البيان والتبيين: ١/ ١٥٥، ٣/ ٢٠٢.

(٢) الأرض الحرّة: الطّيبة. (اللّسان: حرر).

(٣) في الأصل (الرمان) وهو تحريف.

وتَضرَعُ الخُدود، حتّىٰ تَواضَعَ له كُلُّ شَريف، ويَنجَعُ[١] له كُلُّ آنِف، لِما كانَ فيه دَفعُ العادَة، ونَقضُ التَّركيب.

عَلِمنا أنّ ذلك لَم يكُن؛ لأنّه لو كانَ لانكَشَفَ قِناعُه، وبَدا خَبَرُه، بدَلالَةٍ تَقهَرُ السَّمعَ، وتَبهَرُ العُقولَ، المُرجِئُ[٢] مَعَ نَصبِه، والعثمانيُّ[٣] مَع عَداوَتِه، والحَشويُّ[٤] مَع غَثاثَتِه[٥]، والغالي[٦] مَع إفراطِه، والمُعتَزِليُّ مع إنكارِه، والنّابِتيُّ مَع تقصيرِه، والخارِجيُّ مَع تكفيرِه.

الغَضبانُ السَّفيهُ الضَّيِّقُ الصَّدر، إنْ ذَهَبتَ إلىٰ إدخالِ الغَيظِ تَصَوَّرَ في كُلِّ صورَة، وأضحَكَ الثَّكلانُ الغَضبان. هو مَرفوعٌ بأوضاحٍ تُقالُ ذلك للأرض. وليسَ

---

(١) ينجع: ينفع. (اللّسان: نجع).

(٢) المرجئة: سميّت بهذا الاسم لأنّهم كانوا يؤخّرون العمل عن النيّة والعقد، ويقولون الإيمان قول بلا عمل، كأنّهم قدّموا القول وأرجأوا العمل، وكانوا يقولون لا تضر مع الإيمان معصية، ولا تنفع مع الكفر طاعة، وقالوا بتأخير حكم صاحب الكبيرة إلىٰ يوم القيامة، وفلا يقضي عليه بحكم ما في الدنيا؛ من كونه من أهل الجنّة أو من أهل النار، وهم أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة.

(انظر: الشهرستاني، الملل والنحل: ١/ ٦٠).

(٣) العثمانيّ: نسبة إلىٰ العثمانيّة.

(٤) الحشويّ: نسبة إلىٰ الحشوية وهم أراذل النّاس. (اللّسان: حشي).

(٥) غثاثته: رداءته وسوء خلقه وحاله. (اللّسان: غثث).

(٦) الغلاة: هؤلاء الذين غلوا في حقّ أئمّتهم حتّىٰ أخرجوهم من حدود الخليقة، وحكموا فيهم بأحكام الإلهيّة، فربّما شبّهوا واحداً نت الأئمّة بالإله، وربّما شبّهوا الإله بالخلق، ومن مبادئهم: التّشبيه والرّجعة والتناسخ، وهي أحد عشر صنفاً: السبائيّة، الكامليّة، العَلبائيّة، المُغيريّة، المنصوريّة، الخطّابيّة، الكيّاليّة، الهشاميّة، النّعمانيّة، اليونسيّة، والنصيريّة.

(انظر: الشهرستاني، الملل والنحل: ١/ ٧٤ – ٨٠).

في الأرضِ بَلَدٌ تَنالُه الأخفافُ[١] والحَوافِرُ[٢]؛ إلا وهو مأخوذٌ عَنوَةً، أو صُلحًا علىٰ إعطاءِ الحُرّية. لَم يَبقَ السّاعَةَ إلا مَن اعتَصَمَ برؤوسِ الجِبال، ولَجَّجَ في البِحار، ودَخَلَ في الوعولِ[٣] والأدغالِ[٤] مِن الزُّهّادِ والنُّسّاك، ثُمَّ من المُفَوَّهينَ البُلَغاء، مِن شِدَّةِ مَسِّه، وقوَّةِ غَضَبِه، وتَوتيرِ نَساه[٥].

كُنتُ القارِحَ في الصِّغَرِ والسّائل؛ فلَمّا عَقَلتُ احتَجتُ إلىٰ أنْ تستَوِيَ فما أجابَتني/ طَبيعَتي، ولا أطاعَتني تلكَ الجَوارِحُ إلا بشِدَّةِ استِكراه.

وكانَ رَئيسَ أصحابِ المِضمارِ والكَلامِ ومُحاسَبَةِ النُّفوس، والبَليغُ بالسِّرّ، وتَقديمِ الفُضول، ونَفيِ العُجبِ والكِبرِ والرّياءِ والخُيَلاء، يَتَّصِفُ بالزُّهد، ويَلبَسُ الصّوف، ويَتكَلَّمُ في المِضمار، وفي الوَسواس، والإخلاص، وفي تَصفيةِ الأعمال.

كانَ له في كُلِّ تِمِّ حَرب، أسيرٌ يأخُذُه مِن صَفِّ عَدوِّه عَنوَةً، فأمّا إذا تَرَكَ الطَّبيعَةَ وسوقَها وسَجيتَها، فإنَّما يَدفَعُ النَّفَسَ في بحارِ الخَوف، ويَجلِبُ روحَ النَّسيم، ساعَةً مِن المِنخَرِ الأيمَنِ وساعَةً من المِنخَرِ الأيسَر.

أصابَهُم رَيبُ الزَّمانِ الأعوَج، ولَيسَ في الجَنَّةِ أشمَرَ[٦] أعسَرَ يَسِر، ولا أشمَرَ أيمَن، ولَيسَت هُناكَ مُعاناة، لأنّ الكِفايَةَ هُناكَ تامَّة، كائنَةٌ علىٰ الموافَقَة، وعلىٰ تَمامِ

---

(١) الأخفاف: الإبل.

(٢) الحوافر: الخيول.

(٣) الوعول: الملاجئ. (اللّسان: وعل).

(٤) الأدغال: بطون الأرض والوطاء منها. (اللّسان دغل).

(٥) توتير: اشتدّ. (اللّسان: وتر).
نساه: عروقه. (اللّسان: نسي).

(٦) أشمر: المختال في مشيه. (اللّسان: شمر).

النِّعمَة. عَبدٌ نَهم، وصَبي جَشِع، وأَمَةٌ لكعاء[1]، وزَوجَةٌ خَرقاء.

ولا يَجوز أنْ يَستَوي في نَفسِ المأكول، وغَريبِ المَشروب، وثَمينِ الملبوس، وخَطيرِ المَركوب، والنّاعِمِ من كُلِّ فَنّ، واللُّبابِ مِن كُلِّ شَكل، التّابعُ والمَتبوع. كَما لا تستَوي مَواضِعُهم في المَجالِس، ومَواقِعُ أسمائِهم في العُنوانات، وما يُلاقونَ في التَّحيات. ظَنّيه خَيرٌ مِن ظَنّه. وهذا كُلُّه مُجتَمِعٌ في مَسكِ البَخيل، ومَصبوبٌ علىٰ هامَةِ الشَّحيح/ .

ولَقد سَرىٰ إلَيكَ عِرق، ولَقد دَخَلَ أعراقَكَ خَوَر، ولَقد عَمِلَ فيها قادِح، ولَقد غالَها غول. وكَعبُ بنُ مامَةِ وقد جادَ بحَوبائه[2]عندَ المُصافَنَة[3]. خَطيبٌ ثابِتُ الجَنان، رطبُ اللِّسان، مُجتَمِعُ القَلبِ وَقاح[4].

المَنايا آفاتُ الآمال. مَن قامَت أخلاطُه علىٰ اعتِدال، وتكافأت خَواطِرَه في الوَزن؛ لَم يَعرِف من الأعمالِ إلا الاقتِصار. اعلَم أنّه في مَسكِ مِسكين، وإن كانَ في

---

(١) لكعاء: حمقاء. (اللّسان: لكع).

(٢) الكلمة غير واضحة في الأصل، ولعلّ الصّواب ما أثبت.

الحوبائه: النّفس. (اللّسان: حوب).

(٣) المصافنة: طرح حصاة في القعب ثمّ يُصبّ فيه من الماء بقدر ما يغمر الحصاة (اللّسان: صفن).

يعد كعب بن مامة أجود من حاتم الطائي، لأنّ كعباً بذل النّفس حتّىٰ أعطبه الكرم، فخرج مع ركبٍ فيهم رجلاً من النّمر بن قاسط في يوم شديد الحر، فضلّوا وعطشوا، فتصافنوا ماءهم، فالتفت كعب إلىٰ النمري فآثره بمائه، وقال للساقي: اسقِ أخاك النمري، فشرب نصيب كعب في ذلك اليوم، ثم نزلوا منزلاً آخر فتصافنوا بقيّة مائهم، فنظر النمري إلىٰ كعب، فقال له كقول أمس، وارتحل القوم وقالوا ارتحل يا كعب، فلم يكن به قوة للنهوض، وكانوا قد قربوا من الماء، فقيل رِد يا كعب، فعجز عن الجواب، ثم مات.

(انظر: الجاحظ، الحيوان: ٢/ ١٠٧، والثعالبي، ثمار القلوب: ص١٢٦).

(٤) وقاح: صبور. (اللّسان: وقح).

ثيابِ جَبّار، وروحُه بذُلّ، وإن كان في جُرمِ مَلِك. يَتجَرَّعُ مَرارَ العَيش، ويَشرَبُ بكأسِ الذُّلّ. شُكرُ الغَني مُنيَةُ المُستأكَلين، ونُهزَةُ الخَدّاعِين، لا يَرضىٰ بحَظِّ النّائم، وبعَيشِ البَهائم.

فَمِن أينَ أُتي؟ أمِن عيٍّ لِسان، أم مِن قِلَّةِ مَعرِفَة، وضَعيفٌ يُجيرُه، أم مِن جُبنِ قَلب، وشِدَّةِ هَيبَة، أم مِن خَوَرٍ في العِرق، أم مِن فَسادٍ في الطِّينَة، أم من خُبثٍ في المَنشأ والعادَة، أم مِن قِلّةِ مُمارَسَةٍ للحَرب، ومُقارَعَةٍ للأبطال، ومُعاوَدَةٍ للقِتال؟

وهَل رُبّي إلا فيها؟ وهَل نَبَتَ لَحمُه إلا عَليها؟ في تَعَرُّفِ الشَّريعَةِ مِن السُّنَّة، والحَظرِ من الإباحَة، والفَرض مِن النّافِلَة، والاجتِماعِ من الفُرقَة، والشُّذوذِ من الاستِفاضَة[1]، والرَّدِّ من المُعارَضَة. مَن لَم يَلزَمِ الجادَّةَ خَبَطَ[2]، ومَن تَناوَلَ الفَرعَ قَبلَ إحكامِ الأصلِ سَقَط. لَيسَ مِن طَريقِ/ هَتكِ السَّترِ وكَشفِ العَورَة.

لَو قَرأتَ علىٰ رَجُلٍ من العَرَبِ سورَةً واحِدَةً؛ لَتَبَيَّنَ له في نَظمِها، وفي مَخرَجِها، وفي لَفظِها وطابَعِها، ووَضعِها العَجزَ عَن مِثلِها، أقطَعُ القيلَ والقالَ، وأجدَرُ أنْ تُميتَ الخلاف، وتَحسِمَ الطَّبيعَة.

لَم يـجِد من السُّرورِ إلا ما باشَـرَ به حَوّاسَّه، ومَسَّه جارُه. علىٰ ألسِنَـةِ العَوامِّ والدَّهماء، ومِن قُلوبِ الحُكَماءِ والغَوغاء[3]. عَواقِبُ الأمورِ وما تَجيءُ به الدُّهور.

وفَضلُ لَذَّةِ القَلبِ علىٰ لَـذَّةِ البَدَن؛ علىٰ أنّا[4] لَم نَـرَ سَيفًا مَشهورًا، ولا ضَرَبَ

---

(١) الاستفاضة: السّير بسرعة، ولا يكون إلا عن تفرق وجمع. (اللّسان: فيض).

(٢) خبط: سار فيه علىٰ غير هدىً. (اللّسان: خبط).

(٣) الغوغاء: الجراد يخفّ للطّيران، واستعير للسّفلة من النّاس والمتسرّعين إلىٰ الشّر. (اللّسان: غوغ).

(٤) في الأصل (أنّه)، ووضعنا (أنا) لتتناسب ما بعدها.

ضَربًا كَثيرًا. وما ضَرَبَ إلا ثلاثينَ سَوطًا مَقطوعَةَ الثِّمار[١]، مُشَعَّثَةُ[٢] الأطراف، فأفصَحَ بالإقرار. لا يُفَضُّ خِتامَ سِرّي. والمُتَكَلِّمونَ المُحَصِّلون، والمُتَصَفِّحونَ والمُمَيِّزون، والنَّظّارونَ الذين لا يُقَلِّدون.

فمَن نَظَرَ وباحَثَ وقابَلَ ووازَنَ وناظَرَ وجاثىٰ أحَقُّ بالحُجَّة. وهذه خَمر:

* نَشـأت في حِجـرِ أم الزَّمـانِ *[٣]

ظَلامُ الشَّكِّ لا يَجلوه إلا مِصباحُ اليَقين. هُم أصَحُّ بُنيَةً، وأطيَبُ طُعمًا[٤]، وأصدَقُ وَرَعًا، وأقَلُّ رياءً، وأدوَمُ طَريقَةً، وأبذَلُ مُهجَةً، وأقَلُّ جَمعًا ومَنعًا، وأظهَرُ جَهدًا وزُهدًا.

أنصَحُ النّاسِ جَيبًا[٥]، وأثبَتُهم رأيًا، وأشَدُّهم احتِراسًا، وأبعَدُهم غورًا، وأقواهم عَزمًا. رَجعَ عنه، علىٰ رُؤوسِ الإشهاد، وبحَضرَةِ الأشكالِ[٦] والأضداد/ .

فَما ناداه النّاسُ عندَ ذلك إلا شَرَفًا، وإلا فَخامَةً ونُبلاً، حتّىٰ جَعَلوه قُدوَةً ومثَلاً. صارَ إمامًا مُتَّبِعًا. ومَن أعجَزُ رأيًا مِمَّن زَعِمَ أنْ أبا بكرٍ أفضَلُ مِن سَمُرَه[٧]، وأنّ

---

(١) الثِّمار: أطراف السّوط. (اللّسان: ثمر).

(٢) مشعثة: مفرّقة. (اللسان، شعث).

(٣) عجز البيت لأبي نواس، وصدره:

فَتَقَرَّبتُ بِصرفِ عقـارِ

(انظر: ديوان أبي نواس: ص٣٢٦).

(٤) في الأصل (طعم)، خطأ نحوي.

(٥) جيبا: الجيب: القلب والصّدر. (اللّسان: جيب).

(٦) الأشكال: الشّكل: المثل والشّبه. (اللّسان: شكل).

(٧) سمرة: ابن جندب بن هلال الفزاري، من علماء الصحابة، نزل البصرة وله أحاديث صالحة، كان عظيم الأمانة، صدوقاً، كان شديداً علىٰ الخوارج، وقتل منهم جماعة، كان زياد بن أبيه يستخلفه =

سَحبانَ أخطَبُ مِن باقِل، وأنّ زيادًا أدهىٰ من هَبَنَّقة [١]، وأنّ جالينوس [٢] أطَبُّ مِن دانيال [٣][٤].

والبِدَعُ وإن كانَت مَقاتِلُها باديةً، ومَساوِئُها ظاهِرَةً، فَلَيسَ يُبصِرَها كُلُّ مَن

= علىٰ البصرة إذا سار إلىٰ الكوفة، ويستخلفه علىٰ الكوفة إذا سار إلىٰ البصرة، مات سنة (٥٨هـ).

(انظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ٢/ ٥٥٤، ابن حجر، الإصابة: ٣/ ١٥٠، وابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢/ ٣٥٧، والذهبي، وابن سعد، كتاب الطبقات: ٦/ ٢٠٥، سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٣١، والذهبي، العبر: ٤٧).

(١) في الأصل (هسعه) دون إعجام.

هبنّقة: هو يزيد بن ثروان القيسي، كان أحمق بني قيس بن ثعلبة، وكان يضرب به المثل في الحمق، لقّب بذي الودعات، ومن حمقه أنّه جعل في عنقه قلادة من ودع وعظام وخرز، وهو ذو لحية طويلة، فسئل عن ذلك فقال: لأعرف بها نفسي ولئلا أضل، فبات ذات ليلة وأخذ أخوه قلادته فتقلّدها، فلمّا أصبح ورأىٰ القلادة في عنق أخيه فقال: يا أخي، أنت أنا، فمن أنا؟

(انظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار: ١/ ٣٤٩، والثعالبي، ثمار القلوب: ص١٤٣، وحمزة الأصفهاني، الدرة الفاخرة: ص٧٢، وابن الجوزي، أخبار الحمقىٰ والمغفلين: ص٥١).

(٢) جالينوس: إمام الأطبّاء في عصره، ورئيس الطبيعيين في وقته، وهو من أهل مدينة فرغاموس من أرض اليونان، برع في الطّب والفلسفة وهو ابن سبع عشرة سنة، لم يسبقه أحد إلىٰ علم التشريح، ألف فيه سبع عشرة مقالة.

(انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء: ص٩٥، وابن نباتة، سرح العيون: ص٢١٨ – ٢١٩، والقفطي، تاريخ الحكماء: ٨٥).

(٣) في الأصل (ديار) وهو تصحيف، ولعلّه دانيال المتطبّب، متوسط العلم، له إنسة بالمعالجة، وكانت فيه غفلة.

(انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء: ص٢٩٥).

(٤) هكذا جاءت الفقرة في الأصل، ولعلّها عكس المقصود.

طَلَبَها، ولِكُلِّ حَربٍ رِجال[١]، ولكُلِّ مَقامٍ مَقال[٢]، والحَمدُ لله علىٰ كُلِّ حال.

تَرىٰ هُناكَ خُشوعًا وانحِناءً، وانكِسارًا وصَمتًا، واصفِرارَ لَون، وهُزالَ بَدَن، قد دُقَّت عنُقُه، وتَوَرَّمَت قَدَماه، وأكَلَت الأرضُ جَبهَتَه، واشتَدَّ خُشوعُه، وطالَ صَمتُه، وقَلَّت فُضولُه.

كانَ يَتكَلَّمُ في المِضمار، وفي العُجبِ والخُيَلاء، وفي الرِّياءِ والوَسواس، والتَّحَفُّظِ من الشَّيطانِ وَمكائدِه. أنتُم المُتكَلِّمونَ والمُمَيَّزون، ونَحن عندَكُم بينَ رافِضي صاحِبُ إلهام، وتَقليدِ الإمام، وبينَ حَشوي أعثَر، وحَدثي[٣] أبلَه، وقد أكفَرَ يَموتًا[٤]، وإكفارُ أهلِ الصَّلاةِ قَسوَةٌ وبِدعَة، ووَضَعتُم المِحنَة، والمِحنَةُ خارِجيةٌ وفِتنَة، وقد نُهينا عَن التَّجَسُّس، وأُمِرنا بسَترِ العَورَة.

---

(١) يقال في المثل «لكل دهر رجال».
(انظر: الجاحظ، الحيوان: ١/ ٢٠١، والميداني، مجمع الأمثال: ٣/ ١٣٣، وابن عبد ربه، العقد الفريد: ٣/ ٧٨).

(٢) أي أنّ لكل أمر أو فعل أو كلام موضعاً لا يوضع في غيره.
(انظر: الجاحظ، الحيوان: ١/ ٢٠١، والميداني، مجمع الأمثال: ٣/ ١٣٠، وابن عبد ربه، العقد الفريد: ٣/ ٧٨، والأبشيهي، المستطرف: ١/ ١٠٥، والغزّي الدّمشقي، إتقان ما يحسن من الأخبار الدّائرة علىٰ الألسن: ٢/ ٤٤٨).

(٣) الحَدثيّة: أصحاب الفضل الحدثي، كان من أصحاب النّظّام، ومن مبادئها: أولاً: إثبات حكم من أحكام الإلهيّة في المسيح موافقة للنصارىٰ في اعتقادهم أنّه هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة، وثانياً: القول بالتّناسخ وزعم أنّ الله تعالىٰ أبدع خلقه أصحاء سالمين عقلاء بالغين في دار سوىٰ هذه الدار التي هم فيها اليوم، وخلق فيها معرفته وأسبغ عليهم نعمته، وثالثاً: رؤية الباري.
(انظر: الشهرستاني، الملل والنحل: ١/ ٢٧).

(٤) يمّوتًا: هو يمّوت بن المزرّع، ابن أخت الجاحظ.

ولا يَسمَعُ لأحَدٍ كصَبرِه، ولا كحِلمَه، ولا كوَفائه، ولا كزُهدِه، ولا كجودِه، ولا كنَجدَتِه، ولا كصِدقِ لَهجَتِه/ ، وكَرَمِ عِشرَتِه، ولا كتَواضُعِه، ولا كعِلمِه، ولا كحِفظِه، ولا كصَمتِه إذا صَمَت، ولا كقَولِه إذا قال، ولا كقِلَّةِ تَلَوُّنِه، ولا كدَوامِ طَريقَتِه، ولا كعَفوِه، وقِلَّةِ امتِناعِه، ولا حاصَ[1] مِن عَدوّ، ولا هابَ حَربًا.

كامِلُ النَّجدَة، تامُّ الحِلم، لَم يَترُك عينًا[2]، ولا دِرهَمًا ولا دينارًا، ولا بَنىٰ دارًا، ولا شَيَّدَ قَصرًا، ولا غَرَسَ نَخلاً، ولا شَقَّ نَهرًا، ولا استَنبَطَ عَينًا. يأكُلُ علىٰ الأرض، ويُجالِسُ المَساكين، ويَمشي في الأسواق، ويَتَوَسَّدُ يَدَه، ولا يأكُلُ مُتَكِئا، ولا يُرىٰ ضاحِكًا مِلءَ فيه.

أصدَقُ النّاسِ لَهجَةً، وأوثَقَهُم عُقدَةً، أطوَعُ لي مِن كَفي، وأذَلُّ عَلَيَّ مِن نَعلي. لا يَعرِفُ إلا الصَّومَ والصَّلاةَ والمُصحَف، والرِّباطَ والكَلامَ في الزُّهد، والدَّرَجاتِ مِن الدَّليل، علىٰ أنَّ العُقولَ تَحتاجُ إلىٰ المادَّة، والطَّبائعَ إلىٰ القَمع، والشَّهَواتِ إلىٰ المُداراة، والنُّفوسَ إلىٰ التَّعديلِ كذا وكذا.

إنَّما يَعرِفُ الكَلامَ في الأديان، مَن قد صَلي به، وبحِمَمِه[3]، وسَلَكَ في مَضائقِه، وكادَحَ الأضداد، ونازَعَ الأكفاء. وإذا بانَ منكَ أخوكَ فقد بانَ منكَ شَطرُك، وإذا اعتَلَّ خليلُكَ فَقد اعتَلَّ بَعضُك.

فنَسألُكَ عَن الصَّغيرِ والكَبير، والنَّقيرِ[4] والقِطمير[5]. نَظَرَ إلىٰ العَواقِبِ قَبلَ وقوعِها/ ، وإلىٰ الحَوادِثِ قَبلَ شُروعِها، فَعَلِمَ أنّ المالَ فانٍ فبَذَلَه، وإنّ الثَّناءَ باقٍ فآثَرَه.

---

(١) حاص: هرب وانهزم. (اللّسان: حوص).

(٢) عينًا: العين: النّقد. (اللّسان: عين).

(٣) في الأصل (بحمه)، وهو تصحيف.

(٤) النقير: النكتة في ظهر النواة منها تنبت النخلة. (اللّسان: نقر).

(٥) القطمير: القشرة الرّقيقة بين النّواة والتّمرة، أو شقّ النّواة، أو القشرة التي فيها. (اللّسان: قطمر).

وكُنتُ أنا والصُّبحُ فَرَسَي رِهان. سَنَةٌ جَرَدَت[١]، وأيدٍ جَمَدَت، وحالٍ جَهَدَت. والمُعَلِّمونَ أشقَىٰ بالصِّبيانِ مِن رُعاةِ الضَّأن، وروّاضِ المِهارَة[٢]. ومَتَىٰ لَم يَرُعهُم السَّوط، ويَنهَهم السَّيف، فالأمرُ هَرَج[٣]، والفَسادُ شامِل، والحَربُ راكِدَة، والفِتَنُ شائعَة، والأمرُ مُضاع، والحَقُّ مَقموع، ومَن عَزَّ بَزّ[٤]، ومَن قَلَّ أُكِل، ومَن ظَهَرَ قُتِل. والرَّئيسُ ما لَم يَذُد عَن حَوضِه، ويُحامِ عَن قَومِه، فَمَسلوبٌ مَفلول[٥]، وَشِلوٌ[٦] مأكول.

وما ذاكَ إلا كَمَن التَمَسَ الزِّيادَةَ في الغايَة، وأمَدَّ البَحرَ بالقَطرَة. سأَلَ رَجُلٌ ابن عَون[٧] عَن مَسأَلَة فَقال: علىٰ الخَبيرِ سَقَطَت، سألتُ عَنها فُلانًا، فَقال: لا أدري.

وأنصَحُ النّاسِ جَيبًا، وأبيَنُهُم رأيًا، وأشَدُّهُم احتِراسًا، وأبعَدُهُم غورًا، وأقواهُم عَزمًا، حينَ رأىٰ اختِلافَ القُلوب، وانتِشارَ الأُمور، ونُقصانَ البَصائر، والرُّكونَ إلىٰ الرّاحَة. فَطَمِعَ أنْ تكونَ عِظَتَه وتَقريعَه، وتَعييرَه وتَعريفَه وتَخويفَه.

---

(١) جردت: أمحلت. (اللّسان: جرد).

(٢) المهارة: جمع مُهر، وهو ولد الفرس. (اللّسان: مهر).

(٣) هرج: مختلط. (اللسان، هرج).

(٤) عزّ: غلب. (اللّسان: عزز).

بزّ: سلب. (اللّسان: بزز).

انظر المثل في مجمع الأمثال: ٣/ ٣٠٣، وإتقان ما يحسن من الأخبار الدّائرة علىٰ الألسن: ٢/ ٦٠٣.

(٥) مفلول: مهزوم. (اللّسان: فلل).

(٦) شلو: القطعة من اللحم لأنها بقية منه. (اللّسان: شلا).

(٧) ابن عون: عبد الله بن عون، شيخ أهل البصرة وعالمهم، كان ثقة كثير الحديث، ولد سنة (٦٦هـ) وتوفي سنة (١٥هـ).

(انظر: ابن سعد، كتاب الطبقات: ٩/ ٢٦١، والذهبي، العبر: ١/ ١٦٥، وابن قتيبة، المعارف: ص٤٨٧، والصفدي، الوافي بالوفيات: ١٧/ ٢١١ -٢١٢).

ما يَنجَعُ فيهِم، ويَسري في طَبائعِهم، ويُنَبِّه مِن رَقدَتِهم، ويُحَرِّكُ مَواضِعَ الأَنَفَةِ مِن قُلوبِهم، بَعدَ أنْ كَتَمَ الدّاءَ وبيَّنَ الدَّواء، وعالَجَ بأرفَقِ العِلاج. فَلما أعضَلَ الدّاء، واستَفحَلَ البَلاء، وظَهَرَ/ العَيب، وانتَشَرَ الفَساد، وخَطَبَ بالمَوعِظَةِ علىٰ المِنبَر، وقَرَّعَ بالتّأنيبِ في المَحافِل، وأعذَرَ وأنذَرَ عِندَ المُقبِلِ والمُدبِر.

ولك عندَما صاروا إليه مِن التَّعايُرِ والتَّذاكُرِ عندَ قَضاءِ الوَطَرِ[١] من الزَّوجاتِ والأوطانِ بَعدَ المَلالِ[٢] مَن طولِ الإقامَة. وكانَ ذلك دَليلاً علىٰ القوَّة، وإخبارًا عَن الثِّقَة، وبِشارَةً للمُستَرشِد، واستِنامَةً[٣] للنّافِر، ونَقصًا لِقوىٰ المُخالِف، وزيادَةً في بَصيرَةِ الموافِق.

ولَو كانَ هذا الأمرُ مُخَلًّىٰ في مَعدَنِه، مُبقىٰ في مَغرَسِه، ولَم يُنقَل مِن نِصابِه، ولَم يُزَل مِن مَركِزِه، ولَم يُخرَج مِن بَيتِه، والمَوضِعِ الذي يَليق به، لكانَ في ذلك حَسمُ الخارِجية، وأسبابُ الفِتَن، وجَميعُ الأجناس، وكانَ الحَديدُ مَفلولاً، والطَّمَعُ عَديمًا، واليأسُ واقِعًا، والخاطِرُ مُرتَفِعًا، وحُكمُ العادَةِ شامِلاً. وبذلِكَ الجَذمُ انقَطَعَ سَبَبُ الطَّلَب، وفي بُطلانِ الطَّلَبِ إجابَةُ الرَّعية بطاعَةِ المَحبَّة، وطاعَةُ الدَّينونيّة، وارتَفَعَت عَنهم طاعَةُ الخَوفِ والرَّغبَة.

فعندَ ذلك طابَ العَيش، وخَفَّت المِحنَة، وظَهَرَ الحَقّ، وثَبَتَت النِّعمَة. الذين كانوا مَصابيحَ الظَّلام، وقادَةَ هذا الأنام، ومِلحَ الأرض، وحَليَ الدُّنيا، والنُّجومَ التي لا يَضِلُّ مَعَها السّاري، والمَنارَ الذي يَرجِعُ إليها الباغي، والحِزبَ الذي كَثَّرَ الله به القَليل،

---

(١) الوطر: كل حاجة يكون لك فيها همّة. (اللّسان: وطر).

(٢) الملال: التقلب من المرض والغم. (اللّسان: ملل).

(٣) استنامة النّافر: الاستئناس به والإطمئنان إليه. (اللّسان: نوم).

وأعَزَّ به/ الذّليل، وزادَ الكثيرَ في عَدَدِه، والعَزيزَ[١] في ارتِفاعِ قَدرِه، وجَلَوا بكَلامِهم الأبصارَ العَلَيلَة، وشَحَذوا بمَنطِقِهم الأذهانَ الكَليلَة؛ فنبَّهوا القُلوبَ مِن رَقدَتِها، ونَقَلوها عَن سوءِ عادَتِها، وشَفَوا مِن داءِ الغَفلَة، وداوَوا مِن العي الفاضِح، وأبهَجوا الطَّريقَ الواضِحَ مِن الدّيباجَةِ الكَريمَة، والرَّونَقِ العَجيب، والسَّبكِ والبَحثِ الذي لا يستَطيع أرفَعُ النّاسِ في البَيانِ أنْ يَقولَ مِثلَها.

كانَ أظهَرَ للكَلمَة، وأوضَحَ للحُجَّة، وأوجَلَ للقَدر، وأخضَعَ للرِّقاب، وأبعَدَ من الغُموض، وأعظَمَ للمَنزِلَة، وأدَلَّ علىٰ الغايَة. وأساسُ هذه الأُمور في ثلاثة: فأوَّلُهنَّ العَقلُ الصَّحيحُ الفاضِلُ علىٰ ألسِنَةِ العالَمِ لأسبابِ الخَير، ثُمَّ غَلَبَةُ الهَوىٰ وسَماحُ النَّفسِ وإيثارُ الحَقّ، ثُمَّ التَّجارِب؛ فإنَّها مادَّةُ العَقلِ وسُقياه وتَمامُه.

فإذا كانَت هذه الأُصول قائمَةً في رَجُل، فكُلُّ شَيءٍ لَها تَبَع؛ لأنّ العاقِلَ لا يكون إلا في إحدَىٰ حالَتين: إمّا أنْ يُصدَعَ بالرّأي فيَعمَلَ به، وإمّا أنْ يَستَشيرِ أهلَ الرّأي والمَعروفينَ بكَثرَةِ الصَّوابِ إذا خَفي موضِعُه عَليه، ولَم ينفَتِح بابُه، ولَم يَعلَم مأتاه حتّىٰ إذا جاءَت آيَةٌ تَدُلُّ علىٰ كَذا وَضَعتُم لَها ضُروبَ التّأويل، واستكرَهتُم فيه المَعاني، وحَمَلتُم اللُّغَةَ علىٰ مَضائقِها، وطَلَبتُم لَها المَخارِج، وتَركتُم سِرَّ اللَّفظ، والمَعروفَ/ في مَخرَجِه، وأخرَجتُموه مِن عادَةِ دِلالاتِ القُرآن. مَنَعَها حَقَّها، واعتَلَّ علَيها، وجَلَّحَ[٢] في أمرِها، وعايَنتِ التَّهصيم[٣]، وأيأستَ من النُّزوع، ووَجَدتَ مَسَّ الضَّعيف، وقِلَّةَ النّاصِر.

الجَمالُ عندَ العَرَبِ طولُ القامَة، وضِخَمُ الهامَة، ورَحابَةُ الشِّدق، وغُؤورُ العَينَين، وبُعدُ الصَّوت.

---

(١) في الأصل غير معجمة.

(٢) جلح: رَكِبَ رأسه في أمرها. (اللّسان: جلح).

(٣) التهصيم: الغلظ والشدة. (اللّسان: هصم).

ما خَلَفَ عَليكِ زَوجُك، قالت: العِدَّة[١]. قيلَ لِبَعضِ البُرصان، وهو بلعاء بن قيس: «ما هذا الذي نَراه بك؟ فقال: سَيفُ الله صَقَلَه، ويُقال: سَيفُ الله حَلاّه، من الحِليَة[٢]»[٣].

هي الدُّنيا تَوَلَّت يَومَ صَدَّت. هذا مِثلُ قَولِه: أنتَ الزَّمانُ فإن صَلُحتَ[٤] صَلُحَ الزَّمانُ.

قد كَسَّ[٥] الحُرُّ بمِثالِه يَومٌ أغَرُّ مُحَجَّلُ الأطراف[٦]. فإذا بَنىٰ الله هذه البُنيَة، ومَزَجَها هذا المِزاج، ورَكَّبَ طَبائعَ المُكَلَّفينَ علىٰ هذا التَّركيب، وجَعَلَ الشَّريعَةَ هذا المِقدار، والرَّسولُ في هذا المُرَكَّب، لَم يكُن الله تَرَكَ شَيئًا من المَعونَة، ولا أبقىٰ شَيئًا من الاختيار. وقيلَ لِرَجُلٍ كانَ يُباكِرُ الغَداء: لِمَ تفعَلُ ذلك؟ قال: آخُذُ قَبلَ الخُروج.

قيلَ لنُصَيب[٧]: هَرِمَ شِعرُك، فقال: لا والله ولكِن هَرِمَ الجود.

---

(١) قيل لأعرابي تزوج: «هل نحلت إمرأتك بشيء؟ قال: قد نحلتها بتطليقة».
(انظر: ابن أبي عون، الأجوبة المسكتة: ص٩٨).

(٢) انظر القول في البرصان والعرجان: ص٣٢.

(٣) انظر القول في الحيوان: ٥/ ١٦٧، وتحسين القبيح وتقبيح الحسن ص٣٦: «لمّا شاع في جلده البرص قال له قائل: ما هذا يا بلعاء؟ فقال: هذا سيف الله جلّاه، وكنانة تقول: سيف الله حلّاه».

(٤) وتجوز صَلَحَت.

(٥) كسّ: دقّه دقًا شديدًا. (اللّسان: كسس).

(٦) محجل الأطراف: الذي يرتفع البياض في قوائمه في موضع القيد ويجاوز الأرساغ.
(اللّسان: حجل).

(٧) نصيب: أبو مَحجن الأسود، ابن رباح، الشّاعر، مولىٰ عمر بن عبد العزيز، مدح عبد الملك بن مروان، وشعره في الذروة، ترك التغزّل وتنسّك، توفي سنة (١٠٨هـ).
(انظر: الذهبي سير أعلام النبلاء: ٦/ ٨٧، وابن خلكان، وفيات الأعيان: ٦/ ٨٩، والأصفهاني، الأغاني: ١٩/ ٥).

[١] ما رأيتُ أكثَرَ رِوايَةً، ولا أجوَدَ حِفظًا، وأوسَعَ عِلمًا، وأتَمَّ عَزمًا، وألطَفَ نَظَرًا، وأصدَقَ حِسًّا، وأعرَضَ/ علىٰ البَعيدِ الغامِضِ، وأقهَرَ للعَويصِ المُمتَنِع، وأصَحَّ قَريحَةً، وأقَلَّ سأمَةً[٢]، وأحسَنَ عادَةً منه، مَع إفراطِ الشَّهوَة، وفَراغِ البال، وبُعدِ الأمَل، وقوَّةِ الطَّمَع، ثُمَّ مُدَّ له في العُمر، وأمكَنَته القُدرَة، خَيرُهم صِرف، وشَرُّهم مَمزوج.

أخَذَ من الحُجَّةِ حاجَتَه. أكادُ أُحِلُّ نَفسي علىٰ الأُساةِ بك[٣]. قيلَ لِشَيخ: ما بَقي منك؟ قال: يَسبِقُني مِن أمامي، ويُدرِكُني مِن خَلفي، وأنسىٰ الحَديث، وأذكُرُ القَديم، وأنعَسُ في المُلاء[٤]، وأسهَرُ في الخَلاء، وإذا قُمتُ قَرُبَت الأرضُ مِنّي، وإذا قَعَدتُ تَباعَدَت عني.

ومن الدَّليلِ علىٰ أنْ العُقولَ تَحتاجُ إلىٰ المادَّة، والطَّبائعَ إلىٰ القَمع، والشَّهَواتِ إلىٰ المُداراة، والنُّفوسَ إلىٰ التَّعديل، صَنيعُ رَسولِ الله ﷺ، بالمُؤَلَّفةِ قُلوبُهم، حينَ أعطاهُم ومَنَعَ مَن هو خَيرٌ منهم. يجُبنا في كُلِّ يَومٍ ذَرَّ شارِق[٥]، فلَمّا استُجمِعَت قواهم، واستُحكِمَت بَصائرُهم، واحتُمِلَت عَزائمُهم، ومَتُنَت أسبابُهم؛ كَلَّفَهم مُحارَبَةَ آبائهم [وأبنائهم][٦]، فلَمّا بَلَغوا الغايَة، وأقاموا علىٰ النِّهايَة، قال لهم: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣].

إنَّما يَستَريحُ البَدَنُ مِن كَدِّ العَمَلِ إلىٰ خَفضِ الجِمام، كَما يَستَريح القَلبُ مِن كَدِّ

---

(١) عنوان هذه الفقرة في الأصل «مجموعة ألفاظ من رسائله القصار».

(٢) سأمة: مللاً وضجراً. (اللّسان: سأم).

(٣) الأساة بك: الاقتداء. (اللّسان: أسي).

(٤) الملاء: ثقل يأخذ في الرأس من امتلاء المعدة. (اللّسان: ملأ).

(٥) يوم ذر شارقة وشارق: أي يوم مشرق. (اللّسان: شرق).

(٦) ما بين المعقوفين من حاشية الأصل.

الرَّويةِ[١] إلىٰ بَردِ اليَقين. ولولا تأميلُ الرّاحَةِ/ في وَقتِ النَّصَب، لَتضاعَفَ ثِقَلُه، ولَقَطَعَ الجَهدُ سَبَبَ صاحِبِه مِن مُعاوَدَتِه. ولَو كانَ ذلك تَدبيرًا لَما جَعَلَ الله اللَّيلَ سَكَنًا والنَّهارَ مَسرَحًا؛ لأنَّ الأغلَبَ علىٰ طَبائعِ البَشَرِ حُبُّ الكِفايَة، واستِثقالُ الرَّوية، وسُرعَةُ المُسالَمَة.

أوَ ما عَلِمتَ أنْ الخَوفَ يَطرُدُ السُّكر، ويُميتُ الشَّهوَة، ويُطفِئُ الغَضَب، ويَحُطُّ من الكِبر، ويُذَكِّرُ بالعاقِبَة، ويُساعِدُ العَقل، ويُعاوِنُ الرّأي، ويُسَبِّبُ الجَبَلَة، ويَبعَثُ علىٰ الرَّوية، حتّىٰ يَعتَدِلَ به تَركيبُ مَن كانَ مَغلوبًا علىٰ عَقلِه، مَمنوعًا مِن رأيِه بسُكرِ الشَّباب، وسُكرِ الغِنىٰ، وإهمال الأمر، وثِقَةِ العِزّ، ونارِ القُدرَة.

وإذا استَوَت قوىٰ العَقلِ بأسبابِه، وقوىٰ خُصومِه بأسبابِها، مِن عِلَّةِ الطَّبائع، ونَوازِعِ الشَّهَوات؛ ناهَضَ إلىٰ مُحارَبَتِها ومُساجَلَتِها ومُدافَعَتِها حتّىٰ لا يكونَ عَقلُه.

قال رَجُلٌ لآخَرَ [٢]: فَرَرتَ مِنّي فِرارَ العَبدِ حَينَ نِمتَ عَن حِفظي نَومَ الأمَة. في تَمامِ خَلقِه، وطَهارَةِ خُلُقِه، ولينِ سَيرِه، وحُسنِ صورَتِه في سابِقَتِه، في شِدَّةِ وَرَعِه، واتِّساعِ مَعرِفَتِه، وصِحَّةِ غَريزَتِه، وثَباتِ حُجَّتِه مِن واسِطَةِ مُلكِه، إلىٰ أقطارِ سُلطانِه.

ذُكِرَ عَن بَعضِ النّاسِ أنّه شَتَمَ بَعضَ الأشراف، فَقال: «عَجِبتُ مِن قَومٍ إذا/ قيلَ لهم مَن أبوكُم؟ قالوا: أمُّنا قُرَيش»[٣].

---

(١) الرّويّة: التكر في الأمر. (اللّسان).

(٢) في الأصل (الرحل لاحر) وهو تصحيف.

(٣) جاء في البيان والتبيين «والله إنّي لأبغض القرشي أنْ يكون فظّاً، ويا عجباً لقوم يقال لهم: من أبوكم؟ فيقولون: أمّنا من قريش».

(انظر: الجاحظ، البيان والتبيين: ١/ ٢٦١).

قال مُعاويةٌ: «كُلُّ خِصالِ الشَّبابِ كانَ فِي، إلا أَنّي لَمْ أَكُن نُكَحَةً، ولا طُلَقَةً، ولا ضُرَعَةً[١]، ولا ضُحَكَةً»[٢].

أَخٌ لي كأيّامِ الحَياةِ إخاؤه. لكُلِّ مَقامٍ مَقال، ولكُلِّ زَمانٍ رِجال[٣]، ولكُلِّ ساقِطَةٍ لاقِطَة[٤]، ولكُلِّ جيفَةٍ[٥] كَلبٌ بَخرَة[٦]، ولِكُلِّ قَدرٍ طالِب، وفي كُلِّ نَحوٍ راغِب، ولكُلِّ وَشَجٍ[٧] حامِل، ولكُلِّ سُمٍّ جارِع، ولكُلِّ طَعامٍ آكِل، ولكُلِّ صِناعَةٍ شَكل.

لا بُدَّ للمَصدورِ يومًا من النَّفثِ ... ولابُدَّ مِن شَكوىٰ إذا لَم يكُن صَبرُ[٨]

---

(١) ضرعة: المشابه والمساوي. (اللّسان: ضرع.).

(٢) في اللسان «لستُ بنُكَحَةٍ طُلَقَةٍ، ولا ضُرَعَةٍ بِسُبَبَةٍ» أي لست برجل يتزوج ويطلق، ولا بشتّامٍ للرجال المشابه لهم والمساوي. (اللّسان: ضرع).

(٣) جاء في إتقان ما يحسن في الأخبار الدّائرة علىٰ الألسن ٢/ ٤٤٥، والمستطرف: ١/ ١٠٥: «لكل زمان رجال» وأيضاً «لكل زمان دجّال».

(٤) يضرب مثلاً في التّحفظ عند النّطق، أي بكل كلمة يخطئ فيها الإنسان من يتحفّظها فيحملها عنه. (انظر: الجاحظ، الحيوان: ١/ ٢٠١، والميداني، مجمع الأمثال: ٣/ ١١٥، وابن عبد ربه، العقد الفريد: ٣/ ٧٩، والأبشيهي، المستطرف: ١/ ١٠٥، والغزّي الدّمشقي، إتقان ما يحسن من الأخبار الدّائرة علىٰ الألسن: ٢/ ٤٤٥).

(٥) جيفة: جثّة الميت. (اللّسان: جيف).

(٦) بخرة: البخر: الرّائحة النّتنة. (اللّسان: بخر).

(٧) وشج: تداخل وتشابك والتفّ. (اللّسان: وشج).

(٨) البيت لمالك بن حذيفة النخعي. ولا صلة بين صدر البيت وعجزه. انظر تعليق عبد السّلام هارون في الحيوان: ١/ ٢٠٢، والبيان والتبيين: ٣/ ١٤٠:

لَعَمرُك؛ ما الشكوىٰ بـأمر حَزامَـةٍ ... ولا بُدّ من شكوىٰ إذا لم يكن صبر

وحماسة البحتري: ص١٥٨:

وما كثـرة الشّـكوىٰ بحـد حزامـة ... ولا بدّ من شكوىٰ إذا لم يكن صبر

مَن عَزَّ بَزّ، ومَن قَدِرَ قَهَر، ومَن وَجَدَ استَلَب، ومَن اشتَدَّ غَلَب، ومَن جادَ ساد، ومَن بَرَّ قاد، ومَن أفضَلَ فَضَّل.

ما كانَ أحكَمَه وأحضَرَ حُجَّتَه، وأنصَحَ حِسَّه، وأدوَمَ طَريقَتَه في مَرتِبَةِ الخِلافَة، وفي الشَّطرِ مِن قُرَيش، في نُبلِ الهِمَّة، وأصالَةِ الرَّأي، وجَودَةِ اللِّسان، وكَمالِ الجِسم، وفي تَمامِ النَّفس. مَجهولُ الذُّرا غَير مَعروف النَّسَب، ولا مَذكور بيومٍ صالِح.

قال سَهل بن هارون: «لَيس لِغَضبانٍ رأي، ولا لِحاقِنٍ[1]، ولا لغَيران، ولا لِجائع، ولا لعَطشان، ولا لِمَغيظ، ولا لِنصبِ عِنان».

العِبادَةُ التي أوحَشَت منه، والرَّتابةُ[2] هي التي حَرَمَته. من المعاني السِّداد، والألفاظِ الحِسان، وجَودَةِ الاختِصار، وتَقريبِ/ المَعاني، وسُهولَةِ المَخرَج، وإصابَةِ المَوضِع.

فَبيِّن لي ما الشَّيءُ الذي جَبَلَ عُقولَهم، وأفسَدَ أذهانَهم، وأعشَىٰ تلك الأبصار، ونَقَضَ ذلك الاعتِدال؟ خَلَعَ عِذارَه في البُخل، وأبدىٰ صَفحَتَه للذَّمّ. وعَرَّفَني الهَنات التي تَمَّت علىٰ المُتَكَلِّفين، وهَتكِ أستارِ الأدعياء، وفَرَّقت بينَ الحَقيقَةِ والرِّياء.

الفِتنَتان: فِتنَةُ النِّساءِ وفِتنَةُ الثَّناء. تُسقَىٰ بكأسِ الغَيظ، كُلُّهم شَيءٌ في طَبعِ البِلاد، وفي جَوهَرِ الماء، فَلذلك عَمَرَ جَميعَ حَيَواتِهم. قد بَلَغَ مُنقَطَعَ التُّرابِ في البَرّ، وأقصَىٰ مَبلَغِ السُّفُنِ في البَحر.

---

(١) حاقن: الذي له بول شديد. ويقال: لا رأي لحاقن. (انظر: القالي، الأمالي: ٢/ ١٠١، واللّسان: حقن).

(٢) الرّتابة: غلظ العيش وشدّته. (اللّسان: رتب).

قد صادَفتَ دَهرًا كَثيرَ الأعاجيب، وحَلَبتَ الدَّهرَ أشطُرَه[١]، ودَخَلتَ مِن كُلِّ باب، وجَرَيتَ مَع كُلِّ ريح، وعَرَفتَ السَّرّاءَ والضَّرّاء، ومَيَّلتَ إلىٰ التَّجارِبِ عَواقِبَ الأمور.

صَعاليكُ الجَبَل، وزَواقيلُ الشّام[٢]، وزُطُّ الآجام، وعُروشُ الأكراد، ومَرَدَةُ[٣] الأعراب، وفُتّاكُ[٤] نَهرِ بُطّ[٥]، ولُصوصُ القُفص[٦]. ولا تَطلُب في الدُّنيا ما لَيسَ فيها، وتأمَّل نَفسَك بعينِ الإنصاف.

يُبغِضُني بُغضَ المُعتَزِلَةِ للشّيعَة، وأهلِ الكوفَةِ لأهلِ البَصرَة، والبُغضَ الذي بين أسَدٍ وكِندَة. وكُلُّ ذلك إذا مَلأ العَينَ مَلأ الصَّدر. وبَعضُ المُفَسِّرينَ يَزعُمُ أنْ آدَمَ إنَّما سُمِّي به لأنّه/ كانَ قد حُذِي[٧] مِن أديمِ الأرض. وبَعضُهم قالَ: كانَ لَونُه في أُدمَةِ لَونِ الأرض[٨]، وأنَّ نوحًا كانَ يَنوحُ علىٰ قَومِه، وأنّ المَسيحَ إنَّما سُمِّي به لأنّه

---

(١) حلب الدّهر أشطره: أي خبر ضروبه، يعني أنّه مرّ به خيره وشرّه وشدّته ورخاؤه. (اللّسان: شطر).

(٢) زواقيل الشام: اللّصوص. (اللّسان: زقل).

(٣) مردة: المارد: العاتي. (الصّحاح: مرد).

(٤) فتّاك: الفاتك: الجريء، والفتك: أنْ يأتي الرّجل صاحبه وهو غافل فيقتله. (الصّحاح: فتك).

(٥) نهر بطّ: نهر بالأهواز، يقال: كان عنده مراحٌ للبطّ فقالوا نهر بطّ. (انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٥/ ٣١٩).

(٦) القُفص: جبال القفص، كان عضد الدّولة قد غزا أهل القفص وأفنىٰ أكثرهم، وهي قرية مشهورة بين بغداد وعُكبَرا قرب بغداد، وكانت من مواطن اللّهو ومعاهد الفرح، تُنسب إليها الخمور الجيّدة، والحانات الكثيرة.(انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٤/ ٣٨٢).

(٧) حُذي: قُطِع.(اللّسان: حذا).

(٨) جاء في اللّسان: أدمة الأرض لونها وبها سمّي سيدنا آدم، وقال آخرون سمّي آدم لأدمة جعلها الله تعالىٰ فيه.(اللّسان: أدم).

في البَلَدِ الواحِد، وكانَ كأنَّه يَمسَحُ الأرض[1].

قيلَ لعَبدِ الأعلَىٰ القاضي[2]: لِمَ سُمّي العُصفورُ عُصفورًا؟ قالَ: لأنه عَصَىٰ وفَرّ. قال: فلِمَ سُمِّي الطَّفَيشَلُ[3] طَفَيشَلاً؟ قال: لأنَّه طَفَا وشال[4].

قال جحا[5]: الفَسوَةُ وهي الضّرطَةُ بلا صَوت، وإنَّما يَخرُجانِ جَميعًا من قارورَةٍ واحِدَة، فَصارت واحِدَةً مُنتِنَةً وأخرَىٰ طَيِّبَةً؛ لأنّ الصّوتَ يَدبَغُها.

يَدَي هذه صَناعٌ في الكَسب، ولكِنَّها في الإنفاقِ خَرقاء. أشَدُّ النّاسِ نَفَسًا،

---

(١) جاء في اللّسان: سمّي المسيح بهذا الاسم لأنّه كان يمسح الأرض أي يقطعها، وأيضًا لأنه كان يمسح بيده علىٰ العليل والأكمة والأبرص فيبرأ، وأيضًا لأنّه وُلِد ممسوحًا بالدّهن، ولأنّه مُسح بالبركة. (اللّسان: مسح).

(٢) عبد الأعلىٰ القاضي: أبو مُسهِر، عبد الأعلىٰ بن مُسهِر بن عبد الأعلىٰ، الغسّاني الدّمشقي، ولد سنة (١٤٠هـ)، من حفّاظ الحديث، وأحاديثه في الكتب السّتّة، كان شيخ الشّام وعالمها بالمغازي وأيّام النّاس وأنساب الشّاميين، ولي قضاء دمشق كرهاً سنة (١٩٥هـ) ثمّ تنحّىٰ عنه، عارض مقولة خلق القرآن، وحُمِلَ علىٰ الفتنة، امتحنه المأمون وهو في الرّقّة، وأكرهه علىٰ أنْ يقول بخلق القرآن، مات سنة (٢١٨ هـ).

(انظر: الذهبي، العبر: ١/ ٢٩٤-٢٩٥، والمزّي، تهذيب الكمال: ١٦/ ٣٦٩، وابن فرحون، الديباج المذهب: ٢/ ٤٩، والزركلي، الأعلام: ٣/ ٢٦٩).

(٣) في الأصل (الطفشيل) وهو تصحيف.

الطّفشيل: كل طعام يعمل من اللحوم والخضار ويطهىٰ في التّنور، وقيل نوع من المرق.

(انظر: البغدادي، كتاب الطّبيخ: ص٥٤، والفيروز آبادي، القاموس المحيط: طفشل).

(٤) ورد في التّنبيه علىٰ حدوث التّصحيف ص١١٥: «سمّي العصفور عصفورًا؛ لأنّه عصىٰ وفرّ، وسمّي الدّينار دينارًا؛ لأنّه دين ونار، سمّي الدّرهم درهمًا؛ لأنه درٌّ وهمّ، وسمّي الطفيشل طفيشلاً؛ لأنّه طفىٰ وشال».

(٥) حجا: حجا الشّيء: حرفاه. (اللّسان: حجا).

وأحماهُم أنَفًا. يُطالِبُ قَفا هَذا البائسَ بذَحل[١]. قال رَجُلٌ لأعرابي: كُل مِن بَينِ يَدَيك، قال: أوَ مِنها شَيءٌ حِمًى.

لَم تَزَل[٢] حَبيساً علىٰ هذه الصِّناعَة، ومَوقوفًا علىٰ هذه المَكسَبَة، لِتَلحَقَ بأصحابِ العَيشِ والنِّعمَة في يَومِ عيد، أو استِمطار، أو حَشرِ سُلطان.

كانَ فُلانٌ أطمَعَ الخَلق، لَو قال له إنسانٌ أبيعُكَ المُشتَري وزُحَل، فَعَجِّل له الدِّرهَم، حتّىٰ أسلِّمَهما غَدًا لَفَعَل. لَيسَ له فَراسَةٌ بالكَلام.

قال الأصمَعي[٣] لِسائل: لَستُ أرضىٰ لك ما يَحضُرُني، قالَ: فأنا أرضاه، قالَ: هو لك، بورِكَ فيك/ . هو يَرفَعُ لَوازِمَ الحُقوقِ باستِعمالِ المَعاذير. الخَطأ زادُ العَجول. فأمكَنتَ العَدوَّ مِن عُنُقِك.

[٤] ما أخلَقَ النّأيُ عَهدًا، ولا نَقَضَ البُعدُ عَقدًا، ولا حَلَّ تَراخي الأيامِ وُدًّا. أفضَلُ سُرورِنا ذِكرُ أيّامنا مَعَك، وكَيفَ أنساك؛ وإن رأيتُ حَسَنًا ذَكَرتُكَ به مُشَبِّهًا، أو قَبيحًا ذَكَرتُكَ به مُنَزِّهًا؛ فَشَوقي إليكَ شَوقُ الإبِلِ إلىٰ أوطانِها، ونازِعٍ[٥] نَجدٍ إلىٰ نَجد.

القَلبُ سِراج؛ ظُلمَةُ ما بَطَنَ ومَلالُ قوَّةِ ما عَلَن. ثَوابُه الفَرَح، وعَذابُنا الحُزن. قامَ

---

(١) الذحل: الثأر. (اللّسان: ذحل).

(٢) في الأصل (يزل) والسّياق يقتضي أنْ تكون (تزل).

(٣) الأصمعي: أبو سعيد، عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، البصري، ولد سنة (١٢٠هـ)، وكان بحراً في اللغة، وذا حفظ وذكاء ولطف عبارة، له تصانيف كثيرة، مات سنة (٢١٥هـ).
(انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٨/ ٤٦٩، والذهبي، ميزان الاعتدال: ٢/ ٦٦٢، والذهبي، العبر: ١/ ٢٩١).

(٤) عنوان هذه الفقرة في الأصل «مجموعة ألفاظ من رسائله ورقاعه».

(٥) نازع: اشتاق. (اللّسان: نزع).

بقَلبي وقَعَد. ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١] يُسبِغُ النِّعمَة، ويُنسَىٰ الشُّكر.

الشَّيبُ عِلَّةٌ لا يُعادُ مِنها، ومُصيبَةٌ لا يُعَزَّىٰ علَيها. الدّينُ يُصلِحُه الوَرَع، ويُفسِدُه الطَّمَع. كَثرَةُ المُخالَفَةِ حَرب، وكَثرَةُ الموافَقَةِ غِشّ.

السَّيِّدُ مَن أورَىٰ نارَه، وحَمَىٰ دِيارَه، ومَنَعَ جارَه، وأدرَكَ ثأرَه. لا خَيرَ فيمَن لا يَدَّعي رَغبَةً، ويَتَّقي حَسَدًا.

الحِمارُ أنْ أطلَقتَه وَلَّىٰ، وإن أوقَفتَه أدلَىٰ[٢]، كَثيرُ الرَّوث، قَليلُ الغَوث، سَريعٌ إلىٰ الغِرارَة[٣]، بَطيءٌ إلىٰ الغارَة، لا يُحلَبُ في إناء، ولا تُرقأ به الدِّماء[٤]، ولا تُمهَرُ به النِّساء.

حُبُّ الكِفايَةِ مِفتاحُ العَجَزَة. اربَح نَفسَكَ إذا خَسِرتَ/ دينَك. أخَذَ بزِمامِ الكَلامِ فَقادَه أحسَنَ مَقاد، وساقَه أحسَنَ مَساق، حتّىٰ استَرجَعَ به القُلوبَ النّافِرَة، واستَصرَفَ به الأبصار الطّامِحَة.

تُستَدامُ النِّعمَةُ بالشُّكر، والقُدرَةُ بالعَفو، والطّاعَةُ بالتّأليف، والنَّصرُ بالتَّواضُع. البَخيلُ فَقيرٌ غَيرُ مأجور.

* قَد يَضحكُ الموتـورُ وهـو حَـزينٌ *[٥]

مَذكورٌ بالعَقلِ والحِلم، والدَّهاءِ والفَضل، والكَرَمِ والحَزم، والسّؤدُدِ والعَزم،

---

(١) في سورة القلم الآية ٤٤ ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وفي سورة الأعراف الآية ١٨٢ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

(٢) أدلىٰ: أخرج جرذانه ليبول. (اللّسان: دلي).

(٣) الغرارة: كيس التّبن. (اللّسان: غرر).

(٤) لا ترقأ به الدّماء: أي لا يُعطىٰ في الدّيات. (اللّسان: رقأ).

(٥) الموتور: الذي قُتل له قتيل ولم يدرك بدمه. (اللّسان: وتر). ونصف البيت لم أجد له تخريجًا.

والبَيانِ العَجيبِ والرّأي. إنّكَ مِمّن تَبقَىٰ نِعمَتُه، ويَدومُ شُكرُه، ويُفَخِّمُ النِّعمَة، ويَرُبُّها ويَذُبُّ عَنها ويَستَديمُها.

ليسَ شَيءٌ مِمّا يُحدِثُ الله لِعِبادِهِ مِن أصنافِ نِعَمِه، وضُروبِ فَوائِدِه، أبهَىٰ ذِكرًا، ولا أجَلَّ خطَرا، مِن أنْ يكونَ للرَّجُلِ ابنٌ يكونُ وَلِيَ بَناتِه، وساتِرَ عَورَةِ حُرمَتِه، وقاضي دَينِه، ومُحيي ذِكرَه. فإن ألقيتَ ذلك بَينَ المُتناظِرِينَ في الإمامَة، انتَقَضَت طِباعُهما، وتَزايَلَت أخلاطُهما، وانتكَثَت قواهُما، وجاوَزا حَدَّ الغَضبانِ في الخَبطِ والتَّعَسُّف، وَحَدَّ الغَيرانِ في القَلَقِ والرِّعدَة، والسُّكرانِ في الاعتِزامِ والصَّولَة. فأنتُم تَدورونَ مَعَ الاختِلافِ حَيث دار، وَتُديرونَ السُّلمَ كَيفَ شِئتُم.

مِمّا كانَ فيهِم من الطَّعنِ الخائف، والضَّربِ البارِئ للعَظم/ ، وحَرِّ الحَديد، وقد أصابَهم العَطَشُ مِن حَرِّ السِّلاح. وكَيفَ يُتَوهَّمُ علىٰ هؤلاء الحِقدُ والضِّغنُ والإفسادُ والإرصادُ والطَّلَبُ بطَوائلِ الجاهِلية، والمَيلُ إلىٰ غايَةِ العَصَبية. وهذا قَصدُه في رِجالِ الكَرَم، وأهلِ الطَّهارَة، وأصحابِ التُّقَىٰ والنَّزاهَة، إنَّما يَقولُ هذا مَن لا عِلمَ له بطَبائعِ الأشراف، ولا بالعِلَل، ولا بأسبابِ طَبَقاتِ الأشياء.

والنّاسُ بينَ مُعانِدٍ يَحتاجُ إلىٰ التَّقريع، ومُرتَدٍّ يَحتاجُ إلىٰ الإرشاد، ووَلِي يَحتاجُ إلىٰ المادَّة. فَما احتُجَّ به في مَوقِف، ولا ذَكَرَه في مَجلِس، ولا قامَ خَطيبًا، ولا هَمَسَ به إلىٰ موافِق، ولا احتَجَّ به علىٰ مُخالِف، مَع ما كانَ يَشيعُ من الحُجَّةِ في الآفاق، ويَستَفيضُ في الأطراف، وتَحمِلُه الرُّكبان، ويُتَهادىٰ في المَجالِس، وقد أسقَطَ عنه، مَؤونَةَ الرَّوية، وأورَثَه إلفَ السُّكونَة، وكَفاه خلاجَ الشَّكِّ[1]، واضطِرابَ النَّفس، وجَولانَ القَلب. شِدَّةُ فِراقِ الإلف، ومُكابَدَةُ العادَة، ونِزاعُ الطَّبيعَة. خَلي العِذارِ من الشُّرب، رَخي البال.

---

(١) خلاج الشك: الشغل به. (اللّسان: خلج).

أعدَلُ الأمورِ وأقسَطُها؛ طَرحُ الطَّرَفَينِ والأخذُ بأوسَطِ الأُمور. وبَعدَطولِ الدَّهرِ ومَوتِ الأحقاد، لا يألَونَهم خَبالاً[١]/ ، ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ[٢] الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

إنَّما يَعرِفُ الكَلامَ في الأديانِ مَن قد صَلِّىٰ به وعَجَمَه، وسَلَكَ في مَضائقِه، وكادَحَ الأضدادَ، ونازَعَ الأكفاء، ولَم يَكُن في طِباعِ النَّجدَةِ والشَّهامَة. ومِن أكرَمِ عُنصُر، وأطيَبِ مَغرِس. ولَكِن لَم تَكُن تَمَّت إدانَتُه، ولَم تُستَجمَعُ له قواه؛ لأنَّ العَقلَ وإن اشتَدَّ مَغرِزُه، فإنَّه لا يَبلُغ بنَفسِه دَرَكَ الغايَة، دونَ كَثرَةِ السَّماعِ والتَّجرِبَة. مَزايا الأُمورِ المُشكِلاتِ تَجارِبُه. بئسَتِ الصِناعَةُ الخَطابَةَ إنْ قَصَّرَ خُصِم، وإن أغرَقَ أثِم/ .

تَمَّ بحَمدِ الله وَحدَه وصَلَواتِه علىٰ سَيِّدنا مُحَمَّد نَبيِّه وآلِه وصَحبِه وسَلَّم

* * *

(١) الخبال: المنع والفساد. (اللّسان: خبل).

(٢) في الأصل (يعضون) وهو تحريف.



الفَهارِس

فهرس القرآن الكريم

* * *

فهرس الأحاديث النّبويّة

* * *

فهرس الأمثال العربيّة

* * *

فهرس القوافي

* * *

فهرس أنصاف الأبيات

* * *

فهرس الأرجاز



فهرس الأعلام

الألف

الباء

التاء

الثاء

الجيم

الحاء

الخاء

الدال

الذال

الرّاء

الزاي

السين

الشين

الصاد

الطاء

* * *

المصادر والمراجع

أوّلاً: المصادر:

* القرآن الكريم

الألف

١ـ الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيىٰ (ت ٣٧٠هـ)، المؤتلف والمختلف، تحقيق عبد السّتّار أحمد فرّاج، مكتبة عيسىٰ البابي الحلبي، القاهرة مصر، ١٩٦١م.

٢ـ الأبشيهي، أبو الفتح بهاء الدّين محمّد بن أحمد بن منصور (٨٥٤هـ)، المستطرف في كلّ فنّ مستظرف، تحقيق إبراهيم صالح، ط١، دار صادر، بيروت لبنان، ١٩٩٩م.

٣ـ ابن أبي أصيبعة، أبو العبّاس موفق الدّين أحمد بن القاسم السّعدي الخزرجي (ت ٦٦٨ هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، تحقيق محمّد باسل العيون السّود، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٩٨م.

٤ـ ابن أبي عون، أبو اسحاق إبراهيم بن محمّد (ت ٣٢٢هـ)، الأجوبة المسكتة، تحقيق محمّد عبد القادر أحمد، مطابع النّاشر العربي، القاهرة مصر، ١٩٨٣م.

٥ـ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التّاريخ، دار صادر، بيروت لبنان، ١٩٧٩م.

٦ـ ابن الأثير، محب الدّين بن محمّد (ت ٦٠٦هـ)، المرصّع في الآباء والأمّهات والبنين والبنات والأذواء والذّوات، تحقيق د.إبراهيم السّامرّائي، مطبعة الإرشاد، بغداد العراق ١٩٧١م.

٧ـ الأحمد النكري، عبد النّبي بن عبد الرّسول، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ط١، مطبعة دائرة المعارف النّظاميّة، حيدر آباد باكستان،(١٣٢٩هـ).

٨ـ الإربلي، عبد الرّحمن سُنبُط قنيتو الإربلي (٧١٧هـ)، خلاصة الذّهب المسبوك مختصر من سير الملوك، تحقيق مكّي السّيّد جاسم، ط ٢، مكتبة المثنّىٰ، بغداد العراق.
٩ـ أسامة بن منقذ، لباب الآداب، تحقيق أحمد محمّد شاكر، ط١، دار الجيل، بيروت لبنان، ١٩٩٩م.
١٠ـ الأصبهاني، أبو بكر محمّد بن داود، الزّهرة، ت.د. إبراهيم السّامرّائي، ط٢، مكتبة المنار، الزّرقاء الأردن، ١٩٨٥م.
١١ـ الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٦٠هـ)، الإمامة والرّد علىٰ الرّافضة، تحقيق د. علي بن محمّد بن ناصر الفقيهي، ط٣، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنوّرة السّعوديّة، ٢٠٠١م.
١٢ـ الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٦٠هـ)، تاريخ أصبهان، تحقيق سفن ديدريخ، ليدن بريل، ١٩٣١م.
١٣ـ الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ)، الأغاني، تحقيق دار إحياء التّراث العربي، ط ١، دار إحياء التّراث العربي، بيروت لبنان، ١٩٩٤م.
١٤ـ الأصفهاني، أبو حامد عماد الدّين بن محمّد (ت٥٩٧هـ)، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزّمان، تحقيق د.عمر عبد السّلام تدمري، ط١، المكتبة العصريّة، صيدا لبنان، ٢٠٠٢م.
١٥ـ الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠هـ)، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ط٣، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، ١٩٦١م.
١٦ـ التّنبيه علىٰ حدوث التّصحيف، تحقيق محمّد أسعد طلس، ط٢، دار صادر، بيروت لبنان، ١٩٩٢م.
١٧ـ الدّرّة الفاخرة في الأمثال السّائرة، تحقيق قصي الحسين، ط ١، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، ٢٠٠٣م.
١٨ـ الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب (٢١٦هـ)، الأصمعيّات، تحقيق أحمد شاكر وعبد السّلام هارون، ط٥، دار المعارف، القاهرة مصر، ١٩٥٥م.

١٩ـ ابن أعثم الكوفي، أبو محمّد أحمد بن أعثم (ت ٣١٤ هـ)، كتاب الفتوح، تحقيق علي شيري، ط١، دار الأضواء للطّباعة والنّشر، بيروت لبنان، ١٩٩١م.

٢٠ـ الأمين، السّيد محسن الأمين، أعيان الشّيعة، تحقيق حسن الأمين، ط١، مطبعة الإنصاف، بيروت لبنان، ١٩٦١م.

٢١ـ ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرّحمن كمال الدّين (ت)، نُزهَةُ الألبّاء في طبقات الأدباء، تحقيق ابراهيم السّامرّائي، مكتبة الأندلس، بغداد العراق، ١٩٧٠م.

٢٢ـ أوس بن حجر، أبو شريح (ت٢ ق.هـ)، ديوان أوس بن حجر، تحقيق محمّد يوسف نجم، ط٢، دار صادر ودار بيروت،بيروت لبنان، ١٩٦٠م.

٢٣ـ الأونبي، أبو عبيد البكري، سمط اللآلئ، تحقيق عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، ١٩٣٦م.

الباء

٢٤ـ ابن بابويه القمّي، أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١هـ)، معاني الأخبار، تحقيق محمّد مهدي السّيّد حسن الخراسان، منشورات المطبعة الحيدريّة، النّجف العراق، ١٩٧١م.

٢٥ـ البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد (ت ٢٨٤هـ)، الحماسة، تحقيق محمود رضوان ديّوب، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٩٩م.

٢٦ـ البستي، أبو حاتم محمّد بن حبّان (ت ٣٥٤هـ)، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوّض، ط٤، المكتبة العصريّة، صيدا بيروت، ١٩٩٩م.

٢٧ـ البطليوسي، أبو محمّد عبد الله بن محمّد (ت ٥٢١ هـ)، الاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب، تحقيق د.مصطفىٰ السّقّا ود.حامد عبد المجيد، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة مصر، ١٩٨٣م.

٢٨ـ البغدادي، اسماعيل باشا، هديّة العارفين: أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين، وكالة المعارف الجليلة، استنبول تركيا، ١٩٥٥م.

٢٩ـ البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولُب لُباب لسان العرب، ت د. عبد السّلام هارون، ط٢، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة مصر، ١٩٧٩م.
٣٠ـ البغدادي، محمّد بن الحسن بن محمّد الكاتب البغدادي، كتاب الطّبيخ، تحقيق فخري البارودي، ط١، دار الكتاب الجديد، دمشق سوريا، ١٩٦٤م.
٣١ـ البلاذري، أبو الحسن (ت ٢٧٩ هـ)، فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمّد رضوان، المكتبة التّجاريّة الكبرىٰ، القاهرة مصر.
٣٢ـ البيهقي، إبراهيم بن محمّد، المحاسن والمساوئ، دار صادر ودار بيروت، بيروت لبنان، ١٩٦٠م.

التّاء

٣٣ـ التّنوخي، أبو علي المحسن بن علي التّنوخي (ت ٣٨٤هـ)، الفرج بعد الشّدة، تحقيق محمّد حسن عبد الله، دار قباء للطّباعة والنّشر، القاهرة مصر، ٢٠٠٠م.
٣٤ـ نشوار المحاضرة، تحقيق عبّود الشّابحي، نشر المؤلّف، ١٩٧١م.
٣٥ـ التّهانوي، محمّد علي بن علي بن محمّد التّهانوي الحنفي (ت ١١٥٨هـ)، كشّاف اصطلاحات الفنون، تحقيق أحمد حسن بسج، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٩٨م.
٣٦ـ التّوحيدي، أبو حيّان، البصائر والذخائر، تحقيق د.إبراهيم الكيلاني، مكتبة أطلس ومطبعة الإنشاء، دمشق سوريا، ١٩٦٤م.

الثّاء

٣٧ـ الثّعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل (ت ٤٣٠هـ)، الإعجاز والإيجاز، ط٢، المكتب العامي للطّباعة، بيروت لبنان، ١٩٩٢م.
٣٨ـ تحسين القبيح وتقبيح الحسن، تحقيق شاكر العاشور، ط ١، وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة، بغداد العراق، ١٩٨١م.

٣٩ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة مصر، ١٩٨٠م.
٤٠ـ خاص الخاص، تحقيق حسن الأمين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، د.ت.
٤١ـ فقة اللّغة، تحقيق د.عمر الطّبّاع، ط١، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت لبنان، ١٩٩٩م.
٤٢ـ لطائف المعارف، ١٩٦٠م.

الجيم

٤٣ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)، البخلاء، تحقيق أحمد العوامري وعلي الجارم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٨٣م.
٤٤ـ البرصان والعرجان العميان والحولان، تحقيق محمّد مرسي الخولي، ط٢، مؤسّسة الرّسالة، بيروت لبنان، ١٩٨١م.
٤٥ـ البيان والتّبيين، تحقيق موفّق شهاب الدّين، ط٢، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ٢٠٠٣م.
٤٦ـ التّربيع والتّدوير، تحقيق شارل بلا، المعهد الفرنسي للدّراسات العربيّة، دمشق سوريا، ١٩٥٥م.
٤٧ـ الحيوان، تحقيق د. عبد السّلام هارون، ط٢، دار الجيل، بيروت لبنان، ١٩٩٦م.
٤٨ـ رسائل الجاحظ، جمع وتحقيق حسن السّندوبي، ط١، المطبعة الرّحمانيّة، القاهرة مصر، ١٩٣٣م.
٤٩ـ رسائل الجاحظ، جمع وتحقيق د.عبد السّلام هارون، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ١٩٧٩م.
٥٠ـ رسائل الجاحظ الرّسائل الكلاميّة، تحقيق د.علي أبو ملحم، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، ١٩٨٧م.
٥١ـ الفصول المختارة من كتب الجاحظ، جمعها عبيد الله بن حسّان، تحقيق محمّد باسل العيون السّود، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ٢٠٠٠م.

٥٢ـ فصول مختارة، تحقيق د.محمّد الدّروبي، ط١، دار البشير، عمّان الأردن، ٢٠٠٢م.
٥٣ـ كتاب المعلّمين وكتاب الرّدّ علىٰ المشبّهة، تحقيق إبراهيم خليل جريس، مطبعة ومكتبة السّروجي، عكّا فلسطين، ١٩٨٠م.
٥٤ـ مجموع رسائل الجاحظ، جمع وتحقيق محمّد طه الحاجري، دار النّهضة العربيّة، بيروت لبنان، ١٩٨٢م.
٥٥ـ المحاسن والأضداد، تحقيق د.يوسف فرحات، ط١، دار الجيل، بيروت لبنان، ١٩٩٧م.
٥٦ـ الجرجاني، أبو العبّاس أحمد بن محمّد (ت ٤٨٢هـ)، كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، تحقيق محمّد بدر الدّين النّعساني الحلبي، ط١، مطبعة السّعادة، القاهرة مصر، ١٩٠٨م.
٥٧ـ الجرجاني، أبو العبّاس أحمد بن محمّد (ت ٤٨٢هـ)، الإشارات والتّنبيهات في علم البلاغة، تحقيق د.عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة مصر، ١٩٩٧م.
٥٨ـ الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق ه. ريتر، ط٢، مطبعة وزارة المعارف، استانبول تركيا، ١٩٧٩م.
٥٩ـ جرير، أبو حرزة جرير بن عطيّة (ت١١٠هـ)، ديوان جرير، تحقيق د.يوسف عيد، دار الجيل، بيروت لبنان، ٢٠٠٥م.
٦٠ـ الجزري، عز الدّين ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمّد (ت ٦٣٠هـ)، أسد الغابة في تمييز الصّحابة، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوّض، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٩٤م.
٦١ـ ابن جنّي، أبو الفتح، الخصائص، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ٢٠٠١م.
٦٢ـ الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمّد (٥٤٠هـ)، المعرّب من الكلام الأعجمي علىٰ حروف المعجم، تحقيق أحمد محمّد شاكر، مطبعة الأفست، طهران إيران، ١٩٦٦م.
٦٣ـ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرّحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)، أخبار الحمقىٰ والمغفّلين، تحقيق عزيزة الفوّال، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ١٩٩٤م.

٦٤ـ الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حمّاد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، تحقيق د.إميل يعقوب ود.محمّد الطّريفي، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٩٩م.

٦٥ـ الجهشياري، أبو عبد الله محمّد بن عبدوس، الوزراء والكتّاب، تحقيق مصطفىٰ السّقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، ط١، مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده، القاهرة مصر، ١٩٣٨م.

الحاء

٦٦ـ ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصّحابة، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوّض، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٩٥م.

٦٧ـ تهذيب التّهذيب، تحقيق مصطفىٰ عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٩٤م.

٦٨ـ لسان الميزان، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوّض، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٩٦م.

٦٩ـ ابن حزم، أبو محمّد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السّلام هارون،، دار المعارف، القاهرة مصر، ١٩٦٢م.

٧٠ـ الحصري، أبو اسحاق إبراهيم بن علي (ت ٤٥٣هـ)، جمع الجواهر في الملح والنّوادر، تحقيق عبد العزيز البشري، ط١، المطبعة الرّحمانيّة، ١٣٥٣هـ.

٧١ـ زهر الآداب وثمر الألباب، شرح د.زكي مبارك ود.محمّد محي الدّين عبد الحميد، ط٤، دار الجيل، بيروت لبنان، ١٩٧٢م.

٧٢ـ ابن حمدون، محمّد بن الحسن بن محمّد (ت ٥٦٢هـ)، التّذكرة الحمدونيّة، تحقيق د. إحسان عبّاس، ط١، معهد الإنماء العربي، بيروت لبنان، ١٩٨٣م.

٧٣ـ الحميري، محمّد بن عبد المنعم، الرّوض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د.إحسان عبّاس، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت لبنان، ١٩٨٤م.

الخاء

٧٤ـ الخطيب التّبريزي، أبو زكريا يحيىٰ بن علي(ت ٥٠٢هـ)، شرح ديوان الحماسة، تحقيق محي الدّين عبد الحميد، ج١، مطبعة حجازي، القاهرة.

٧٥ـ الخطيب التّبريزي، شرح اختيارات المفضل، تحقيق فخر الدّين قباوة، ط٢، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٨٧م.

٧٦ـ ابن خلّكان، أبو العبّاس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت لبنان، ١٩٧٠م.

٧٧ـ الخوارزمي، فخر الدّين، شرح أبيّات المفصل، تحقيق محمّد نور رمضان يوسف، ط١، منشورات كليّة الدّعوة الإسلاميّة، طرابلس ليبيا، ١٩٩٩م.

٧٨ـ الخوارزمي، أبو عبدالله محمّد بن أحمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، ط٢، مكتبة الكليّات الأزهريّة، القاهرة مصر، ١٩٨١م.

الدّال

٧٩ـ الدّارقطني، أبو الحسن علي بن عمر، المؤتلف والمختلف، تحقيق د. موفّق بن عبد الله بن عبد القادر، ط١، دار العرب الإسلامي، بيروت لبنان، ١٩٨٦م.

٨٠ ـ ابن دريد، أبو بكر محمّد بن الحسن الأزدي البصري (٣٢١هـ)، الاشتقاق، تحقيق عبد السّلام هارون، ط٢، منشورات مكتبة المثنّىٰ، بغداد العراق، ١٩٧٩م.

٨١ ـ جمهرة اللّغة، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، بور سعيد مصر.

٨٢ ـ الدّميري، كمال الدّين بن محمّد بن موسىٰ بن عيسىٰ، (ت ٨٠٨هـ)، حياة الحيوان الكبرىٰ، ط٢، دار إحياء التّراث العربي، بيروت لبنان، ١٩٩٩م.

٨٣ ـ الدّينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ)، الأخبار الطّوال، تحقيق د.عصام محمّد الحاج علي، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ٢٠٠١م.

الذّال

٨٤ ـ الذّهبي، شمس الدّين محمّد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ)، سير أعلام النّبلاء، تحقيق أبو سعيد عمر العمروي، ط١، دار الفكر، بيروت لبنان، ١٩٩٦م.

٨٥ ـ العبر في خبر من غبر، تحقيق محمّد السّعيد بن نسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٨٥م.

٨٦ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرّجال، تحقيق علي محمّد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، ط ١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٩٥م.

الرّاء

٨٧ ـ الرّازي، فخر الدّين، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق محمّد زينهم محمّد عزب، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة مصر، ١٩٩٣م.

٨٨ ـ الرّاغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمّد بن الفضل، محاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء والبلغاء، تحقيق د.عمر الطّبّاع، ط ١، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطّباعة والنّشر، بيروت لبنان، ١٩٩٩م.

٨٩ ـ ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر بن رسته (٢٩٠هـ)، الأعلاق النّفيسة، طبع في مطبع بريل، ليدن، ١٨٩١م.

٩٠ـ ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق (ت ٤٦٠هـ)، العمدة في محاسن الشّعر ونقده، تحقيق د. عبد الحميد الهنداوي، ط١، المكتبة العصريّة، صيدا لبنان، ٢٠٠١م.

الزّاي

٩١ـ الزّبيدي، محمّد مرتضىٰ الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد العزيز مطر، مطبعة حكومة الكويت، الكويت الكويت، ١٩٧٠م.

٩٢ـ الزبيدي، أبو بكر محمّد بن الحسن (ت ٣٧٩هـ)، طبقات النّحويين واللّغويين، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مطبعة محمّد سامي أمين الخانجي، القاهرة مصر، ١٩٥٤م.
٩٣ـ ابن الزّحيف، محمّد بن علي بن يونس المعروف بابن فند (ت ٩١٦هـ)، مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار ويسمّىٰ اللّواحق النّديّة بالحدائق الورديّة، تحقيق عبد السّلام الوجيه وخالد المتوكل، ط١، مؤسّسة الإمام زيد بن علي الثّقافيّة، عمّان الأردن، ٢٠٠٢م.
٩٤ـ الزّبير بن بكّار، أبو عبد الله الزّبير بن بكّار القرشي (٢٥٦هـ)، الأخبار الموفّقيات، تحقيق سامي مكّي العاني، ط٢، مكتبة عالم الكتب، بيروت لبنان، ١٩٩٦م.
٩٥ـ الزّمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، تحقيق د. مزيد نعيم وشوقي المعرّي، ط١، مكتبة لبنان، بيروت لبنان، ١٩٩٨م.
٩٦ـ المستقصي في الأمثال، تحقيق محمّد عبد الرّحمن خان ومحمّد عبد المعين خان، ط١، دائرة المعارف العثمانيّة، حيدر آباد باكستان، ١٩٦٢م.
٩٧ـ الزّمخشري، أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت ٦٤٣هـ)، شرح المفصّل، تحقيق د.إميل يعقوب، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ٢٠٠١م.
٩٨ـ زهير بن أبي سلمىٰ، الدّيوان، شرح علي فاعور، ط ٣، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ٢٠٠٣م.
٩٩ـ الزّوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، شرح المعلقات السبع، دار الجيل، بيروت لبنان.

السّين

١٠٠ـ السّجستاني، أبو حاتم (ت ٢٥٠ هـ)، المعمّرون والوصايا، تحقيق عبد المنعم عامر، ١٩٦١م.
١٠١ ـ ابن سعد، محمّد بن سعد بن منيع الزّهري (ت٢٣٠هـ)، كتاب الطّبقات الكبير، تحقيق علي محمّد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ٢٠٠١م.

١٠٢ ـ ابن سعيد، الأندلسي (٦٨٥هـ)، نشوة الطّرب في تاريخ جاهليّة العرب، تحقيق نصرت عبد الرّحمن، ط ١، مكتبة الأقصىٰ، عمّان الأردن، ١٩٨٢م.
١٠٣ـ ابن السّكّيت، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق (ت ٢٤٤هـ)، إصلاح المنطق، تحقيق د. أحمد محمّد شاكر ود.عبد السّلام هارون، دار المعارف، القاهرة مصر، ١٩٤٩م.
١٠٤ـ السّمعانيّ، أبو سعد عبد الكريم بن محمّد بن منصور (٥٦٢هـ)، الأنساب، تحقيق عبد الرّحمن بن يحيىٰ المعلمي اليماني، ط٢، نشر محمّد أمين دمج، بيروت لبنان، ١٩٨٠م.
١٠٥ـ السّهيلي، أبو القاسم عبد الرّحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي (٥٨١هـ)، الرّوض الأُنُف في تفسير السّيرة النّبويّة لابن هشام، تحقيق مجدي بن منصور بن سيّد الشّوري، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٩٧م.

الشّين

١٠٦ـ الشّمشّاطي، أبو الحسن علي بن محمّد بن المطهّر العدوي، الأنوار ومحاسن الأشعار، تحقيق د.السّيّد محمّد يوسف، سلسلة التّراث العربي تصدرها وزارة الإعلام الكويتيّة، الكويت الكويت، ١٩٧٧م.
١٠٧ـ الشّهرستاني، أبو الفتح (٥٤٨هـ)، الملل والنّحل، تحقيق أحمد فؤاد الأهواني، ط١، مؤسّسة ناصر للثّقافة، بيروت لبنان، ١٩٨١م.

الصّاد

١٠٨ـ الصّفدي، صلاح الدّين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ)، الغيث المسجم في شرح لاميّة العجم، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٧٥م.
١٠٩ـ الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتزكّي مصطفىٰ، ط١، دار إحياء التّراث العربي، بيروت لبنان، ٢٠٠٠م.

الطّاء

١١٠ـ الطّبري، أبو جعفر محمّد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ط٣، مؤسّسة عزّ الدّينللطّباعة والنّشر، بيروت لبنان، ١٩٩٢م.

١١١ـ الطّرطوشي، أبو بكر محمّد بن الوليد الفهري، (٥٢٠هـ)، سراج الملوك، تحقيق محمّد فتحي أبو بكر، ط١، الدّار المصريّة اللّبنانيّة، القاهرة مصر، ١٩٩٤م.

١١٢ـ ابن الطقطقي، محمّد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ)، الفخري في الآداب السّلطانيّة والدّول الإسلاميّة، تحقيق ممدوح حسن محمّد، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، بورسعيد مصر، ١٩٩٩م.

الظّاء

١١٣ـ ابن ظافر، أبو الحسن علي بن منصور بن ظافر الأزدي (٦١٣هـ)، أخبار الدّولة المنقطعة، تحقيق عصام هزايمة ومحمّد محافظة ومحمّد طعّاني وعلي عبابنة، ط ١، إربد الأردن، ١٩٩٩م.

العين

١١٤ـ العبّاسي، عبد الرّحيم بن أحمد (٩٦٣هـ)، معاهد التّنصيص علىٰ شواهد التّلخيص، تحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد، مطبعة السّعادة، القاهرة مصر، ١٩٤٨م.

١١٥ـ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي، بهجة المَجالِس وأُنس المُجالِس وشحذ الذّاهن والهاجس، تحقيق محمّد مرسي الخولي، ط٢، بيروت لبنان، ١٩٨٢م.

١١٦ـ ابن عبد ربّه، أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسي (٣٢٨هـ)، العقد الفريد، تحقيق بركات يوسف هبّود، ط ١، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت لبنان، ١٩٩٩م.

١١٧ـ ابن العبري، أبو الفرج غريغوريوس بن إهرون الملطي (٦٨٥هـ/ ١٤٨٦م)، تاريخ

مختصر الدّول، تحقيق الأب أنطوان صالحاني اليسوعي، دار الرّائد اللّبناني، بيروت لبنان، ١٩٨٣م.

١١٨ـ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشّافعي (ت ٥٧١هـ)، تهذيب ابن عساكر، هذّبه ورتّبه عبد القادر بدران، ط٢، دار المسيرة، بيروت لبنان، ١٩٧٩م.

١١٩ـ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (٣٩٥هـ)، جمهرة الأمثال، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط٢، دار الجيل، بيروت لبنان.

١٢٠ـ الفروق في اللّغة، تحقيق جمال الدّين مدغمش، مؤسّسة الرّسالة.

١٢١ـ ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمّد الحنبلي، شذرات الذّهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق سوريا، ١٩٩١م.

الغين

١٢٢ـ الغزولي، علاء الدّين علي بن عبد الله البهائي (٨١٥هـ)، مطالع البدور في منازل السّرور، ط ١، مكتبة الثّقافة الحديثة، القاهرة مصر، ٢٠٠٠م.

١٢٣ـ الغزّي الدّمشقي، نجم الدّين محمّد بن محمّد الغزّي الدّمشقي (ت ١٠٦١هـ)، إتقان ما يحسن من الأخبار الدّائرة على الألسن، تحقيق خليل بن محمّد العربي، ط١، نشر الفاروق الحديثة للطّباعة والنّشر، القاهرة مصر، ١٩٩٥م.

الفاء

١٢٤ـ الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت ٣٥٠هـ)، كتاب ديوان الأدب، تحقيق أحمد مختار عمر، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة مصر، ١٩٧٥م.

١٢٥ـ ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللّغة، ت تحقيق د. عبد السّلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت لبنان، ١٩٩١م.

١٢٦ـ ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمّد (ت ٧٩٩هـ)، الدّيباج المذهّب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق علي عمر، ط ١، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، بورسعيد مصر، ٢٠٠٣م.

١٢٧ـ الفرزدق، أبو فراس همّام بن غالب (١١٠هـ)، ديوان الفرزدق، دار صادر ودار بيروت، بيروت لبنان، ١٩٦٦م.

١٢٨ـ ابن فضل الله العمري، أبو العبّاس شهاب الدّيت أحمد بن يحيىٰ (ت ٧٤٩هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق د.محمّد خريسات ود.يوسف بني ياسين، ط١، مركز زايد للتّراث والتّاريخ، أبو ظبي الإمارات، ٢٠٠١م.

١٢٩ـ الفيروز آبادي، مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق يوسف الشّيخ ومحمّد البقاعي، دار الفكر للطّباعة والنّشر، بيروت لبنان، ١٩٩٥م.

القاف

١٣٠ـ القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي (ت ٣٥٦هـ)، الأمالي، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ٢٠٠٢م.

١٣١ـ ابن قتيبة، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري (ت٢٧٦هـ)، الأشربة، تحقيق محمّد كرد علي، مطبعة التّرقي، دمشق سوريا، ١٠٤٧م.

١٣٢ـ الشّعر والشّعراء، تحقيق د.عمر الطّبّاع، ط١، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت لبنان، ١٩٩٧م.

١٣٣ـ عيون الأخبار، تحقيق د. مفيد محمّد قميحة ود. يوسف علي الطّويل، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٨٦م.

١٣٤ـ المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب، القاهرة مصر، ١٩٦٠م.

١٣٥ـ القرشي، أبو زيد محمّد بن أبي الخطّاب (ت أوائل القرن الرّابع الهجري)، جمهرة أشعار

العرب في الجاهليّة والإسلام، ت. د. محمّد علي الهاشمي، ط١، دار العلم، دمشق سوريا، ١٩٨٦م.

١٣٦ـ القطامي، عمير بن شييم، ديوان القطامي، تحقيق إبراهيم السّامرائي وأحمد مطلوب، ط١، دار الثّقافة، بيروت لبنان، ١٩٦٠م.

١٣٧ـ القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف (٦٤٦هـ)، إنباه الرّواة على أنباه النّحاة، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة ١٩٥٠.

١٣٨ـ تاريخ الحكماء، صحّحه محمّد أمين الخانجي، مطبعة السّعادة، القاهرة مصر، ١٩٤٨م.

١٣٩ـ القلعي، أبو عبدالله محمّد بن علي (ت ٦٣٠هـ)، تهذيب الرّياسة وترتيب السّياسة، تحقيق إبراهيم يوسف عجو، ط١، مكتبة المنار، الزّرقاء الأردن، ١٩٨٥م.

١٤٠ـ قيس بن الملوّح،

١٤١ـ ابن قيّم الجوزيّة، شمس الدّين محمّد بن أبي بكر، روضة المحبّين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٨٣م.

الكاف

١٤٢ـ ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدّمشقي (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنّهاية، تحقيق محمّد بيومي وعبد الله المنشاوي ومحمّد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان، المنصورة مصر.

١٤٣ـ الكندي، أبو عمر محمّد يوسف بن يعقوب (ت ٣٥٣هـ)، الولاة والقضاة، تحقيق محمّد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، ط ١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ٢٠٠٣م.

الميم

١٤٤ـ ابن ماجه، صحيح سنن ابن ماجه، تأليف د.محمّد ناصر الدّين الألباني، ط١، مكتب التّربية العربيّة لدول الخليج، الرّياض السّعوديّة، ١٩٨٦م.

١٤٥ـ مالك بن أنس، الموطّأ، تحقيق لطفي الصّغير وطه علي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ١٩٩٧م.

١٤٦ـ الموطّأ، ط٣، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ودار ابن حزم، بيروت لبنان، ١٩٩٦م.

١٤٧ـ المسند لموطأ الإمام مالك بن أنس، (ت١٧٩هـ)، ترتيب وتحقيق حسين نجمة وعبد الحليم بن محمّد الهادي، ط١، دار ابن كثير، دمشق سوريا، ٢٠٠٠م.

١٤٨ـ ابن مماتي، أسعد بن مماتي (٦٠٦هـ)، قوانين الدّواوين، تحقيق عزيز عطيّة، مطبعة مصر، القاهرة مصر، ١٩٤٣م.

١٤٩ـ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمّد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ)، أدب الدّنيا والدّين، تحقيق محمّد أبو الخير السّيّد ومحمّد الشرفاوي، ط١، مؤسّسة الرّسالة، بيروت لبنان، ٢٠٠٤م.

١٥٠ـ تسهيل النّظر وتعجيل الظّفر في أخلاق المُلك، تحقيق رضوان السّيّد، ط ١، دار العلوم العربية والمركز الإسلامي للبحوث، بيروت لبنان، ١٩٨٧م.

١٥١ـ المبرّد، أبو العبّاس محمّد بن يزيد الأزدي، (ت ٢٨٦هـ)، التّعازي والمراثي، تحقيق محمّد الدّيباجي، دمشق سوريا، ١٩٧٦م.

١٥٢ـ الفاضل في اللّغة والأدب، تحقيق عبد العزيز الرّاجكوتي، ١٩٥٥م.

١٥٣ـ الكامل في اللّغة والأدب، تحقيق د. عبد الحميد الهنداوي، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٩٩م.

١٥٤ـ الكامل في اللّغة والأدب (وبحاشيته) الفصول المختارة للجاحظ، ط١، مطبعة التّقدّم العلميّة ومكتبة محمّد عبد الواحد الطّوبيْ، القاهرة مصر، ١٩٠٥م.

١٥٥ـ المقتضب، تحقيق محمّد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلىٰ للشّؤون الإسلاميّة ولجنة إحياء التّراث، القاهرة مصر، ١٣٨٨هـ

١٥٦ـ نسب عدنان وقحطان، تحقيق عبد العزيز الميمني الرّاجكوتي، نشر علىٰ نفقة محمّد بن فالح آل ثاني، الدّوحة قطر، ١٩٨٤م.

١٥٧ـ المتقي الهندي، علاء الدّين المتّقي بن حسام الدّين الهندي (٩٧٥هـ)، كنز العمّال في سنين الأقوال والأفعال، تحقيق بكري حيّاني وصفوت السّقا، مؤسّسة الرّسالة، بيروت لبنان، ١٩٨٩م.

١٥٨ـ المرزباني، عبيد الله بن عمران بن موسىٰ (٣٨٣هـ)، معجم الشّعراء، تحقيق أحمد فرّاج، مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي وأولاده، القاهرة مصر، ١٩٦٠م.

١٥٩ـ المزّي، جمال الدّين أبو الحجّاج يوسف المزّي (ت ٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرّجال، تحقيق د.بشار عواد معروف، ط٢، مؤسّسة الرّسالة، بيروت لبنان، ١٩٨٥م.

١٦٠ـ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٥هـ)، التّنبيه والإشراف، تحقيق عبد الله إسماعيل الصّاوي، المكتبة التّاريخيّة، القاهرة مصر، ١٩٨٣م.

١٦١ـ مروج الذّهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد، ط٣، مطبعة السّعادة، بيروت لبنان، ١٩٥٨م.

١٦٢ـ مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة مصر، ١٩٥٥م.

١٦٣ـ معاطي بن زكريّا، أبو الفرج معاطي بن زكريا النّهرواني (ت ٣٩٠هـ)، الجليس الصّالح الكافي والأنيس النّاصح الشّافي، تحقيق محمّد مرسي الخولي، ط ١، نشر عالم الكتب ومحمّد أمين دمج، بيروت لبنان، ١٩٨٣م.

١٦٤ـ المقّري، أبو عبد الله أحمد بن محمّد التّلمساني، زهرة الأخبار، ط ١، طبع علىٰ نفقة مولاي الحسن البوعيشي، المطبعة الجديدة، فاس المغرب، ١٣٤٩هـ.

١٦٥ـ ابن منظور، جمال الدّين محمّد بن مكرم (٧١١هـ)، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت لبنان، ٢٠٠٤م.

١٦٦ـ المتتخب والمختار في النّوادر والأشعار، تحقيق د. عبد الرّزاق حسين، ط١، دار عمّار، عمّان الأردن، ١٩٩٤م.

١٦٧ـ المنقري، نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ)، وقعة صفّين، تحقيق د.عبد السّلام هارون، ط١، القاهرة مصر، ١٣٦٥.

١٦٨ـ الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمّد النّيسابوري (ت ٥١٨ هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار الجيل بيروت لبنان، ١٩٨٧م.

النّون

١٦٩ـ ابن نباته، جمال الدّين بن نباتة المصري (٧٦٨هـ)، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمّد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، ١٩٦٤م.

١٧٠ـ مطلع الفوائد ومجمع الفرائد، تحقيق د.عمر موسىٰ باشا، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة، دمشق سوريا، ١٩٧٢م.

١٧١ـ النّديم، أبو الفرج محمّد بن أبي يعقوب إسحاق المعرّوف بالورّاق، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، د.ت.

١٧٢ـ نشوان الحميري، أبو سعيد (ت ٥٧٣هـ)، الحور العين، تحقيق كمال مصطفىٰ، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ومكتبة المثنّىٰ، بغداد العراق، ١٩٤٨م.

١٧٣ـ أبو نواس، الحسن بن هانئ، الدّيوان، تحقيق وشرح اسكندر آصاف، دار العرب للبستاني، ١٩٩٢م.

١٧٤ـ النّوبختي، أبو محمّد الحسن بن موسىٰ، فرق الشّيعة، مطبعة الدّولة لجمعيّة المستشرقين الألمانيّة، استانبول تركيا، ١٩٣١م.

١٧٥ـ النّووي، أبو زكريّا محي الدّين بن شرف، تهذيب الأسماء واللّغات، تحقيق علي معوّض وعادل عبد الموجود، ط ١، دار النّفائس، بيروت لبنان، ٢٠٠٥م.

١٧٦ـ النّويري، شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهّاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب، القاهرة مصر.

الهاء

١٧٧ـ ابن هذيل، أبو الحسن علي بن عبد الرّحمن (توفي في القرن الثّامن الهجري)، عين الأدب والسّياسة، تحقيق أحمد سعد علي، ط ٢، مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، القاهرة مصر، ١٩٣٨م.

١٧٨ـ ابن هشام، أبو عبد الله جمال الدّين الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، شذور الذّهب، تحقيق د.محمّد السّعدي فرهود ود.محمّد عبد المنعم خفاجي ود.عبد العزيز شرف، دار الكتاب المصري، القاهرة مصر، ودار الكتاب اللّبناني، بيروت لبنان، ١٩٩٩م.

١٧٩ـ نيل الأرب في الجمع بين قطر النّدىٰ وشذور الذّهب، تحقيق علي سليمان شباره، ط١، مؤسّسة الرّسالة، بيروت لبنان، ٢٠٠٥م.

١٨٠ـ الهيتمي، نور الدّين علي بن أبي بكر الهيتمي (ت ٨٠٧هـ)، مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد، تحقيق عبد الله محمّد درويش، دار الفكر للطباعة والنّشر، بيروت لبنان، ١٩٩٤م.

الواو

١٨١ـ ورّام، أبو الحسين ورّام بن أبي فراس المالكي الأشتري (ت ٦٠٥ هـ)، تنبيه الخواطر ونزهة النّواظر، تحقيق محمّد صادق، ط ٣، منشورات المكتبة الحيدريّة، النّجف العراق، ١٩٦٩م.

١٨٢ـ ابن الوردي، زين الدّين عمر بن مظفّر (ت ٧٤٩هـ)، تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ١٩٩٦م.

الياء

١٨٣ـ اليافعي، عبد الله بن أسعد (ت ٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزّمان، تحقيق عبد الله الجبوري، ط١، مؤسّسة الرّسالة، بيروت لبنان، ١٩٨٤م.

١٨٤ـ ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرّومي البغدادي، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عبّاس،ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ١٩٩٣م.

١٨٥ـ معجم البلدان، دار صادر، بيروت لبنان، ١٩٧٩م.

١٨٦ـ اليزيدي، أبو عبد الله محمّد بن العبّاس (ت ٣١٠هـ)، كتاب الأمالي، تحقيق عبد الله بن أحمد العلوي الحسيني، عالم الكتب، بيروت لبنان، ومكتبة القاهرة، القاهرة مصر، ١٣٦٩هـ.

١٨٧ـ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٨٢ هـ)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر ودار بيروت، بيروت لبنان، ١٩٦٠م.

١٨٨ـ يمّوت بن المزرّع، مهلهل بن يمّوت بن المزرّع، سرقات أبي نوّاس، تحقيق مصطفىٰ هدّارة، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، ١٩٥٧م.

١٨٩ـ اليوسي، الحسن بن مسعود بن محمّد نور الدين اليوسي (ت ١١٠٢هـ)، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق د.قصي الحسين، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، ٢٠٠٣م.

* * *

ثانياً: المراجع

الألف

١٩٠ـ أمين، أحمد، ضحىٰ الإسلام، ط٧، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة مصر، ١٩٣٦م.

الباء

١٩١ـ بخيت: د. محمّد حسن، الفرق القديمة والحديثة في التّاريخ الإسلامي، ط٢، طبع علىٰ نفقة المؤلّف، غزّة فلسطين، ٢٠٠٣م.
١٩٢ـ البستاني: فؤاد أفرام، دائرة المعارف الإسلاميّة، بيروت لبنان، ١٩٨٣م.
١٩٣ـ بهيم، جمال، حقوق المرأة في الإسلام، ط١، نشر المؤلف، عمّان، ١٩٩١م.

الحاء

١٩٤ـ الحنفي: د. عبد المنعم، معجم المصطلحات الصّوفيّة، ط١، دار المسيرة، بيروت لبنان، ١٩٨٠م.

الخاء

١٩٥ـ خليفة: حاجّي، كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر للطّباعة والنّشر، بيروت لبنان، ١٩٨٢م.

الزّاي

١٩٦ـ الزّركلي، خير الدّين، الأعلام، ط١٠، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ١٩٩٢م.

السّين

١٩٧ـ السّامرّائي، إبراهيم، من معجم الجاحظ، دار الرّشيد للنّشر، بغداد العراق، ١٩٨٢م.

الشّين

١٩٨ـ شيخو، لويس، المجاني الحديثة عن مجانيّ لويس شيخو، جدّدها فؤاد أفرام البستانيّ، ط٤، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٣م.

العين

١٩٩ـ أبو عوض: عاطف شكري، الزّندقة والزّنادقة، دار الفكر، عمان الأردن، ١٩٨٠م.

الكاف

٢٠٠ـ كحّالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، المكتبة الهاشميّة، دمشق سوريا، ١٩٤٩م.

٢٠١ـ معجم المؤلّفين، المكتبة العربيّة، دمشق سوريا،

٢٠٢ـ الكرملي، الأب أنستاس، رسائل في النّقود العربيّة والإسلاميّة وعلم النّميّات، ط ٢، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، القاهرة مصر، ١٩٨٧م.

النّون

٢٠٣ـ أبي النّصر: عمر، آثار الجاحظ، ط١، مطبعة النّحوي، بيروت لبنان، ١٩٦٩م.

الهاء

٢٠٤ـ هارون، عبد السّلام، مجموعة المعاني، ط ١، دار الجيل، بيروت لبنان، ١٩٩٢م.

٢٠٥ـ الهاشمي: د. أحمد، جواهر الأدب في أدبيّات وإنشاء لغة العرب، ط٢٧، المكتبة التّجاريّة، القاهرة مصر، ١٩٦٩م.

الياء

٢٠٦ـ يعقوب: إميل، المعجم المفصّل في شواهد اللّغة العربيّة، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ٦١٠٠٦م.

❋ ❋ ❋

ثالثاً: الكتب المترجمة

٢٠٧ـ بروكلمان: كارل، تاريخ الأدب العربي، تحقيق د. عبد الحليم النّجّار، ط ٥، دار المعارف، القاهرة مصر، د.ت.

٢٠٨ـ زلهايم، رودولف، الأمثال العربيّة القديمة، ترجمة د. رمضان عبد التّوّاب، ط١، دار الأمانة ومؤسّسة الرّسالة، بيروت لبنان، ١٩٧١م.

* * *

رابعًا: الدّوريّات

٢٠٩ـ حسين علي محفوظ، (١٩٦٣م)، حمزة بن الحسن، مجلّة سومر، (ع ١٩)، بغداد، ١٩٦٣م.

٢١٠ـ مجلة المورد، (١٩٨٧م)، عدد خاص عن الجاحظ، (ع٤)، المجلد السابع، بغداد، ١٩٨٧م.



فهـرس المحتـويـات